

ديوان مجنون ليلى

تحقيق د. درويش الجويدي

الدار النموذجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ أصحاب الدار النموذجية للطباعة والنشر لأصحابها أبناء المرحوم السيد شريف عبد الرحمن الأنصاري أن تقدّم لقراء العربية مجموعة من دواوين الشعر العربي الخالد إثراءً للمكتبة العربية الغنية بكنوزها وتراثها الحيّ، ومن تلك الدواوين ديوان قيس بن الملوّح مجنون بني عامر.

ومن حسن حظّه أنه لم يُفلح بالزواج من ليلي، ولو حصل ذلك لكان كسائر الملايين من البشر يعيشون ويمضون كسائر مواكب البشر، لا يتركون بصمات على جبين البشرية. وها هو ذا يمسك بيديه القويتين بالنار المقدّسة، فتشعّ جنات الوجود بومضات الحبّ المحروم، فيتألم ونألم لألمه، ويكيّ فنشاركه دمعته. ولذا فهو نموذج إنساني يمثل كلّاً ممّا في فشله وإحساسه بالمرارة، فهنيئاً له حرمانه وهنيئاً لنا تراثه. آمليّن من الله تعالى حسن القبول.

د. درويش جويدي

٦

٦

ترجمة الشاعر

هو: قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري: شاعر غزل، من المتّيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً وإنما لقّب بذلك لهيامه في حب «ليلى بنت سعد»، قيل في قصته: إنّه نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه يُنشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيُرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وُجد ملقّى بين أحجار، وهو ميّت فحُمِل إلى أهله سنة ٦٨ هـ = ٦٨٨ م.

وقد جمع بعض شعره في ديوان.

صنف ابن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣ م) كتاباً في أخباره سماه «بسط سامر المسامر في أخبار مجنون بني عامر».

وكان الأصمعي عبد الملك بن قريب (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) ينكر وجوده، ويراه اسماً بلا مسمى.

وكان الجاحظ يقول: ما ترك الناس شعراً، مجهول القائل، فيه ذكر ليلى إلا نسبوه إلى المجنون.

ويقول ابن الكلبي: حَدَّثْتُ أَنَّ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَشِعْرَهُ وَضَعَهُ فَتَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ يَهْوَى ابْنَهُ عَمَّ لَهُ.

وردت ترجمته في: فوات الوفيات ٢: ١٣٦، سرح

العيون: ١٩٥، النجوم الزاهرة ١: ١٨٢، سمط اللآلي: ٣٥٠ وفيه اختلاف الناس في اسم المجنون واسم أبيه، وكذا في خزانة الأدب، للبغدادي ٢: ١٧٠-١٧٢، الأغاني طبعة دار الكتب ١: ٢، الآمدي: ١٨٨، شرح الشواهد: ٢٣٨ وفيه: «عن نوفل بن مساحق، قال: أنا رأيت مجنون بني عامر، كان جميل الوجه أبيض اللون، وقد علاه شحوب»، الشعر والشعراء: ٢٢٠، تزيين الأسواق ١: ٥٨. وفي شرح الشواهد للعينى: «المجنون: قيس بن معاذ، وقيل: مهدي، والصحيح قيس بن الملوّح». وانظر الأعلام للزركلي ٥: ٢٠٨-٢٠٩.

ڊيوانه

۱۰

۱۰

قافية الهمزة

١

مَيِّتُ الْهُوَى

[الطويل]

فَوَاكِدًا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُحِبُّنِي
وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهُنَّ فَنَاءُ^(١)
أَرَيْتُكَ إِنْ لَمْ أُعْطِكَ الْحُبَّ عَنْ يَدٍ
وَلَمْ يَكُ عِنْدِي إِذْ أَبَيْتُ إِبَاءُ^(٢)
أَتَارِكْتِي لِلْمَوْتِ! إِنِّي لَمَيِّتٌ
وَمَا لِلنُّفُوسِ الْهَالِكَاتِ بَقَاءُ^(٣)
إِذَا هِيَ أَمْسَتْ، مَنِيْتُ الرَّبْعِ دُونَهَا
وَدُونُكَ أَرْطَى مُسْهَلٌ وَأَلَاءُ^(٤)

(١) ورد البيت في: الأغاني ١: ٧٦، التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد ١٨١: ٢.

للوهلة الأولى يعبر قيس عن ألمه، فواو الندبة مطلع البيت. والزفرات، مفردتها زفرة: إخراج النفس بعد مدّه تعبيراً عن الضيق والألم.

(٢) أريتُكَ: أغظنتك. أعطيك الحب عن يد: أستسلم لك كرامة وحباً. الإباء: الترفع والكبرياء.

(٣) أتاركتي للموت: تسلميني، إني لميت: من أجل حبك. النفوس الهالكات: كل البشر مآلهم الموت، ولكن تختلف الطرق والموت واحد في نهاية المطاف.

(٤) الربع: الديار وأهلها وساكنوها. الأرتى: ضرب من الشجر. واحدها أرتاة. الألاء: ضرب من الشجر دائم الخضرة ثمرة مرّ، واحدها ألاءة.

- فَلَا وَضَلَّ إِلَّا أَنْ يُقَارِبَ بَيْنَنَا
 قَلَائِصُ فِي أَذْنَابِهِنَّ صَفَاءُ^(١)
 يَجْبُنَ بِنَا عُرْضَ الْفَلَاةِ وَمَا لَنَا
 عَلَيْهِنَّ إِلَّا وَخَدَهُنَّ شِفَاءُ^(٢)
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: وَرَدُّهُنَّ ضَحَى غَدٍ
 تَوَاهَقْنَ حَتَّى وَرَدُّهُنَّ عِشَاءُ^(٣)
 إِذَا اسْتُخْبِرَتْ رُكْبَانُهَا لَمْ يُخْبَرُوا
 عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِدَاءُ^(٤)

٢

الشمس مسكنها السماء

[الوافر]

- وقالوا: لو تَشَاءَ سَلَوْتُ عَنْهَا
 فَقُلْتُ لَهُمْ: فَإِنِّي لَا أَشَاءُ^(٥)
 وَكَيْفَ وَحُبُّهَا عَلِقَ بِقَلْبِي؟
 كَمَا عَلِقَتْ بِأَرْشِيَةِ دِلَائِ^(٦)

- (١) القلائص: النياق الفتية ذوات قوائم طويلة، مفردها قلووص.
 (٢) يجبن: يطفئ، يجلن. عُرْضُ الْفَلَاةِ: عمق الصحراء الموحشة. يقصد الشاعر أنه يفر من واقع الحرمان بتجواله في مجاهل الصحراء يفتش عن شفاؤه من سقام حبه.
 (٣) وردهن: سعيهن يطلبن الماء. تَوَاهَقْنَ: أسرغن. لشدة عطشهن يسرغن للارتواء.
 (٤) استخبرت: سئلت عن سبب عجلتها. الركبان: الظاعنون المرتحلون. ولشدة إسرعهن لا يسمعن إلا أن يعلو النداء.
 (٥) تشاء: تريد. يقصد الشاعر أن الأحبة والأصحاب والأهل يرغبونه باستبدال حبيبته بأخرى، ولكنه يرد عليهم أنه لا يريد ذلك، بل سيستمّر على حبه لمحبوته.
 (٦) الأرشيّة: الحبال، مفردها رشاء. الدلاء: أوعية استخراج الماء من البئر، مفردها دلو. الواضح أن الشاعر يطلب باستمرار الماء، سرّ الحياة، وبالنسبة إليه حبه لمحبوته سرّ حياته واستمرارها؛ لذا فعطشه دائم.

- لَهَا حُبٌّ تَنْشَأُ فِي فُؤَادِي
 فليس له - وإن زُجِرَ - انتِهاء^(١)
 وعاذلة تُقَطُّعُنِي مَلاماً
 وفي زُجِرِ العواذِلِ لي بلاء^(٢)
 فقالوا: أين مسكنُها؟ ومن هي؟
 فقلتُ: الشَّمْسُ مسكنُها السَّمَاءُ^(٣)
 فقالوا: مَنْ رَأَيْتَ أَحَبَّ شَمْساً؟
 فقلتُ: عليّ قد نزلَ القَضَاءُ^(٤)
 إِذَا عَقَدَ القَضَاءُ عَلَيَّ أَمراً
 فليس يحُلُّهُ إِلَّا القَضَاءُ^(٥)

٣

خلوة

[الطويل]

- أَتَيْتُ مَعَ الْخَازِنِ لَيْلَى فَلَمْ أَقْلُ
 فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعْجَمْتُ عِنْدَ خَلَاءٍ^(٦)

- (١) تنشأ: وتنشأ تفعل ذاتياً دون مؤثرات خارجية يكبر وينمو ولا يزال يترعرع، زُجِرَ: مُنِعَ بشدة وعنف.
 (٢) عاذلة: لائمة. بلاء: مصائب وويلات.
 (٣) يشبه الشاعر محبوبته بأنها الشمس، بضيائها وقوتها وإيحائها وجمالها.
 (٤) نظرة الشاعر نظرة قدرية، فلا فرار من الحب.
 (٥) عقد القضاء: قدر على المرء، ولا يرفع القضاء إلا ربه ومسببه.
 (٦) الخازين: اللائمين الذين يروون الحب خزيًا وعارًا. أخليت: أتيت بيت الخلاء. بيت الخلاء: الكنيف. رد الشاعر على هؤلاء الاستخفاف وعدم الرد على مقولاتهم؛ فهو لا يفهم ما يقولون، كلّ منهما في وادٍ بعيد عن الآخر.

خرجتُ فلم أظفرُ وعُدْتُ فلم أَفْزُ
 بِنَيْلٍ، كِلا اليومينِ يومٌ بَلاءٍ^(١)
 فيا حسرتي من أشبه اليأس بالغنى
 وإن لم يكونا عندنا بِسَواءٍ^(٢)

(١) ذهبت محاولات الشاعر لقاء حبيبته أدراج الرياح، فلم يفز بطائل، بل إن يوميه كانا بلاء ومصيبة.

(٢) لا تستوي الأضداد؛ فالغنى والفقر نقيضان أبداً.

ورد بيتان في: مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي ١: ٢٦١ (٤١٦)، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ٢٥٥، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤: ٣٧. والبيتان لا يوجدان في الديوان. «الثاني من أقسام لو: أن تكون حرف شرط في المستقبل؛ إلا أنها لا تجزم، كقوله:

«وَلَوْ تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رُمُسِينَا مِنَ الْأَرْضِ سَيْسَبُ
 لظَلَّ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رَمَةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرُبُ»

الصدى: الجسد من الآدمي بعد موته وحشو الرأس والدماغ وطائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي بزعم الجاهلية. الرمس: القبر. الرمة: العظام البالية. يهش: يفرح ويسر.

قافية الباء

٤

الحبُّ الصادق

[الطويل]

- أَمِنْ أَجْلِ خِيَمَاتٍ عَلَى مَذْرَجِ الصَّبَا
 بَجَرَعَاءٍ تَعْفُوها الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ^(١)
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهْ الرِّكَائِبَ إِنَّمَا
 تُفَرِّقُ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ الرِّكَائِبُ^(٢)
 بَكْرُنَ بَكُوراً وَاجْتَمَعْنَ لِمَوْعِدٍ
 وَسَارَ بِقَلْبِي بَيْنَهُنَّ النَّجَائِبُ^(٣)
 مَتَى يَشْتَفِي مِنْكَ الْفُؤَادُ الْمُعَذَّبُ
 وَسَهْمُ الْمَنَايَا مِنْ وَصَالِكَ أَقْرَبُ^(٤)
 فَبُعْدٌ وَوَجْدٌ وَاشْتِيَاقٌ وَرَجْفَةٌ
 فَلَا أَنْتِ تُدْنِينِي وَلَا أَنَا أَقْرَبُ^(٥)

- (١) مدرج الصبا: حيث تهبّ الريح الرقيقة من جهة الشرق. الجرعاء: الرمال حيث لا ينبت نبت. تعفوها: تمحوها الرياح. الجنائب: الريح تهب من جهة الجنوب.
 (٢) الركائب: النجائب من النياق الراحلات.
 (٣) بكرن: رُحْنُ بَاكراً. النجائب: النياق السريعة السير.
 (٤) المنايا، مفرداً منية: الموت.
 شعور الشاعر بالموت وقربه توقّعه قبل لقاء حبيبته.
 (٥) الوجد: شدة الحب والعشق. تُدْنِينِي: تقربيني.
 استحالة اللقاء رغم محاولات الشاعر فمحبوبته تتمنّع وتصدّ.

- كُصْفُورَةٌ فِي كَفِّ طِفْلِ يَزُمُّهَا
 تَذُوقُ حَيَاضِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ^(١)
 فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِمَا بِهَا
 وَلَا الطَّيْرُ ذُو رِيَشٍ يَطِيرُ فَيَذْهَبُ^(٢)
 وَلِي أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ
 وَلَكِنْ بَلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ^(٣)
 فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ
 وَأَفْرَدْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكِ يُعَذِّبُ^(٤)
 فَوَاللَّهِ ثُمَّ إِلَيْهِ إِنِّي لَدَائِبُ
 أَفَكَّرُ مَا دَنَيْتَنِي إِلَيْكَ فَأَعْجَبُ^(٥)
 وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي عَالَمَ هَجَرْتَنِي
 وَأَيَّ أُمُورِي فِيكَ يَا لَيْلَ أَزْكَبُ^(٦)
 أَأَقْطَعُ حَبْلَ الْوَصْلِ، فَالْمَوْتُ دُونَهُ
 أَمْ أَشْرَبُ كَأْسًا مِنْكُمْ لَيْسَ يُشْرَبُ^(٧)

- (١) يزُمُّها: يمسك بها ويشد عليها. تذوق حياض الموت: تعبير مجازي مفاده أنها على مشارف الموت.
 (٢) يرق: يرأف بها ويحس بما تعانيه.
 (٣) ولي ألف وجه: السبل مشرعة أمامي، ولكن مشكلتي أن قلبي مقيد.
 (٤) من أمانني الشاعر أن يكون لديه قلبان، فيعيش بأحدهما ويكرس الآخر لحب من يهوى فيعذب.
 (٥) لدائب: مستمر يبحث عن سبب لصدودها وعذابه، فلا يجد سبباً وجيهاً.
 (٦) يفتش الشاعر عن سبب هجرها له، فلا يجد سبباً وجيهاً لذلك.
 (٧) حبل الوصل: علاقة الشاعر بمن يحب. فالموت دونه، يفضل الموت على ألا يقطع علاقته بمن يحب. وهو يفضل كأساً آخر يرتوي بما فيه، ولكن كأسك كأس عذاب لم يتناوله أحد من قبل.

- أَمْ أَهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِرًا
 أَمْ أَفْعَلُ مَاذَا؟ أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ ^(١)
 فَأَيُّهُمَا يَا لَيْلَ مَا تَفْعَلِينَ
 فَأَوَّلُ مَهْجُورٍ، وَآخِرُ مُعْتَبٍ ^(٢)
 فَلَوْ تَلْتَقِي أَرْوَاحُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
 وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ مَنْكِبُ ^(٣)
 لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رَمَّةً
 لَصَوْتُ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرُبُ ^(٤)
 وَلَوْ أَنَّ عَيْنَنَا طَاوَعَتْنِي لَمْ تَزُلْ
 تَرَفْرُقُ دَمْعًا أَوْ دَمًا حِينَ تَسْكُبُ ^(٥)
 أَمَا وَالَّذِي أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
 عَلَيْهِ السَّحَابُ فَوْقَهُ يَتَنَصَّبُ ^(٦)

- (١) في ذروة حيرة الشاعر يفتش عن حلٍّ لأزمته، فلا يجده في الفرار، فثمة شيء يلاحقه وهو الحب، وهل الحلُّ أن يكشف ما يعانيه من جراء حبه ويعلنه على الملأ؟ وهنا اللوم والعتب من قبل من لا يَأْلَم ويحسُّ بمعاناة الشاعر.
- (٢) عتب الشاعر على محبوبته، أنها تتحكَّم به تفعل به ما يحلو لها، وهو يستشيرها ويأتمر بأمرها: أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مَرٌّ. فهو لا يستطيع التخلي عن حبه ولا ينساه، وصدودك يثير بي كوامن العتب عليك.
- (٣) حتى الأرواح لا تلتقي بعد الموت. الرمس: القبر. منكب من الأرض: المرتفع.
- (٤) الصدى: من موروثة الجاهلية، طائر خرافي يخرج من رأس المقتول بحثاً أقرباء المقتول على الأخذ بثأره، بقوله: اسقوني، ولا يهدأ حتى يُؤخذ بثأره. رمسي: قبري. الرمة: الجثة البالية، يهش: يسر.
- (٥) وعينه عصبية عليه لا تزال تسكب الدمع، فهي لا تطيعه وقد تسكب دماً.
- (٦) ثبير: اسم جبل. يتنصَّب: تنهمر السحب ماءً.

- وما سلك الموماة من كل حَسرة
 طليح كَجَفْنِ السَّيفِ تَهْوِي فَتُرَكَّبُ ^(١)
 لقد عَشْتُ من لَيْلى زَمَاناً أُحِبُّهَا
 أَخَا المَوْتِ إِذْ بَعْضُ المُحِبِّينَ يَكْذِبُ ^(٢)
 أَحِنُّ إِلَى لَيْلى وَإِنْ شَطَطَتِ النَّوَى
 بَلَيْلى كَمَا حَنَّ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ ^(٣)
 يقولون: لَيْلى عَذَّبَتْكَ بِحُبِّهَا
 أَلَا حَبَّذا ذَاكَ الحَبِيبُ الْمُعَذَّبُ ^(٤)
 أَبْتُ لَيْلَةً بِالْغَيْلِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 لَكُمْ غَيْرَ حُبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ ^(٥)

هـ

أهل الهوى

[البسيط]

- إِلَيْكَ عَنِّي إِنِّي هَائِمٌ وَصِيبُ
 أَمَا تَرَى الْجِسْمَ قَدْ أَوْدَى بِهِ الْعَطْبُ ^(٦)

- (١) سلك: مشى. الموماة: القفرة. الحسرة: الناقة الدؤوب على السير. الطليح: الناقة المتعبة التي أجهدها السير.
 (٢) عايش حب ليلي ولا يزال يلازمه كالموت مقدر لا يفر منه أحد، فهو صادق في حبه. وقد يدعي بعضهم الحب وهو في حقيقة الأمر كاذب.
 (٣) شططت: بعدت. النوى: البعد. اليراع المثقّب: ضرب من الحشرات يعطي ضوءاً إذا ما طار في الليل.
 (٤) ينقل الشاعر قول المحبين وحتى اللائمين بأن ليلي تعذب الشاعر لحبه لها، فيردّ عليهم بأنه يجد لذة في عذاب هذا الحب.
 (٥) الغيل: اسم وادٍ.
 (٦) الواصب: المعنى المتميم. إليك عني: دغني، اتركني لقد أمضني الحب حتى أشرفت على الموت.

لِّلَّهِ قَلْبِي مَاذَا قَدْ أُتِيحَ لَهُ
 حَرُّ الصَّبَابَةِ وَالْأَوْجَاعُ وَالْوَصَبُ^(١)
 ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَلَدُ اللَّهِ مَا رَحُبَتْ
 يَا لِلرِّجَالِ فَهَلْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَبُ^(٢)
 الْبَيْنُ يُؤْلِمُنِي، وَالشُّوقُ يَجْرَحُنِي
 وَالْدَّارُ نَازِحَةٌ وَالشَّمْلُ مُنْشَعِبُ^(٣)
 كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ حُجِبَتْ
 عَهْدِي بِهَا زَمَنًا مَا دُونَهَا حُجْبُ^(٤)
 لَوْ سِيلَ أَهْلُ الْهَوَى مِنْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ
 هَلْ فُرِّجَتْ عَنْكُمْ مُذِمَّتُ الْكَرْبِ^(٥)
 لَقَالَ صَادِقُهُمْ أَنْ قَدْ بَلَى جَسَدِي
 لَكِنَّ نَارَ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ تَلْتَهِبُ^(٦)
 جَفَّتْ مَدَامُ عَيْنِ الْجِسْمِ حِينَ بَكَى
 وَإِنْ بِالْذَّمِّ عَيْنَ الرُّوحِ تَنْسَكِبُ^(٧)

(١) الصبابة: شدة الشوق إلى الحبيب. الوصب: الضعف والهزال.

(٢) رحبت: اتسعت. مضطرب: متسع للتحرك.

(٣) البين: البعد. الشوق: الصبابة. الدار نازحة: بعيدة. الشمل منشعب: متفرق.

(٤) حُجِبَتْ: أخفيت، يقصد أن ليلَى قد زوّجت ممّا جعلها معصومة ببيت الزوجية.

(٥) سِيل: فعل مجهول من سأل فحرّكت السين بالكسر ممّا سهل قلب الهمزة باء. الكرب، واحدها كربة: الضيق والشدة.

(٦) هذا البيت معلق بما سبق. فأصدق المحبين يردّ بأن الموت يبلي الأجساد وهذا لا يعني أن العذاب والحزن يفنيان؛ فالحبّ نار تشتعل تأكل القلب الذي لا يفنى بفناء الجسد. وهنا مشكلة الصادقي الحبّ.

(٧) ففي حال اضمحلال الجسد، عين الجسم ينقطع دمعها، أما الروح فعينها مدرارة تسكب آلامها وأحزانها.

٦

زفرة حرّى

كان بموضع فيه واديان سُمّي بهما، وكان يجلس بينهما. فخرج يوماً يريد هما فلما صار قريباً من الواديين أنشأ يقول:

[الطويل]

ألا لا أرى وادي المِياه يُثِيبُ
ولا النَّفْسُ عَنْ وادي المِياه تَطِيبُ^(١)
أحبُّ هبوطَ الوادِيَيْنِ وإنَّني
لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ^(٢)
أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ، أَنْ لَسْتُ وَارِداً
ولا صادراً إلا عليَّ رَقِيبُ^(٣)
ولا زائراً فرداً ولا في جَمَاعَةٍ
مِنَ النَّاسِ إلا قِيلَ: أَنْتَ مُرِيبُ^(٤)
وهَلْ رِيبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ
إِلَى إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ^(٥)
وإنَّ الكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى
إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ^(٦)

(١) يثيب: يرجع والجسم أقبل وعادت صحة صاحبه. يعلم الشاعر أن الماضي لن

يعود ولو رجع إلى مربع حبه حيث كان ينعم بحب ليلي وقربها منه.

(٢) أحبُّ هبوط الواديين: النزول بهما. لمشتهر غريب: يعرّف بأنه غريب بسلوكه.

(٣) وارداً: آتياً. صادراً: مغادراً.

(٤) مُرِيب: موضع شك وريبة.

(٥) النجيبية: الناقة الكريمة، والنجيب: الفحل من الجمال الكريمة.

(٦) الكثيب: المرتفع من الرمال. تألف الشاعر وحبّه لمن يهوى جعله يحب حتى

الكثبان المحيطة بربع ليلي ومضارب قومها.

- ولا خَيْرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُرْ
 حبيباً ولم يَطْرُبْ إِلَيْكَ حبيبٌ ^(١)
 لئن كَثُرَتْ رُقَابُ لَيْلَى فَطَالَمَا
 لَهَوْتُ بِلَيْلَى مَا لَهْنُ رَقِيبٌ ^(٢)
 وإنَّ حالَ يَأْسٍ دُونَ لَيْلَى فَرُبَّمَا
 أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الشَّيْءِ وَهُوَ حَبِيبٌ ^(٣)
 وَمَنِّيَنِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي
 عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاظِرِينَ يُرِيبٌ ^(٤)
 صَدَدَتْ وَأَشَمَّتْ الْعُدَاةُ بِهَجْرِنَا
 أَثَابَكَ فِيمَا تَصْنَعِينَ مُثِيبٌ ^(٥)
 أَبْعَدُ عَنْكَ النَّفْسُ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
 بِذِكْرِكَ وَالْمَمَشَى إِلَيْكَ قَرِيبٌ ^(٦)
 مَخَافَةٌ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ
 وَأَكْرَمُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبٌ ^(٧)

- (١) جمال الحياة ودفعها أن يكون الحب متبادلاً بين الأحبة.
 (٢) ينعى الشاعر على أهل ليلى وكثرة الرقباء أنه لها معها قبل ذلك.
 (٣) حال: منع. يقصد الشاعر باليأس هنا عدم لقاء حبيبته، وقد يكون اليأس محبباً؛ فثمة قضية مصيرية بالنسبة للشاعر، فالوقت كفيل بتحقيق الأمانى.
 (٤) و (٥) كان موعد لقاء، ولكنك ما إن علمت أنني مصدر اتهام وشك حتى تخليت عن ذلك؛ فكان منك الصدود وشماتة الأعداء ولهذا فرحوا فأثابوك على تمتعك وإخلاصك الوعد.
 (٦) و (٧) يعبر الشاعر عن تجربة مقاومة فاشلة من قبله علّه يتخلص من ربة الحب، ولكن الحب ينتصر؛ فهو عاشق ففي حال تذكر حبيبته الطريق مفتوحة له لقربها منه. والمشكلة أن هناك الوشاة، وهو موضع شك وريبة، فألسنتهم تلوك سيرته وسيرة من يحب. لذا صوناً لسيرة حبيبته يمتنع عن القيام بزيارتها، وخوفاً على سمعتها.

- فقد جُعِلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتِ اخْتَرَمْتِهَا
 وَكُنْتُ أَعَزَّ النَّاسِ - عَنْكَ تَطِيبُ^(١)
 فلو شِئْتُ لَمْ أَغْضِبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ
 لَكَ، الدَّهْرُ، مِنِّي مَا حَيِّتُ نَصِيبُ^(٢)
 أَمَا وَالَّذِي يَتْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا
 وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ^(٣)
 لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَضْطَفِي النَّفْسُ خُلَّةً
 لَهَا دُونَ خُلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ^(٤)
 وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا
 عَلَيَّ بَظْهَرِ الْعَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ^(٥)
 تَلَجِّينَ حَتَّى يَذْهَبَ الْيَأْسُ بِالْهَوَى
 وَحَتَّى تَكَادَ النَّفْسُ عَنْكَ تَطِيبُ^(٦)
 سَأَسْتَغْطِفُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا
 بِيَوْمٍ سُرُورِي فِي هَوَاكَ تَوْؤُبُ^(٧)

- (١) والشاعر لا يخل بالتضحية بنفسه في سبيل صيانة من يحب، رغم أنها مهلكته. اخترمتها: أمتها.
- (٢) يطمئن الشاعر حبيبته بدوام إخلاصه وحبها لها، ولن يغضب إذا أرادت ألا تلاقيه.
- (٣) يقسم الشاعر بعلام القلوب والسرائر بإخلاصه وتكريس حبه لها من دون سائر المخلصين في الحب.
- (٤) الخلّة: الحبيبة. خُلَانِ الصفاء: المخلصون في ودهم.
- (٥) من طبيعة الشاعر الحياء، لذا فهو يضطرب إذا التقاها وكأنها رقيب عليه تُحْصِي عليه نظراته وهمساته.
- (٦) تلجّين: تلحين. يلوم الشاعر محبوبته على موقفها من التمتع والصدود، فالحب بحاجة إلى وصفة إخلاص وصدق بالعاطفة ليدوم وإلا فإنه إلى انحسار ومن ثم إلى زوال.
- (٧) تَوْؤُب: تعود. ينظر الشاعر بتفاؤل بأن الزمن كفيل بتبديل عذابه بسرور تأتي به الأيام، ونجم سعادته برضى من يحب يسطع في سماء حياته.

- أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ
 وَهَجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْهِ ذُنُوبٌ ^(١)
 هَجَرْتُكَ مُشْتَقاً وَزُرْتُكَ خَائِفاً
 وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبٌ ^(٢)
 وَأُقْرِدْتُ إِفْرَادَ الطَّرِيدِ وَبَاعَدْتُ
 إِلَى النَّفْسِ حَاجَاتٍ وَهَنْ قَرِيبٌ ^(٣)
 لئن حال يَأْسِي دُونَ لَيْلَى لَرُبَّمَا
 أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الْأَمْرِ فَهُوَ عَصِيبٌ ^(٤)
 جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَنِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى
 وَقَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتَيَّ غُرُوبٌ ^(٥)
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أُيَقِّنْتُ أَنَّهُ
 يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتَ مِنْهُ قَرِيبٌ ^(٦)
 يَكُونُ أَجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى
 إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبَكُمْ فَيَطِيبُ ^(٧)

- (١) و (٢) في هذين البيتين تبدو مشكلة الشاعر؛ فحبّه لساكني البيت الذي كان قبلته فيزوره كلما أراد، أما الآن فالأمر مختلف فرغم حبّه لمن يزور فإنه لا يستطيع فالرقباء والكاشحون يثيرون في نفسه الخوف فلا يجرؤ على الاقتراب منه.
- (٣) ثمة مقاطعة للشاعر، رغم أنه لم يقترب ذنباً ورغم ما في أعماقه من مشاعر الحب الصادق الذي على استعداد لبذله.
- (٤) اليأس يتملك الشاعر من رضى حبيبته، وهو يتمنى ألا يكون هناك أمر جليل يحول دون استمرار حبهما.
- (٥) و (٦) الغروب، واحدها غرب: وهو عرق في العين لا يتوقف عن إمداد العين بالدمع. سيل منهمر يجري فيذكر الشاعر بعذاباته فيبكي لحاله.
- فالسيل ينساح بوادٍ قريب من ديار ليلى؛ فالماء يزور ديارها والشاعر لا يقدر على ذلك. وهذا ما يزيد من آلامه وأحزانه.
- (٧) الأجاج: المالح. السيل هائج مائج مالح فإذا ما نزل بديار من يحب سكن وطاب لذا فهو أحسن حالاً من الشاعر.

- فيا ساكني أكناف نخلة كلُّكم
 (١) إلى القلب من أجل الحبيب حبيب
 أظل غريب الدار في أرض عامر
 (٢) ألا كلُّ مهجور هناك غريب
 أرى أهل ليلى أوزثوني صباة
 (٣) وما لي سوى ليلى العداة طبيب
 إذا ما رأوني أظهروا لي مودة
 (٤) ومثل سيوف الهند حين أغيب
 فإن يمتنعوا عيني منها فمن لهم
 (٥) بقلب له بين الضلوع وجيب
 لئن كان يا ليلى اشتياقي إليكم
 (٦) ضاللاً وفي بُرئي لأهلك حوب
 فما ثبت من ذنب إذا ثبت منكم
 (٧) وما الناس إلا مخطيء ومصيب

- (١) أكناف، مفردا كنف. نخلة: اسم مكان. يستحيل كل شيء في ذاك المكان لمجاورته إلى ديار حبيبته حبيباً.
 (٢) يعاني الشاعر مأساة الإبعاد والغربة عن ديار حبيبته، وما ذنب الشاعر بذنب عظيم سوى أنه أحب من بتلك الديار فأبعد عنها.
 (٣) الصباة: شدة العشق. يعاني الشاعر حالة مرضية فأهل ليلى هم مسببو آلامه ومرضه، فثمة طبيب يساعد على شفائه ألا إنها ليلى محبوبته.
 (٤) المودة: الصداقة. أهل ليلى مراؤون فهم في حال مجيئه يستقبلونه بأشئين مرحبين، ولكنهم يرسلون سهام ألسنتهم كأنها سيوف الهند حين يرحل عنهم.
 (٥) الوجيب: الاضطراب. تتمثل مشكلة الشاعر أن أهل ليلى يستطيعون منعه من رؤيتها، ولكنهم لا يملكون منعه من حبها، فهم يملكون مصيرها في الظاهر ولكنهم لا يقدرُونَ على منعه من حبها لأن حبها متمكن من شغاف قلبه.
 (٦) و (٧) الحوب: الإثم، الجرم. يوجه الشاعر كلامه إلى حبيبته مدافعاً عن موقفه، =

- بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ
 بِبَعْضِ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ ^(١)
 وَلَمْ يَغْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ يَزَلْ
 بِهِ سَكْنَةً حَتَّى يُقَالَ: مُرِيبُ ^(٢)
 فَلَا النَّفْسُ يُسْلِيهَا الْبُعَادُ فَتَنْثَنِي
 وَلَا هِيَ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ ^(٣)
 وَكَمْ زَفْرَةٌ لِي لَوْ عَلَى الْبَحْرِ أَشْرَقَتْ
 لِأَنْشَفِهِ حَرٌّ لَهَا وَلَهَيْبُ ^(٤)
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَّ الْحَصَى
 وَبِالرَّيْحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبُوبُ ^(٥)
 وَالْقَى مِنَ الْحُبِّ الْمُبَرِّحِ لَوَعَةً
 لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ ^(٦)

= فحبّه لها وإخلاصه وشوقه لا يعتبر ذلك ذنباً. وإن كنت ترين ذلك، كما أنني تخلصت من أهلك؛ فأنا لا أزال على موقعي وقد يختلف الناس في الحكم بين مصيب ومخطئ في هذه الحالة.

(١) و (٢) لا يكشف الشاعر عما يعاينه في حبه، فلا يجيب سائلاً، لذا لا يعتذر فيبرئ نفسه، بل يصمت ممّا يثير الشكوك والريب حول موقفه لذا يضحى بنفسه وأهله ليحافظ على سرّ مقدّس.

(٣) مشكلة الشاعر أن البعد لا يسليه علّه ينسى حبه، بل على العكس يزيده البعد عشقاً وحبّاً، لذا لن يعود إلى رشده ولن ترتاح نفسه، فهو دائم اللهفة، فلذّة الألم تزيده إلحاحاً لأنه لم ينل ما أراد وطلب.

(٤) يعاني الشاعر احتراقاً نفسياً؛ فلو أن زفرة واحدة حرّى أرسلها إلى البحر لجفّ لشدة ما تحمله من أسى ولوعة.

(٥) المشاركة الوجدانية من الطبيعة تتفاعل وتشارك الشاعر ألمه، فالحصى ينشق كبدها لما في الشاعر، حتى الريح العاتية المزمجرة لم يعد يسمع لها صوت.

(٦) تبرّح الحب: توهّجه وشدّته. وطأة الحب ألّمت الشاعر فتخلّلت الجلد والعظام؛ فهي تسري في الضلوع.

٧

أحبُّك

[الطويل]

- ألا في سبيلِ الحبِّ ما قد لقيتُهُ
 غراماً به أحيَا ومِنُّهُ أذوبُ ^(١)
 ألا في سبيلِ اللهِ قلبٌ مُعَذَّبُ
 فذكرُك، يا لَيْلى، الغداة طرُوبُ ^(٢)
 أيا حُبَّ لَيْلى لا تُبارِخْ مُهْجَتِي
 ففي حُبِّها بعدَ المَماتِ قَريبُ ^(٣)
 أقامَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَايَ صَبَابَةً
 وبَيْنَ ضُلُوعِي وَالْفُؤَادِ وَجِيبُ ^(٤)
 فَلَوْ أَنَّ ما بي بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى
 وبالرَّيحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبوبُ ^(٥)
 وَلَوْ أَنَّ أَنْفاسِي أَصَابَتْ بِحَرِّهَا
 حَدِيداً لَكَانَتْ لِلْحَدِيدِ تُذِيبُ ^(٦)

- (١) أذوب: أتلاشى وأموت. عذاب الحبِّ لذيد، فحياتي كرسيتها للحب وفي سبيل من أحبُّ أموت.
 (٢) يتنازع قلب الشاعر حبَّان: حبُّ الله وإخلاصه له وحبُّ ليلي، فإذا ما تذكرتها طار قلبي حبًّا وشوقاً.
 (٢) يتمنى على حبه لليلي أن ينغرس في أعماق قلبه ويصاحبه حتى الموت؛ فالموت يطرق أبوابه مهما بعد.
 (٤) الصبابة: شدة الشوق. الوجيب: الخفقان. لا يسع قلب الشاعر إلا حبَّ ليلي فاستقرَّ مرتاحاً يرعى مشاعره، لذا فقلبه يخفق بهذا الحب.
 (٥) شدة معاناة الشاعر عظيمة الوطأة فلو نزلت بالحصى لتفتت من عظمها، ولو أن الريح تعرض للهب وطأتها لاختفت النسمات ولم يعد يسمع هبوبها.
 (٦) حتى الحديد يذوب في حال تعرضه لحرِّ أنفاسه الملتهبة.

- وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّمَا
 ذَكَرْتُكَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ ^(١)
 وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي الْعِرَاقِ لَزُرْتُهَا
 وَلَوْ كَانَ خَلْفَ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ ^(٢)
 أُحِبُّكَ يَا لَيْلَى غَرَاماً وَعِشْقَهُ
 وَلَيْسَ أَتَانِي فِي الْوِصَالِ نَصِيبٌ ^(٣)
 أُحِبُّكَ حُبًّا قَدْ تَمَكَّنَ فِي الْحَشَا
 لَهُ بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبٌ ^(٤)
 أُحِبُّكَ يَا لَيْلَى مَحَبَّةً عَاشِقٍ
 أَهْجَ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْهُ لَهَيْبٌ
 أُحِبُّكَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ
 وَلِي مِنْكَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ حَسِيبٌ ^(٥)
 سَقَى اللَّهَ أَرْضاً، أَهْلٌ لَيْلَى تَحُلُّهَا
 وَجَادَ عَلَيْهَا الْعَيْثُ وَهُوَ سَكُوبٌ ^(٦)
 لِيَخْضَرَ مَرْعَاهَا وَيُخْصِبَ أَهْلُهَا
 وَيُنْمِيَ بِهَا ذَاكَ الْمَحَلَّ خَصِيبٌ ^(٧)

- (١) يقترب الشاعر ذنباً بسيطة أنه يتذكر محبوبته، وكأنه يقترب ذنباً يُشَمُّ منها الإشرار ورائحته، لذا فهو يستغفر ربّه ويتوب إليه.
 (٢) شدة شوقه لليلى يدفعه إلى المغالاة، فلو كانت تنزل في العراق فهو على استعداد لزيارتها، حتى ولو كانت خلف الشمس في البعيد.
 (٣) مشكلة الشاعر ألا وصال بمن يحب رغم حبه العظيم لليلى.
 (٤) الحشا: القلب والضلوع. استحوذ الحب على جوارح الشاعر فملك حتى الجلد والعظام؛ فثمة جريان في كل مكان منه.
 (٥) حب الشاعر خالد لن يموت، فيوم البعث والحساب ستكونين إلى جانب من أخلص لك الحب والود وخير حبيب.
 (٦) و (٧) يتمنى لأرض تنزل بها ليلى وقومها السقيا ورغد العيش من أجلها ويدعو =

٨

التوحد في الحب

قال أبوه: يا بني هل لك أن تسلو بغير ليلي؟ فقال: واللّه ما أجد إلى السلو سبيلاً، وإني لفي أعظم الكرب والبلاء، وأنشأ يقول:

[الطويل]

وَكَمْ قَائِلٍ لِي: أَسْأَلُ عَنْهَا بِغَيْرِهَا
وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ عَجِيبٌ^(١)
فَقُلْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا
وَقَلْبِي بِأَكْنَافِ الْحَبِيبِ يَذُوبُ^(٢)
لَئِنْ كَانَ لِي قَلْبٌ يَذُوبُ بِذِكْرِهَا
وَقَلْبٌ بِأُخْرَى، إِنَّهَا لَقُلُوبٌ^(٣)
فِيَا لَيْلَ جُودِي بِالْوِصَالِ فَإِنِّي
بِحُبِّكَ رَهْنٌ وَالْفُؤَادُ كَثِيبٌ^(٤)
لَعَلَّكَ أَنْ تُرَوِّي بِشُرْبِ عَلَى الْقَدَى
وَتَرْضَى بِأَخْلَاقٍ لَهْنٌ خُطُوبٌ^(٥)

= بالخير العميم والغيث المنهمر ليعم الخير والخصب والغنى.

(١) يرى الشاعر الناصحين وشاة يؤدون إبعاد الشاعر عن حبيبته باقتراحهم أن يستبدلها بأخرى علّه ينسى، ولكنه مصرّ على هذا الحب.

(٢) والأكناف: الجوانب والنواحي. يرّد الشاعر مقولة هؤلاء بأن له قلباً واحداً فقط، ولهذا فإنه يبكي لتعلقه بأرض من يحبّ وإذا ما ذكرها ذاب هياماً وعشقاً.

(٣) كتيب: حزين. يطلب الشاعر من حبيبته أن تتكرم عليه بوصاله ولا تبخل، فإنه مرتهن إليها، مستعبد وقلبه يتألم ويحزن لما يعاينه من فراقها.

(٤) القدى: ما يؤذي العين ممّا يقع فيها من غبار فيؤلمها. يأمل الشاعر من حبيبته أن تجود وترضى بأن تروي من يشرب الضيم وترضى به صابراً على ما ينزل به من الويل.

- وَتُبْلِي وَصَالَ الْوَاصِلِينَ فَتَعْلَمِي
 خَلَّيْتُ مَنْ يُصْفِي الْهَوَى وَيَشُوبُ ^(١)
 لَقَدْ شَفَّ هَذَا الْقَلْبَ أَنْ لَيْسَ بَارِحاً
 لَهُ شَجْنٌ مَا يُسْتَطَاعُ قَرِيبُ ^(٢)
 لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي
 وَمُثْنٌ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ ^(٣)
 وَآخِذٌ مَا أُعْطِيتَ عَفْواً وَإِنِّي
 لِأَرْوُرُ عَمَّا تَكْرَهِيْنَ هَيُوبُ ^(٤)
 فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شِعَاعاً فَإِنَّهَا
 مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ ^(٥)
 وَأَلْقَى مِنَ الْحُبِّ الْمُبَرِّحِ سَوْرَةً
 لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ ^(٦)

- (١) تبلي: تمتحني، يشوب: عكس يصفني. يدعو الشاعر حبيبته إلى اختباره لتكتشف مقدار حبه وصدقه لها فمن يراي يبيدي صدقاً، وهو في الحقيقة يخفي زيف غشه وخداعه.
 (٢) شَفَّ: رَفَّقَ. بارحاً: مفارقاً، شجن: حزن. يستعطف الشاعر حبيبته أنه خالص الود، باقٍ على حبه رغم ما يلاقيه من ألم وحزن، ولن يتزحزح عن موقفه هذا.
 (٣) يدعو لها الله بالخير في رضاها ووصالها، فهو يشكر لها ذلك ويتمنى لها كل خير وسعادة.
 (٤) أَرْوُرُ: أميل، هيوب: خائف. يأتمر الشاعر بأمر حبيبته؛ فما تقدمه عن طيب خاطر يقبله برضى وحُبٍّ وما تكرهه يمتنع عن الاقتراب منه مخافة إغضاها وإثارة اشمئزازها.
 (٥) ورد البيت في لسان العرب ٨: ١٨١ مادة «شعع» . . . ونفس شعاع: متفرقة قد تفرقت هِمَمُها؛ . . . قال ابن بري: ومثل هذا لقيس بن معاذ مجنون بني عامر: . . . «الوجد شدة الحب. يتوسل الشاعر حبيبته ألا تتركه مشيت المشاعر بين الأمل والرجاء والفشل والخوف، ونفسه يعمرها الحب لك».
 (٦) الحب المبرح: الحب الشديد المتوهج، سورة كل شيء: حدته. يعلل الشاعر سبب رجائه أنه ينزل به الألم الشديد والحزن جزاء حبه المخلص الذي دب في سائر جسده واستحوذ عليه.

٩

دومي على العهد

[الطويل]

هَوَى صَاحِبِي رِيحَ الشَّمَالِ إِذَا جَرَتْ
 وَأَهْوَى لِنَفْسِي أَنْ تَهْبَّ جَنُوبُ^(١)
 فَوَيْلِي عَلَى الْعَذَالِ مَا يَتْرُكُونَنِي
 بَعَمِّي، أَمَا فِي الْعَاذِلِينَ لَبِيبُ^(٢)
 يَقُولُونَ: لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَأَرْعَوَى
 فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ^(٣)
 دَعَانِي الْهَوَى وَالشُّوقُ لَمَّا تَرَنَّمْتُ
 هَتُوفَ الضُّحَى بَيْنَ الْغُصُونِ طَرُوبُ^(٤)
 تُجَاوِبُ وَرَقاً إِذْ أَصْخَنَ لِصَوْتِهَا
 فَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٍ وَمُجِيبُ^(٥)

(١) يرى الشاعر تعارضاً في الميول بين صاحبه؛ فهي شمالية الميول بينما هو يميل إلى الجنوب، فهما إذاً متعارضان، لا يرجى لقاؤهما.

(٢) العذال، مفرداها عاذل: لائم. اللبيب: العاقل. يتألم الشاعر من موقف اللائمين، ومن طبيعة هؤلاء النصيح والإرشاد، ولكن كثرة ضغط هؤلاء في نصيحهم يؤلم الشاعر ويزيد من همومه، لذا فإنه يستغرب ألا يوجد عاقل يقدر ما هو فيه من عذاب وألم.

(٣) ارعوى: ارتدع. تتمحور دعوة العذال حول ترك الشاعر لمحبيته عنه ينساها في حال استبدالها بأخرى وهو يرد عليهم بأن العاشقين سلبوا قلوبهم، فقلوبهم استحوذت عليها محبوباتهم.

(٤) و (٥) يُذكر الشاعر حبه وشوقه لمن يحب تفتح الفجر الوليد بأصوات جميلة حنونة متألفة تغني الحب بحرية على الأغصان الندية، فالحمام البري في تناغم وتحاب وسعادة، فتزداد الطبيعة تلك الأصدا.

- فَقُلْتُ: حَمَامَ الْأَيْكَ مَا لَكَ بَاكِياً
 أَفَارَقْتَ إِلْفَا أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ^(١)
 فَقَالَ: رَمَانِي الدَّهْرُ مِنْهُ بِقَوْسِهِ
 وَأَعْرَضَ إِلْفِي فَالْفُؤَادُ يَذُوبُ^(٢)
 تُذَكِّرُنِي لَيْلَى عَلَى بُعْدِ دَارِهَا
 وَلَيْلَى قَتُولٌ لِلرَّجَالِ خَلُوبُ^(٣)
 وَقَدْ رَابَنِي أَنَّ الصَّبَا لَا تُجِيبُنِي
 وَقَدْ كَانَ يَدْعُونِي الصَّبَا فَأُجِيبُ^(٤)
 سَبَى الْقَلْبِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ تَخَلُّدًا
 غَزَالَ بِأَعْلَى الْمَاتِحِينَ رَبِيبُ^(٥)
 فَكَلَّمْ غَزَالَ الْمَاتِحِينَ فَإِنَّهُ
 بِدَائِي وَإِنْ لَمْ يَشْفِنِي لَطِيبُ^(٦)

- (١) و (٢) حوار جرى بين الشاعر وتلك الحمام، فهو يرى في تغريدها نغمة حُزن، فيسألها عن سبب ذلك، فكان الجواب مشاركة وجدانية فحال الطائر كحال الشاعر؛ فالقدر فرق بين الأحبة وقوس الشؤم أصابهم بنباله.
- (٣) خلوب: مستحوذة على لبه وقلبه. ما عليه الحمام من تغريد شجي يذكر الشاعر فائدة استحوذت على قلبه ومشاعره.
- (٤) الصبا: ريح رقيق شرقي. رابني: داخلني الشك. تنقل الريح الندية رسائل حب وأمانتي، فهذا هي الآن لا تحمل شوقاً ولا سلاماً، مما يثير في نفس الشاعر اللامبالاة من جانبها، ومن المعتاد أن تلك الرياح تهيج الشاعر فيجيبها لما تدعوه إليه. ما الذي حصل؟
- (٥) سبي: استعبد. تخلد: سكن واستقر في المكان. الماتحين: اسم مكان. ربيب: تربي في النعمة والدلال.
- (٦) الداء: المرض. طبيب: مداو. يطلب من حبيبته شبيهة الرِّيم أن تكلمه، فهي عليمة بداء الشاعر؛ فذلك يخفف عنه من العذاب وإن لم يشفه شفاء تاماً.

- أُرِدُّدُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
 بِذِكْرِكَ وَالْمَمْسَى إِلَيْكَ قَرِيبٌ ^(١)
 فَدُومِي عَلَى عَهْدِ فَلَسْتُ بِزَائِلٍ
 عَنِ الْعَهْدِ مِنْكُمْ مَا أَقَامَ عَسِيبٌ ^(٢)
 حَلَفْتُ لَهَا بِالْمَشْعَرَيْنِ وَزَمَزَمَ
 وَذُو الْعَرْشِ فَوْقَ الْمُقْسِمِينَ رَقِيبٌ ^(٣)
 لِّئِنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيًا
 إِلَيَّ حَبِيبًا إِنَّهَا لَحَبِيبٌ ^(٤)
 وَإِنِّي لَأَتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا
 بَتَاتًا لِأُخْرَى الدَّهْرَ أَوْ لَتُثِيبٌ ^(٥)
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً
 فَأَبْهَتُ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ ^(٦)

(١) ففي حال الإجابة تردّ للنفس الحياة، وهي في حال الشوق إذا تذكّرت، والمسافة بينهما ليست ببعيدة.

(٢) عسيب: اسم جبل. يطلب الشاعر من محبوبته البقاء على الودّ، فإنه لن يزول عن عهده وفاء وإخلاصاً كبقاء ذلك الجبل الراسخ.

(٣) و (٤) المشعرين: الصفا والمروة: صخرتان يسعى الحاج والمعتمر بينهما، وهما ركن هام جداً من أركان الحجّ. زمزم: بئر مكة يتزوّد منه الحجاج وأهل مكة الماء. أقسم الشاعر بتلك الأمكنة لقداستها. واللّه رقيب عليه تأكيداً لصدقه على أن الماء البارد للحرّان العطشان محبّب فإنها كذلك حبيبته.

(٥) لا زال جواب القسم أنه آتٍ ومخلص لها ولن يكون لسواها من النسوة، فقد هجرهن جميعاً، لذا فهو باقٍ على حبّها.

(٦) يكفي الشاعر أن يفاجأ بها حتى يُدهش ويسكت ويحار جواباً.

١٠

وكل غريب للغريب نسيب

اِخْتَبَأَ فِي حَيِّ لَيْلَى عِنْدَ امْرَأَةٍ اسْمُهَا سَعَادٌ، فَأَحْسَسَ بِهِ أَهْلُهَا
فَحَذَرُوا مِنْهُ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَغَادِرَ مَنْزِلَهَا خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ
الْقَتْلِ وَخَوْفًا عَلَى نَفْسِهَا مِنَ الطَّرْدِ. فَقَالَ:

[الطويل]

فَإِنْ تَزْجُرِينِي عَنْكَ خِيفَةً كَاشِحَ
بِحَالِي فَإِنِّي مَا عَلِمْتُ كَيْبُ^(١)
وَقَدْ حَلَّ بِي مَا كُنْتُ عَنْهُ بِمَعْزِلِ
لِحَيْنِي فَمَوْتِي يَا سَعَادُ قَرِيبُ^(٢)
وَإِنِّي لَمُضْنَى مِنْ جَوَائِي صَبَابَةٌ
يَقُولُ لِي الْوَأْشُونَ أَنْتَ مُرِيبُ^(٣)
أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنْوِبُ
وَإِنِّي صَبٌّ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٤)
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ^(٥)

(١) زجر: نهر، وبخ. كاشح: كاره، عدو. ما يحزن الشاعر مقالة مبغض مما يحمله
على طرده وتوبيخه؛ فهذا يؤلمه ويحزنه.

(٢) الحين: الموت. يوجه الشاعر كلامه لسعاد بأن ما كان يحذر نازل به لا محالة؛
فالموت بين عينيه قريب منه.

(٣) مُضْنَى: متعب، نازل به المرض. الجوى: شدة الحب والهيام. مريب: مشكوك
بأمره. يذكر الشاعر سبب مجيئه إلى سعاد أنه حل به المرض وأحشاؤه ملتهبة صباغة،
ومما يزيد في آلامه شك الوشاة بنيته، وبلا رحمة يوجهون له تهمة أنت مريب.

(٤) الخطوب: المصائب والويلات. تنوب: تنزل بالمرء مرة تلو الأخرى. عسيب:
اسم جبل. يوجه خطابه إلى سعاد بأن المصائب تتوالى عليه، فلا تتوقف، وهو
عاشق هيمان، وحبّه باقٍ كبقاء ذلك الجبل الراسي.

(٥) نسيب: قريب. يذكر أنه غريب وكذلك سعاد، والغرباء يجتمعون على الشعور
بوحدة التقارب والغربة عن الأحباب.

- غَرِيبٌ يُقَاسِي الدُّلَّ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ حَبِيبٌ ^(١)
 فَلَا تَسْمَعِي فِيْنَا مَقَالََةَ جَاهِلٍ
 فَرَبِّي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ مُجِيبٌ ^(٢)

١١

هل للعاشقين قلوب

[الطويل]

- لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّهَا لَبَخِيلَةٌ
 وَمِنْ قَوْلٍ وَاشِ إِنَّهَا لَعَضُوبٌ ^(٣)
 رَمَتْني عَنْ قَوْسِ الْعِدَاوَةِ إِنَّهَا
 إِذَا مَا رَأَتْني مُعْرِضًا لَخُلُوبٌ ^(٤)
 كَثِيرٌ مِنَ الْعُدَالِ مَا يَتْرُكُونِي
 لَعَمْرُكَ مَا فِي الْعَاذِلِينَ كَثِيبٌ ^(٥)
 يَقُولُونَ: لَوْ خَالَفْتَ قَلْبَكَ لَأَزَعَوَى
 فَقُلْتُ: وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبٌ ^(٦)

- (١) يعاني الشاعر بؤس الغربة، ويحسّ بالضيق، فليس له في الوجود حبيب يُحسّ بآلامه ويخفف عنه أحزانه.
 (٢) يطلب الشاعر من سعاد ألا تصغي للجهلة، لأنهم فقدوا الرحمة ومعرفة الحقيقة، والله مجيب الدعاء، يعلم حقيقة الأمور، ويطلع على النوايا.
 (٣) يقسم الشاعر بأبي حبيته أنها بخيلة بالوصال، ومما يزيد صدودها سماعها لقول الوشاة، فتصدّقهم وتغضب دون تأكدها وإطلاعها على حقيقة الأمر.
 (٤) الخلوب: المستحوذ على القلب. بدأت العداوة، فسددت سهام عداوتها، ولكن حالما رأتني سددت سهام عينها إليّ فأوقعني بغرامها.
 (٥) كثيب: حزين. مشكلة الشاعر كثرة العذال، وهم لا يتركونه وشأنه؛ فكلهم يفرح لعذابي وآلامي وقطيعتي.
 (٦) ارعوى: انتهر ورجع إلى جادة الصواب. يطلب العذال اللاتمون من الشاعر أن =

- وفي الجيرة الغادين مِنْ بَطْنٍ وَجْرة
 غَزَالٌ غَضِيضٌ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبٌ^(١)
 فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى
 وَلَكِنْ مَنْ تَنَأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبٌ^(٢)
 وَعَارِضَنَ بِالْعَقْيَانِ كُلِّ مُفْلَجٍ
 بِهِ الظُّلُمُ لَمْ تُفْلَلْ لَهُنَّ غُرُوبٌ^(٣)
 رُضَابٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ يَجْلُو مُتَوْنَهُ
 مِنَ الضَّرْوِ أَوْ فَرِحَ الْبَشَامُ قَضِيبٌ^(٤)

١٢

نسيب ريح الجنوب

[الطويل]

- لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنِكَ وَالْبُكََا
 بِلَيْلَاكَ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبٌ^(٥)
 يُعَاشِرُنِي فِي الدَّارِ مَنْ لَا أَوْدُهُ
 وَفِي الرَّحْلِ مَهْجُورٌ إِلَيَّ حَبِيبٌ^(٦)

- = يكبت مشاعره وينحرف عن حبه ليصلح حاله، فيردّ عليهم بأن لا قلوب للعاشقين.
 (١) بطن وجرة: اسم مكان. غضيض الطرف: حيي. عمّا قريب في الغد سينزل بجيرتنا ضيوف، بينهم غزال برقته وحيائه ربي على الدلال والرفقة.
 (٢) نأى: بُعد. يوجه الشاعر كلامه إلى من يحبّ بأنها من تبعد عنه غريب لا من يبعد عنها؛ فالقلب معلق بها مهما بُعد.
 (٣) و (٤) العقيان: الذهب. مفلج الأسنان: أسنانه منفرجة. الظلم: بريق الأسنان وبياضها الشديد. تفلل: تخلل. يصف الشاعر محبوبته بأنها شابة ذات أسنان بيضاء نقية على أنها في مستقبل العمر، ذات ابتسامة رقيقة عذبة اللمى ذات ريق رائحته رائحة المسك ذكية. الرضاب: الريق. متونة: أصوله. الضرو والبشام: من أنواع النباتات الذكية الرائحة.
 (٥) ريح الجنوب تذكر الشاعر بمحبوته فتذكر عينه بالبكاء فتنهمر دموعه شوقاً وحبا.
 (٦) يشعر الشاعر بالغربة بين أقربائه، فتوقه إلى من هاجر وبعد؛ فهو الحبيب حقاً.

إِذَا هَبَّ عُلوِي الرِّيحِ وَجَدْتُني
كَأَنِّي لِعُلوِي الرِّيحِ نَسِيبٌ^(١)

١٣

شغفتني أم بكر

[الطويل]

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى ضَوْءَ مُزْنَةٍ
يَمَانِيَةٍ أَوْ أَنْ تَهْبَّ جَنُوبٌ^(٢)
لَقَدْ شَغَفْتُني أُمُّ بَكْرٍ وَبَغَّضَتْ
إِلَيَّ نِسَاءَ مَا لَهْنَنَ ذُنُوبٌ^(٣)
أَرَاكَ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي يَجْمَعُ الْهَوَى
وَدُونَكَ نِسْوَانَ لَهْنَنَ ضُرُوبٌ^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسَبُ أَنَّني
ذُلُولٌ بِأَيَّامِ الْفِرَاقِ أَدِيبٌ^(٥)

(١) التفاعل الوجداني بين الشاعر والطبيعة؛ فهما نسيبان قريبان، ففي حال هبوب الريح الجنوبية، يحسّ الشاعر بروابط عاطفية بينه وبين تلك الرياح.

(٢) المُرْنة: الغيمة الممطرة. يُشعر الشاعر ضوء غيمة مقبلة، فهي رسالة مرّت على نجع الحبيبة تنقل سلامها، أو هبوب نسيم رقيق، بالتألف والودّ والحبّ.

(٣) شغفتني: أوقعنتني بحبّها. يذكر الشاعر أثر رقّة وجمال أم بكر بشباكها، فأسرتني فجعلتني أهواها دون الأخريات من النساء، فأبغضتهن ولسنا مذنبات.

(٤) الضرب: النوع، يرى حبيبته أنها تمتاز بمزايا نادرة ممّا حمله على حبّها دون الأخريات اللواتي يلجأن إلى شتى ضروب الغواية والاستمالة، فيخدعن من يقع في هواهنّ.

(٥) ذلول: ضعيف، سهل القياد. يذكر الشاعر أنه كان لا يهتم للفراق؛ فهو مصاحب لتلك الأيام حيث لا يشغله شيء. أما اليوم فالأمر مختلف فثمة رابط يربطني بك من الحب والوجد، فأنا منقاد إليك بعواطفني ومشاعري.

١٤

القلب المبتلى

[الوافر]

- فؤادي بَيْنَ أَضْلَاعِي غَرِيبُ
 يُنَادِي مَنْ يُحِبُّ فَلَا يُجِيبُ^(١)
 أَحَاطَ بِهِ الْبَلَاءُ فَكُلَّ يَوْمٍ
 تُقَارِعُهُ الصَّبَابَةُ وَالنَّحِيبُ^(٢)
 لَقَدْ جَلَبَ الْبَلَاءُ عَلَيَّ قَلْبِي
 فَقَلْبِي - مُذْ عَلِمْتُ - لَهُ جَلُوبُ^(٣)
 فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ كَمِثْلِ قَلْبِي
 فَلَا كَأَنَّ إِذَا تِلْكَ الْقُلُوبُ^(٤)

١٥

توبة

- حَضَرَ مُوسِمَ الْحَجِّ، وَكَانَ فِي صَحْبَةٍ مِنَ الْحَجِيجِ فَأَخَذُوا يَدْعُونَ
 لَهُ اللَّهُ أَنْ يَشْفِيَهُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ جَرَاءِ حَبِّهِ لَيْلَى، فَاسْتَنَكَرَ وَأَبَى التَّوْبَةَ،
 وَقَدْ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ تَرْتَفَعَ أَصْوَاتُهُمْ لَجُوجَةً بِالْدُّعَاءِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 [الوافر]
 ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُمْ ضَجِيجُ
 بِمَكَّةَ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبُ^(٥)

(١) و(٢) الفؤاد: القلب، قلب الشاعر بين أضلعه، غريب أمره يستصرخ محبه ولكن المحب لا يلبي النداء. فنزل بهذا القلب من المصائب ما نزل، وهو دائم الصراع فتنازعه الصبابة وكثرة البكاء صفاء نفسه واستقرار مشاعره، فلا يهدأ له بال، فتتزل بساحته الأوهام والبلاء.
 (٣) سبب آلام الشاعر وأحزانه ذلك القلب المنزوي بين الضلوع والذي استحوذت عليه، وهو لا يتوانى عن استيراد شتى المصائب لي.
 (٤) القلوب من لحم تتشابه، وتختلف بميولها وأحاسيسها، فلو كانت تلك القلوب مرهفة الحس، شديدة التعلق تجلب لأصحابها المصائب. يتمنى الشاعر ألا تكون قلوباً.
 (٥) مكة موطن الدعاء والاستغفار، والشاعر بصحبة يدعون ويستغفرون له، يتذكر =

فَقُلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ
 بِهِ: وَاللَّهِ أَخْلَصْتُ الْقُلُوبُ^(١)
 أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ مِمَّا
 عَمِلْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ^(٢)
 فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي
 زِيَارَتِهَا فَإِنِّي لَا أَتُوبُ^(٣)
 وَكَيْفَ - وَعِنْدَهَا قَلْبِي رَهِيْنٌ -
 أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْهَا أَوْ أُنِيبُ^(٤)؟

١٦

رثاء والده

قال يرثي أباه، ومات أبوه قبل اختلاطه وتوحيشه، فعقر على قبره
 ورثاه بهذه الأبيات:

[الطويل]

عَقَرْتُ عَلَى قَبْرِ الْمُلُوحِ نَاقَتِي
 بِذِي الرَّمْثِ لَمَّا أَنَّ جَفَاهُ أَقَارِبُهُ^(٥)
 فَقُلْتُ لَهَا: كُونِي عَقِيرًا فَإِنِّي
 عَدَاةٌ غَدٍ مَاشٍ وَبِالْأُمْسِ رَاكِبُهُ^(٦)

- = حبيبته فجأة، وبدل أن يكون قلبه معلقاً برَبِّ العباد ينبض بالحب الإلهي، فإذا به
 ينبض بحب ليلى والإخلاص لها.
- (١) مكة موطن الدعاء والاستغفار، والشاعر بصحبة يدعون ويستغفرون له، يتذكر
 حبيبته فجأة، وبدل أن يكون قلبه معلقاً برَبِّ العباد ينبض بالحب الإلهي، فإذا به
 ينبض بحب ليلى والإخلاص لها.
- (٢) حمل الشعور الشاعر على الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، فقد أحس بتضايف
 الذنوب وكثرتها في ذلك المكان حيث تتعلق القلوب برَبِّ العباد مستغفرة تائبة.
- (٣) و (٤) يصّر الشاعر على حب ليلى، ولين يتوب عن زيارتها. والسبب أن قلبه مرهون
 لديها، فيحس بالتقصير لذا يرجع إلى الله تائباً لإحساسه بعدم الإخلاص لخالقه تعالى.
- (٥) و (٦) عقر: ذبح. ذي الرمث: اسم مكان. كان من عادة أهل الجاهلية أن يذبحوا =

فَلَا يُبْعِدُنْكَ اللَّهُ يَا بَنَ مُزَاحِمٍ
 فَكُلُّ أَمْرٍ لِّلْمَوْتِ لَا بُدَّ شَارِبُهُ ^(١)
 فَقَدْ كُنْتَ ظِلَّ النَّجَادِ وَمُعْطِي الـ
 جِيَادٍ وَسَيْفًا لَا تُفْلُ مَضَارِبُهُ ^(٢)

١٧

دعوة مخرصة

[الطويل]

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دُسَّتْ فِيهَا وَإِنْ مَضَتْ
 لَهَا حَجَجٌ يَزْدَادُ طَيْبًا تُرَابُهَا ^(٣)
 أَلَمْ تَعْلَمْ يَا رَبِّ أَنْ رَبَّ دَعْوَةٍ
 دَعَاكَ فِيهَا مُخْلِصًا لَوْ أَجَابُهَا ^(٤)
 فَأُقْسِمَ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا
 ذُبَابَ الْفَلَا حَتَّى إِلَيَّ ذُبَابُهَا ^(٥)

= النياق على قبور موتاهم. فعل الشاعر ذلك بعدما انفضَّ المشيعون من أقاربه. توجهه إلى ناقلته بأنه سيذبحها عن روح والده، وها هو الآن راكب وسوف يعود بالغد ماشياً سيراً على قدميه.

(١) يوجه الشاعر كلامه إلى أبيه متمنياً له رحمة الله تعالى؛ فهذا مصير سائر البشر المحتّم، فلا خلاص منه لأحد.

(٢) النجاد، مفرد نجاد: الطرق. طلاع النجاد: خبير بمسالك الصحراء. معطي الجياد: كريم. لا تُفْلُ مضاربه: سيف قاطع لا ثلثة فيه. يصف الشاعر والده بصفات محببة عند العربي، متغنياً بتلك الصفات من شجاعة وكرم ومعرفة بالحياة.

(٣) الحجج: السنون والأعوام. الأثر الطيب ناتج عن مرورك بأرض داستها قدمك فتركت فيها طيباً وفوحاً يزداد بمرور الأيام والسنين.

(٤) يتوجه الشاعر إلى الله تعالى بالدعاء أن يستجيب دعاءه ليلتقي حبيبته، ولكن الله تعالى لا يستجيب له.

(٥) يقسم الشاعر لو أن علاقة بين ذباب الصحراء وبين حبيبة صلة قرابة لأجاب دعوته ورق لحاله.

لعمري أبي ليلى لئن هي أصبحت
بوادي القرى ما ضرَّ غيري اغترابها^(١)

١٨

يا نفس صبراً

دخل مكة المكرمة محرماً ليطوف حول الكعبة سائلاً ربّه الوصال
من ليلى. ولما سمعه الطائفون أنكروا عليه ذلك وقالوا له: هلاً سألت
ربك المغفرة والتوبة فأنشد يقول:

[الطويل]

ذكرتُك حيث استأمن الوخش والتقت
رفاق من الآفاق شتى شعوبها^(٢)
وعند الحطيم قد ذكرتُك ذكراً
أرى أن نفسي سوف يأتيك حوبها^(٣)
دعا المحرمون الله يستغفروا
بمكة شعناً كي تمحى ذنوبها^(٤)

(١) يقسم الشاعر بأبي ليلى بأن رحيلها لن يضرَّ أحداً سواه. وادي القرى: اسم مكان.

(٢) بدل أن يتوب الشاعر إلى الله تعالى ويستغفره ذكر ليلى وتضرع إلى خالقه تعالى حيث يجد كل كائن مأمناً، إذ بمن يطوفون يستنكرون عليه دعاءه وتضرعه، لأنه لم يخلص لله تعالى تضرعه واستغفاره.

(٣) و (٤) الحطيم: أحد المواضع المباركة في مكة المكرمة. الحوب: الحزن. أثناء سعي الشاعر تجلّت له ذكرى حبيبته في لحظة تجليات الخشوع وتضرع إلى الخالق تذكر حرمانه وآلامه، ولا ريب أن خبر ما يعانيه سيصل إلى مسامع حبيبته، بينما المحرمون يتوبون إلى مولاهم ويستغفرونه وهم شعث غبر على أمل أن يستغفر لهم خالقهم وتمحى ذنوبهم.

وَنَادَيْتُ يَا رَحْمَنُ، أَوَّلُ سُؤْلَتِي
 لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُهَا^(١)
 وَإِنْ أُعْطِ لَيْلَى فِي حَيَاتِي لَمْ يَتُبْ
 إِلَى اللَّهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لَا أَتُوبُهَا^(٢)
 يَقْرُبُ عَيْنِي قُرْبُهَا وَيَزِيدُنِي
 بِهَا عَجَبًا مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعِيبُهَا^(٣)
 وَكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ: تُبْ، فَعَصَيْتُهُ
 وَتِلْكَ، لَعَمْرِي خَلَّةٌ لَا أَصِيبُهَا^(٤)
 وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَ أَنْهَا
 قَلْتُكَ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا^(٥)
 فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتُ وَاللَّهِ فَأَعْلَمِي
 بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا^(٦)

(١) و (٢) ورد البيت في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع ٢: ١٥٧، الدرر اللوامع ٢: ٢١٩. سؤلتي: مطلبي. حسيبها: محاسبها. أثناء هذا الجوّ الزاخر بالمشاعر والتضرع، يطلب الشاعر من الله الرحمن أن يرحمه بأن يقدر ليلي من نصيبه بدل أن يتوب إليه ويخلص نيته، وهو سيحاسبه على نيته. وهو يربط التوبة الخالصة لله تعالى بأن يعطى ليلي وسوف يتوب توبة على كلّ ذنب من دون العالمين.
 (٣) وقرب حبيبته يحمله على الطمأنينة وراحة البال ويثير في الدهشة مَن يعيب صدودها وبعدها عني.

(٤) الخلّة: الصفة والعادة. كثيرون هم الناصحون الذين طلبوا مني التخلّي عن حبي لمحبوبي فعصيتهم؛ فعادتي الإخلاص لمن أحبّ ولست من عادتي التنكر لحبي.
 (٥) قلتك: بعدت عنك. والشاعر يلوم حبيبته بأنها هي السبب في بعد الشاعر عنها، فنفسه عاشقة ولكن صدود الحبيبة حملة على البعد.
 (٦) يوجّه الشاعر لنفسه همسه ويوطن النفس على الصبر؛ فليس هو أول من تخلّى عنه الحبيب، فعليها أن تصبر على ما ألمّ بها من إححاف وظلم من قبل من أحبّ.

١٩

مغفور لليلي ذنوبها

قدم رجل من الطائف ، حيث دار ليلي ، فالتقاء والد قيس فطلب إليه أن يلتقي قيساً ويجالسه ويذكر أمامه ليلي وأنه التقاها وتحدث معها ، وأخبرها بما أصاب قيساً من مسّ وهوس ، علماً ترقُّ له فتحملهُ سلاماً . ولكنها غضبت لذكر اسمه أمامها فسبته ونعتته بالكذب ، فهي لم تجالسهُ ولم تخالطهُ كما يدّعي ويصف ، تشهيراً بها وبأهلها . فما كان من قيس إلا أن انصرف عن الواشي غير مكترث لما يقول وأنشد :

[الطويل]

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحاً بَسَاكِنَ ذِي الغَضَى
(١) وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ ، فَإِنَّمَا
جَوَايَ بِمَا تُهْدِي إِلَيَّ جَنُوبُهَا (٢)
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ ، وَإِنَّمَا
هُوَ كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا (٣)
وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحاً
بِدَارِ قَلَى تُمَسِّي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا (٤)
حَلَالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا وَأَنْتِقَاؤُنَا
هَنِيئاً ، وَمَغْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا (٥)

(١) و (٢) الصبا : الريح الرقيقة الشرقية . صفحاً : ملامسة خديها . ذي الغضا : اسم مكان . يصدع : يتحطم . رافة بمن يحب ، يخاف الشاعر اشتداد سرعة وقسوة تلك الرياح الرقيقة التي يؤذي النفوس اشتدادها لئلا تؤلم من يحب .
(٣) لذا فإن الشاعر يهفو إلى ريح الجنوب لمجيئها من جهة الحبيبة .
(٤) تلك الأيام يكفيها أن أبعدتك عمن تحب في مجاهل حيث العداء ، مهما طال الزمن .
(٥) كل ما يصدر عن ليلي من سباب وشتن مغفور ، فلتنهأ في سعادة وعمر مديد .

٢٠

هذا حبيبها

[الطويل]

- أَلَا يَا طَبِيبَ النَّفْسِ أَنْتَ طَبِيبُهَا
 فَرَفَقًا بِنَفْسٍ قَدْ جَفَاها حَبِيبُهَا^(١)
 دَعْتَنِي دَوَاعِي حُبِّ لَيْلَى وَدُونَهَا
 دَرَى قُرْبُ جِسْمِي الْخَوْفَ مِنْهَا قُلُوبُهَا^(٢)
 فَلَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ لَهَا وَلَوْ أَنَّنِي
 صَدَى بَيْنَ أَحْجَارٍ لَطَلَّ يُجِيبُهَا^(٣)
 أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ
 عَلَيَّ وَلَكِنْ مَلَأَ عَيْنِ حَبِيبُهَا^(٤)
 وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا
 قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا^(٥)
 وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا
 بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ: هَذَا حَبِيبُهَا^(٦)

- (١) جفاها: خاصمها وبعد عنها. مرض الشاعر سببه الحبيب المخاصم، يوجه الشاعر رجاءه إلى الطبيب المداوي ويطلب منه أن يرفق به فقد جفاها من حب.
 (٢) خوف الشاعر يزداد في حال قربها منها بسبب فوران العاطفة والحنين لديه إلى من يحب، لذا فهو يخاف عليها.
 (٣) حبذا الداعي المجيب، حتى ولو أصبح صدًى يتردد بعد موت الشاعر سوف يلبي نداء الحبيب.
 (٤) شدة احترام الشاعر لمحبوبته يجعله يهابها رغم ضعفها الأنثوي، فهي ملء العين والقلب والنفس.
 (٥) النفس متمسكة بحبها لك، والمشكلة عندك فحفظها من حنانك ومبادلتك حبي قليل.
 (٦) والناس يتناقلون سيرتي ويلوكون حبي في حال مجيئي إلى ديارك.

أَتَضْرَبُ لَيْلَى إِنَّ مَرَرْتُ بِذِي الْغَضَى
وما ذَنْبُ لَيْلَى إِنَّ طَوَى الْأَرْضَ ذَيْبُهَا^(١)

٢١

إلى آل ليلي تحية

[الطويل]

أَلَا هَلْ طُلُوعُ الشَّمْسِ يُهْدِي تَحِيَّةً
إِلَى آلِ لَيْلَى مَرَّةً أَوْ غُرُوبُهَا^(٢)
أَجَلٌ وَعَلَيَّ الرَّجْمُ إِنْ قُلْتُ حَبَّذَا
غُرُوبُ ثَنَائَا أَمْ عَمْرٍو وَطَيْبُهَا^(٣)
أَتَضْرَبُ لَيْلَى كُلَّمَا زُرْتُ دَارَهَا
وما ذَنْبُ شَاةٍ طَبَّقَ الْأَرْضَ ذَيْبُهَا^(٤)
فَمُكْرِمٌ لَيْلَى مُكْرِمِي وَمُهَيِّنُهَا
مُهَيِّنِي وَلَيْلَى سِرُّ رُوحِي وَطَيْبُهَا^(٥)

(١) يستنكر الشاعر أن تلام حبيبته؛ ففي حال مروره بذي الغضى يلوكون سيرتها ويشتهرون بها، فليس من ذنب اقترفته لأن ذنباً مرّ بديارها.

(٢) حبّ الشاعر ليلي حمله على حبّ آلهما، ولذا يتمنى لهم الخير ويهديهم تحية الودّ والحب مع إشراقة كل فجر وغروب كل شمس.

(٣) الرجم: رمي المذنب للكبائر بالأحجار حتى الموت. ثنايا: أسنان. غروب: ريق. شدة شعور الشاعر بالذنب لو تمنى أن يرشف ريق ليلي أو أن يتنشق ريحها؛ فهو في هذه الحالة يستحقّ الرجم حتى الموت.

(٤) يستنكر الشاعر على أهل ليلي أن يمسوها بأذى، فليس الذنب ذنبها، ولم تخطئ، وإنما خطأ الأقدار إذ مرّ بأرضها ذنب.

(٥) فإذا ما نزل بليلى ضرر سيصيني لأنّها سرّ رُوحِي وعَرَفُهَا؛ فمن أكرمها أكرمني ومن أساء إليها فقد أساء إليّ.

- لَئِنْ مَنَعُوا لَيْلَى السَّلَامَ وَضَيَّقُوا
 عَلَيْهَا لِأَجَلِي وَاسْتَمَرَ رَقِيبُهَا ^(١)
 أَتَيْتُ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ تَنُوشُنِي
 وَطُفْتُ بُيُوتَ الْحَيِّ حَيْثُ أُصِيبُهَا ^(٢)
 فَلَيْتَ الَّذِي أَنُوي لِّلَّيْلِ يُصِيبُنِي
 وَلَيْتَ الَّذِي تَنُوي لَنَا لَا يُصِيبُهَا ^(٣)
 يَقُولُونَ لِي يَوْمًا وَقَدْ جِئْتُ حَيَّهْمُ
 وَفِي بَاطِنِي نَارٌ يُشَبُّ لَهَا ^(٤)
 أَمَا تَخْتَشِي مِنْ أَسَدِنَا فَأَجْبُتْهُمْ
 هَوَى كُلِّ نَفْسٍ أَيْنَ حَلَّ حَبِيبُهَا ^(٥)

٢٢

مناجاة

- رسم صورة في التراب وجلس يناجي الرسم شاكياً له ما أصابه من
 وجد وشوق وعذاب هجر .
 [الوافر]
 أَصَوِّرُ صُورَةً فِي الثُّرْبِ مِنْهَا
 وَأُبْكِي إِنَّ قَلْبِي فِي عَذَابٍ ^(٦)

- (١) و (٢) يعرض الشاعر مشكلته، وتتلخص بزيارتي لها، فلو منعوني من ذلك وحالوا
 دوني ودونها بالرقباء أتيت لرؤيتها غير مبالغ بسيفهم تقتلني، وقمت بالطواف حول
 تلك الديار وكأنني حاج حتى ألتقيها .
 (٣) يتمنى الشاعر الخير ودوام السعادة لليلي كما يتمنى ألا يصيبها ما تتمناه من شر له .
 (٤) و (٥) يدور حوار بين الشاعر والرقباء : فهم يحذرونه من المجيء إلى الديار لأنهم
 ينوون الإساءة إليه وقتله، فيرد عليهم بأنه يلتي داعي الهوى فحيث يوجد الحبيب
 يهوى المحب وينزل بدياره .
 (٦) شدة شوق الشاعر لمحبوبته حمله على رسم لها ومناجاتها وهو يبكي ويبتهل لواعج
 قلبه ويذكر لها آلامه عسى أن ترق له .

- وَأَشْكُو هَجْرَهَا مِنْهَا إِلَيْهَا
 شِكَايَةً مُدْنِفٍ عَظِيمِ الْمُصَابِ^(١)
 وَأَشْكُو مَا لَقِيتُ وَكُلَّ وَجْدٍ
 غَرَاماً بِالشَّكَايَةِ لِلتُّرَابِ^(٢)
 يَمِيلُ بِي الْهَوَى فِي أَرْضٍ لَيْلَى
 فَأَشْكُوها غَرَامِي وَالتَّهَابِي^(٣)
 وَأُمْطِرُ فِي التُّرَابِ سَحَابَ جَفْنِي
 وَقَلْبِي فِي هُمُومٍ وَاكْتِنَابِ^(٤)
 وَأَشْكُو لِلدِّيَارِ عَظِيمَ وَجْدِي
 وَدَمْعِي فِي انْهِمَالٍ وَأَنْسِيَابِ^(٥)
 أَكَلْتُ صُورَةَ فِي التُّرْبِ مِنْهَا
 كَأَنَّ التُّرْبَ مُسْتَمِعٌ خِطَابِي^(٦)
 كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا
 مُصَابِي وَالْحَدِيثُ إِلَى التُّرَابِ^(٧)

(١) و (٢) المدنف: المتيمم العاشق. يبت الشاعر أحزانه للصورة، فالهجر أضناه، فنزلت به المصائب وألّمت به الأحزان؛ ذلك حوار بين لحم ودم وتراب لا يحسن ولا يشعر، والأمر تعبير عن تنفيس الكرب المحموم في أعماق النفس المتألمة.
 (٣) و (٤) صراع النفس قوي في أعماق الشاعر، فهو ما إن تتطأ قدماء ديار محبوبته حتى تنتصر عليه المشاعر ويشدّه الحنين إلى ديارها، فيشكو لها آلامه وشوقه لرؤيتها، ويبكي حبه وتمتعها. ولشدّة بكائه يبتل التراب.
 (٥) ولا يكتفي بذلك، فهو يشكو لديار الحبيبة حبه مسترسلاً في البكاء المنهمر.
 (٦) و (٧) حوار بين الشاعر وصورة المحبوبة في التراب، حتّى كأن التراب بدأ يحسن فيبثّه آلامه ويعرض عليه سلسلة أحزانه، ولكنّ التراب تراب، فيضيع الكلام في الهواء، وتبقى المشكلة قائمة.

- فَلا شَخْصٌ يَرُدُّ جَوابَ قَوْلِي
 (١) ولا العَتَّابُ يَرْجِعُ فِي جَوابِي
 فَأَرْجِعْ خائِباً والدَّمْعُ مِنِّي
 (٢) هَتُونٌ مِثْلُ تَسْكَابِ السَّحَابِ
 على أَنِّي بها المَجْنُونُ حَقّاً
 (٣) وَقَلْبِي مِنْ هَواها في عَذابِ

٢٣

البكاء على الزمن الضائع

[الطويل]

- سَأَبْكِي على ما فَاتَ مِنِّي صَبَابَةً
 (٤) وَأَنْدُبُ أَيَّامَ السُّرُورِ الذَّوَاهِبِ
 وَأَمْنَعُ عَيْنِي أَنْ تَلَدَّ بِغَيْرِكُمْ
 (٥) وَإِنِّي وَإِنْ جَانَبْتُ غَيْرَ مُجَانِبِ

- (١) لا ردّ ولا جواب، فيضيع العتاب ويتبدّد كهباء منشور.
 (٢) و (٣) ويعود من رحلة الوهم خالي الوفاض، حاملاً في عينيه دمعاً منهمراً وهنا يتحقّق الشاعر من جُنونه، فقد تغلّب القلب على العقل وبات يتعذّب لذلك.
 ورد في لسان العرب ١٣: ٥٠ مادة «برثن» / «... وبرثن: قبيلة؛ أنشد سيبويه لقيس بن الملوّح:
 لَخُطَّابُ لَيْلَى، يالَ بُرْثَنَ مِنْكُمْ، أدلّ وأمضى من سُلَيْكِ المِقْنانِ
 غيره: بُرْثَنٌ حَيٌّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ». وانظر: الكتاب لسيبويه وشرح شواهده للأعلام: ١: ٣٢٩، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ١: ١٣١، المقرب لابن عصفور: ٣٨.
 (٤) الماضي والحاضر ركنا الحياة للبشر. الخطّ البياني للشاعر في الماضي سعيد بهيج باسم ذهب مع الريح لذا يبكيه الشاعر فلن يعود والحاضر بكاء وعذاب فقد غلبته الصبابة لمن يحب وانقطع جبل المودة.
 (٥) تعودت عين الشاعر أن ترى وجهاً واحداً فلن يلدّها رؤية غيره، وهو يتجنّب رؤية حبيبته مرغماً، ولن يتعد وجدانياً.

- وَحَيْرُ زَمَانٍ كُنْتُ أَرْجُو دُنُوهُ
 رَمَتْني عُيُونُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(١)
 فَأَصْبَحْتُ مَرْحُومًا وَكُنْتُ مُحَسَّدًا
 فَصَبْرًا عَلَى مَكْرُوهِهَا وَالْعَوَاقِبِ ^(٢)
 وَلَمْ أَرْهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنِي
 وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتَ ذَوَائِبِ ^(٣)
 تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ
 بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ ^(٤)
 عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ سَفَكْتُ دَمِي
 فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ تَحْزَنِي غَيْرُ عَاتِبِ ^(٥)
 عَلَيْهَا وَلَا مُبْدٍ لِلَّيْلِ شِكَايَةٍ
 وَقَدْ يَشْتَكِي الْمُشْكَى إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ ^(٦)

- (١) دنا: اقترب. يتمنى الشاعر أن ترجع أيام السرور حيث تناغم المحبين، ولكن عيون الحساد كانت بالمرصاد، تحملهم غيرتهم وحسداهم حتى أصابت الشاعر وفرحه بحبيبته من كل جهة.
- (٢) أصبح الشاعر الآن يستحق الشفقة من الناس لما حلّ به ولطالما كانوا يحسدونه على سعادة تمتّع بها إلى جانب من أحبّ، وهو الآن يدعو نفسه للصبر على ما حلّ به من المصائب والويلات.
- (٣) يذكر الشاعر رحلة العشق واللقاء، فقد التقى حبيبته ثلاث مرات خائفاً واجفاً، وقد عرفها عذراء ذات جدائل، تحمل معها رمز الطهارة وبراءة الطفولة.
- (٤) آنذ بدت كالشمس في إشراقها ودفئها ولطفها في يوم خالطه غيم، فظهرت إحدى عينيها له وانسدلت خصلات شعر على الجانب الآخر من وجهها، ممّا يعطيها وضعاً جذاباً. ضنت: بخلت.
- (٥) يتمنى الشاعر لليلى المغفرة والعفو من الله، فقد قتلته لما حلّ به من هجرها، وسيسامحها ولن يعتب عليها، حتى في حالة عدم حزنها.
- (٦) إن الشاعر لن يثير في محبوبته الإشفاق لحاله حتّى ترقّ له اعتزازاً بالنفس، وهو مع ذلك قد يشكو حاله لكل صاحب.

يَقُولُونَ: تُبَّ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَحُبِّهَا
وَمَا خَلَدِي عَنْ حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبٍ^(١)

٢٤

أَحْبُكَ

[الطويل]

أَحْبُكَ يَا لَيْلَى وَأَفْرِطُ فِي حُبِّي
وَتُبْدِينَ لِي هَجْرًا عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ^(٢)
وَأَهْوَاكِ يَا لَيْلَى هَوًى لَوْ تَنَسَّمْتُ
نُفُوسَ الْوَرَى أَذْنَاهُ صَحْنٌ مِنَ الْكَرْبِ^(٣)
شَكَوْتُ إِلَيْهَا الشَّوْقَ سِرًّا وَجَهْرَةً
وَبُحْتُ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ^(٤)
وَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّدَّ مِنْهَا وَلَمْ تَكُنْ
تَرِقُّ لَشَكْوَاتِي شَكَوْتُ إِلَى رَبِّي^(٥)
إِذَا كَانَ قُرْبُ الدَّارِ يُورِثُ حَسْرَةً
فَلَا خَيْرَ لِلصَّبِّ الْمُتَيَّمِ فِي الْقُرْبِ^(٦)

- (١) الخلد: المخيلة والبال. يقول الأصحاب ناصحين: دغ هذا الحب فلا طائل منه،
وانس من لا يلقي إليك ببال، فيردّ عليهم أن لن يتوب ويشفى من هذا الحب الذي
تمكن من قلبه وملك عليه جوارحه وعواطفه.
- (٢) أفرط: أخرج عن المألوف حتى المغالاة. يخاطب الشاعر ليلى محبوبته بأنه مصرّ
على حبها حتى المغالاة، وفي المقابل فإنك لا تبدين سوى الهجر في حال اقترابي
منك أو ابتعادي عنك.
- (٣) تنسّمت: تنفّست. الورى: البشر. أذناه: أقلّه. الكرْب: الحزن. يحبّ الشاعر
ليلى حباً عظيماً لا يطيق البشر أنفسهم في حال تنشقوا جزءاً يسيراً منه لعانوا آلاماً
عظيمة ونزل بساحتهم الكرب الذي لا يُحتمل.
- (٤) و (٥) شكّا الشاعر لمحبوبته ما يعاني من البلاء في السرّ والعلن وكشف عما يؤلمه
من الحب العظيم ولم ير تجاوباً فتوجّه بشكواه إلى ربه.
- (٦) قرب الدار يقرب القلوب، ولكن الأمر مختلف مع الشاعر جرّ عليه الحسرة
والألم، ولم يجزّ الخير للمتيم العاشق.

٢٥

جيرة

[الكامل]

شَغِفَ الْفُؤَادُ بِجَارَةِ الْجَنْبِ
 فَظَلَلْتُ ذَا أَسْفٍ وَذَا كَرْبٍ^(١)
 يَا جَارَتِي أَمْسَيْتِ مَالِكَةً
 رُوحِي وَغَالِيَةً عَلَى لُبِّي^(٢)

٢٦

الحبّ القاتل

أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَتَعَلَّقَ بِهِ جَمَاعَةٌ فَقَالَ: [الطويل]
 لَقَدْ هَمَّ قَيْسٌ أَنْ يَزُجَّ بِنَفْسِهِ
 وَيَرْمِي بِهَا مِنْ ذُرْوَةِ الْجَبَلِ الصَّعْبِ^(٣)
 فَلَا غَرَوْ أَنَّ الْحُبَّ لِلْمَرءِ قَاتِلٌ
 يُقَلِّبُهُ مَا شَاءَ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ^(٤)
 أَنَاخَ هَوَى لَيْلَى بِهِ فَأَذَابَهُ
 وَمَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنْ مَحْمَلِ الْحُبِّ^(٥)

- (١) شغف: تعلّق. الفؤاد: القلب، الكرب: الحزن. تعلّق قلب الشاعر بجارة قرب دارها إلى ديارنا، فكان أن جرّ ذلك عليّ الويلات والويلات فأنا أسف لما نزل بساحتي.
- (٢) لُبِّي: قلبي. أمسيت يا جارتي مستحوذة على كياني أجمع فملكك روعي وأصبحت ذات مكانة رفيعة فحللت في قلبي.
- (٣) يزج: يدخل في الشيء. حاول الشاعر أن يمارس لعبة الفرار بالانتحار ليتخلص من حبّه الذي جرّ عليه الويلات برمي نفسه من جبل عالٍ صعب المرتقى.
- (٤) لا غرّو: لا عجب. من المؤكد أن الشاعر يعلم أن الحبّ قاتل يلعب به كيف شاء، وهو مستسلم لا يحاول مقاومة.
- (٥) أناخ: حلّ بدياره. حلّ حبّ ليلى بساحة الشاعر فأضناه وعذّبه. والمشكلة أن الشاعر لا يتمتّع بملكة الصبر، فلا يحتمل صبراً.

فَيَسْقِيهِ كَأْسَ الْمَوْتِ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَيُورِدُهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ إِلَى التُّرْبِ^(١)

٢٧

غريب

بينما كان هائماً على وجهه في الصحراء، التقى قافلةً من الحجاج القادمين من حيّ ليلي، يتقدمهم حاد يسوق الإبل ويغني لها فأنشده يقول:
[الطويل]

أَحْجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
وَفِي أَيِّ خِذْرِ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي^(٢)
أَبْقَى أَسِيرَ الْحُبِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
وَحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِي فِي الرُّكْبِ^(٣)
وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي بِشَجْوِهِ
وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحُبِّ^(٤)
إِذَا مَا أَتَاهُ الرُّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ
تَنَفَّسَ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرُّكْبِ^(٥)

(١) أوانه: وقته. فبدل أن يشرب كأساً رويّاً لذلك يُفاجئ الحبّ المحبّ بكأس علقم يحمل الموت والشقاء، فيؤدي به قبل حينه إلى الهلكة.

(٢) الهودج: محمل النساء. الخدر: مخدع المرأة. يسأل الشاعر الحجاج القافلين من تأدية حجبهم إذا كانت محبوبته ضمن المشاركين في رحلة الحجّ، يؤدّ معرفة ذلك، فقلبه ملكته المحبوبة.

(٣) الحادي: من تخصص بالغناء للقافلة حتى تسرع النياق بسيرها. الركب: المسافرين يسأل الشاعر هؤلاء هل كُتب عليه أن يبقى بعيداً عن الأهل والأحبة أسير حبّه في ديار الغربة وحاديكم يغني بصوته الشجي حاملاً قلب الشاعر حيث يتوجّه الركب.

(٤) المرج: اسم مكان. شجوه: حزنه الشديد. ثمّة مغترب عن عشيرته يصاحبه بكاؤه حيثما ارتحل. وقد غاب عنه الحبيب حاملاً معه سعادته تاركاً له بكاءً مريراً.

(٥) يتفقد الركب الصادر من أرض الحبيبة يتنشّق عبيرها مسترشداً برائحة الركب.

٢٨

افتراء

كان بعض بني عمه مُعادين له ساخرين منه ويهزأون به ويقولون:
كيف ليلي وكيف حبك لها؟ فإذا ذكرت ليلي له رجع إليه عقله فيجلس
إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر، فيقولون: واللّه ما به
جنون وإنه لعافل فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة وأنشأ يقول:
[الطويل]

أَيَا وَيَحَ مَنْ أَمْسَى يُخَلِّسُ عَقْلَهُ
(١) فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
خَلِيّاً مِنَ الْخُلَانِ إِلَّا مُعَذِّباً
(٢) يُضَاكِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ
(٣) رَوَائِعَ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
وَقَالُوا: صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفُ جَنَّةٍ
(٤) وَلَا الْهَمُّ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكْذِبِ

(١) يُخَلِّسُ: يسلب. يعبر الشاعر عن حالة الضياع الذي حلّ بساحته فقد سلبت عقله امرأة واستحوذت عليه، لذا فهو لا يهتدي إلى حال تتعاوره الضروب في كل اتجاه.

(٢) الخلي: المتروك من الصحاب. الخلان: الأحباب والأصحاب. يعاني الشاعر الشعور بالغربة؛ فقد تخلّى عنه أصحابه وأحبّاءه من كان يسعد بلقائه فيحدثه ويسارّه أخباره، أما الآن فقد خلت ساحة الأحبة منهم.

(٣) عقلت: عاد إلي صوابي. روائع قلبي: ما يبته قلبه من جميل القول يدلّ على وعي ورشاد. ذكر اسم ليلي له بشائر السعد على الشاعر يردّ إليه وعيه وعقله فيصدر عنه ما ينمّ عن قلب يعمره الحب.

(٤) طيف جنة: مسّ جنون. افتراء التكذب: اختراع التلفيق. حال سماع القوم جميل القول يحكمون بأن الشاعر يدّعي الجنون فهو يتمتّع بعقل سليم.

- وَلِي سَقَطَاتٍ حِينَ أَغْفَلُ ذِكْرَهَا
 يَغُوصُ عَلَيْهَا مَنْ أَرَادَ تَعَقُّبِي ^(١)
 وَشَاهِدٌ وَجْدِي دَمْعٌ عَيْنِي وَحُبُّهَا
 يَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءٍ عَظْمِي وَمَنْكَبِي ^(٢)
 تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلْجَ بِي الْهَوَى
 وَهَيْهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ ^(٣)
 فَمَا مُغْزِلُ أَدْمَاءَ بَاتَ عَزَالُهَا
 بِأَسْفَلِ نَهْيِي ذِي عَرَارٍ وَحَلَبِ ^(٤)
 بِأَحْسَنَ مِنْ لَيْلَى وَلَا أُمُّ فَرْقَدٍ
 غَضِيضَةُ طَرْفٍ رَغِيْهَا وَسَطُ رَبْرَبٍ ^(٥)

(١) تعقبه: تابعه ليكشف سقطاته. ثمة خيط رفيع بين التعقل والجنون عند الشاعر، فهو إذا أغفل ذكرى حبيبته عاوده الجنون ممّا يسهل على من يتتبع سقطاته أن يحكم عليه بالجنون.

(٢) الوجد: شدة الحب. الأحناء: ما التوى من أجزاء العظام. يكشف بكأوه المستمر عن حب عميق تمكن من قلبه وجوارحه حتى بدا ذلك في كل جزئية من عظامه وعارضيه.

(٣) ليج: تمادى في الطلب. محاولات المقاومة باءت كلها بالفشل فقد سبق السيف العذل وحتم القضاء مجراه، فقد تمكن الحب وتأخرت المحاولات فتهافت أسلحة التمتع لديه.

(٤) المغزل من الظباء: أولدت غزالاً. الأدماء: السمراء. النهي: غدير المياه. القرار: ضرب من النباتات الذكية الرائحة. حلب: ضرب من النباتات ترعاه الماشية. عزالها: جلدها. ليست تلك الظبية التي اندفعت قاصدة ذلك لترتوي وترعى النباتات وتنعم بالرائحة الطيبة والطبيعة الحنون الجميلة.

(٥) الفرقد: ولد البقرة الوحشية. غضبيضة الطرف: الناعسة. الربرب: القطيع. ثمة تفاضل بين ما يعتبر جميلاً في عالم الحيوان وبين حبيبته، فليلى أجمل من بقرة وحشية ناعسة ترعى وسط قطع.

نَظَرْتُ خِلَالَ الرُّكْبِ فِي رَوْثِ الضُّحَى
 بِعَيْنِي قُطَامِي نَمَا فَوْقَ عُرْقُبِ^(١)
 إِلَى ظُعْنٍ تَخْذِي كَأَنَّ زُهَاءَهَا
 نَوَاعِمُ أَثْلٍ أَوْ سَعِيَّاتُ أَثْلِبِ^(٢)
 وَلَمْ أَرِ لَيْلَى غَيْرَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ
 بِبَطْنٍ مَنَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُحَصَّبِ^(٣)
 وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ
 مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ^(٤)
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ كَنَاطِرِ
 مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ^(٥)

(١) القُطَامِي: الصقر. العرْقُب: المرتفع الصخري الوعر الصعب. في تفتح الفجر راح الشاعر يستطلع القافلة من مرتفع كصقر فقس وكبر فوق مرتفع صخري وعر صعب المرتقى.

(٢) الظُّعْن: النباقي على وشك الرحيل. تخذي: تسرع في انطلاقها. زُهَاءها: قوائمها. الأثْل: ضرب من النبات القاسي. الأثْلِب: فتات الحجارة والأثرية. يمعن النظر في الركب المنطلق مسرعاً كأن قوائم الجمال فيه عيدان الأثل أو كأنها تراب الحجارة المفتتة.

(٣) مَنَى: أحد أمكنة مكة حيث يبيت الحجاج ليلة ويرمون الحصيات في الجمرات صباح أيام التشريق. الجمار: واحدها جمرة: الحصيات الصغار يُرمى بها إبليس اللعين طيلة الأيام الثلاثة؛ يعتبر ذلك أحد أركان الحج. المحَصَّب: مكان حيث يرمي إبليس اللعين، فتجتمع أكوام هائلة من الحصى. رحلة ساعة رأى الشاعر ليلى خلالها وهي ترمي الحصيات في المحصب.

(٤) البُرْد: ضرب من الأثواب. أطراف البنان: رؤوس الأصابع. المخضب: المصبوغ بالحناء. ينظر الشاعر وسط الزحام إلى محبوبته وهي ترمي الحصيات فتبدو يداها من أكمام ثوبها وقد زينتها بالحناء.

(٥) ورد البيت في لسان العرب ١: ٦٣٨ مادة «غرب» و«المُغْرَب»: الذي يأخذ في ناحية المُغْرَب: قال قيس بن الملوّح: وأصبحت... وقد نسب المبرّد هذا البيت إلى =

- أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ^(١)
 حَلَفْتُ بِمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
 عَلَيْهِ ضَبَابٌ مِثْلُ رَأْسِ الْمُعْصَبِ^(٢)
 وَمَا يَسْلُكُ الْمَوْمَاءَ مِنْ كُلِّ نَقْضَةٍ
 طَلِيحٌ كَجَفْنِ السَّيْفِ تُحْدَى بِمَوَكِبِ^(٣)
 خَوَارِجٍ مِنْ نُعْمَانَ أَوْ مِنْ سُفُوحِهِ
 إِلَى الْبَيْتِ أَوْ يَطْلُعْنَ مِنْ نَجْدِ كَبْكَبِ^(٤)
 لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أَحْبُّهَا
 أَرَى الْمَوْتَ مِنْهَا فِي مَجِيئِي وَمَذْهَبِي^(٥)

= أبي حيّة النميري. وغرب القوم: ذهبوا في المغرب. وورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح أبياته للأعلم ٢: ١٩٢. يتابع الشاعر بنظره ليلى وهي وسط الزحام المتدافع وسرعان ما تختفي كأنها نجم الصباح تلاشى وانمحي.

(١) أم مالك: كناية لليلى. يوجه الشاعر كلامه إلى ليلى أنها تركت صدّي، والصدى لا يرى تتلاعب به رياح التشتت والضياغ؛ فتلك حاله.

(٢) ثبير: جبل من جبال مكة. المعصّب: المعمم رأسه. أرسى: أثبت. أقسم الشاعر بخالق ومرسي ثبيراً في مكانه، وقد ارتفعت هامته المتوجة بالضباب كسيد معمم بعمامة.

(٣) الموماء: الصحراء. النقضة: الناقة أهزلها السير الكثير. الموكب: الركب. طليح: متعبة من الجوع. جفن السيف: غمده. تُحْدَى: يغني الحادي حاثاً الموكب على متابعة السير بسرعة. يصف الشاعر الموكب المسرع لغناء الحادي وهو يجتاز مجاهل الصحراء ودروبها، وقد أنهك الجوع النياق فبدت هزيلة.

(٤) نُعْمَان: اسم جبل. البيت العتيق: مكة المكرمة. نجد كبكب: سهل كبكب. خرج موكب الظّاعنين من سفح جبل نُعْمَان ونجد كبكب متوجّهاً إلى الحرم في مكة شرفها الله تعالى.

(٥) رحلة الحبّ مع ليلى لها تاريخ نهايته الموت في كل حالة في الذهاب والإياب.

- وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ التَّفَرُّقَ فَلَتَتْ
 وَأَنَا مَتَى مَا نَفْتَرِقَ نَتَشَعَّبُ^(١)
 أَشَارَتْ بِمَوْشُومِ كَأَنَّ بَنَاءَهُ
 مِنْ اللَّيْنِ هُدَابُ الدَّمْفَسِ الْمُهْذَبِ^(٢)

٢٩

تَكَلَّمَتِ الْعَيُونُ

[الوافر]

- إِذَا خِفْنَا مِنَ الرُّقَبَاءِ عَيْنًا
 تَكَلَّمَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ^(٣)
 وَفِي غَمْرِ الْجَوَانِحِ مُسْتَرَاخٌ
 لِحَاجَاتِ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ^(٤)

٣٠

أَمَلُ ضَائِعٍ

[الطويل]

- حَبِيبُ نَأَى عَنِّي الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ
 فَصَيَّرَنِي فَرْدًا بِغَيْرِ حَبِيبٍ^(٥)

(١) و (٢) فلتت: فجأة على غير ميعاد. نتشعب: نفترق. علمت ليلي يقيناً أنّ اللقاء مفاجئ على غير ميعاد، وأننا سرعان ما نفترق وقد لا نلتقي ثانية أشارت بكفها الموشوم وقد زانتة الرسوم، وأصابعها رقيقة كأنها خيوط لدنة من أفضل الحرير اختياراً.

(٣) في اجتماعنا كشفت العيون عما نعانیه بهمس أحرص مخافة الرقباء. (٤) غمر الجوانح: ما استتر منها وخفي. مستراح: موضع الراحة. حاجات: أحاسيس ومشاعر. ما يخبئه الأحبة في جوارحهم وقلوبهم شوق وحنين صادق ومشاعر نبيلة تغفو هادئة ناعمة البال.

(٥) نأى: بُعد. ينعى الشاعر على الزمان سبب مصائبه، فقد باعد بينه وبين حبيبته، فجعل منه غريباً في دار وحشة لبعد حبيبته عنه.

- فَلِي قَلْبٌ مَّخْزُونٌ وَعَقْلٌ مُدَلِّهِ
 وَوَحْشَةٌ مَهْجُورٌ وَذُلٌّ غَرِيبٌ ^(١)
 فَيَا عَقَبَ الْأَيَّامِ هَلْ فِيكَ مَطْمَعٌ
 لِرَدِّ حَبِيبٍ أَوْ لِدَفْعِ كُرُوبٍ ^(٢)

٣١

أبوس تراب رجلك

[الوافر]

- أَبُوسُ تُرَابِ رِجْلِكَ يَا لَوَيْلِي
 وَلَوْ لَا ذَاكَ لَا أَدْعَى مُصَابَا ^(٣)
 وَمَا بَابُوسُ التُّرَابِ لِحُبِّ أَرْضٍ
 وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ وَطِئَ التُّرَابَا ^(٤)
 جُنِئْتُ بِهَا وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِيهَا
 مُجَبًّا أَسْتَطِيبُ بِهَا الْعَذَابَا ^(٥)
 وَلَا زَمْتُ الْقِفَارَ بِكُلِّ أَرْضٍ
 وَعَيْشِي بِالْوُحُوشِ نَمَا وَطَابَا ^(٦)

- (١) المدله: العاشق الولهان. نزل بساحة الشاعر بسبب هجر الحبيب هموم؛ فقلبه ملاءه الحزن همًا، وعقله ساح في غربة لتعلقه بمن هجر.
- (٢) عقب الأيام: ما تحمل به الأيام من مفاجآت. الكروب: المصائب. يراود الأمل الشاعر بأن الزمن سيحيل همومه إلى فرج فتجمعه بمن يحب، فيسود الحب بعودة حبيبته.
- (٣) و (٤) يعلل الشاعر سبب ما وصل إليه من مسّ عقلي، بأنه يقبل التراب الذي تدوسه قدمها؛ ممّا يصور مدى شوقه لأي شيء يذكره بحبيبته؛ فالتراب لا يهتمه بقدر ما يراه من أن التراب مبارك، باركته قدمها.
- (٥) عذاب الحب ذو طعم لا يتذوقه إلا المحبون، والجنون ظاهرة لا تبدو إلا في حال تخطي المألوف من طبائع الأشياء.
- (٦) نما: كبر. حمل العذاب الشاعر إلى الفرار إلى الطبيعة؛ فكل ما فيها لذ وطاب، حتى الصحارى ووحوشها.

٣٢

البحر العذب

[الطويل]

وَأَحْبَبْتُهَا حُبًّا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا
وَحُبِّي إِذَا أَحْبَبْتُ لَا يُشْبِهُ الْحُبَّ^(١)
وَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ
لَأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيْقِهَا عَذْبًا^(٢)

٣٣

الذبا السعيد

[البسيط]

نُبِّئْتُ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبَجِّلُهَا
قَالَتْ: سَقَى الْمَزْنَ غَيْثًا مَنْزِلًا خَرِبًا^(٣)
وَحَبَّذَا رَاكِبٌ كُنَّا نَهْشُ بِهِ
يُهْدِي لَنَا مِنْ أَرَاكِ الْمَوْسِمِ الْقُضْبَا^(٤)

(١) وفي حب الشاعر حبيبته جعلها تأمن أنه كرس وجدانه ومشاعره لها فقط دون سواها.

(٢) تفلت: بصقت. المألوف أن طبيعة الأشياء التي خلقها الله تعالى لا تتغير، ولكن الأمر مع حبيبته مختلف كلياً، فلو تفلت بماء البحر المالح لاستحال إلى ماء عذب فرات يلد شرابه.

(٣) علاقة البشر بالأرض حميمة، حتى ولو كان المنزل خراباً. تنامي إلى مسمع الشاعر أن حبيبته تمت على السحاب أن تغيث منزلاً خراباً كانا يلتقيان فيه.

(٤) نهش: نرحب به باسمين ساعة اللقاء. الأراك: ضرب من الشجر شوكي، طويل الساق. القضب: الأغصان. كل ما يجيء من قبل الحبيب نرحب به، فالراكب ينزل على الرحب والسعة، ويستقبل بفرح، وهو يحمل هدية قضب الأراك من عند الحبيبة.

قَالَتْ لِجَارَتِهَا يَوْمًا تُسَائِلُهَا
 لِمَا اسْتَحَمْتُ وَأَلَقْتُ عِنْدَهَا السَّلْبَا^(١)
 يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَلَّا قُلْتُ صَادِقَةً
 أَصَادِقًا وَصَفَ الْمَجْنُونُ أُمَ كَذِبًا^(٢)

(١) السلب: اللباس. من طبائع النساء التفاخر بما لديهن من جمال، وهنّ يحبين سماع المديح والغزل بهنّ؛ وليلى واحدة من بني جنسها، تسأل جارتها وقد تعرّت إذا كان الشاعر صادقاً في وصف حبيبته. والحقيقة أن الشاعر يصوّر حبيبته بعيني محبّ خلاف الآخرين، وبخاصة من النساء اللواتي قد يحملهنّ الحسد والغيرة، فيرين الأشياء بمنظار آخر.

(٢) ورد البيت في الأغاني ٣: ٢، حيث ورد «أو» بدلاً من «أم» همع الهوامع، شرح جمع الجوامع للسيوطي ٤٥: ٢، الدرر اللوامع ٥٤: ٢.

قافية التاء

٣٤

الميتُّ الحيُّ

[الطويل]

إِذَا نَظَرْتُ نَحْوِي تَكَلَّمْ طَرْفُهَا
وَجَاوَبَهَا طَرْفِي وَنَحْنُ سُكُوتٌ ^(١)
فَوَاحِدَةٌ مِنْهَا تُبَشِّرُ بِاللِّقَا
وَأُخْرَى لَهَا نَفْسِي تَكَادُ تَمُوتُ ^(٢)
إِذَا مِتُّ خَوْفَ الْيَأْسِ أَحْيَانِي الرَّجَا
فَكَمْ مَرَّةً قَدُمْتُ ثُمَّ حَيِّيتُ ^(٣)
وَلَوْ أَحْدَقَ بِي الْإِنْسُ وَالْجِنُّ كُلُّهُمْ
لَكَيْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجِيكَ لَجِيتُ ^(٤)

(١) الطرف، بسكون الراء: النظر. لغة العيون تحمل معاني كثيرة؛ تنطق بلسان الحب همساً لا يفهمه إلا المحبون، وهي سبيلك خفي يقرب الأبعاد ويتجاوز الآماد.

(٢) و (٣) يستطلع الشاعر معاني تلك النظرات؛ فتارة يرى أنها تعدّه باللقاء فيفرح وطوراً يرى أنها تعني القطيعة فيتألم؛ وهو في كل ذلك يتأرجح بين الأمل واليأس.

(٤) أحدق: أحاط. يحمل الحب المحبين على المغالاة والتحدّي، فلو حاول الإنسان والجن منعي من المثل بين يديك لما أفلحوا بإرادتي أقوى تعينني على المعجىء إليك.

- أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ حُكْمُكَ جَائِرٌ
 عَلَيَّ إِذَا أَرْضَيْتَنِي وَرَضَيْتُ^(١)
 أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ لَوْ أَنَّ وَاحِدًا
 مِّنَ النَّاسِ يُبْلِيهِ الْهَوَى لَبَلَيْتُ^(٢)
 فَلَوْ خُلِطَ السُّمُّ الزُّعَافُ بِرَبْقِهَا
 تَمَضَّضْتُ مِنْهُ نَهْلَةً وَرَوَيْتُ^(٣)

٣٥

زفرة محبّ

[الطويل]

- سَرَتْ فِي سَوَادِ الْقَلْبِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى
 بِهَا السَّيْرُ وَارْتَادَتْ حَمَى الْقَلْبِ حَلَّتِ^(٤)
 فَلِلْعَيْنِ تَهْمَالٌ إِذَا الْقَلْبُ مَلَّهَا
 وَلِلْقَلْبِ وَسْوَاسٌ إِذَا الْعَيْنُ مَلَّتِ^(٥)
 وَوَاللَّهِ مَا فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ مِّنَ الْهَوَى
 لِأُخْرَى سِوَاهَا أَكْثَرَتْ أَمْ أَقَلَّتِ^(٦)

(١) و (٢) جائر: ظالم. يخاطب الشاعر أرقّ النسيم الذي يحمل البشائر، فريح الحبيبة ينعش القلب والنفس، ويتذكر الشاعر الهجر فيتألم، فإذا بالنسيم يحمل إلى الشاعر العذاب فوحده من دون سائر المحبين يشعر بأن الموت يتسرّب إلى روحه فقط.
 (٣) السمّ الزعاف: المميت بسرعة. نهلة: رشفة الماء الأولى. تمضّضت: رشفت. رويت: شبع. ريق الحبيبة منعش يساعد على الحياة، لا يؤثر به السمّ القاتل، فلو خالطه لفقد خاصية القتل واستحال إلى سبب من أسباب الحياة، فيكفيني أن أرشف رشفة، حتى أحسّ بالرواء.
 (٤) لمحبة ليلي رحلة تسرّبت في سائر الجسد بدءاً بالقلب حتى استولت مطمئنة في عرش وجود الشاعر على كلّ جارحة لديه.
 (٥) يجثم على كاهل الشاعر همّ تترجمه الدموع، وفي حال الإرهاق تداخل الأوهام القلب بين أمل ورجاء وبين مرارة الهجران والبعد.
 (٦) يقسم الشاعر أن قلبه لن يسع سوى محبوبته ليلي في حال من الأحوال سواء أكانت زيارتها متواترة متتالية أم قليلة.

- فَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفْتُ بِهَا
 صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَنْتِ^(١)
 إِذَا ذَكَرْتُ نَجْدًا وَطَيْبَ تُرَابِهِ
 وَخَيْمَةَ نَجْدٍ أَعُولْتُ وَأَرَنْتِ^(٢)
 بِأَكْثَرِ مَنِّي حُرْقَةً وَصَبَابَةً
 إِلَى هَضْبَاتِ بِالْلَوَى قَدْ أَظَلَّتِ^(٣)
 تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرِّعَاءِ وَخَيْمَةَ
 بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقَدِّرْ لَهَا مَا تَمَنَّتِ^(٤)
 إِذَا ذَكَرْتُ مَاءَ الْفَضَاءِ وَخَيْمَةَ
 وَبَرْدَ الضَّحَى مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرَنْتِ^(٥)
 لَهَا أَنَّ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَأَنَّ
 سُحَيْرًا فَلَوْلَا أَنْتَاهَا لَجُنَّتِ^(٦)
 بِأَوْجَدَ مَنْ وَجَدَ بَلِيلِي وَجَدْتُهُ
 غَدَاةً ارْتَحَلْنَا غُدُوَّةً وَاطْمَأْنَنْتِ^(٧)

- (١) النوى: البعد. الوجد: شدة الشوق والعشق. الحب قدر، فقدر الشاعر مصادفته لقاء حبيبته الأعرابية؛ وتلك كانت من غير المتوقع لما جرت عليه من ويلات.
 (٢) و (٣) أرنت: أعولت. ومن أسباب لوعة العين تذكّارها أماكن عزيزة عليها، كنجد و ترابها وهضاب اللوى؛ فهي دائمة الشوق والحنين إلى تلك الأمكنة لذا فإنها تبكي حباً لأننا كنّا ننعّم بظلالها الوارفة الحنون.
 (٤) أحاليب الرعاء: المراعي الخصبة. تهفو العين إلى تلك الرباع الغنية الخصبة، حيث تجد خيمتها بنجد، ولكن هل من الممكن تحقيق الأمانى؟
 (٥) الفضاء: السماء. أرنت: أعولت. فلو أن العين تذكّرت ما امتازت به نجد من ماء الفضاء وخيمة وطراوة جو الضحى انتحبت وأعولت لفقدتها تلك النعم.
 (٦) لغة الأئين تصاحب عين الشاعر في كلّ وقت، قبل العشاء وفي السحر، فتنهمر الدموع مسرّية عما به من كرب وحزن، ولولا ذلك لنزل بساحته الجنون.
 (٧) هيام الشاعر العظيم بحبيبته ليلى صباغه عذاب وألم غداة تباعدهما هي استراحت واطمأنت وهو عانى لوعة الفراق.

- فَإِنْ يَكُ هَذَا عَهْدُ لَيْلَى وَأَهْلِنَا
 فَهَذَا الَّذِي كُنَّا ظَنَنَّا وَظَنَّتِ ^(١)
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً
 عَلَى الْغُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ ^(٢)
 تَغَنَّتْ بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ
 هَوَايَ الَّذِي بَيْنَ الضُّلُوعِ أَجَنَّتِ ^(٣)
 نَظَرْتُ إِلَيْهِنَّ الْعَدَاةَ بِنَظَرَةٍ
 وَلَوْ نَظَرْتُ عَيْنِي بِطَرْفِي تَجَنَّتِ ^(٤)
 خَفْتُ شَجْنًا مِنْ شَجُونَا ثُمَّ أَعُولَتْ
 كَأَعْوَالٍ تُكَلِّي أَثْكَلَتْ ثُمَّ حَنَّتِ ^(٥)
 فَمَا أَخَرْتُ إِذْ هَيَّجَتْ مِنْ صَبَابَتِي
 عَدَاةَ أَشَاعَتْ لِلْهَوَى وَارْفَأَتْ ^(٦)
 أَقُولُ لِحَادِي عَيْرٍ لَيْلَى وَقَدْ يَرَى
 ثِيَابِي يَجْرِي الدَّمْعُ فِيهَا فَبُلَّتِ ^(٧) :
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ
 وَقَاتِلَ دُثْبَانًا بِهَا كَيْفَ وَلَّتِ ^(٨)

(١) ما تمت ليلي من راحة البال في البعد وكذلك الأهل كان محسوبا .
 (٢) و (٣) يدعو الشاعر بالويل والثبور على الحمامة ، رمز الوداعة والحب ، فغناؤها حزين مشح بثير كوامن النفس بلحنها الأعجمي ويضرم في القلب نيران اللوعة والأسى .
 (٤) الطُرف ، بسكون الراء : النظر . نظر الشاعر إلى الحمام نظرة حزينة تترجمها الدموع ، ولو التفتت تلك الحمام ورأت ما في الشاعر من ألم وحزن لنزل بساحتها الجنون .
 (٥) الشجن : الحزن . حملت رقة المشاعر لدى الحمامة على مشاركة الشاعر أحزانه فبكت لبكائه كمن فقد عزيزاً عليه .
 (٦) أخرت : توقفت عن البكاء . ارفأَتْ : استقرت وهدأت . بعدما أثار بكائها ألمي وحزني توقفت عن غنائها الحزين وهدأت استفاق لديّ الحب .
 (٧) و (٨) أثار رحيل الحبيبة كوامن الشاعر وحادي العير يغني غناه الحزين فأبكاه وقد =

- غَبَرْنَا زَمَانًا بِاللَّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ
 بِرَاقِ اللَّوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ ^(١)
 أَلَامٌ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَنَّ هَامَتِي
 تُدَاوِي بِلَيْلَى بَعْدَ يُبْسٍ لُبُلَّتْ ^(٢)
 بِذِي أَشْرٍ تَجْرِي بِهِ الرَّاحُ أَنُهِلَتْ
 تَخَالَ بِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَعُلَّتْ ^(٣)
 وَيَبْسِمُ إِيْمَاضَ الْغَمَامَةِ إِذْ سَمَتْ
 إِلَيْهَا عُيُونُ النَّاسِ حَتَّى اسْتَهَلَّتْ ^(٤)
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا حَلَّ بَعْدَهَا
 وَلَا قَبْلَهَا أَنْسِيَّةٌ حَيْثُ حَلَّتْ ^(٥)
 أَقَامَتْ بِأَعْلَى شُعْبَةٍ مِنْ فُؤَادِهِ
 فَلَا الْقَلْبُ يَنْسَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ ^(٦)

- = رآه ابتلت ثيابه من دموعه . فقال له : لعن الله اللوى وما فيه من ذئاب حيثما رحلت .
 (١) غبرنا زماناً : أمضينا . عشنا زمناً باللوى هائتين سعداء ، ولكن الزمن لم يدم على حاله ، فقد أصبح قفراً بعدما غادره ساكنوه .
 (٢) الهامة : الجسد . بلت : شفتيت . يلومونني لحبي ليلي ولا يعلمون أنها سرّ حياتي ، فلو يبس جسدي لكانت سبباً لعودتي إلى الحياة من جديد .
 (٣) الأشر : المرح ، تخال : تختال . الراح : الخمر . علّت : شربت مرة بعد مرة . دبّت فيها الحياة والفرح والفرح وسرت روح النشوة في أركانها ، فراحت تختال عشاءً .
 (٤) إيماض الغمامة : برق السحابة . سمت إليها العيون : اشرأبت . استهلّت : انهمر مطرها بغزارة . تفاعل حيّ مشترك ، فما إن تبسم عن ثغر ، وتلتقيها العيون مشربّة حتى تنهمر مطراً غزيراً .
 (٥) أقسمت صادقاً بالله تعالى قسم الإخلاص أنني لا زلت على العهد ، ولم أستبدلها بغيرها من بنات جنسها ولن أفعل ذلك .
 (٦) تربعت أعلى مكان في قلب الشاعر ، والقلب ذاكر دائماً والعين لن تملّ النظر إليها .

- وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي سَابُغِي إِذَا نَأْتُ
 بِهَا بَدَلًا يَا بَيْتُسَ مَا بِي ظَنَنْتِ ^(١)
 وَمَا أَنْصَفْتُ أَمَّا النِّسَاءَ فَبَغَضْتُ
 إِلَيَّ وَأَمَّا بِالنِّوَالِ فَضَنَنْتِ ^(٢)
 فَيَا حَبِّذَا إِعْرَاضُ لَيْلَى وَقَوْلُهَا
 هَمَمْتُ بِهَجْرٍ وَهِيَ بِالْهَجْرِ عَمَّتِ ^(٣)
 فَمَا أُمُّ سَقْبٍ هَالِكٌ فِي مَضَلَّةٍ
 إِذَا ذَكَرْتُهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَنْتِ ^(٤)
 بِأُبْرَحَ مِنِّي لَوْعَةً غَيْرَ أَنَّنِي
 أَجْمِجُ أَخْشَائِي عَلَى مَا أَكُنْتُ ^(٥)
 خَلِيلِي هَذِي زَفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ
 فَمَنْ لِعَدٍ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أَظَلَّتِ ^(٦)

- (١) نأت: بُعدت. اعتقدت أنني سأخلف الوعد وأستبدلها بغيرها ساء ظنّها فيما فكرت بي.
 (٢) ضننت: بخلت. أنصفت: عدلت. النوال: اللقاء. جارت بحكمها عليّ وكوّنت إلي النسوة سواها، لا بل بخلت عليّ باللقاء أيضاً.
 (٣) إعراض: صدور. يحلو للشاعر إعراض لها، ومن غنج النساء الوعد والإخلاف، حتى التجنّي قولاً أنك بدأت بالهجران ولكنها هي البادئة في الحقيقة.
 (٤) السقب: ولد الناقة لحظة ولادته. المضلة: أرض التيه. يعبر الشاعر عن ألمه، فلو أن ناقة فقدت صغيرها بصحراء متاهة وافتقدته آخر الليل فما بكنه وحنّت إليه رغم شدة الحنين لديها.
 (٥) أبرح: ألم وأحزن. أجمجم: أخفي في صدري. أكننت: خبأت. ليست تلك الناقة تحمل في نفسها حزناً أكثر منّي، ولكن لديّ القدرة على التماسك، فلا أبوح بما يخالجنني من أسى وحزن.
 (٦) أظلت: حان موعدها. الخليل: الصاحب والصديق. يوجّه الشاعر إلى صاحبيه، على طريقة الشعراء، بثّه بأنّ شعره هذا زفرة ألم الآن، والغد قريب فيسألهم هل من يستمع إليه ليتلقى زفرة الغد؟

٣٦

الدمع الهتون

[الخفيف]

- لَمْ تَزَلْ مُقْلَتِي تَفِيضُ بِدَمْعٍ
 يُشْبِهُ الْغَيْثَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْهَا^(١)
 مُقْلَةً دَمْعُهَا حَثِيثٌ وَأُخْرَى
 كُلَّمَا جَفَّ دَمْعُهَا أَسْعَدَتْهَا^(٢)
 مَا جَرَتْ هَذِهِ عَلَى الْخَدِّ حَتَّى
 لَحِقَتْ تِلْكَ بِأَلَّتِي سَبَقَتْهَا^(٣)
 دَمْعَةٌ بَعْدَ دَمْعَةٍ فَإِذَا مَا
 لَحِقَتْ تِلْكَ هَذِهِ أَخْدَرَتْهَا^(٤)

(١) دمع الشوق فائض كالغيث، والغيث يحمل الحياة للبشر، ولكن دمعِي يحمل الهلاك والعدم بسبب فقدي الحبيبة.
 (٢) و (٣) يصوّر الشاعر استمرار انهماك الدموع لديه، فأحدى عينيه مدراة الدمع الهتون، فإذا توقفت عن إمدادها بالدمع سعدت عينه الأخرى، ولكن سرعان ما تقوم الأخرى بنفس العمل فتجري الدموع على الخدود.
 (٤) وتتوالى دموعه لتلحق بها أختها وهكذا دواليك.

قافية الجيم

٣٧

غنـج

[الطويل]

- وَمَفْرُوشَةِ الْخَدَّيْنِ وَرَدًا مُضَرَّجًا
 إِذَا جَمَشْتُهُ الْعَيْنُ عَادَ بِنَفْسَجَا^(١)
 شَكُوتٌ إِلَيْهَا طُولَ لَيْلِي بِعَبْرَةٍ
 فَأَبَدْتُ لَنَا بِالْغُنْجِ دُرًّا مُفْلَجَا^(٢)
 فَقُلْتُ لَهَا: مُنِّي عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ
 أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي فَقَالَتْ تَعْنُجَا^(٣)
 بُلَيْتُ بِرَدْفٍ لَسْتُ أَطْطِيعُ حَمْلَهُ
 يُجَاذِبُ أَعْضَائِي إِذَا مَا تَرَجَّرَجَا^(٤)

(١) جمشته العين: غمزته. يتغزل الشاعر بفتاة في مقتبل العمر، حمراء الخدين موردتهم، إذا غمزتها العين استحالت حمرتها إلى اللون البنفسجي.
 (٢) مفلجاً: مشققاً. شكوت إليها حالي، فليلي سهاد وبكاء لا ينتهي فأبدت غنجاً فاتناً وبسمة مشرقة كشفت عن أسنان لؤلؤية مفلجة.
 (٣) و (٤) فقلت لها أطلب قبلة: تكزمني عليّ بقبلة أداوي بها جراح قلبي. فردت بغنج المرأة ودلالها: نكبت بردفين لا أقدر على حملهما فإذا ما سرت ترجرجا بمقابل سائر أجزاء جسمي.

قافية الحاء

٣٨

الحبّ المتاح

[الوافر]

رُعَاةَ اللَّيْلِ مَا فَعَلَ الصَّبَّاحُ
 وَمَا فَعَلْتُ أَوَائِلُهُ الْمَلَأُ^(١)
 وَمَا بَالُ الَّذِينَ سَبَبُوا فُؤَادِي
 أَقَامُوا أَمْ أَجَدَّ بِهِمْ رَوَاحُ^(٢)
 وَمَا بَالُ التُّجُومِ مُعَلِّقَاتِ
 بِقَلْبِ الصَّبِّ لَيْسَ لَهَا بَرَاحُ^(٣)
 كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى
 بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ^(٤)

- (١) كان من عادة البدو أن يرسلوا مواشيهم بحراسة الرعاة. يسأل الشاعر هؤلاء ماذا حمل الفجر الأول لي وماذا فعلت ذوات الوجوه الجميلة؟
- (٢) سَبَبُوا: أسروا. أجد السير: أسرع. الرواح: انطلاق الركب أول الليل. يسأل السير عمن استحوذ على قلبه فأسرته وقتيده، وهو يبغى فكاًكاً هل لا يزالون مستقرين أم ارتحلوا مستغلين طراوة الجو في المساء.
- (٢) الصب: العاشق. ليل العشاق طويل في حال الحرمان ونجومه مقيدة معلقة بقلوبهم أزلية لا فجر لها ولا أفول.
- (٤) يُغْدَى: يرحل مع الفجر. يراح: يرحل مع المساء. تنامي إلى مسامع الشاعر أن محبوبته سترحل وقومها إما مع الفجر الأول وإما مع المساء، فطار قلب المحب فرقاً وخوفاً.

- قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ
 تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(١)
 لَهَا فَرُخَانٍ قَدْ تُرِكَا بِقَفْرِ
 وَعَشَّهْمَا تُصَفِّفُهُ الرِّيحُ^(٢)
 إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ هَبًّا
 وَقَالَا أُمْنَا، تَأْتِي الرِّوَاخُ^(٣)
 فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرَجِّي
 وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاخُ^(٤)
 رُعَاةَ اللَّيْلِ كُونُوا كَيْفَ شِئْتُمْ
 فَقَدْ أَوْدَى بِي الْحُبُّ الْمُتَاحُ^(٥)

٣٩

شؤم

[الطويل]

- أَمِنْ أَجْلِ غَرْبَانٍ تَصَايَحْنَ غُدُوَّةً
 بَيْنُنُونَةٍ الْأَحْبَابِ دَمْعُكَ سَافِحُ^(٦)

- (١) القطاة: ضرب من طيور الحمام. عزها: هنا بمعنى أمسك بها. الشرك: شبكة الصياد. يشبه الشاعر قلبه بقطاة، رمز الوداعة، وقعت أسيرة شرك صياد لا يرحم، تحاول جاهدة الطيران ولكنها لا تفلح بالتخلص مما هي فيه.
 (٢) القفر: الصحراء الموحشة. وسبب ذلك أن القطاة تركت جنى العمر فرخين في عشٍّ معرض لقسوة الطبيعة، تلعب به الرياح كيف شاءت.
 (٣) الرواح: المساء. دافع الخوف لدى الفرخين يجعلهما يركنان إلى عادة أمهما أن تعود مع المساء حاملة لهما الأمان والغذاء.
 (٤) فكرة استمرار الأسر. فقد باء رجاء القطاة بالفشل، فلم تعد لفرخيها ممّا يؤدي إلى موتهما مع المساء ولا هي استطاعت العودة إليهما مع الفجر.
 (٥) أودى به: أماته. المتوفر: عاد الشاعر مخاطباً الرعاة بعدما أورد لهما المثل، فلا يهتم ما هم فيه وعليه، والسبب أن الحب مهلكة لا محالة.
 (٦) البينونة، تصغير البين: البعد. دمعتك سافح: منهمر، من عادة العربي أن يرى في =

- نَعَمْ جَادَتْ الْعَيْنَانِ مِنِّي بِعَبْرَةٍ
 كَمَا سَلَّ مِنْ نَظْمِ اللَّالِي تَطَاوُحُ^(١)
 أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَا صِحْتَ بَعْدَهُ
 وَأَمَكْنَ مِنْ أَوْدَاجِ حَلْقِكَ ذَابِحُ^(٢)
 يَرُوعُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ ذَوِي الْهَوَى
 إِذَا أَمِنُوا التَّشْحَاجَ أَتَكَ صَائِحُ^(٣)
 وَعَدَّ سَوَاءَ الْحُبِّ وَاتْرُكُهُ خَالِيَاً
 وَكُنْ رَجُلًا وَاجْمَحْ كَمَا هُوَ جَامِحُ^(٤)

٤٠

رثاء عمه يزيد

[الطويل]

- خَلِيلِي هَلْ قَيْظٌ بِنَعْمَانَ رَاجِعُ
 لِيَالِيهِ أَوْ أَيَّامُهُنَّ الصَّوَالِحُ^(٥)

= نعيق الغراب شؤماً وفراقاً. تشاءم الشاعر لتصايح الغربان مؤذنة برحيل الأحبة وابتعادهم ممّا حمله على البكاء.

(١) العبّرة، بفتح العين: الدمعة. سَلَّ: سحب ببطء. تطاوَح: تساقط. نعم انهمر دمعي كأنه لؤلؤ تساقط من عقد لؤلؤي انقطع فتناثرت حباته.

(٢) الأوداج: عروق الرقبة. يدعو الشاعر على الغراب بالقتل تشقيماً أن يسخر الله له صياداً يمكنه من ذبح طائر الشؤم وقطع أوداجه.

(٣) يروع: يخيف. التشحاج: نعيق الغراب. يسبب نعيق الغراب رعباً لدى العشاق مخافة رحيل الأحبة، وقد اطمأنوا فيما مضى لاختفاء صوتك.

(٤) جمح الفرس: أفلت من فارسه. يخاطب الشاعر نفسه ويطلبها بتخطي حالة الحب السوي، وبأن يتمرد على حبه وضعفه وأن رجلاً سيد نفسه، وينفر كما ينفر الجواد ويتمرد على فارسه.

(٥) القَيْظ: الحر الشديد. نعمان: اسم واٍ. يخاطب الشاعر صديقه، على طريقة الشعراء، سائلاً هل الزمن يعيد أيام وادي نعمان بقسوتها وحرارتها حيث القطيعة والبعد عن الحبيبة أم يعيد أيام الهناء والسعادة حيث كان الشاعر ينعم بطراوة الحب ونداوته؟

أَلَا لَا وَلَا أَيَّامُنَا بِمُتَالِعِ
رَوَّاجِعُ مَا أَوْرَى بِزُنْدِي قَادِحُ^(١)
إِذِ الْعَيْشُ لَمْ يَكْدُرْ عَلَيَّ وَلَمْ يَمُتْ
(يَزِيدُ) وَإِذْ لِي دُو الْعَقِيدَةِ نَاصِحُ^(٢)

٤١

لقاء

[الكامل]

طَرَقْتُكَ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبِّرِ
بِحَاطِيطِمْ مَكَّةَ حَيْثُ كَانَ الْأَبْطَحُ^(٣)
فَحَسِبْتَ مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرَ كُلَّهَا
وَجِبَالَهَا بَاتَتْ بِمِسْكٍ تَنْفَحُ^(٤)

٤٢

فتنتني

[الطويل]

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي
بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٥)
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ
وَعَادَرْتَ مَا عَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٦)

- (١) مُتَالِع: اسم جبل في نجد. أَوْرَى: أشعل. الزند: العود تُشعل به النار. يجزم الشاعر أن تلك الأيام الهائلة السعيدة لن تعود إلى تلك الديار، فلا تزال نيران الأسى لفقدته تشتعل في جنبات نفسه.
- (٢) حيث كان العيش رغداً في كنف يزيد الرزين العاقل ذي الرأي الرشيد والنصح المخلص، فقد ولى وحمل معه كل شيء.
- (٣) و (٤) طرقتك: فاجأتك ليلاً في بيتك. فاجأتك أثناء تسبيح وتكبير الحجيج في بطحاء مكة في الحطيم بين ركن الكعبة وزمزم تنشر طيب عطرها فحسبت أن مكة بأسرها حتى جبالها تنشر المسك عطراً، فتتعش النفس بالحياة والقوة.
- (٥) و (٦) أدنيتني: قربتني. فتنتني: أوقعت بي في شباكك. العصم، واحدها أعصم: =

- فَمَا حُبُّ لَيْلَى بِالْوَشِيكِ انْقِطَاعُهُ
 (١) وَلَا بِالْمُؤَدَّى يَوْمَ رَدِّ الْمَنَائِحِ
 بِمَا نِلْتِ يَا لَيْلَى مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَا
 (٢) وَعِزَّةِ آبَاءِ كِرَامٍ جَحَاجِحِ
 تَعَالَيْ نَبْعُ دِينَأَ بِدُنْيَا لَذِيذَةِ
 (٣) فَمَنْجَرِ أَرْبَابِ الْهَوَى أَيُّ رَابِحِ
 وَنَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ مِنْ كُلِّ مَا جَرَى
 (٤) وَيَرْجِعُ مِنَّا صَالِحاً كُلُّ طَالِحِ

٤٣

الكبد المقروحة

[الطويل]

- وَلِي كَبِدٌ مَفْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي
 (٥) بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ

= الغزال في قوائمه بياض . الأباطح : الهضاب المنبسطة .
 يرسم الشاعر خريطة علاقته بحبيبته ، فقد عملت على تقريره منها بناغم القول
 الساحر الذي ينزل الوعول الممتنعة في جبالها ، حتى إذا ما تم لها ذلك عادت
 فتخلت عنه متيماً فتركته وغادرت قلباً بين حناياه يعتصره الألم من أجلها .
 (١) المتائح : الهبات . حب ليلى متمكن من النفس لذا لا يمكن انقطاعه . وتلك منحة
 لا يمكن ردها ، فأنا أعطيت عن رضى ولن أسترجعه .
 (٢) و (٣) الجحاجح : السادة الكرام . يستحلف الشاعر حبيبته بما امتازت به من جمال
 وبآبائها الكرام أن توافيه لإقرار عملية مقايضة حيث يبيعان الدنيا بالدين ، وتلك
 تجارة رابحة يجنيها المحبون .
 (٤) الطالح ضد الصالح . وفي حال تم ذلك نستغفر الرحمن عن كل ما جرى فنغسل
 ذنوبنا ، فينقلب الذنب مغفرة .
 (٥) القروح : الجراح . يعبر الشاعر عن ألم سببه الحب ، فقلبه أدمته الجراح ، ينزف
 وينزف وهو يريد أن يتخلص ممّا به فيسأل عمّن يبادل له قلبه بقلب خالٍ لا جراح فيه .

أَبِيعُ وَيَأْبَى النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا
 وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ^(١)
 أَئِنَّ مِنَ الشُّوقِ الَّذِي فِي جَوَانِبِي
 أَنِينَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيحٍ^(٢)

(١) إن الشاعر على استعداد لبيع قلبه بأبخس الأثمان، ولكنه لا يجد من يقايضه بقلب معافى لا يشغله شاغل.

(٢) وبدل غناء الفرح يئن الشاعر أنين الألم، فثمة شوق إلى من يحب والقلب يخفق بين الضلوع، الغصة تمنع التنفس كمن غصّ بالشرب وكاد يختنق.

قافية الخاء

٤٤

الغراب الناعب

[الطويل]

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَيَّجْتَ لَوْعَتِي
 فَوَيْحَكَ خَبَّرَنِي بِمَا أَنْتَ تَصْرُخُ^(١)
 أَبِالْبَيْنِ مِنْ لَيْلَى؛ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا
 فَلَا زَالَ عَظْمٍ مِنْ جَنَاحِكَ يُفْسَخُ^(٢)
 وَلَا زَالَ رَامٍ فِيكَ فَوْقَ سَهْمِهِ
 فَلَا أَنْتَ فِي عُشٍّ وَلَا أَنْتَ تُفْرَخُ^(٣)
 وَلَا زِلْتَ عَنْ عَذْبِ الْمِيَاهِ مُنْقَرًا
 وَوَكُرُكَ مَهْدُومًا وَبَيْضُكَ يُرْضَخُ^(٤)

(١) و (٢) ورد البيت في: الإنصاف، لابن الأنباري معزواً لقيس بن ذريح صفحة ٢٥٥. البين: الفراق. يخاطب الشاعر الغراب رمز الشؤم أنه أثار فيه الرعب لنعيقه، فيسأله عن سبب ذلك والداعي له، إذ كان يؤذن بفراق ليلى. فيهدده إذا كان صادقاً فإنه سوف يخلع جناحيه من كتفيه.

(٣) و (٤) ورد البيت في: الإنصاف لابن الأنباري معزواً لقيس بن ذريح صفحة ٢٥٥. فوق السهم: صوبه. يدعو الشاعر على الغراب أن يبعث الله تعالى له صياداً يصوب سهماً قاتلاً ممّا يثير الرعب لديه فلا يأمن في عشه ولا يفرخ، ولا يرد الماء العذب لخوفه ممّا يؤول إليه، وأن يشمل الخراب وكره ويهشم بيضه ليحرم جنسه التجدد في الحياة.

فَإِنْ طُرْتُ أَرْدَتَكَ الْحُتُوفُ وَإِنْ تَقَعَ
 تَقْيِضُ ثُغْبَانَ بِوَجْهِكَ يَنْفُخُ^(١)
 وَعَايَنْتَ قَبْلَ الْمَوْتِ لَحْمَكَ مُشْرِحاً
 عَلَى حَرِّ جَمْرِ النَّارِ يُشْوَى وَيُطْبَخُ^(٢)
 وَلَا زِلْتَ فِي شَرِّ الْعَذَابِ مُخَلِّداً
 وَرِيشُكَ مَنُتُوفٌ وَلَحْمُكَ يُشْدَخُ^(٣)

(١) الحتوف، مفردا حُتِفَ: الموت. تقْيِضُ: تسبب وتوفر. يتابع الشاعر دعاءه على الغراب أن تلاحقه طرق الموت بشتى الوسائل أثناء طيرانه، وفي حال حطه على الأرض أن يلتقيه ثعبان مميت يلدغه لدغة العدم.

(٢) ورد البيت في الإنصاف لابن الأنباري معزواً لقيس بن ذريح صفحة ٢٥٥. وأن يرى الغراب لحمة ممزقة ساعة النزوع ومشروحاً يُشْوَى ويطبخ زيادة في التشفي من قبل الشاعر.

(٣) ورد البيت في الإنصاف لابن الأنباري معزواً لقيس بن ذريح صفحة ٢٥٥. شدخ: كسر. ويتمنى الشاعر للغراب عذاباً دائماً لا ينتهي مع الزمن وأن ينتف ريشه ويمزق لحمة.

قافية الدال

٤٥

الجراد الجائع

[الرجز]

حَبِّ إِلَيْنَا بِكَ يَا جَرَادُ
أَرْضٌ وَإِنْ جَاعَتْ بِكَ الْأَكْبَادُ
وَضَاقَتْ الْأَصْدَارُ وَالْأَوْرَادُ
وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ لَنَا عَتَادُ
ولا لأبناء السبيل زاد^(١)

٤٦

بنفسي أنت

[الطويل]

أَقُولُ لِأَصْحَابِي: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا
قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ^(٢)
لَقَدْ عَارَضَتْنا الرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ
على كَبْدي مِنْ طَيْبِ أَرْوَاحِهَا بَرْدُ^(٣)

(١) من عادة الأعراب أن يأكلوا الجراد. نزل الجراد بأرض الشاعر، وكان منهكاً، ضاوي البطن في وقت ضيق وعسريد، ولم يكن للقبيلة فضل زاد متوفراً لديهم، فقد عمّ الفقر، وجفّ الزرع والضرع. وليس من عادة العرب البخل لمن نزل بديارهم، فأهلاً بضيف عزيزاً.
(٢) يتحدث الشاعر لأصحابه عمّن يحب، إنها الشمس، بما يتمثل بها الضياء والدفع سهل رؤيتها صعبة المنال، لا تدركها الأيدي والوصول إليها مستحيل.
(٣) حملت الرياح الرقيقة نفحة ردّت لي الروح منها فكانت برداً وسلاماً فابتردت كبدي وهدأت نفسي.

فما زِلْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ وَقَدْ مَضَتْ
 أَنَاةٌ وَمَا عِنْدِي جَوَابٌ وَلَا رَدُّ^(١)
 أَقْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِعَوْلَةٍ
 يُفْدُونَنِي لَوْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْدُوا^(٢)
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظْمُ عَارِيًّا
 وَلَا عَظْمٌ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جِلْدُ^(٣)
 أَذْنِيَّايَ مَا لِي فِي انْقِطَاعِي وَغُرْبَتِي
 إِلَيْكَ ثَوَابٌ مِنْكَ دَيْنٌ وَلَا نَقْدُ^(٤)
 عِدِينِي - بِنَفْسِي أَنْتِ - وَعُدًّا فَرَبِّمَا
 جَلَا كُرْبَةُ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ الْوَعْدُ^(٥)
 وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كَبَلِيَّتِي
 وَلَا مِثْلَ جَدِّي فِي الشَّقَاءِ بَكُمْ جَدُّ^(٦)

- (١) الأناة: الصبر. من جزاء ذلك فما أزال مغشياً عليّ وسرعان ما مضت تلك النسمة الرقيقة، بلا جواب ولا ردّ من الحبيبة.
- (٢) و (٣) إن الشاعر في حالة انعدام الوزن؛ فالأصحاب يقلّبونه للتأكد من حياته أو مماته وأهله يُعولون ويبكون، ولو استطاعوا لفدوه بما يملكون ولكن الأمر ليس بأيديهم، فأمامهم شبه إنسان، جلد وعظم، وقد يتفتت العظم ولا يبقى من هيكله الإنساني سوى جلد يبست فيه الحياة وانعدمت.
- (٤) لم يحصد الشاعر من دنياه سوى الألم والحرمان لذا ففي حال موته فلن يعود ثانية إليها وقد أذى ضريبة الحياة فلا دين لها عليه ونقد.
- (٥) لا يزال يحاور الدنيا، فهو يطلب وعداً صادقاً يحمل إليه الحياة والخلاص من العذاب، ويزيل عنه إحساس الكرب والغم.
- (٦) الجدّ، يفتح الجيم الحظّ. الحظّ العاثر قد يصيب قوماً، ولكن حظّي ومصيّتي لا يقوى عليها أحد ولا يمكن أن تنزل بساحة أحد سواي.

عَزَّتْنِي جُنُودُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ أَتَى جُنْدٌ^(١)

٤٧

قاتل الله الهوى

[الطويل]

أَيَا حُبِّ لَيْلَى دَاخِلًا مُتَوَلِّجًا
شُعُوبَ الْحَشَا هَذَا عَلَيَّ شَدِيدٌ^(٢)
أَيَا حُبِّ لَيْلَى عَافِنِي قَدْ قَتَلْتَنِي
فَكَيْفَ تُعَافِينِي وَأَنْتَ تَزِيدُ^(٣)
وَيَا حُبِّ لَيْلَى أَعْطِنِي الْحُكْمَ وَاحْتَكِمُ
عَلَيَّ فَمَا يُبْغِي عَلَيَّ شُهُودٌ^(٤)
أَرَاكَ عَلَى نَيْرَيْنِ وَالْحُبُّ كُلُّهُ
عَلَى وَاحِدٍ يَبْلَى وَأَنْتَ جَدِيدٌ^(٥)

(١) للحب جنود شرسة مقاتلة إذا ما نزلوا بساحة مهزوم قضوا عليه. إني بحرب لا هوادة فيه ولا لين ما تنفك فرقة تنتهي من مقاتلي حتى تحل مكانها فرقة أخرى؛ ويستمر النضال والصراع.

(٢) متولجاً: داخلاً. شعوب الحشا: جنبات القلب. يخاطب الشاعر حب ليلي الذي غزا شغاف قلبه وتمكن من كل جزء منها بحيث لا يحتمل ما حل به.

(٣) لا زال الشاعر يخاطب حب ليلي؛ فالحب يحيا عادة، ولكنه الآن مقاتل شرس، لذا يطلب منه أن يشفيه، وبذل أن يساعده على الشفاء يزيد إمعاناً في مقاتلته.

(٤) لا زال الشاعر يخاطب حب ليلي أن يكون حاكماً عادلاً وأن يحكم له لا عليه، فثمة شهود حق يصدقونك القول أنني عاشق متميم، ملك الحب عليه نفسه وجوارحه، ولن يعدلوا عن الحق.

(٥) النيرين، واحدهما نير: والنير هذب الثوب ولحمته، فإذا نسج على نيرين كان أمتن وأبقى. والشاعر يرى أن الحب أحكم النسج على نيرين وهو متجدد، ولو كان على نير واحد وبخيطة واحد لكان عُرضة للبلى والانحلال.

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى مَا أَشَدَّهُ
وَأَسْرَعَهُ لِلْمَرَّةِ وَهُوَ جَلِيدٌ^(١)
دَعَانِي الْهَوَى مِنْ نَحْوِهَا فَأَجَبْتُهُ
فَأَصْبَحَ بِي يَسْتَنْ حَيْثُ يُرِيدُ^(٢)

٤٨

عودة الروح

[الطويل]

أَجَبْتُ بِلَيْلَى مَنْ دَعَانِي تَجَلُّدًا
عَسَى أَنْ كَرَّبِي يَنْجَلِي فَأَعُودُ^(٣)
وَتَرْجِعُ لِي رُوحَ الْحَيَاةِ فَإِنِّي
بِنَفْسِي لَوْ عَايَنْتُنِي لِأَجُودُ^(٤)
سَقَى حَيَّ لَيْلَى حِينَ أَمْسَتْ وَأَصْبَحَتْ
مِنْ الْأَرْضِ مِنْهُلُّ الْعَمَامِ رَعُودُ^(٥)
عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ دَنَتْ أَوْ تَبَاعَدَتْ
أَنَا كَلِفٌ صَبٌّ بِهَا وَعَمِيدُ^(٦)
فَلَا الْبُعْدُ يُسْلِنِي وَلَا الْقُرْبُ نَافِعِي
وَلَيْلَى طَوِيلٌ وَالسُّهَادُ شَدِيدُ^(٧)

(١) الجليلد: الصبور في الشدائد. يدعو الشاعر على الحب لشدته وسرعته يفاجئ المرء بقوته ويحكم القبضه عليه، وهو صبور حتى ينتصر على ضحيته.

(٢) يستن: يذهب به كل مذهب. كانت سرعة استجابة الشاعر للحب سريعة بلا تردد، فتمكن منه يوجهه حيث يشاء وهو راض لا يقاوم ولا يحاول فكاً.

(٣) و (٤) تجلّد: تصبّر. الكرب: الحزن الشديد. ينجلي: ينكشف، يزول. أجبت طلب من دعاني للصبر عسى أن يتبدل الحزن وينكشف عني الهم، فأرجع خلي البال هادئ النفس، وليس لي سوى ليلى حبيبة، وبذلك تعود لي الحياة يزخمها وجمالها، ولذا فأنا على استعداد لو طلبت مني أن أجود بنفسي لفعلت راضياً.

(٥) يدعو الشاعر بالخير على حيّ ليلى ويتمنى له رواء ونماء في كل وقت ليلاً ونهاراً ومطرًا مخصباً.

(٦) و (٧) فمهما تبدلت الأحوال، في حال قربها أو بعدها، فإنه مشغوف بها يسوقه =

يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ، إِذْ يَرُصِدُونَنِي،
 وَمِنْهُمْ عَلَيْنَا أَعْيُنٌ وَرُصُودٌ^(١)
 سَلَ كُلُّ صَبٍّ حُبِّهِ وَخَلِيلُهُ
 وَأَنْتَ لَلْيَلَى عَاشِقٌ وَوُدُودٌ^(٢)
 فَدَعْنِي وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
 بِنَارٍ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَقُودٌ^(٣)
 أَعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بَقَايَا حُشَّاشَةٍ
 عَلَى رَمْتِي وَالرُّوحُ فِيَّ تَجُودٌ^(٤)

٤٩

حليف الأسي

[الطويل]

أَيَا لَيْلَ مَا لَلصُّبْحُ مِنْكَ بَعِيدُ
 وَإِنِّي لَمَحْزُونُ الْفُؤَادِ عَمِيدُ^(٥)

= الشوق، لذا لا البعد يدخل العزاء إلى نفسه ولا حتى في القرب منها يقصر ليله وينعم بنوم هادئ، بل يحل في ساحته القلق والسهر الطويل.

(١) و (٢) يرصدونني: يراقبونني ويحصون عليّ حركاتي. يعمل الواشون على التفريق بين الشاعر وحبّيته، فهم يتجسسون عليهما ويحصون كلّ صغيرة وكبيرة عليهما، وهم يوجهون له كلاماً، ظاهره النصيحة، وهم يقصدون إيقاع الخصومة بين الحبيبين بقولهم: يبعد من تعذب بحبه عن أحبّ لينسى عذابه وآلامه ويتخلّى عنه، بينما أنت لا تزال عاشقاً متيمّاً وأداً لليلي وبالتالي تجرّ على نفسك الآلام والعذاب بؤدك وحبك لها. (٣) يرّد على الواشي بأن يتركه مع ألمه وعذابه، فنار الهوى بين الضلوع لها لهيب يحلو للمحبين اشتعاله المطهر للنفس والروح.

(٤) الحشاشة: بقية روح فيمن يشرف على الموت. الرمة: رفات الميت الذي بلي جسده. الشاعر طبيب نفسه يعمل على شفاء جسده المتلاشي وترميم روحه ومشاعره، فروحه تجود بما لديها من أنفاسها الأخيرة.

(٥) عميد: مضمي الحب. يراود الشاعر أمل الخلاص من عذابه، فالفجر يبدو في أفق الحياة قريباً، فتشع إشراقة السعادة لقلب هذه الحزن وأضناه الحب.

- أُرَاعِي نُجُومَ اللَّيْلِ سَهْرَانِ بَاكِياً
 قَرِيحَ الْحَشَا مِنِّي الْفُؤَادُ فَرِيدٌ^(١)
 بِحُبِّكَ يَا لَيْلَى ابْتُلَيْتُ وَإِنِّي
 حَلِيفُ الْأَسَى بَاكِي الْجُفُونِ فَقِيدٌ^(٢)
 لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي
 وَفَاضَتْ جُفُونِي وَالْغَرَامُ يَزِيدُ^(٣)
 أَكْبِيدُ أَحْزَانِي وَنَارِي وَحُرْقَتِي
 وَوَضْلُكَ يَا لَيْلَى - أَرَاهُ - بَعِيدٌ^(٤)
 لَقَدْ عِيلَ صَبْرِي مِنْ غَرَامِي وَوَحْدَتِي
 وَعُظْمُ اشْتِيَاقِي، هَائِمٌ وَوَحِيدٌ^(٥)

٥٠

حتى الممات

[الطويل]

- فَمَا لِلنُّجُومِ الطَّالِعَاتِ نُحُوسُهَا
 عَلَيَّ أَمَا فِيهَا الْعَدَاةُ سُعُودٌ^(٦)

- (١) ليل الشاعر سهاد وقلق طويل يساهر النجوم ويرقب أفولها كلّ طلائع الفجر تأتي بجديد، والدموع لغة قلب أدماه الهم، فريد فيما يحمل من عذاب لا يحمله الآخرون.
 (٢) حبّ ليلى امتحان عسير نزل بساحة الشاعر لغته طلاس لا يستطيع قراءتها، وهو في حالته هذه؛ فالأسى حليفه لا يفارقه، والدمع لغة العيون الناطق بالبؤس والعذاب، وهو حيّ ميت ينطق بلغة الأحياء.
 (٣) فليل الشاعر طويل لا ينقضي، بكاء دائم، وجفون قرحها الألم لا تفتأ مستمرة بالنزف، وغرام يطرق باب هدوئه لا يتوقف عند حدّ يزيد باستمرار.
 (٤) و (٥) ليل الشاعر صراع دائم على كلّ صعيد، على أحزانه وناره وحرقة بصير عجيب، على أن يكون لقاء ولكنّ وصلك بعيد حتى نفذ ما لديّ من صبر ولم يعد لديّ من قدرة على التحمل؛ فحبي لك دائم ووحدتي لا أنيس لها واشتياقي لك في ازدياد، همت أفتش عن سلوأي.
 (٦) نجوم النحس ترمقني وهي تتلألأ في السماء هازئة بي وبمصري، أليست تحلّ في سماء حياة نجوم السعد بدلاً منها؟

- أَلَا لَيْتَنِي قَدْ مُتُّ شَوْقاً وَوَحْشَةً
 بِفَقْدِكَ لَيْلَى وَالْفُؤَادُ عَمِيدٌ^(١)
 وَإِنْ تَبْعُدِي يَا لَيْلَ لَمْ أَشُلْ عَنْكُمْ
 وَلَكِنْ حُبِّي وَالْغَرَامُ جَدِيدٌ^(٢)
 وَإِنْ تَقْرَبِي يَا لَيْلَ وَالْحُبُّ صَادِقٌ
 كَمَا كَانَ يَنْمُو وَالنَّوَالُ بَعِيدٌ^(٣)
 وَإِنْ كَانَ هَذَا الْبَعْدُ أَخْلَفَ عَهْدَكُمْ
 فَحُبِّي لَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ يَزِيدُ^(٤)

٥١

حسد

[البسيط]

- أَرَى الْإِزَارَ عَلَى لَيْلَى فَأَحْسَدُهُ
 إِنَّ الْإِزَارَ عَلَى مَا ضَمَّ مَحْسُودٌ^(٥)

- (١) يتمنى الشاعر لو أن الموت نزل بساحته لفقده حبيبته من شدة شوقه وشعوره بالوحشة لفراقها، فقلبه أفعمه الحزن كمدأ.
 (٢) وبعدك يا ليلي لن يُحِيلَ مشاعري نحوك فأستبدل عادة أخرى بحبك، فحبك في القلب متجدد دائم.
 (٣) رغم قناعة الشاعر أن لقاء الحبيبة بعيد، فهو صادق الحب وهو يتمنى قربها لتكتمل سعادته.
 (٤) البعد عن الأحبة يُميت المشاعر، فلو كان بعدك عني حملك على نسيان حبك لي وإخلاف عهدي لي ونسيانه فكوني على يقين أن حبك ملاً عليّ روحي ونفسي وهو يزداد حتى الممات.
 (٥) الإزار: ثوب يغطي جسد المرأة ووجهها ويشدّ على وسطها. حسد عجيب، لأن الإزار استحوذ على جسد من يحبّ وستره، والشاعر يتمنى لو يُستبدل بالإزار، فيحلّ محله.

٥٢

همّ جديد

[الوافر]

- أَرْقُتُ وَعَادَنِي هَمٌّ جَدِيدٌ
 فَجِسْمِي لِلْهَوَى نَضُوبٌ بَلِيدٌ^(١)
 أَرَا عِي الْفَرَقْدَيْنِ مَعَ الثُّرَيَّا
 كَذَاكَ الْحُبُّ أَهْوَنُهُ شَدِيدٌ^(٢)
 عَلِقْتُ مَلِيحَةَ الْخَدَّيْنِ وَرَدًّا
 تُشَابُهُ حُسْنٌ مَطْلَعِهَا السُّعُودُ^(٣)
 أَهْيَمُ بِذِكْرِهَا وَأَظْلُ صَبًّا
 وَعَيْنِي بِالدُّمُوعِ لَهَا تَجُودُ^(٤)
 أَلَا يَأْتِي لَخْدِكِ كَانَ لَخْدِي
 إِذَا ضَمَّتْ جَنَائِزَنَا اللَّحُودُ^(٥)

- (١) و (٢) النضوب: الهزيل. بليد: كسول. ليل العشاق ليل طويل إن لم ينعموا بلقاء الأحبة. فالشاعر أرقه همّ جديد عاوده؛ وطول السهر وتجدد الحزن من أجل حبّ لا نهاية له هذ كيانه وأنحل جسده. وليله طويل ونظره معلق بالسماء يرقب الفرقدين علّه يهتدي بهما إلى من يحبّ، وإلى جانبهما الثريا تنير سماء ليله، وهكذا حال المحبين سهر وألم وهذا أهون ما يأتي به الحب.
- (٣) أحبّ الشاعر جميلة ذات خدين يتفجّر فيهما الحسن والجمال ونضرة الشباب، فإذا ما أقبلت أقبل معها السعد والبشرى.
- (٤) سماع اسم الحبيبة يجعل المحبّ في حالة نشوى يود سماع ذكرها باستمرار وكأنه في عالم غير هذا العالم، وبدل شعوره بالفرح تنهمر عيناه بالدموع لفراقهما.
- (٥) يتمنى الشاعر أن يضمهما قبر واحد، فإن لم يجتمعا في عالم الأحياء فليجمعهما عالم الأموات.

٥٣

أهل الهوى

[الوافر]

ذَكَرْتُ عَشِيَّةَ الصَّدَفَيْنِ لَيْلَى
وَكُلَّ الدَّهْرِ ذَكَرَاهَا جَدِيدُ^(١)
إِذَا حَالَ الْغُرَابُ الْجَوْنُ دُونِي
فَمُنَّقَلَبِي إِلَى لَيْلَى بَعِيدُ^(٢)
عَلَيَّ أَلِيَّةٌ إِنْ كُنْتُ أَذْرِي
أَيَنْقُصُ حُبُّ لَيْلَى أَمْ يَزِيدُ^(٣)
لَهَا فِي طَرْفِهَا لَحَظَاتٌ حَثْفِ
تُمِيتُ بِهَا وَتُحْيِي مَنْ تُرِيدُ^(٤)
وَإِنْ غَضِبْتَ رَأَيْتَ النَّاسَ هَلَكَى
وَإِنْ رَضِيتَ فَأَزْوَاجُ تَعُودُ^(٥)
فَقُلْنَ: لَقَدْ بَكَيتَ. فَقُلْتُ: كَلَّا
وَهَلْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الْجَلِيدُ^(٦)؟
وَلَكِنْ قَدْ أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي
عُوبِدُ قَدْ ذَى لَهُ طَرْفُ حَدِيدُ^(٧)

- (١) الصدفين: اسم مكان. في الصدفين كان لقاء الشاعر بحبيبته، شاءت الأقدار أن ينزل الشاعر مجدداً في ذلك المكان، فتجدد إحساس الشاعر لتذكره اللقاء، وذكرها متجددة دائماً مهما امتد الزمن.
- (٢) الجون: الأسود. الغراب رمز البعد والغربة، فلو أنه حال دون لقاء ليلي، فلقائي بها مستحيل.
- (٣) أليّة: قسم. يُقسم الشاعر أنه لا يعرف إذا استمرت القطيعة بينهما هل يقل حبه ليلي أم يزيد.
- (٤) و (٥) الطرّف، بسكون الراء: النظر. ترمي ليلي بسهام نظراتها، فهي تميت من أرادت موته وتُحيي من التفتت إليه بوداعة وحب. وهي في حالة الغضب أهلكت، وهي في حال رضاها تردّ الروح لمن رضيت عنه.
- (٦) و (٧) وبدافع الفضول تقول نسوة: إنك تبكي، فيردّ الشاعر أنه لم يفعل، ولا يبكي =

فَقُلْنَ: فَمَا لِدَمْعِهِمَا سَوَاءٌ
 أَكَلْتَا مُقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُوْدُ^(١)
 وَجَدْتُ الْحُبَّ نِيرَانًا تَلْظَى
 قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا وَقُودُ^(٢)
 فَلَوْ كَانَتْ إِذَا اخْتَرَقَتْ تَفَانَتْ
 وَلَكِنْ كُلَّمَا اخْتَرَقَتْ تَعُوْدُ^(٣)
 كَأَهْلِ النَّارِ إِذْ نَضِجَتْ جُلُودُ
 أُعِيدَتْ - لِلشَّقَاءِ - لَهُمْ جُلُودُ^(٤)

٥٤

حتى متى هذا الصدود؟

[الطويل]

أَيَا عَمُرُو كَمْ مِنْ مُهْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ
 مِنْ النَّاسِ قَدْ بُلِيَتْ بِوَعْدٍ يَقُودُهَا^(٥)

- = المسرور الصابر المتجلد. وسبب ذلك أن قَدَى أصابت عينه فدمعت، ونظره قوي.
- (١) حمل إلحاح النسوة على معرفة الحقيقة أن عدُن إلى نفس السؤال بمماحكة. ما الذي جعل عينيك الاثنتين تدمعان؟ وهل أصابهما نفس العود؟
- (٢) و (٣) ردّ الشاعر على النسوة أن نيران الحبّ دائمة الاشتعال تجعل من قلوب العاشقين مواقد لها، ولكن تلك القلوب لا تذوب فيستريح المحبون، بل على العكس كلما ازداد اللهب تجددت فيها القدرة على الحياة والتجدد.
- (٤) تشبه حالة المحبين حال من كُتب عليه العذاب من الكفار والمشركين أنه كلما نضجت جلودهم بذل الله تعالى لديهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب دون توقّف في نار جهنم.
- (٥) يقصد بالمهرة: المرأة الحرة. يوجه الشاعر كلامه إلى عمرو أن كثرات من النساء الحرّات العربيات ابتليت بأزواج أوغاد يعملون على استغلالهن واستعبادهنّ بقلوبهم الغليظة وطباعهم اللثيمة.

يَسُوسُ وما يَذْري لها مِنْ سِياسَةٍ
 يُريدُ بها أَشياءَ لَيْسَتْ تُريدُها ^(١)
 مُبَتَّلَةُ الأَعْجَازِ زانَتْ عَقودَها
 بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْها عَقودُها ^(٢)
 خَليلِي شَدًّا بِالْعِمَامَةِ واخْزِما
 على كَبِدٍ قَدْ بَانَ صَدْعاً عَمودُها ^(٣)
 خَليلِي هَلْ لَيْلَى مُؤَدِّيَّةٌ دَمِي
 إِذا قَتَلْتَنِي أو أَمِيرٌ يُقَيِّدُها ^(٤)
 وَكَيْفَ تُقَادُ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ لَمْ تَقُلْ
 قَتَلْتُ، وَلَمْ يَشْهَدْ عَلَيْها شَهودُها ^(٥)
 وَلَنْ يَلْبَثَ الواشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا العَصَا
 إِذا لَمْ يَكُنْ صُلْباً على البَرِّي عودُها ^(٦)

- (١) يسوس: يقوم بتدبير أمور من يتولى أمورهم. يمتاز هؤلاء الرجال بجهل القيام بأمور زوجاتهم فيجبرونهن على فعل لا يردن القيام به.
- (٢) مُبَتَّلَة: طاهرة الذيل. رب امرأة طاهرة الذيل، جميلة المخبر تصفي على زينتها زينة وجمالاً أكثر مما توحيه تلك العقود من روعة.
- (٣) صدع: هدم وحطم، يخاطب الشاعر صاحبيه طالباً منهما مساعدته على التخلص من آلام رأسه بشد العمامة وتعصيب رأسه وجمع كبده المتألّمة لما أصابه من حزن وألم.
- (٤) مؤدّية دمي: تدفع دية قتلي. يُقيدُها: يقوم بقتلها بدلاً من قتله. يخاطب الشاعر صاحبيه سائلاً إذا قُتل هل ستدفع مالاً لمن يقتله أو أن الأمير سيقتلها بدلاً منه؟ أي هل تقتديه بنفسها؟
- (٥) يسأل الشاعر منكرًا أن يُقتل البريء بالمدنّب ولم يعترف بذنبه، ولم يشهد عليه أحد بما حصل.
- (٦) صدع: كسر. لا يستطيع الواشون التفريق بين الشاعر ومحبوبته، مهما حاولوا ذلك ببذر الشقاق بينهما، إن لم تكن علاقتهما صلبة يصعب كسرها.

- نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسُرُّنِي
 بِهَا حُمْرُ أُنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا ^(١)
 إِذَا جِئْتُهَا وَسَطَ النِّسَاءِ مَنَحْتُهَا
 صُدُوداً كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْسَتْ تُرِيدُهَا ^(٢)
 وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْهَوَى
 كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قَدْ أَصِيبَ وَحِيدُهَا ^(٣)
 فَحَتَّى مَتَى هَذَا الصُّدُودُ إِلَى مَتَى
 لَقَدْ شَفَّ نَفْسِي هَجْرُهَا وَصُدُودُهَا ^(٤)
 فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مُعَلَّقٌ
 بِعُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا ^(٥)

٥٥

حيرة محب

[الطويل]

- يَقُولُونَ: لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ
 فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا ^(٦)

- (١) الأنعام: الماشية من غنم وبقر وإبل. نظر الشاعر إلى حبيبته نظرة حب ملؤها السعادة لا تساويها نظرة من حصل على مواشي البلاد من حمر النعام وسودها.
 (٢) محافظته على سمعة من يحب، فإذا التقاها وسط جمهرة من النساء لم يلتفت إليها بل يتغافل عنها كي لا يُشكَّ بأمره بأنه يحبها.
 (٣) الثكلى: المرأة التي فقدت عزيزاً عليها من ولد. فإذا بعد عنها نظر بحزن بعدما أبدى الصدود نظرة من تيمم الهوى، كما تنظر من فقدت من الأمهات وحيدها.
 (٤) يسأل الشاعر إلى متى سيستمر هذا الصدود والنفس ألمها الهجر والبعد وصدودها.
 (٥) الثمام: ضرب من النبات ضعيف العود. تأوَّد: تلوى ألماً. يصوّر الشاعر الحالة التي آلت إليها حالته من ضعف وهزال نتيجة ما حل بجسده، فلو علّق على عود ثمام لما التوى العود، لشدة ضعفه.
 (٦) عاد المريض: زاره اطمئناناً. تنامى إلى مسمع الشاعر أن ليلي مريضة في العراق تفصل بينه وبين ليلي مساحات واسعة، ولكنه سارع للاطمئنان عليها من مصر دون إبطاء إلى العراق.

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا
أَبْرُئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا^(١)

٥٦

حظي الصدود

[الطويل]

وَتَعَذُّبُ لِي مِنْ غَيْرِهَا فَأَعَاْفُهَا
مِشَارِبُ فِيهَا مَقْنَعٌ لَوْ أُرِيدُهَا^(٢)
وَأَمْنَحُهَا أَقْصَى هَوَايَ وَإِنِّي
عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ حَظِّي صُدُودُهَا^(٣)

٥٧

الحديث الممتع

[الطويل]

مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا
إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوثُهُ لَوْ تُعِيدُهَا^(٤)

- (١) يُقسم الشاعر أنه لا يعلم إذا كانت زيارته لها تعني شفاءها أو ازدياد حالتها المرضية سوءاً، وهذا يكشف مدى حب ليلى للشاعر في حال رؤيتها له أمامها.
أورد لسان العرب ٦: ٣٤٢ مادة «كشش» ذاكراً اللغات المموجة، بقوله: «والكشش: لغة لربيعه، وفي الصحاح: لبني أسد يجعلون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة، فيقولون: عليش ومُنشٍ وبِشٍ... وأنشدوا للمجنون: فعيناش عيناها وجيدش جيدها».
- (٢) عاف الشيء: كرهه. كل عذب يحلو للمرء التلذذ بتدوقه. فأى شيء يُقدّم له من يد غيرها يعافه الشاعر ولو كان بحاجة إليه، لذا فما تقدّمه حبيبته له يلذّ له شربه.
- (٣) الشاعر كريم مع حبيبته يُقدّم لها حبّه ويكرّس لها نفسه، رغم ثقته أنها لن تبادله المشاعر لأن حظه منها الصدود والهجران.
- (٤) إنها من الأحرار الحبيبات، يلذّ لمن يجالسها سماع حديثها لما فيه من حلاوة، فيودّ لو أنها تعيده وتكرّره مرّاتٍ ومرّاتٍ.

٥٨

رؤيا

[الطويل]

- زَهَا جِسْمٌ لَيْلَى فِي الثِّيَابِ تَنَعُّماً
 فَيَا لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ بَعْضَ بُرُودِهَا^(١)
 أَفِي النَّوْمِ يَا لَيْلَى رَأَيْتُكَ أَمْ أَنَا
 رَأَيْتُكَ يَحْفَظَانَا فَعِنْدِي شُهُودُهَا^(٢)
 ضَمَمْتُكَ حَتَّى قُلْتُ: نَارِي قَدْ انْطَفَتْ
 فَلَمْ تُطْفِئْ نِيرَانِي وَزَيْدَ وَفُودُهَا^(٣)

٥٩

شكوى

[الطويل]

- فَيَا قَلْبُ مِتْ حُزْناً وَلَا تَكُ جَارِعاً
 فَإِنَّ جَزُوعَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِخَالِدٍ^(٤)
 هَوَيْتَ فَتَاةً نَيْلَهَا الْخُلْدُ فَالْتَمِسْ
 سَبِيلاً إِلَى مَا لَسْتَ يَوْماً بِوَاجِدٍ^(٥)

- (١) زها: افتخر وتكبر. برودها، مفردها برد: ضرب من الأكسية السوداء. ترف ليلي يبدو من لباسها الثمين، إنها تتمايل دلالة فيبدو جسدها جميلاً مثيراً، فيتمنى الشاعر لو كان بعضاً من ثيابها.
- (٢) يتوحد الحلم والواقع في نظر الشاعر، لذا فهو لا يدري إذا ما كان ذلك في الحقيقة أم في المنام، فهو فقط شاهد الرؤيا.
- (٣) ضم الشاعر حبيبته في الحلم حتى ظن أن لهيب نار حبه قد خمدت وما إن تركها حتى انتهى الحلم وعاد إلى الواقع فعاد اللهب إلى ما كان عليه بل ازداد.
- (٤) و (٥) يوجه الشاعر كلامه إلى قلبه ويطلب منه أن يموت حزناً؛ فالموت يثير خوفاً لدى الضعفاء، فلا تخف؛ فالخوف لن يكون سبب خلود المرء. لقد علقت بغادة لا أستطيع الحصول عليها في عالم الحياة الزائلة بل سيكون ذلك في عالم الخلود في الجنة. فعليك أن تسلك طريقاً تؤدي بك إلى لقائها ذات يوم.

- هَوَيْتَ فَتَاةً كَالْعَزَالَةِ وَجْهَهَا
 وَكَالشَّمْسِ يَسْبِي دُلْهَا كُلَّ عَابِدٍ^(١)
 وَلِي كَبِدٌ حَرَّى وَقَلْبٌ مُعَذَّبٌ
 وَدَمْعٌ حَثِيثٌ فِي الْهَوَى غَيْرُ جَامِدٍ^(٢)
 وَآيُهُ وَجِدِ الصَّبِّ تَهْطَالُ دَمْعُهُ
 وَدَمْعُ الشَّجِيِّ الصَّبِّ أَغْدَلُ شَاهِدٍ^(٣)
 عَلَى مَا انْطَوَى مِنْ وَجْدِهِ فِي ضَمِيرِهِ
 عَلَى الْإِنْسَاتِ النَّاعِمَاتِ الْخَرَائِدِ^(٤)
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ الدَّهْرَ جَادَ بِرَجْعَةٍ
 وَهَيْهَاتَ، إِنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِعَائِدٍ^(٥)
 إِلَيْكَ فَعَزَّ النَّفْسَ وَاسْتَشْعِرِ الْأَسَى
 فَحُبُّكَ يَنْمِي زَائِدًا غَيْرَ بَائِدٍ^(٦)

- (١) أحب الشاعر فتاة رقتها رقة الغزالة وتناسق جمالها، وجهها بديع جميل، فإذا أطلت فإطلالها إطلالة الشمس بنورها وإشراقها ودفئها، حتى من كرس نفسه لعبادة خالق السموات والأرض جعلته أسير جمالها واستعبده.
 (٢) إنه ذات كبد ملتهبة المشاعر، وقلب استحوذ عليه العذاب، ودمع سيله لا يعرف التوقف ولا يجمد بسبب عشقه حبيته.
 (٣) ما يدل على حب الشاعر وصدقه في ذلك دمع غزير، فدمع المحب دلالة شاهدة صادقة على ما يعانيه من بؤس وعذاب في حبه.
 (٤) الخرائد، واحدها خريدة: الفتاة الحبيبة البكر. حب الشاعر لليلي جعله يحب بني جنسها ممن تتمثل فيهن صفات حبيته؛ فهو يخفي حباً معذباً في حناياه لها.
 (٥) يتمنى الشاعر لو أن وجود الزمن يعود الأيام الخوالي السعيدة، ولكن التجربة أثبتت له أن ذلك محال، وهنا يكمن سرّ تعاسته.
 (٦) يحاول الشاعر أن يكون منطقياً وأن يستسلم لواقعه، فعليه أن يجد سبيلاً للعزاء وتسلية نفسه عما يعانيه من الألم، والمشكلة لديه أنه ينمو باطراد ولن يفنى أو يضمحل.

وَقَدْ شَسَعْتُ لَيْلَى وَشَطَّ مَزَارُهَا
 وَغَيْرَهَا عَنْ عَهْدِهَا قَوْلُ حَاسِدٍ^(١)
 فَيَا أَسْفَا حَتَّامَ قَلْبِي مُعَذِّبُ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ هَذِي الشَّدَائِدِ^(٢)

٦٠

نسيت يوم معادي

[الكامل]

يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهِ جَرِيهِ وَوَصَالِهِ
 هَمَّ الْمُنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي^(٣)
 وَاللَّهِ مَا التَّقَتِ الْجُفُونَ بِنَظَرَةٍ
 إِلَّا وَذَكَرْتُكَ خَاطِرٌ بِفُؤَادِي^(٤)

٦١

البيعة الخاسرة

بينما كان يرعى ماشيته مسترسلاً مع هواجسه وذكرياته، التقى
 رجلين صادداً ظبياً وقيداً قوائمه لبيعه عند عودتهما إلى الحاضرة. فدنا
 منهما متأملاً الظبي فسرّحت من عين الظبي دمعاً أثارت كوامن حبه

- (١) شسعت: بعدت. شطّ مزارها: ابتعد. والذي حمل ليلي على البعد حتى صعب
 عليّ مزارها وحولها عما عرفت فيها قول حاسد، فأوقع بيني وبينها.
- (٢) يأسف الشاعر لما حلّ بساحته؛ فقلبه أضناه العذاب، لذا يشكو حاله إلى خالق
 السموات والأرض ما نزل به من المصائب الشديدة.
- (٣) يوجّه الشاعر كلامه إلى من استحوذ على تفكيره رغم هجرها له، وعمل الشاعر
 الحثيث على وصاله ممّا أنساه مصيره المحتوم يوم الميعاد.
- (٤) يقسم الشاعر بالله العظيم أنه يذكره حتى عندما تلتقي نظرات الحب، فإن قلبه
 يستشعر خشية الله تعالى.

وقد رأى فيها عينَ ليلي. فعرضَ عليهما أن يقايضاه الطَّيِّ بِشاةٍ من غنمه. فساوماه ثم رضىا. فما كان منه إلا أن أطلق سراحه ليعود حراً طليقاً، وأنشد يقول:

[الطويل]

شَرَيْتُ بِشَاتِي شِبْهَ لَيْلَى وَلَوْ أَبَوَا
لَأَعْطَيْتُ مِنْ مَالِي طَرِيفِي وَتَالِدِي ^(١)
فَيَا بَائِعِي شِبْهًا لِلَّيْلِ قَتَلْتُمَا
وَجُنَّبْتُمَا مَا نَالَهُ كُلُّ عَابِدٍ ^(٢)
فَلَوْ كُنْتُمَا حُرَّيْنِ مَا بَعِثْتُمَا مَعًا
شَبِيهَاً لِلَّيْلِ بَيْعَةَ الْمُتَزَايِدِ ^(٣)
وَأَعْتَقْتُمَا هَا رَغْبَةً فِي ثَوَابِهَا
وَلَمْ تَرْغَبَا فِي نَاقِصٍ غَيْرِ زَائِدٍ ^(٤)
فَلَا ظَفَرْتُ كَفَاكُمَا بِكَرِيمَةٍ
وَجُنَّبْتُمَا صَوْبَ الْعَمَامِ الرَّوَاعِدِ ^(٥)

(١) الطريف: المال المستحدث. التليد: المال الموروث. يروي الشاعر تجربته مع الجمال، فقد استبدل غزالاً ذكره بليلى لجمال عينيه بشاة من غنمه التي كان يرعاها، ويقسم بالله تعالى لو لم يرض الصيادان لتخلى عن كل ما يملك من مال سواء أكان قد حصله أم ورثه من أبويه.

(٢) يوجه الشاعر كلامه إلى الصيادين اللذين اشترى منهما شبيه ليلي ويدعو عليهما بأن يحرمهما الله تعالى نعمة الرحمة والمغفرة: بسبب فعلتهما الشنيعة.

(٣) و (٤) يهجو الشاعر الصيادين بالعبودية، ولهذا عملا على بيع شبيه ليلي الغزال الجميل بيع مزايده. وكان الأحرى بهما إعتاقه وتحريره رغبة بالثواب التام غير المنقوص.

(٥) يدعو الشاعر على الصيادين بالفشل في سعيهما وألا يظفرا بما يغنيهما من كريم المال، وألا يلقيا خيراً ممّا تعطيه الأمطار من نعم وورق.

٦٢

حنين

[الطويل]

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ
 وَعَهْدِي بِلَيْلَى حَبْدًا ذَاكَ مِنْ عَهْدِ^(١)
 أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدِ
 فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَى وَجْدِي^(٢)
 إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
 عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ^(٣)
 بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَزَلْ
 جَلِيدًا وَأُبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أُبْدِي^(٤)
 وَأَصْبَحْتُ قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ لُبَانَةٍ
 تَهَامِيَّةٍ وَاشْتَأَقَ قَلْبِي إِلَى نَجْدِ^(٥)

(١) الأبلق الفريد: حصن منيع كان من أعمال السموأل بن عاديا. يطلب الشاعر من صديقه أن يعوجا على ذلك الحصن، ويتذكرا ما كان له من عهد وسرور فيه إلى جانب ليلي حبيبته.

(٢) الصبا: النسيم الرقيق الناعم. المسرى: خط مرور الريح وهبوه. يخاطب الشاعر ذلك النسيم الرقيق الناعم في هبوه المنطلق من نجد الذي أيقظ فيه إحساس الألم المتزايد لبعده عن ديار الحبيبة.

(٣) و (٤) الورقاء: ضرب من الطير شبيه بالحمام. الفنن: الغصن. الرند: ضرب من النباتات الطيبة الرائحة. فلو أن ورقاء غنت بصوتها الشجي في بسمة الفجر الطالع، وهي تنتقل من غصن إلى آخر ندي من نبات الرند فرحة لبكيت بكاء رضيع افتقد أمه، ومع ذلك ما زلت متماسكاً صابراً، ولكن بكائي كشف ما كنت أعمل على إخفائه.

(٥) لبانة: حاجة. الجسد في مكان والقلب يهيم إلى مكان آخر. استيقظ الشاعر باكراً وقد شبع بعدما حصل كل ما يريد في تهامة وقلبه في شوق إلى نجد، موطن الحبيبة.

- إِذَا وَعَدْتَ زَادَ الْهَوَى لَا تُتِظَارِهَا
 وَإِنْ بَخُلْتَ بِالْوَعْدِ مُتٌ عَلَى الْوَعْدِ ^(١)
 وَإِنْ قَرُبْتَ دَاراً بِكَيْتٍ وَإِنْ نَأَتْ
 كَلِيفْتُ فَلَا لِلْقُرْبِ أَسْلُو وَلَا الْبُعْدِ ^(٢)
 ففِي كُلِّ حُبٍّ لَا مُحَالَةَ فَرَحَةٍ
 وَحُبِّكَ مَا فِيهِ سَوَى مُحْكَمِ الْجُهِدِ ^(٣)
 أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ فَيَا لَيْتَ أَنَّنِي
 سُقَيْتُ عَلَى سُلُوَانِهِ مِنْ هَوَى نَجْدٍ ^(٤)
 أَلَا حَبَّذَا نَجْدٌ وَطَيْبٌ تُرَابِهِ
 وَأَزْوَاحُهُ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ ^(٥)
 وَقَدْ زَعُمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
 يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ ^(٦)
 بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا
 عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ ^(٧)

(١) الوعد يحيي النفس، ففي وعدها أمل اللقاء والانتظار لوعة الشوق، وقد لا يتحقق الوعد، وقد لا تعد فيذهب أمني بذلك فأموت لأتمسك بوعد منها.
 (٢) قرب ديار الحبيبة يُفرح، ولكن ذلك يُؤلم الشاعر فيبكي، فلا وعد ولا لقاء، وهي في حال بعدها الأمر سيّان أيضاً، فلا سلوى ولا نسيان.
 (٣) الحب فرح وسرور وأمل، وحبك يا ليلي يحمل لي العذاب والألم والجهد العظيم.
 (٤) و (٥) الحنين للديار شعور نبيل. لدى الشاعر توق لنجد، والمشكلة لا ينسى هذا الشوق إلى تلك الديار، لذا يتمنى لو أنه شرب بلسم النسيان في تلك المواطن. ورغم ذلك يعبر الشاعر عن حبه لنجد وتراها، وهوائها المنعش الذي يردّ الروح إذا كان لا يزال يحافظ على العهد.
 (٦) و (٧) يسخر الشاعر من مقولة القائلين أَنَّ القرب من الحبيب يثير كوامن الملل في =

عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وَدٍّ^(١)

٦٣

نَجْد

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ عَوَارِضَتِي قَنَّا
لِطَوْلِ التَّنَائِي هَلْ تَغَيَّرَتَا بَعْدِي^(٢)؟
وَعَنْ أَقْحَوَانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
إِذَا هُوَ أَمْسَى لَيْلَةً بِثَرَى جَعْدٍ^(٣)؟
وَعَنْ جَارَتَيْنَا بِالْبَتِيلِ إِلَى الْجَمَى
عَلَى عَهْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلَى عَهْدِي^(٤)؟
وَعَنْ عُلُويَّاتِ الرِّيحِ إِذَا جَرَتْ
بِرِيحِ الْخُزَامَى هَلْ تَهْبُّ إِلَى نَجْدٍ^(٥)؟

= النفس لطول المعاشرة والمشاهدة، وأن البعد عن الحبيب يُميت الحبّ حتى النسيان. ذاق الشاعر طعم الأمرين فلم يشف، لذا فقرب الدار أهون الشرّين، فقد يكون لقاء، أو نظرة أو وعد.

(١) يناقش الشاعر هذا الأمر؛ فقرب الدار عقيم ويخيل إذا كان الأمر يتعلّق بحبيب لا يُبدي مشاعر الحبّ لمن يودّه.

(٢) عوارض وقتنا: من أسماء الجبال. يسأل الشاعر هل تبدّلت أحوال هذين الجبلين لطول بعده عنهما فحصل تغير ما؟

(٣) ثري التراب: بلّله الندى فلان بعد يبس. ينتشر الأقحوان في تلك الأمكنة. يتساءل الشاعر كيف تبدو حال الأقحوان إذا بلّله الندى، والمحضلة أن الحياة ستدبّ في أحشائه ويخضرّ ويلين فيتماوج ويتعانق.

(٤) البتيل: أحد جبال نجد. ويتساءل الشاعر عن جارتيه بحبل البتيل هل لا زالتا على العهد من الودّ والعهد أم أنهما تحوّلتا عن ذلك؟

(٥) ويتابع الشاعر تساؤله عن تلك الرياح التي تهبّ على ارتفاع حتى تدرك نجداً حاملة رائحة الخزامى الطيبة التي تغازل الأنوف بطبيعتها.

وهل أنْفَضْنَ الدَّهْرَ أَفْنَانٍ لِمَتِي
على لاحقِ المِثْنَيْنِ مُنْدَلِقِ الوخْدِ^(١)؟
وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصَوَاتَ هَجْمَةٍ
تُطَالِعُ مِنْ وَهْدٍ خَصِيبٍ إِلَى وَهْدٍ^(٢)؟

٦٤

حَبِّ حَتَّى بَعْدَ الْمَمَاتِ

[الطويل]

تعلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا
وَمِنْ بَعْدِ أَنْ كُنَّا نِطَافاً وَفِي الْمَهْدِ^(٣)
فِعَاشَ كَمَا عِشْنَا فَأَصْبَحَ نَامِياً
وَلَيْسَ، وَإِنْ مُتْنَا، بِمُنْقِصِ الْعَهْدِ^(٤)
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
وَسَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ^(٥)

(١) اللَّمَّةُ: الشعر المحاذي للأذنين وما تشعث منه. اللاحق من الخيل: الضامر. المتنين: الجانبين. المندلق: المندفع بسرعة. الوخد: الواسع الخطي. لا زال الشاعر يتساءل هل أن له أن ينفذ الغبار التي غطت شعر رأسه جزاء ركوبه جواداً ضامراً سريع الخطى لكثرة ترحاله وتجواله، ألم يئن له أن يحط الرحال ويتخلص من وعثاء السفر.

(٢) الهجمة من الإبل: الكثيرة العدد الضخمة. الوهد: الأرض المنخفضة. لا زال الشاعر يتساءل هل سيأتي يوم يتنامى إلى مسامعه أصوات تلك الإبل العظيمة التي ترعى في تلك الوهاد المخصبة، وبالتالي ينعم بالاستقرار في تلك الديار.

(٣) الحب مقدّر؛ لذا فروح الشاعر ارتبطت بروح حبيبته قبل الخروج من العدم إلى الوجود في طفولتهما المبكرة في المهاد.

(٤) و (٥) عاش الحبّ ونما إلى جانبنا، وهو مستمرّ لا انقطاع له حتى في حال الموت، سرمدّي ملازم لنا حتى في ظلمة القبر واللحد.

- وما وَجَدَتْ وَجْدِي بِهَا أُمُّ وَاحِدٍ
 (١) ولا وَجَدَ التَّهْدِي وَجْدِي عَلَى هِنْدٍ
 ولا وَجَدَ الْعُذْرِي عُرْوَةً إِذْ قَضَى
 (٢) كَوَجْدِي وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي
 عَلَى أَنَّ مَنْ قَدْ مَاتَ صَادَفَ رَاحَةً
 (٣) وَمَا لِفُؤَادِي مِنْ رَوَاحٍ وَلَا رُشْدٍ
 يَكَادُ فَضِيضُ الْمَاءِ يَخْدُشُ جِلْدَهَا
 (٤) إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ

- (١) النهدي هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر النهدي، من قضاة: شاعر جاهلي، من العشاق المتيمين، وسيد من سادات قومه. في شعره طلاوة وعذوبة قل أن تكونا في شعر غير المحبين من الجاهليين. وخلاصة ما قالوه في خبره أنه كانت له زوجة اسمها هند، من قومه، أقامت عنده سبع سنين ولم تلد له، فأكرمه أبوه على طلاقها، فطلقها وتزوجت برجل من بني نمير، فندم ابن العجلان عليها، وما زال ينمو شغفه بها حتى دنف ومات أسفاً نحو سنة ٥٠ ق.هـ = نحو ٥٧٤م. انظر ترجمته في: مصارع العشاق ٨: ٢٣٣، تزيين الأسواق ١: ٨٥. يبين لنا الشاعر مدى ما وصل إليه حبه، فحبه فاق حب الأم وحيدها وكذلك تخطى ما روي عن النهدي من حبه لمطلقة التي مات حزناً على طلاقها منه.
- (٢) هو: عروة بن حزام بن مهاجر، من بني عذرة: شاعر، من متيمي العرب. كان يحب ابنة عم له اسمها «عفراء» نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه، فرحل إلى عم له باليمن، وعاد، فإذا هي قد زوّجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها، فأقام أياماً وودّعها وانصرف، قضى حباً، فمات قبل بلوغ حبه نحو سنة ٣٠ هـ = نحو ٦٥٠ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٣٧، مصارع العشاق: ١٣٢. وكذلك فاق حبه حب عروة لابنة عمه عفراء التي قضى نحبها في حبها، ويرى أن حبه فاق من اشتهر من المحبين قبله ومن سيأتي بعده.
- (٣) هؤلاء الذين ماتوا في سبيل حبهم استراحوا، ومشكلتي أنني لا السكينة والاستقرار النفسي أعرف طعمهما، وحتى عقله استحوذت عليه الأفكار والهواجس.
- (٤) من طبيعة المياه اللينة أنها تخدش جلد حبيبته لرقته المتناهية نتيجة الترف والنعممة التي اعتادت عليها.

وإني لمُشتاقٌ إلى رِيحِ جَيْبِهَا
كما اشتاقَ إدريسُ إلى جَنَّةِ الخُلْدِ^(١)

٦٥

اعتراف

[الطويل]

أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لَا يَسُّ
طَوَالَ اللَّيَالِي مِنْ قُفُولٍ إِلَى نَجْدٍ^(٢)
وإنَّ يَكُ لَا لَيْلَى وَلَا نَجْدٌ فَاغْتَرَفَ
بِهَجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ^(٣)

٦٦

لذة الحب

[الطويل]

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنِي
تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي^(٤)
وكانتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا
فَلَمْ يَلْقَها قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي^(٥)

(١) شوق جارف يحمله على شمّ ثوبها كما كان حال سيدنا النبي إدريس عليه السلام واشتياقه إلى الجنة، فتوب حبيبته بمثابة جنته.

(٢) و (٣) قفول: رجوع. شوق الشاعر إلى نجد وحنينه إلى ربوعها عظيم، ولكن القنوط والخوف من عدم الرجوع إلى تلك الديار ما بقي من الأجل، وهو على يقين أنه إن لم يلتق بليلى ولم يعد إلى نجد، فهجرته أبديه إلى قيام الساعة.

(٤) النفوس الحساسة الرقيقة المشاعر لدى المحبين تجعلهم يتألمون ويتبنون شكواهم لما يلقون من عذاب الحب. يتمنى الشاعر أن يتحمل بنفسه ما يلقون وحيداً من تلك العذابات.

(٥) لهب المشاعر يستلذه الشاعر ويودّ لو حصل ذلك اللمب وحده دون سائر المحبين قبله وبعده.

٦٧

الطاعة في الحب

[الطويل]

فَإِنْ تَرْتَبِعْ يَوْمًا بَغُورَ تَهَامَةٍ
 نُقِمَ عِنْدَهَا أَوْ تَشْرِكَ الْبَرَّ نُنْجِدُ^(١)
 وَإِنْ حَارَبْتَ لَيْلَى نُحَارِبُ وَإِنْ تَدُنْ
 نَدُنْ دَيْنَهَا لَا عَيْبَ لِلْمُتَوَدِّدِ^(٢)

٦٨

قمر

[الكامل]

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ كَأَنَّهَا
 قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أَسْوَدِ^(٣)
 مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدِ
 إِنَّ الْحَسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ^(٤)
 وَتَرَى مَدَامِعَهَا تَرْفَرُقُ مُقْلَةً
 سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِ^(٥)

- (١) ترتبع: تحلّ حيث الربيع. غور تهامة: واديها. تشرك: تشدّ النعل بسيره. يسير الشاعر حيث ترتحل ليلى ويتبعها كظلّها، ففي حال حلولها في نجد في فصل الربيع سيكون خلفها، وإن هي حلت ببرّ نجد فهو كذلك تبيعها.
- (٢) وحتى في دخولها ساحة العدا، فالشاعر إلى جانبها في حربها أعداءها، وكذلك لو اتبعت ديناً ما هو سوف يدين بدين من يحبّ حفاظاً على حبّه لها.
- (٣) يرى العربي البيضاء رمز حريّة المرأة وأصاله عروبتها؛ فليلى بيضاء مشرقة منعّمة كالقمر ينير عتمة الليل، وهي بمثابة نور سطع في سماء حياته فبدّد ظلمتها وحولها إلى ضياء ودفء.
- (٤) طبع الحسن حبيبة الشاعر برداء الجمال، وكلّ جميل يحمل الحاسدين على حسده فيتمنون زوال نعمة الجمال عنه تشفياً وغيره.
- (٥) الجمال الطبيعي هبة سماوية، فحبيبة الشاعر لا تستجلب الجمال باصطناعه، بل =

خَوِّدْ إِذَا كَثُرَ الْكَلَامُ تَعَوَّذْتُ
بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَقْصِدْ^(١)

٦٩

قلائنص القرشي^(٢)

[الوافر]

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقُرْشِيِّ لَمَّا
رَأَيْتُ النَّفْضَ مِنْهُ لِلْعُهُودِ^(٣)
وَرَأَحُوا مُقْصِرِينَ وَخَلَفُونِي
إِلَى حُزْنٍ - أَعَالِجُهُ - شَدِيدِ^(٤)
أَحِبُّ السَّبْتِ مَنْ كَلَفِي بَلِيلِي
كَأَنِّي يَوْمَ ذَلِكَ مِنَ الْيَهُودِ^(٥)

= هي تكتفي بما وهبها الله تعالى من جمال طبيعي، لذا فهي في حال بكائها تدُرُّ
لؤلؤاً من عينيها صافياً لا يشوّهه الإثم أي الكحل.

(١) الخوّد: البكر الجميلة من النساء. تعوّذت: احتمت. اجتمعت لليلي صفات
خلقية، جمال طبيعي، عذرية طاهرة، فضلاً عن صفات خلقية، حياء يحملها عليه
كثرة الكلام عما تتمتع به من جمال، وحسن الكلام وإصابة القول.

(٢) اتقى عمر بن عبد الرحمن بن عوف القرشي قيساً واستمع إليه، فرثا لحاله وعرض
عليه أن يصحبه إلى قوم ليلي ويتوسط له عندهم. فثاب إليه عقله وقام لحينه فصحه
ابن عوف وأدخله الحمام، وأمر الحجام بقص شعره، وألبسه مما عنده. ولما اقتربا
من ديار ليلي ثارت ثائرة عشيرتها وتلقّوهما بالسلاح الشاكي وأخبروا ابن عوف أنَّ
الحاكم أهدر دم قيس لتشبيبه بليلى فأعرض عنه وأمر له بعدد من النياق الكريمة
استرضاءً. فردّها وأنشد يقول:

(٣) القلائص: النياق العظام. إباء الشاعر حمله على ردّ ما استرضاه به عبد الرحمن بن
عوف القرشي لقاء إخلافه وعده من النياق.

(٤) لم يفلح القرشي بتنفيذ ما وعد، فعاد أدراجه خائباً تاركاً الشاعر متألماً حزيناً لفشله
تحقيق ما وعد.

(٥) محبة الشاعر ليوم السبت، لأنه تاريخ مجيد في حياته، فحبّه كان يوم السبت، ومن
عادة اليهود أن يعيدوا ذلك اليوم، فكانه قد أصبح على ملّتهم.

٧٠

زفرة لا ترد

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ لَيْلَى أَطْفَأَتْ حَرَّ زَفْرَةٍ
 أَعَالِجَهَا لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا^(١)
 إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْجَمَى نَسَمَتْ لَنَا
 وَجَدْتُ لِمَسْرَاهَا وَمَنْسَمِهَا بَرْدًا^(٢)
 عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا الْهَوَى
 نُدُوبًا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسَبُنِي جَلْدًا^(٣)
 وَإِنِّي يَمَانِي الْهَوَى مُنْجِدُ النَّوَى
 سَبِيلَانِ أَلْقَى مِنْ خِلَافِهِمَا جَهْدًا^(٤)
 سَقَى اللَّهَ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ
 وَمَاذَا يُرْجَى مِنْ بَيْعٍ سَقَى نَجْدًا^(٥)
 بَلَى إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً
 وَلِلصَّحْبِ وَالرُّكْبَانِ مَنَزِلَةً حَمْدًا^(٦)

- (١) يتمنى لو أن ليلى تُعينه على التخلص من زفرة حرى لا يستطيع الشاعر التصدي لها بقدرته الذاتية، والعلاج بيد حبيبته .
 (٢) والذي يطفئ ضرام ذلك اللهب ريح يسري من ديار ليلى ناعماً منعشاً يحيي الروح والنفس بطراوته وبرودته .
 (٣) الندوب : آثار الجروح . تسري تلك النسيمات الرقيقة ، فتتعش كبداً حرى أضرم فيها الهوى حباً وجرح صميمها ، ولم تشف بعد وثمة أناس يظنون أنني قادر على الاحتمال والصبر .
 (٤) والمشكلة لدى الشاعر أن حبه يمانى ، ولكنه مبعّد في نجد ، وهو يُعاني مأساة تنازع اليمين والشمال النجدى ، وكلاهما يشدّ به نحوه .
 (٥) و (٦) يدعو الشاعر بسقيا ربيع نجد دعاء خير وأمل ، ولكن ما الذي يأتي به ربيع نجد من أمل وخير؟ ويجيب الشاعر أن ذلك الربيع كان بهجة العين والقلب للصحب النازلين في دياره محمودة .

أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَنْفَكَ عَنْ ذِكْرِ نِسْوَةٍ
 رِقَاقٍ وَلَمْ يُخْلِفَنَّ شُومًا وَلَا نُكْدًا^(١)
 إِذَا رُحْنٌ يَسْحَبُ الدِّيُولَ عَشِيَّةً
 وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَازِ أَنْفُسَنَا عَمْدًا^(٢)
 مَشَى عَيْطَلَاتٍ رُجَّحَ بِحُضُورِهَا
 رَوَادِفُ وَعُثَاتُ تَرْدُ الْخُطَى رَدًّا^(٣)
 وَتَهْتَزُّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ فَوْقَهَا
 وَلَاثُتُ بِسَبِّ الْقَزِّ ذَا غُدْرٍ جَعْدًا^(٤)
 إِذَا حَرَّكَ الْمِدْرَى ضَفَائِرَهَا الْعُلَا
 مَجَجْنَ نَدَى الرِّيحَانِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدَا^(٥)

- (١) القلب معلق ولا يزال يذكر نسوة تتمثل بهن رقّة ولم يحملن للشاعر إلا الخير والأمل والحب؛ فالشؤم والنكد ليس من طبيعته.
- (٢) فهن لا يتعمدن الإساءة إذا خرجن عند الأصيل يتمشين بلباسهن تياهاات بجمالهن، يرمين سهام الحافظ القاتلة عمداً لمن يرذن قتله.
- (٣) عيطلات، واحدها عيطلة: الطويلة العنق الجميلة. رُجَّح: متمايلات في مشيهن. روادف: يتبع بعضهن بعضاً. وعُثَات: لِينَات، يصف الشاعر الركب وهو يسير، حيث تتوالى النياق الطويلة الأعناق الجميلة، وتميس في مشيها وتردف خلفها الإبل اللينة وتسير بسيرها.
- (٤) لاثت: لَفَت. السَّب: الخمار. الغُدْر، واحدها غديرة: خصلة من الشعر. تمتطي ليلي إحدى تلك النياق، وقد احتجبت بخمار حريري يغطي بعضاً من رأسها ويظهر بعضاً من ضفائرها المتجعدة.
- (٥) المِدرى: المشط. مججن العطر: تَصَوَّع العطر وانتشر. وهي إذا امتشطت وعانق المشط ضفائرها العالية، فاح العطر وملاً الأرجاء، بمختلف الأنواع من الريحان والعنبر الوردى الفواح.

٧١

رجاء

[الطويل]

وإني لَمَجْنُونٌ بليلى مُوَكَّلٌ
 ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدًا^(١)
 إِذَا ذُكِرْتُ ليلي بكيثُ صَبَابَةٍ
 لِتَذْكَارِهَا حَتَّى يَبُلَّ البُكَاءُ الحَدًّا^(٢)
 أَيَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَقْسِمِ الحُبَّ بَيْنَنَا
 سَوَاءَيْنِ فَاجْعَلْنِي عَلَى حُبِّهَا جَلْدًا^(٣)

(١) يعترف الشاعر بجنونه وضعفه أمام ليلي، وهو لن يتخلى عن حبه لها وقد فقد القدرة على المقاومة والصبر على البعد عنها.

(٢) فذكر ليلي يحمل الشاعر على البكاء لشدة حبه لها، وتنهمر الدموع على خديه شوقاً.

(٣) يخاطب الشاعر ربه راجياً منه أن يجعل الحب بينهما متبادلاً، وإلا فيقويه ويصبره على دوام حبه لها دون فتور.

قافية الراء

٧٢

الحب قدر

[الكامل]

الحبُّ أَوَّلُ ما يَكُونُ لَجاجةً
تَأْتِي به وتسوِّفُه الأَقْدارُ^(١)
حتَّى إذا اقْتَحَمَ الفتى لُجَجَ الهوى
جاءَتْ أُمُورٌ لا تُطَاقُ كِبَارُ^(٢)

٧٣

هجاء

[الوافر]

أَلا يا لَيْلُ إنْ مُلِّكْتَ فينا
خِيارَكَ فانْظِري لِمَنِ الخِيارُ^(٣)
ولا تَسْتَبْدِلي مِنِّي دَنيًّا
ولا بَرِّمًا إذا حُبَّ القَتارُ^(٤)

(١) اللجاجة: خفقان القلب من جراء الجوع أو سواه. الحب مقدر على البشر، في البدء هو عبارة عن إحساس قلبي ومن ثم يصبح داعياً نفسياً.

(٢) اللجج: الموج العنيف. الشباب مغامرة واندفاع، فإذا ما أحس الشاب في نفسه القدرة على مغالبة المشاعر اقتحم أهوال الحب، فإذا كان ضعيفاً غلبه الحب بمشاكل عظيمة قد تحطمه.

(٣) ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ١: ٣٣٦ يضع الشاعر ليلي أمام امتحان الاختيار بينه وبين من تقدم لخطبتها وهو ورد بن محمد العقيلي من أهلها طالباً يدها أن تحسن الاختيار، وهو يقصد نفسه بالاختيار الموفق.

(٤) يذكر الشاعر نقائص خصمه اللدود، وهو وضع، حقير، بخيل، بطين، شره، أكل أناني، فلا تستبدليه بي، وأنت تعلميني.

يُهَرِّوْلُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَهُ
وَتُعْجِزُهُ مُلِمَّاتُ كِبَارٍ^(١)
فَمِثْلُ تَأْيِيمٍ مِنْهُ نِكَاحٌ
وَمِثْلُ تَمْوُلٍ مِنْهُ افْتِقَارٌ^(٢)

٧٤

شجاني دمعها

[الطويل]

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ
تَوَلَّتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرٌ^(٣)
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ
إِلَى التَّفَاتِ أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ^(٤)

٧٥

تَطِيرُ

[الطويل]

وَكَيْفَ يُرْجَى وَضُلُّ لَيْلَى وَقَدْ جَرَى
بِحَدِّ الْقَوَى وَالْوَضِلِ أَعْسَرُ حَاسِرُ^(٥)

(١) همته ثقيلة، كسول ينجز صغار الأمور، ولا يتصدى لعظائم الأمور، فتعجزه لضعفه.

(٢) التأيم: الترمل، فالزواج من هكذا رجل يؤدي به إلى الموت ويترك وراءه زوجة أرملة، وطلب الغنى لديه فقر، لا مال لديه.

(٣) و (٤) شجاني: أحزنني. لحظة الوداع مؤلمة للمتودعين، فالذي ألم الشاعر أن حبيبته رحلت والدمع تغرورق به عينها تحاول مغالبته ولكن بلا جدوى، حتى إذا بعدت التفت للمرة الأخيرة حتى انهمرت دموعها من محبتها.

(٥) الحاسر: المكشوف الرأس. لا يأمل الشاعر أن يلتقي بليلى، فقد عملت على التفريق بينهما جارية عرجاء مكشوفة الرأس دلالة على أنها من الإماء.

صديعُ العَصَا صَعْبُ المِرامِ إذا انْتَحَى
لِوَصْلِ أَمْرِيءٍ جُدَّتْ عَلَيْهِ الْأَوَاصِرُ^(١)

٧٦

بكاء

[الطويل]

أِنْ هَتَفْتُ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةً
بَكَيْتَ وَلَمْ يَعْذِرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ^(٢)
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ بَعْدَمَا عَلَتْ الضُّحَى
فَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانُ أَنَّ نَاحَ طَائِرُ^(٣)
تُغْنِي الضُّحَى وَالصُّبْحُ فِي مُرْجَحِنَةٍ
كَثَافِ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَائِرُ^(٤)
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالْعَيْلِ أَوْ بَطْنِ أَيْكَةٍ
أَوْ الْجِرْزِ مِنْ تَوَلِّ الْأَشَاءِ حَاضِرُ^(٥)

- (١) صديع: مقطوع، المرام: المرتجى، الهدف، جُدَّتْ: قُطِعَتْ، الأواصر، واحدها أصرة: العلاقة، الرباط. إن تلك الجارية لا تحب الخير للمحبين، وهي تعمل على تفريقهم، فغايتها قطع العلاقة بين العاشقين، وهذا ما يسعدها ويفرحها.
- (٢) يخاطب الشاعر نفسه لائماً، فَإِنَّكَ سرعان ما تبكي إن غنّت غناءً شجياً يوماً حمامة فلست تجد من يعذرُك ويجد لبكائك سبباً وجيهاً لجهله ما تعانيه.
- (٣) مع الصباح الباكر استقبلته الحمامة ببكائها، فحرّكت لك شجونك وأحزانك من مكانها.
- (٤) مرجحنة: متمرّجة، متمائلة. تلك الحمامة تتخذ لها مأوى في أعلى شجرة، أغصانها كثيفة وعالية، وهي تنتقل من فنن إلى آخر، تتمايل فرحة، والماء يجري متموجاً تحتها ضاحكاً مرتناً، على غير هدّى.
- (٥) العَيْل، بطن أَيْكَةٍ، الجِرْز، تَوَلِّ الْأَشَاءِ: أسماء أمكنة. يخيم السكون على المكان، وهي تنتقل من العَيْل، إلى بطن الأَيْكَةِ، إلى الجِرْز، إلى تَوَلِّ الْأَشَاءِ، ولا يسمع في المكان إلّا صوت نواحيها.

يقول زيادٌ، إذ رأى الحيَّ هَجَرُوا:
أرى الحيَّ قد ساروا فهل أنت سائرٌ^(١)؟
وإني وإنْ غَالَ التقادُمُ حاجتي
مُلِمٌّ على أوطانٍ لَيْلَى فناظِرٌ^(٢)

٧٧

المؤمل الحائر

[الطويل]

ألا ما ليلَى لا تُرى عِنْدَ مَضْجَعِي
بَلَيْلٍ ولا يَجْري بِذلك طَائِرٌ^(٣)
بلى إِنَّ عَجَمَ الطَّيْرِ تَجْري إِذا جَرَتْ
بَلَيْلَى وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَاجِرٌ^(٤)
أَزَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِذِي الْأَثَلِ أَمْ قَدْ غَيَّرَتْهَا الْمَقَادِرُ^(٥)؟

(١) هو زياد بن كعب، ابن عم الشاعر. يخبر زياد ابن عمه قيساً بأنَّ الحيَّ قد تهيَّأوا للرحيل، ويستعلم منه إذا أراد أن يرحل وراءهم.

(٢) فيرد الشاعر بأنَّه لاحق بهم، مهما تقادم العهد، وسيعمل على الوصول إلى ليلَى، ولن يتوقف عن البحث عنها في ديارها.

(٣) جميل أن يحلم المرء بمن يحب، ولقد غاب طيف ليلَى عن الشاعر مستغرباً أنَّه لا يزوره حتى في المنام ليعيش لحظة حبِّ واهم، وحتى لا يبشَّره الطائر بمجيئها، فينعش نفسه.

(٤) زجر الطير: حمله على الطيران. والحقيقة أن الطير الأعجم الذي لا يُحسن نطقاً قد يأتيني بخبر عن ليلَى، ولكن لسوء الحظ لا يوجد من يدفعه ليوصلني إليها.

(٥) ذو الأثل: اسم موضع. يتساءل الشاعر هل تحوَّلت ونسيت العهد الذي أبرمناه بيننا في ذي الأثل أَمْ أن الأقدار فعلت فعلتها فغيَّرتها من ناحيتي؟

فوالله ما في القُربِ لي منك راحةٌ
 ولا البُعدُ يُسليني ولا أنا صابرٌ^(١)
 ووالله ما أدري بأيّة حيلةٍ
 وأيّ مَرامٍ أو خِطَارٍ أخاطرُ^(٢)
 وتالله إنّ الدَّهرَ في ذاتِ بيننا
 عليّ لها في كُلِّ حالٍ لَجائِرُ^(٣)
 فلو كنتِ إذْ أزمعتِ هَجري تَرَكتني
 جَميعَ القُوى، والعقلُ مِنِّي وإفِرُ^(٤)
 ولكنّ أيامي بحقلِ عُنيزةٍ
 وبالرَّضَمِ أيامَ جناها التجاورُ^(٥)
 وقد أَضَبَحَ الودُّ الذي كان بيننا
 أمانِيَّ نَفْسٍ، والمؤمِّلُ حائرُ^(٦)

- (١) يُقسم الشاعر أنه لا راحة له ولا سلوان؛ فالقرب منها، والبعد عنها، ولا صبره يساعده على نسيانها أو يسري عنه ما يُحسّ به من أحزان.
- (٢) حيرة الشاعر لا حدود لها، وهو يُقسم بأنّ كلّ الأعذار التي كان يقدمها والحيل التي كان يخترعها حتى يراها قد نفذت وقُدِّم العهد بها، حتى المخاطرة بالنفس أصبحت لا تجدي نفعاً.
- (٣) يقسم الشاعر بأن الزمن حال بينه وبين من يُحبّ، وهو في عمله هذا ظالم للشاعر في كلّ حال.
- (٤) أزمعت: صممت. ليلي قادرة ممسكة بمصير الشاعر، فهي عندما قرّرت هجرة الشاعر كانت قد استحوذت على مقومات الإنسانية لديه، سائر القوى والعقل، فلم يعد لديه ما يُمسك به من روابط الإنسان العادي لديه شيء.
- (٥) و (٦) حقل عُنيزة، الرضم: موضعان. كانت أيامي في حقل عُنيزة والرضم أيام قُرب وتجاور، ولم أجن منها سوى القرب حيث لا لقاء ولا ودّ. لذا فقد أصبح الودّ سراباً وأمانِيّ لا تتحقّق، وأنا حائر لا أعرف ماذا أفعل.

لعمري لقد رنقت يا أم مالِك
حياتي وساقطني إليك المقادير^(١)

٧٨

العاشق المسحور

[الطويل]

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنَّ قَلْبِي لَوْ ذَنَا
مِنَ الْجَمْرِ قَيْدَ الرُّمَحِ لَا خَتَرَ الْجَمْرُ^(٢) ؟
أَفِي الْحَقِّ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكَ هَائِمٌ
وَأَنْتَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَمْرُ^(٣) ؟
فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوباً فَلَا زِلْتُ هَكَذَا
وَإِنْ كُنْتُ مَسْحوراً فَلَا بَرَأَ السَّحَرُ^(٤)

(١) رنقت: كدّرت. يقسم الشاعر ليلى أنها سبب تعاسته، وحياته آلام وعذاب، فالدّور ساقني إليك في رحلة الحياة.

(٢) يسأل الشاعر إذا كان شوقه جعل قلبه يشتعل لهباً حتى لو اقترب من الجمر الملهب قدر قيد رمح لأشعل الجمر الملهب بسرعة وأذى إلى احتراقه وجعله رماداً، وبقي لهب الشاعر على ما هو عليه.

(٣) يسأل الشاعر ليلى عن سرّ ما هو فيه، فهو مغرم بها يهيم وعلى وجهه في كلّ مكان، ومن المعلوم أن الحبّ يسكر الروح والقلب، ولكن هواها ليس خمراً فيسكر ولا هو خلّ فيفيد في الشفاء، إنه كأس عذاب وألم.

(٤) مطبوباً: مريضاً يطلب الدواء. يدعو الشاعر على نفسه بأن يبقى على حالته، فلو كان مريضاً فإنه يتمنى أن يبقى كذلك، وحتى لو كان مسحوراً فإنه يتمنى ألا يشفى من هذا السحر العجيب رغم عذابه.

هي الشمس والبدر

[الطويل]

أُنِيرِي مَكَانَ الْبَدْرِ إِنْ أَقْلَ الْبَدْرُ
 وَقَوْمِي مَقَامَ الشَّمْسِ مَا اسْتَأَخَرَ الْفَجْرُ^(١)
 فَفِيكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ضَوْؤُهَا
 وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ التَّبَسُّمُ وَالشَّغَرُ^(٢)
 بَلَى لَكَ نُورُ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ كُلُّهُ
 وَلَا حَمَلَتْ عَيْنُكَ شَمْسٌ وَلَا بَدْرُ^(٣)
 لَكَ الشَّرْقَةُ الْأَلَاءُ وَالْبَدْرُ طَالِعُ
 وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ التَّرَائِبُ وَالنَّحْرُ^(٤)
 وَمَنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بِالضُّحَى
 بِمَكْحُولَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي طَرْفِهَا فَتْرُ^(٥)؟
 وَأَنْتَى لَهَا مِنْ دَلٍّ لَيْلَى إِذَا انْتَنَتْ
 بِعَيْنَيْ مَهَاةِ الرَّمْلِ قَدْ مَسَّهَا الدُّعْرُ^(٦)؟

(١) و (٢) أفل: غاب. يطلب الشاعر من حبيبته أن تحل مكان القوى الطبيعية التي سخرها المولى عز وجل لخير البشر، فلو اختفى القمر يطلب أن تنير السماء بضياءها، وأن تشرق على الكون في حال تأخرت الشمس ولم تشرق. والمفارقة العجيبة أنها تشترك مع الشمس في الضياء وتختلف معها في التبسم وجمال الثغر.
 (٣) و (٤) والمفارقة أن ليلى أخذت من الشمس نورها، ولم تبق للقمر نوراً على الإطلاق، وهما عجزا أن يأخذا منك جمال عينيك، بل إنك أخذت منهما الضياء والإشراق، وحتى في حال طلوع البدر، فإنهما لا يتمتعان بما لديك من صدر أنثوي جميل بديع مغر، ونحر كأنه إبريق من الزمرد والعاج البديع.
 (٥) و (٦) وحتى الشمس في الفجر الأول تعجز عن أن تمتلك عينين كحلتها القدرة الإلهية كعينيك الناعستين الفاترتين الجميلتين. ولىلى ذات دلال رقيق وغنج ناعم =

تَبَسَّمُ لَيْلَى عَنْ ثَنَايَا كَأَنَّهَا
 أَقَاحٍ بِجَرَعَاءِ الْمَرَضِينَ أَوْ دُرٍّ^(١)؟
 مُنْعَمَةٌ لَوْ بَاشَرَ الذَّرُّ جِلْدَهَا
 لِأَثَرِ مِنْهَا فِي مَدَارِجِهَا الذَّرُّ^(٢)
 إِذَا أَقْبَلَتْ تَمْشِي تُقَارِبُ خَطْوَهَا
 إِلَى الْأَقْرَبِ الْأَذْنَى تَقَسَّمَهَا الْبُهِرُّ^(٣)
 مَرِيضَةٌ أَثْنَاءَ التَّعَطُّفِ إِنَّهَا
 تَخَافُ عَلَى الْأَرْدَافِ يَثْلِمُهَا الْخَضِرُّ^(٤)
 فَمَا أُمُّ خِشْفٍ بِالْعَقِيقِينَ تَرْعَوِي
 إِلَى رَشَائِطِ طِفْلِ مَفَاصِلُهُ خُدْرُ^(٥)
 بِمُخْضَلَّةٍ جَادَ الرَّبِيعُ زُهَاءَهَا
 رَهَائِمَ وَسُومِي سَحَائِبُهُ غُرُرُ^(٦)

= إذا تمايلت، فعيناها عينا مهابة الرمل وقد ذعرها الخوف، فبدت رائعة. أين لك أيتها الشمس من هذا الدل؟

(١) جرعاء: رملة جرداء مستوية لا تنبت شيئاً، المراضين: اسم مكان. بسمه ليلي لها مذاق خاص ورائحة ساحرة كسحر زهر الأقاح بجرعاء حيث لا نبت. أو كأنها درّ يُضيء فيملاً الكون بضياؤه.

(٢) الذر: النمل الصغير. إنها مترفة منعمة رقيقة الجلد، فلو أن الذرّ باشر جلد لها لآذاه وترك أثراً مؤلماً لشدة نعومته.

(٣) و (٤) البهر: انقطاع النفس. إنها إذا سارت بالكاد تدرك رجلاها الأرض لخفتها ولطافة مشيها، فلو حاول المرء سماع خطوها ووقعها لعجز، وانقطع نفسه لمتابعتها، وهي من شدة حرصها تنعطف في مشيها كمريضة تخاف على أردافها من أن يؤذيها خصرها لشدة حذرهما في متابعة خطواتها.

(٥) الخشف: الرشأ: الغزال المولود حديثاً. العقيقين: موضع فيه مياه. الأمومة حنان وعطف، والشاعر يذكر غزاة ترعى صغيرها بالعقيقين الذي ما زال ضعيفاً لم يقو على حماية نفسه ومفاصله ضعيفة بالكاد تسمح له بالوقوف.

(٦) المخضلة: التي بللها الندى. زهاءها: نضارتها. رهائم: الطلّ الخفيف. الوسمي: =

وَقَفْنَا عَلَى أَطْلَالٍ لَيْلَى عَشِيَّةً
 بِأَجْزَعِ حَزَوَى وَهِيَ طَامِسَةٌ دُثْرُ^(١)
 يُجَادُ بِهَا مُزْنَانٍ: أَسْحَمُ بَاكِرٌ
 وَآخِرُ مَعْهَادِ الرِّوَّاحِ لَهُ زَجْرُ^(٢)
 وَأَوْفَى عَلَى رَوْضِ الْخُزَامَى نَسِيمُهَا
 وَأَنْوَارُهَا وَأَخْضُوضُ الْوَرَقِ النَّضْرُ^(٣)
 رَوَّاحاً وَقَدْ حَنَّتْ أَوَائِلَ لَيْلِهَا
 رَوَائِحُ لِإِظْلَامِ أَلْوَانِهَا كُذْرُ^(٤)
 تَقَلَّبُ عَيْنِي خَاوِلٍ بَيْنَ مُرْعَوٍ
 وَأَثَارِ آيَاتٍ وَقَدْ رَاحَتِ الْعُفْرُ^(٥)

= المطرة الأولى في فصل الربيع . يُكمل الشاعر الصورة لمسرح الغزالة وخشفتها في أرض معشوشبة نضرة غزلتها سُحِبَ الربيع ودبجتها بمطرها الخفيف .
 (١) أجزع: ما يزال موجوداً . حزوى: مرتفعة . طامسة: مندثرة . الوقوف على الأطلال لدى العربي يُثير أحاسيس اللوعة، فأهل المكان تحمّلوا وارتحلوا تاركين وراءهم ذكريات وأحلاماً . وقف الشاعر على تلك الأطلال يستعيد الذكريات عشيّة في ذلك المكان المرتفع وقد بدت معالمه باهتة مطموسة تفتقد إلى الحياة .
 (٢) مُزْنَان: نوعان من المطر . الأسحَم: السحاب الأسود . المَعْهَاد: الوسمي . أمدّ المكان نوعان من الأمطار: السحاب الأسود في الصباح الباكر والوسميّ الخفيف اللطيف المتقطع .
 (٣) و (٤) وبريشة الفنان المبدع يرسم الشاعر المشهد بصورة متحرّكة؛ هواء عليل حمل معه رائحة زهر الخُزَامَى الأخضر المخضّل بالندى فبدت أوراقه جميلة تأخذ بمجامع العين والقلب، وانتشرت روائحها فشاركت حاسة الشّم لدينا، وقد بدأت طلائع المساء، فبدت أكامام الزهر كدرة .
 (٥) الخازل: المنقصف الظهر . المرعوي: المنزجر . العُفْر: ضرب من الغزلان، المكان قفر، أينما التفت المرء وجد أثراً محزنة، حتى الظباء قد خلّفت المكان قفراً لا حياة فيه .

- بأَحْسَنَ مِنْ لَيْلَى مُعَيَّدَةً نَظْرَةً
 إِلَى التِّفَاتِ حِينَ وَلَّتْ بِهَا السَّفْرُ^(١)
 مُحَاذِيَةً عَيْنِي بِدَمْعٍ كَأَنَّمَا
 تَحَلَّبُ مِنْ أَشْفَارِهَا دُرُّ غُرُ^(٢)
 فَلَمْ أَرِ إِلَّا مُقْلَةً لَمْ أَكْذِبْهَا
 أَشِيمُ رُسُومَ الدَّارِ مَا فَعَلَ الذِّكْرُ^(٣)
 رَفَعْنَ بِهَا خُوصَ الْعُيُونِ وَجُوهَهَا
 مُلْقَعَةً تُرْبًا وَأَعْيُنُهَا خُرُ^(٤)
 وَمَا زِلْتُ مُحْمُودَ التَّصَبُّرِ فِي الَّذِي
 يَنْتُوبُ وَلَكِنْ فِي الْهَوَى لَيْسَ لِي صَبْرُ^(٥)

٨٠

يا سلوة الأيام

[الطويل]

- أَيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى
 وَزِدْتَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الْهَجْرُ^(٦)

- (١) يُتِمُّ الشاعر المشهد، الظبيبة الأم متألمة، ذكرت الشاعر بحال ليلي يوم طعنها مع الركب، وهي تتلفت مودعة حزينة باكية.
 (٢) تحلب: انهمرت دموعي. أشفارها، مفردتها شفر: أصل منبت شعر الجفون. غُر: كثيرة. وتحين متي التفاتة، فإذا بدموعها تنهل كأنها الدر انفرط عقده بغزارة.
 (٣) أشيم: أنظر مستطلعاً. تقلصت الصورة لدى الشاعر، فاختفى كل شيء في نظره سوى مقلة الحبيبة تمثلت فيها رسوم الديار في ذاكرته.
 (٤) خُوص العيون: غائرات العينين. مُلْقَعَةٌ تُرْبًا: محاطة برفيقات بمثل عمرها. خُرُز العينين: ضيقات العينين. ليلي محاطة بأتراب لها ذوات عيون غائرة ينظرون شذراً بأطراف عيونهن.
 (٥) ينوب: ينزل بالمرء من مصائب، يمتدح الشاعر نفسه بقوة نفسه أمام الكوارث المفاجئة، ولكنه أمام الحب يعدم الصبر وتعجزه المقاومة، فيبدو ضعيفاً.
 (٦) يخاطب الشاعر هجر ليلي، وينعى عليه ما آلت إليه حاله، فقد تخطى كل الحدود حتى فاق كل هجر.

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
 فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
 وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ^(٢)
 أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً
 لَهَا كَنِيَّةٌ عَمُرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمُرُو^(٣)
 تَكَادُ يَدَي تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
 وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخُضْرُ^(٤)
 وَوَجْهِ لَهْ دِيْبَاجَةٌ قُرْشِيَّةٌ
 بِهِ تُكْشَفُ الْبَلَوَى وَيُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ^(٥)
 وَيَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ قَوَامُهَا
 كَمَا اهْتَزَّ غُصْنُ الْبَانِ وَالْفَنَنْ النَّضْرُ^(٦)

- (١) الدهر يرسم الخطى للبشر، ومشيتته نافذة. يستغرب الشاعر أن الدهر كان حرباً عليه يعمل على التفريق بينه وبين حبيبته حتى إذا تحقق له ذلك ونجح في مسعاه هدأت حربه واستكان.
- (٢) يطلب الشاعر من حبه ليلى أن يزيده ألماً وعذاباً كل ليلة؛ فالألم عثير الشاعر على مدى الأيام وتسليته، فاللقاء سيكون في يوم الميعاد والحشر.
- (٣) أنكر القلب كل حب سوى حبها، هي عامرية تكتى بأمر عمره ولا تزال عذراء ولم تلد ولداً ينتسب إليها.
- (٤) ملامستي لها تحيي فيها الرعدة المبللة بالندى وتنعش فيها قوة الحياة، فتظللها الخضرة.
- (٥) إنها جميلة الوجه، ذات مسحة قرشية أنيقة وأبيّة، يُستشفع بوجهها فتزاح الظلمات والمصائب ويُستمطر به فينهمر المطر خيراً ورواءً.
- (٦) فإذا ما اسبكرت بدرعها اهتز من تحت ثوبها قوامها الممشوق الجميل كما يتحرك غصن البان الرقيق الناعم النضر الأخضر.

فـيـا حـبـيـذا الأحياء ما دمت فيهم
 ويا حبيذا الأموات إن ضمك القبر^(١)
 وإنني لتعروني لذكرائك نفضة
 كما انتفض عصفور بلله القطر^(٢)
 عسى إن حجبنا واعتمرنّا وحرمّت
 زيارة ليلى أن يكون لنا الأجر^(٣)
 فما هو إلا أن أراها فجاءة
 فأبهرت لا عرف لدي ولا نكر^(٤)
 فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى
 وبالصخرة الصماء لآتصدع الصخر^(٥)
 ولو أن ما بي بالوحوش لما رعت
 ولا ساعها الماء النмир ولا الزهر^(٦)

- (١) وطالما أن ليلي في عالم الأحياء بينهم بذاتها ووجدانها هذا ما يحلو للشاعر ويحبّه، وكذلك لو ضمّها قبر، فإنّه يحبّ الأموات لأنها في زمريهم.
- (٢) فإذا ما تذكر الشاعر حبيبته انتابته رعشة حرّكت مشاعره ووجدانه وأحاسيسه فجاءة كما ينتفض عصفور بلله المطر.
- (٣) يداعب الشاعر الأمل بأن تقبل حجّته واعتمازه، حتى لو حرّمت عليه زيارة ليلي، وأن يحصل له ثواب حجّه واعتماره.
- (٤) فإذا كان اللقاء فجأة من غير ميعاد أثناء الطواف يُصيبني الدهش فأحار جواباً فلا أعرف ما أنا فيه أم أنكر.
- (٥) إن شوقي عظيم وعذابي تُفتت الحصى لو نزل بالحصى، حتى الصخرة، الصخرة الصماء التي لا تعرف الإحساس، فلو نزل بها ما أشعر به لتصدّعت وتفتّتت من هول ما أعاني.
- (٦) حتى الوحوش لو نزل بها من الهموم ما نزل بي، لامتنتعت عن الحياة، وامتنتعت عن الرعي ولما أحسّت للماء التمر طعماً ولما لفت نظرها جمال الزهر.

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْبَحَارِ لَمَا جَرَى
بِأَمْوَاجِهَا بَحْرٌ إِذَا زَخَرَ الْبَحْرُ^(١)

٨١

لقاء النظر

[الطويل]

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ
يُؤَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ^(٢)

٨٢

نفس تذوب وتقطر

[الطويل]

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي
خِيَامٌ بَنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ^(٣)
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي
أَجَلْ، لَا، وَلَكِنِّي عَلَى ذَلِكَ أَنْظُرُ^(٤)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَبْرَةً ثُمَّ نَظْرَةً
لَعَيْنُكَ يَجْرِي مَأْوَها يَتَحَدَّرُ^(٥)

(١) وحتى البحار لو نزل بها ما بي من آلام وعذاب لتعطّلت لغتها فجمدت أمواجه وتجمّدت رغم أعماقها الغامرة.

(٢) حركة لا تتوقّف، ونظر لا يريم دائم التطلّع إلى السماء لعلّه يُصادف تقلّب نظرها في السماء، فيلتقي النظران ويجتمعان.

(٣) و (٤) يختزن الشاعر حنيناً إلى أرض الحجاز وبغيته خيام بنجد كثيرة لا يستطيع النظر استيعابها لكثرتها، وهو يعلم يقيناً أن تطلّعه لا يجدي نفعاً، ولا يعود عليه بالنفع، ومع ذلك لا يتوقف عن ذلك وينظر وينظر.

(٥) لا يتوقّف دمه كل يوم، يتحدّر ومع ذلك يُديم النظر إلى حيث يهوى ويعشق.

متى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِذَا مُجَاوِرٌ
 حَزِينٌ وَإِذَا نَازِحٌ يَتَذَكَّرُ^(١)
 يقولون: كم تَجْرِي مَدَامُ عَيْنِهِ
 لَهَا الدَّهْرُ دَمْعٌ وَاكْفُ يَتَحَدَّرُ^(٢)!
 وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ وَتَقْطُرُ^(٣)

٨٣

طالب رضاك

[الطويل]

سَلَبَتْ عِظَامِي لَحْمَهَا فَتَرَكْتَهَا
 مُعْرِقَةً تَضْحَى إِلَيْهِ وَتَخْصُرُ^(٤)
 وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ مُخِّهَا وَكَأَنَّهَا
 قَوَارِيرٌ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَضْفِرُ^(٥)

- (١) قلب الشاعر لا يجد للراحة طعمًا، فهو لا يستريح في مجاورته لحبيبته يملأه الحزن، وفي حال بعده عنها تثير لواعج قلبه الذكرى.
- (٢) و (٣) يقول الملاء، والدهشة ملء أعينهم: إنه دائم البكاء لا تتوقف عيناه تسح دمعاً أبد الدهر. ويرد الشاعر عليهم أن ما ترونه ليس دمعاً بل هو ذوب النفس وألم الفؤاد يقطر دماً وليس دمعاً.
- (٤) معرقة: لا لحم عليها. تضحى: تتعرض لحر الشمس. تخلصر: تتعرض لبرد الليل. نزع لحي عن عظمي، فإذا بعظامي تتعرض لقسوة الطبيعة نهاراً، شمس محرقة، وليلاً رياح باردة تقصم الظهر.
- (٥) مخ العظم: ما في داخله من مادة. قوارير، واحدها قارورة: القناني يجعل فيها كل سائل لحفظه. بدت عظامي المفرغة من أسباب حياتها قوارير تلعب الرياح في أجوافها مزمجرة بحرية مما يجعلها في عالم الأموات.

- إِذَا سَمِعْتُ ذَكَرَ الْحَبِيبِ تَقَطَّعَتْ
عَلَائِقُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ^(١)
خُذِي بِيَدِي ثُمَّ انْهَضِي بِي تَبَيَّنِي
بِي الضُّرِّ إِلَّا أَنْنِي أَتَسْتَرُ^(٢)
فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةٌ
عَلَيَّ وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ^(٣)
فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظُنُّهُ
رِضَاكَ وَلَكِنِّي مُجِبُّ مُكْفَّرُ^(٤)

٨٤

ماء الصبابة

[الطويل]

- نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاةٍ
إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ^(٥)
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكََا
فَأَعَشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ^(٦)

- (١) وهي في حال سماعها ذكر الحبيب انصرفت وتقطعت مفاصلها، فبدت مفككة ضعيفة لخوف مما قد يحصل وحذرهما منه .
(٢) يوجه الشاعر حديثه إلى حبيبته طالباً منها أن تُمسك بيده وتأخذ به لتخلصه مما هو فيه من آلام وعذاب ، وأن تساعد على النهوض من كبوة الحزن ، حتى تتبين ما نزل به من ضرر بسببها ، ومع ذلك فهو يتمالك نفسه ويتحمل ، وهو يخفي ما به متسترأ .
(٣) يكشف الشاعر ضعفه أمام حبيبته ، فقد نفذت كل قدراته ، حاول إثارة مشاعر الرحمة فيها فلم تنجح حيلته معها ولم يُفلح باستمالتها إليه وكذلك فقد عدم الصبر وفقد القدرة على النضال في سبيل من أحب .
(٤) يقسم الشاعر بأنه بذل ما في وسعه ولم يُقصر في سبيل رضاها فلم يُوفق ولكنه عاشق مكفّر .
(٥) و (٦) انتحى الشاعر زُكناً يختبئ فيه ، وينظر إلى ديار الحبيبة ، ولكن دمه كان لا =

٨٥

الوشاة

[البسيط]

أَمَسْتُ وَشَاتُكَ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُهَا
 وَقَدْ رَمَوْكَ بِعَيْنِ الْغِشِّ وَابْتَدَرُوا^(١)
 تُرِيكَ أَغْيُنُهُمْ مَا فِي صُدُورِهِمْ
 إِنَّ الصُّدُورَ يُؤَدِّي غَيْبَهَا النَّظْرُ^(٢)

٨٦

وقلن تزوج

[الطويل]

أَجَدَّ بِأَحْيَاءِ الْجَمِيعِ بُكُورُ
 وَبَانَ الْأَخِلَاءُ، الَّذِينَ تَزُورُ^(٣)
 وَشَقَّ عَصَا الْجِيرَانِ يَوْمَ تَرَحَّلُوا
 نَوَى بِالْكَلِيبَاتِ عَنْكَ تَجُورُ^(٤)

= يُبَيِّحُ لَهُ رُؤْيَا مِنْ يَوْمِ رُؤْيَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ مِنْ خَلْفِ زَجَاجَةٍ، لِذَا فَهُوَ طَوْرًا تَحُولُ الدَّمُوعُ
 الْمَنْهَمَرَةُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُونَ وَضُوحِ الرُّؤْيَا، وَطَوْرًا آخِرُ تَزُولُ الْغِشَاوَةُ عَنْ عَيْنَيْهِ مِمَّا يُبَيِّحُ
 لَهُ الرُّؤْيَا.

- (١) و (٢) الوشاة: النمامون يتجسسون عليك فينقلون أخبارك، إنه المساء وفي ليل
 السمر يحلو الحديث. الوشاة استرقوا السمع والنظر وراحوا يتندرون ويمزقون سيرة
 الشاعر باختلاق الأكاذيب، وهم يتسابقون، كل حسب ما أوتي من موهبة اختراع
 القصص الكاذب، وهم تزيع أعينهم فيبدون غير ما يخفون من خبث وغدر،
 وصدورهم ملئت كرهاً، ولكن أعينهم تخونهم فتكشف زيفهم وما تخفي صدورهم.
 (٣) أجَدَّ: أجتهد. البكور: هم الذين يصحون من النوم باكراً. مع إطلالة الفجر
 الأولى، هب جميع الأحياء باكراً، وهم على أهبة الرحيل وبعد الأصحاب
 والأحباب الذين كنت أتردد عليهم زائراً.
 (٤) شَقَّ عصا الجيران: تفرقوا. النوى: البعد. الكليبات: اسم مكان. تجور: تميل.
 قدّر القدر بتشتت الجيران والبعد إلى الكليبات وهي تشيح عنك بوجهها.

بَرَاةٌ مَكْرُوهٍ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يَكُنْ
 لَهَا دُونَ تَكْدِيرِ الصَّفَاءِ نَكِيرٌ^(١)
 مُحِبٌّ أَتَاهَا أَنَّ مَا بَيْنَ بِيْشَةَ
 وَنَجْرَانَ مُخْضَرُّ الْجَنَابِ مَطِيرٌ^(٢)
 أَيَذْهَبُ عَقْلِي بَعْدَ عِلْمِي وَإِنْ عَلَا
 عِذَارِي مِنْ بَعْدِ الْمَشِيبِ قَتِيرٌ^(٣)
 وَمُسْتَجْهَلِي بَعْدَ التَّحَلُّمِ نِسْوَةٌ
 أَشَارَ بِلَيْلَى نَحْوَهُنَّ مُشِيرٌ^(٤)
 تَعَوَّذَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّمَا
 لَهُنَّ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ طُهُورٌ^(٥)
 وَقُلْنَ تَزَوَّجْ وَارْعَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
 أَجَارَكَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ مُجِيرٌ^(٦)

(١) البين: البعد. النكير: المكروه من الأمور. الفراق رغم براعته بتفرق الأحباب وتكدير صفو العيش، فهو مكروه ممن يستسلم للأقدار.

(٢) بيْشَة ونجران: موضعان. قسوة الحياة وجفاف الصحراء يحمل على الرحيل، فالمحب أخبر حبيبة الشاعر أن مكاناً خصبياً حيث صبغ أرضه مطر فاخضرت جنبات الأرض ما بين بيْشَة ونجران.

(٣) قتير: طلائع الشيب الأولى في رأس المرء. العذار: الشعر بجانب الأذن. يستفسر الشاعر وقد هاله عنصر المفاجأة أيجن وقد أخبر برحيل حبيبته، وقد بدأ الشيب يغزو رأسه حتى بلغ عذاره.

(٤) و (٥) مستجهلي: ظن بي الجهل. التحلم: التعلل. ثمة من يظن بي الجنون، وقد استفقت على هول المفاجأة برحيل ليلى، قوله من عادة النسوة قتل من أحببهن، وكأنما دماء المسلمين حلت لهن يفعلن بهم ما يشأن.

(٦) وإمعاناً بالكيد يطلبين من الشاعر أن يستبدل زوجة بليلى، وهن يدعن أن يبعد الله تعالى عنه ريب الزمان.

أَرْدَنَ بَلَائِي مَا قَضَيْنَ لُبَانَةً
فَقَدْ غَارَ أَوْ كَادَ النُّجُومُ تَعُورُ^(١)

٨٧

إن المحب شكور

[الطويل]

شَكُوتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَزَنَ بِي
فَقُلْتُ: وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ^(٢)
«أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ»^(٣)
فَجَاوَبَنِي مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ أَرَاكَةِ
أَلَا كُلَّنَا يَا مُسْتَعِيرُ مُعِيرُ^(٤)
وَأَيُّ قَطَاةٍ لَمْ تُعِرْكَ جَنَاحَهَا
فَعَاشَتْ بِضُرٍّ وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ^(٥)

(١) لبانة: حاجة. هؤلاء النسوة يبغين إيدائي وإنزال المصائب بي بعدما يقضين حاجتهن ويشفقن بي ويقضين وطهرهن مني، بعدما ينبلع الفجر وتتكشف الحقائق.

(٢) سرب القطا: جماعة ضرب من الحمام البري. بين السماء والأرض بون شاسع وكذلك فالشاعر بعيد تفصله مسافات عن حبيبته، وهو يودّ لو يجد وسيلة تعينه على ذلك. ينظر إلى السماء بحيرة فيجد قطيع القطا يسرع الطيران، فينعي لها ضعفه وبكاءه الجدير بمن لا حيلة لديه.

(٣) و (٤) ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية للعيني ١: ٤٣١، التصريح بمضمون التوضيح، للشیخ خالد: ١٣٣، ١٣٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع للسيوطي ١: ٩١، الدرر اللوامع ١: ٦٩، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٥١، وقد ورد البيت في ديوان العباس بن الأحنف: ١٤٣، يطلب الشاعر إلى ذلك السرب لو أن قطاة تعيره جناحيها يستعين بهما لبلوغ ديار الحبيبة، فكان الرد أن كلاً منّا مستعير ومستجير.

(٥) وما من قطاة تتخلّى عن جناحها؟ فهي إذاً تعاني الألم والأسى بغير جناح.

وَالْأَفَمَنْ هَذَا يُؤَدِّي رِسَالَةَ
 فَأَشْكُرُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ شَكُورٌ^(١)
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو صَبَوْتِي بَعْدَ كُرْبَتِي
 وَنِيرَانُ شَوْقِي مَا بِهِنَ فُتُورٌ^(٢)
 فَإِنِّي لَقَاسِي الْقَلْبِ إِنْ كُنْتُ صَابِرًا
 عَدَاةً عَدِ فَيَمَنْ يَسِيرُ تَسِيرٌ^(٣)
 فَإِنْ لَمْ أَمُتْ غَمًّا وَهَمًّا وَكُرْبَةً
 يُعَاوِذُنِي بَعْدَ الزَّفِيرِ زَفِيرٌ^(٤)
 إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلِسٍ نَذَرُوا دَمِي
 فَكَيْفَ تَرَاهَا عِنْدَ ذَاكَ تُجِيرُ^(٥)؟
 وَدُونَ دَمِي هَزُّ الرَّمَّاحِ كَأَنَّهَا
 تَوَقُّدُ جَمْرٍ ثَاقِبٍ وَسَعِيرٌ^(٦)
 وَزُرْقُ مَقِيلِ الْمَوْتِ تَحْتَ ظُبَاتِهَا
 وَنَبْلٌ وَسُمْرٌ مَا لَهُنَّ مُجِيرٌ^(٧)

- (١) إِنَّ الشاعر بحاجة لمن يقوم بعمل يُشكر عليه، رسالة إلى حبيبته من قلب محب.
 (٢) صبوتي: شوقي. كرتي: حزني وضيقي. الله سبحانه وتعالى المرجع الأخير ولا مرجع سواه، يبئنه الشاعر ما في نفسه من شوق إلى حبيبته ويرفع شكواه إليه علّه يكشف كرتيه عنه، فنيران حبه دائمة الاشتعال لا تفتّر، بل هي تزداد لهيباً واشتعالاً.
 (٣) عدم الشاعر الصبر، ولو كان صبوراً على البعد لكان قاسي القلب، فالحنين لا يزال يعمر قلبه، ولذلك حيثما ترحل حبيبته يسير قلبه خلفها.
 (٤) ما يدلّ على تدفق الحياة زفير متلاحق يخرج من أعماق الشاعر رغم تكدّس الهموم والآلام التي يسببها له ذلك الحب.
 (٥) يلاحق الشاعر خوف ورعب يتحدث به أهل المجلس، فقد أبيح دمه، وكأنه مجرم قاتل، وهو في الحقيقة بريء، وهو لا يجد معيناً ولا مجيراً يأخذ بيده نحو برّ أمين.
 (٦) و (٧) يصوّر الشاعر مدى ما وصل إليه من رعب وخوف؛ فثمة رماح تتوقّد غيضاً ونار لاهبة تتحرّق وتمتدّ لتخطف حياة بريئة، وتلك الرماح سُقيت بالماء حتى قست وارتدت =

- إِذَا غَمَزْتَ أَصْلَابُهُنَّ تَرْتَمَتْ
 مُعْطَفَةً لَيْسَتْ بِهِنَّ كُسُورٌ^(١)
 قَطَعْنَ الْحَصَى وَالرَّمْلَ حَتَّى تَفَلَقَتْ
 قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا وَضُفُورٌ^(٢)
 وَقَالَتْ: أَخَافُ الْمَوْتَ إِنْ يَشْحَطَ النَّوَى
 فَيَا كَيْدًا مِنْ خَوْفٍ ذَاكَ تَغُورُ^(٣)
 سَلُّوا أُمَّ عَمْرٍو هَلْ يُنَوِّلُ عَاشِقٌ
 أَخُو سَقَمٍ أَمْ هَلْ يُفَكُّ أَسِيرٌ^(٤)؟
 أَلَا قُلْ لِلَّيْلِ هَلْ تُرَاهَا مُجِيرَتِي
 فَإِنِّي لَهَا فِي مَالِدَيٍّ مُجِيرٌ^(٥)
 أَظْلُ بِحُزْنٍ إِنْ تَعَنَّتْ حَمَامَةٌ
 مِنَ الْوُزْقِ مِطْرَابُ الْعَشِيِّ بَكُورٌ^(٦)
 بَكَتْ حِينَ دَرَّ الشُّوقُ لِي وَتَرْتَمَتْ
 فَلَا صَحْلٌ تُرْبِي بِهِ وَصَفِيرٌ^(٧)

= اللون الأزرق، وأسنة قاتلة فتاة لا تعرف للرحمة طعماً، بل مذاقها الموت الأحمر .
 (١) غمزت أصلابها: أميلت نصالها . ولتلك الأسنة نغم في حال اهتزازها بأيدي حاملها مرعب، فضلاً عن سلامتها من عيوب الثلم أو الكسر .
 (٢) يصف الشاعر شدة مسير النياق وهي تقطع المسافات البعيدة مسرعة؛ فالحصى تتحطم تحت أخفافها، والرمال وغبارها تعلو فوقها، حتى العقود في أعناقها والأحزمة في رحالها تقطعت بسبب انسيابها السريع في المشي .
 (٣) يشحط النوى: يمتد البعد . يُطلعنَا عَمَّا يدور في خلد حبيبته، فهي تخشى من أن يطول الهجر والبعد اللذان يحملان الموت، ولذا فالكبد يشتد أوار لهيبها .
 (٤) و (٥) يطلب الشاعر مَن يلتقي ليلى معرفة نواياها فهل تحمل له ترياق الشفاء بقاء يغسل الهم ويزيل السقم أم تترك له حرية الحياة فتعتقه من أسر حبها . وهل بإمكانها أن تُجيره، فلطالما ضحى وأجارها على مذبح حبه لها .
 (٦) و (٧) ما يثير حزن الشاعر حمامة تغني فرحة باليف، وقد أقبل المساء، وهي تنعم بدفء الحب إلى جانب من تحب، وفجأة تسمع بكاء مبعثه الحب، فاستحال غناؤها بكاء حزينا =

لَهَا رُفْقَةٌ يُسْعِدْنَهَا فَكَأَنَّمَا
تَعَاطَيْنَ كَأَسَاءَ بَيْنَهُنَّ تَدُورُ^(١)
بِجِزَعٍ مِنَ الْوَادِي فَضَاءٌ مَسِيلُهُ
وَأَعْلَاهُ أَثْلٌ نَاعِمٌ وَسَدِيرُ^(٢)
بِهِ بَقَرٌ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ سَاكِناً
وَأَخَرُ وَحْشِيٌّ السَّخَالِ يَثُورُ^(٣)

٨٨

القاضي الجائر

[الطويل]

أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ^(٤)
هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضِلَّ بَعِيرَهُ
لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدَّمَامَ كَبِيرُ^(٥)
وَلِلصَّاحِبِ الْمَثْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً
عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ^(٦)

= لحال الشاعر، فإذا به صوت شجيّ طرب، ليس فيه بحة حزن، ولا صغير.

(١) ليست تلك الحمامة وحيدة بل ثمة رفقة يشاركها الفرح في جوقه وكأنهن يتعاطين المدام، كؤوسها تدور عليهن.

(٢) و (٣) يصف الشاعر لنا صورة حياة لاجتماع أسراب الحمام، فهن يتخذن لهن مأوى في منبسط من الأرض تغطيه الأعشاب وتعاقد شجرات السدر السماء، ويتنقلن حيث يشأن. وفي ذلك المكان ترعى بقرات أليفات وإلى جانبهن تتعاش معهن سخال وعجول البقر الوحشي بهدوء وسكينة واطمئنان.

(٤) ورد البيت في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع ١: ٢٠٢، الدرر اللوامع ١: ١٧١، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٥١. أنتم تطلبون مني أن أتخلى عن ليلى، وليست تبعد ديارها عني سوى مسير ليلة، ويستغرب الشاعر أنه صابر على البعد رغم قرب المسافة.

(٥) و (٦) يحاول الشاعر أن يثير القوم بكرم الضيافة وحسن الجوار، فللجار على الجار =

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى فَإِنَّهَا
إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ^(١)

٨٩

بشير طلاق

[الطويل]

دَعَوْتُ إِلَهِي دَعْوَةً مَا جَهِلْتُهَا
وَرَبِّي بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ بَصِيرُ^(٢)
لَئِنْ كَانَ يُهْدِي بَرْدَ أَنْيَابِهَا الْعَلَا
لَأَفْقِرَ مَنِّي إِنْ نِي لَفَقِيرُ^(٣)
فَقَدْ شَاعَتِ الْأَخْبَارُ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ
فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ^(٤)؟

٩٠

من نصيري

[الطويل]

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ نُكَ شَاحِبُ
وَأَنْتَ بِلَوَعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرُ^(٥)

= حقُّ فرضته الحياة قوامه الحماية والمساعدة ومدِّ يد العون . ولنفرض أنني أضعت بعيري في جواركم، فحمايته ورعايته فرض عليكم، ومن واجبي أن أعمل على إرجاع ما أملك بمساعدتكم.

(١) من واجب القاضي العدل ورفع الظلم؛ فحكم ليلى عليّ قاسٍ ظالم؛ فليغفر الله تعالى لها فعلتها في مقلب الأيام.

(٢) و (٣) يضرع الشاعر إلى الله تعالى فيدعوه أن يمنَّ عليه ببرد ليلى فهو أشدَّ فقراً من سائر الفقراء، دعاء خفياً في سرِّه لا يعلمه إلا الخالق العظيم.

(٤) تنامي إلى مسامع الشاعر أخبار، مفادها أن ليلى زوّجت؛ وهذا ما يحزنه، وما يُفرحه أن يسارع البشير فيطلعه على طلاقها من بعلاها.

(٥) يخاطب الشاعر غراب البين شعار الشؤم بسواد لونه؛ فمن طبعه التفريق بين الأحبة.

فَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ إِذْ أَنْتَ وَاقِعٌ
 وَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ حِينَ تَطِيرُ^(١)
 فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ فَأَضْبَحَتْ
 هُمُومُكَ شَتَّى وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ^(٢)
 وَلَا زِلْتَ مَطْرُوداً عَدِيماً لِنَاصِرٍ
 كَمَا لَيْسَ لِي مِنْ ظَالِمِي نَصِيرُ^(٣)

٩١

جناح الهوى

[الطويل]

وإِنِّي لِنَارٍ دُونَهَا رَمْلٌ عَالِجٌ
 عَلَى مَا بَعَيْنِي مِنْ قَذَى لَبِصِيرُ^(٤)
 كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ حِينَ يُنِيرُهَا
 كَنَجْمٍ خَفِيَ فِي الظَّلَامِ يُنِيرُ^(٥)
 مَتَى تُذَكِّرِي لِلْقَلْبِ يَنْهَضُ بِرُوعَةٍ
 جَنَاحُ الْهَوَى حَتَّى يَكَادَ يَطِيرُ^(٦)

- (١) ويطلب من الغراب في كلا الحالين : وقوعه وطيرانه ، إيضاح مقصده لما قاله وتفسيره .
 (٢) و (٣) يدعو الشاعر على الغراب إذا ما كان صادقاً في دعواه أن تكثر همومه وتتزاحم عليه ، وأنا يُكسر جناحاه فلا يستطيع الطيران ، وأن يصبح مكروهاً ، لا ناصر له كما لا نصير لي من ليلي يزيل عني ظلمها .
 (٤) عالج : اسم موضع في الصحراء يُعرف برماله الحارة . القذى : هو ما يسقط في العين صغار التبن وسواه . الشاعر على علم لما نزل به من آلام رغم ما حلَّ بعينه من قذى فجعلها تدمع ، فهو بصير بما يحسُّ به من نار لاهية تفوق حرارة رمال عالج .
 (٥) من طبع النسيم الرِّقَّة ، ولكن الأمر على خلاف ما يتوجَّب عليه فإذا به لاهب ساطع كنجم مختبئ خلف النعيم يُشَتُّ الظلمة بنوره .
 (٦) الروعة : الخوف . فإذا ما تذكر ليلي يقفز قلب الشاعر طائراً فرحاً بعدما كان يحسُّ بالانكسار .

٩٢

داوني بالتي كانت هي الداء

[الطويل]

وما بيّ إلا حُبُّ ليلَى كَفَايَةَ
 جُنُوناً وإِنِّي في الهوى لَأَسِيرُ^(١)
 فلا تَقْتُلِينِي أُمَّ مَالِكَ عَنُوءَ
 وَأَنْتِ عَلَى عِثْقِي الْعَدَاةَ قَدِيرُ^(٢)
 فَيَا رَبَّ هَبْ نَفْسِي لِنَفْسِي وَدَاوِنِي
 بِلَيْلَى لَتُجَلَى كُرْبَهُ وَزَفِيرُ^(٣)

٩٣

فيك المنى

[الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ لَا بُدَّ لِي أَنْ أَهَاجِرَهُ
 وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ^(٤)
 وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ بِي فَاتَّقَاهُمْ
 بِهِجْرِي إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهُ^(٥)
 فَمَنْ أَجْلِلَهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرَحْبِهَا
 بِلَادِي إِذْ لَمْ أَرْضَ عَمَّنْ أَجَاوِرُهُ^(٦)

(١) لا يُعَكِّرُ صفو حياة الشاعر سوى حبّ ملاء عليه حياته فحوّله إلى مجنون، وجعله أسير الهوى.

(٢) العتق: التحرير من العبودية. يطلب الشاعر من حبيبته ألا تقتله، وأن تطلق أسره لينعم بالحرية.

(٣) يطلب الشاعر من خالقه أن يمن عليه بليلَى لتكون دواء نفسه ويلسم جراحه فتنجلي كُربه وتبرد زفرائه.

(٤) سمحت لمن وجب هجره أن يحتلّ ركناً في أعماقي؛ فهو دائماً ترعى ذكره في خلدي في اليسر والعسر.

(٥) و (٦) ألسنة الناس تحوّل سيرتها بأنّها تحبّه ولذا لجأت، صوناً لنفسها، إلى هجره، =

وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ مَنْ لَا يُحِبُّنِي
 وَبَاغَضْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ حِيناً أَعَاشِرُهُ^(١)
 أَتَهْجُرُ بَيْتاً لِلْحَبِيبِ تَعَلَّقْتُ
 بِهِ الْحُبُّ وَالْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ^(٢)؟
 وَكَيْفَ خَلَاصِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ بَعْدَمَا
 يُسَرُّ بِهِ بَطْنُ الْفُؤَادِ وَظَاهِرُهُ^(٣)؟
 وَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَأَنْقَضَى
 فَإِنْ مِتُّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدْ مَاتَ آخِرُهُ^(٤)
 وَقَدْ كَانَ قَلْبِي فِي حِجَابٍ يَكُتُّهُ
 فَحُبُّكَ مِنْ دُونِ الْحِجَابِ يُبَاشِرُهُ^(٥)
 أَصْدُ حَيَاءً أَنْ يَلِجَ بِي الْهَوَى
 وَفِيكَ الْمُنَى لَوْ لَا عَدُوُّ أَحَاوِرُهُ^(٦)

= خلاف ما يُضمَر من حبّ لي . ولهذا فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ فهو لا يرضى بجوار سوى جوارها.

(١) وبسبب حبه لها انقلبت المقاييس، فهو أصبح حبه تبعاً لحبها، فهو يحب ما تحب رغم يقينه بأن من تحب يكرهونه، وتحول من كان يُحبهم ويعاشرهم أعداء له لنصحهم له هو بالابتعاد عن حب لا طائل منه.

(٢) حوار وجداني داخلي يتأرجح الشاعر بين الإقدام على زيارة بيت الحبيب وبين الإحجام عن ذلك فثمة من ينوي الإيقاع به وقتله؛ والتهوّر يدفع الشاعر على الإقدام بتلك المغامرة.

(٣) يفتش الشاعر عن ملجأ من عذاب الحب الذي ملأ عليه حياته، فقد أصبح صنو سعادة قلبه المتألم في الداخل والخارج فكيف يتخلّى عنه؟

(٤) رحلة الحب بعيدة المسافات، فمن عرف الحب فيما مضى ومات شهيد الحب، فقد ولج أول الطريق، وإن مِتْ وانتهى أجلي فذلك نهاية رحلة الحب وممتهاه.

(٥) يكتنه: يستره. قد كان قلبي عصياً على الحب ستائره حديدية، ولكن سرعان ما انهارت الحواجز وتحطمت الموانع فحللت فيه بقوة الحب.

(٦) ثمة صراع ومحاولات لكبت مشاعري لئلا يدفع بي الحب إلى التهوّر بسبب حيائي، وفي الحق أنت منى النفس ولكن ثمة عدو أجادله.

٩٤

الحب العفيف

[الطويل]

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَوْ يُسْعِفُ النَّوَى
وَنَجْوَى فُؤَادِي لَا تُبَاحُ سَرَائِرُهُ^(١)
أَثِيبِي فَتَّى حَقَّقْتُ قَوْلَ عَدُوِّهِ
عَلَيْهِ وَقَلَّتْ فِي الصَّدِيقِ مَعَاذِرُهُ^(٢)
أَحِبُّكَ يَا لَيْلَى عَلَى غَيْرِ رَيْبَةٍ
وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لَا تَعِفُّ صَمَائِرُهُ^(٣)

٩٥

نفس شعارها الحب

[الطويل]

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ حُبٌّ لَيْلَى شِعَارُهَا
مَشَارِكُهَا بَعْدَ الْعَصِيِّ ائْتِمَارُهَا^(٤)
بِهَا عَلَقٌ مِنْ حُبٍّ لَيْلَى يَزِيدُهُ
مَرُورُ اللَّيَالِي طَوْلُهَا وَقَصَارُهَا^(٥)

- (١) يوجه الشاعر خطاباً لحبيبته، فهي شفاء لجراح نفسه، متمنياً لو تختصر المسافات، فلا يعود البعد بعداً، والقلب المناجي يحتفظ بما يكنه من مشاعر.
- (٢) يطلب الشاعر من حبيبته أن تثبته بوذ قطعته، وبذا استجابت لأقوال العداة، وحتى الأصدقاء فإنهم لا يجدون مسوغات أعذاره.
- (٣) الريبة: ظنّ السوء. يحب الشاعر حبيبته حباً صافياً عفيفاً يخلو من الظنون السوداء، والحبّ الطاهر حب مبارك لا غاية حمقاء وراءه.
- (٤) ائتمارها: التزام طاعتها. يسأل الشاعر هل يوجد من باستطاعته مساعدة نفس طاهرة ملك عليها حب ليلي أحاسيسها ومشاعرها، بعدما استعصت على الحب، والآن تمثل أمر هذا الحب طائعة.
- (٥) تيمت ليلي نفسي، فارتبطت بها مع مرور الزمن بطوال لياليه وقصارها.

ولم أرَ ليلي بعدَ يومٍ اغتَرَزْتُهَا
 فهاجَ خيالاً يَوْمَ ذاكِ اغتَرَاها^(١)
 من البيضِ كَوْماءِ العِظامِ كَأَنَّمَا
 يُلاثُ عَلَى دَعَصٍ هَيَالٍ إِزارُها^(٢)
 فما عَوَّجَ أدماءُ خَفَّاقَةُ الحشا
 لها شادنٌ يدعوه وَثِراً خوارُها^(٣)
 رَعَتْ ثَمَرَ الأَفنانِ ثُمَّ مَقِيلُها
 كِناسٌ لَدَى عَيْناءِ عَذْبٍ ثمارُها^(٤)
 بأحسنِ من ليلي ولا مُكْفَهَرَةٌ
 من المُزِنِ شَقَّ اللَّيلِ عنها اِزْدراها^(٥)

(١) اغتررتها: أغراني جمالها بحبها. خيالاً: افتخاراً. وها أنا ذا لم يعد باستطاعتي رؤية محباً ليلى بعدما سحرتني بجمال طلعتها البهية، يومها تاهت بي الأرض زهواً وافتخاراً بهذا الحب.

(٢) كوما العظام: طويلة. يلاث: يلف. الدعص: كثيب الرمل، يقصد بذلك رديها. الهيال: ما انهال من الرمل. يصف الشاعر ليلى وصفاً خارجياً واجتماعياً؛ فهي بيضاء من الأحرار، أسبغ الله تعالى عليها نعمة الجمال، وهي طويلة يسترها ثوب ينسدل متموجاً فوق رديها كأنه كئبان رملية تنهال برفق ونعومة.

(٣) و (٤) و (٥) العوَج: الظبية ذات اللون الحسن والعنق الطويل. أدماء: سمراء. الشادن: الرشا. الوتر: المفرد. تواتر: تتابع. الخوار: صوت الظبية. لا زال الشاعر يصف ليلى من خلال إقامة مشابهة تمثيلية مستعينة بالظبية التي يتمثل فيها الرقة والأناقة والجمال. فليست الظبية السمراء الرقيقة الخائفة ذات القلب الواجف الراجف تدعو صغيرها بخوارها المتوالي، وهي ترعى ثمر الأفنان إلى جانب ظلٍ حيث تستريح عند الظهيرة، وإن لم يغمض لها جفن في كناسها القريب من الماء النмир والثمار اللذيذة، بأجمل من ليلى، وكذلك فليست الغيوم المترعة بالماء التي افتر عنها الليل فأمطرت تحمل الخير والنماء.

- وما قهوة صهباء في متمنّع
بحوران يعلو، حين قُضتْ، شرارُها^(١)
لها مُحصّناتٌ حولها هنّ مثلها
عواتقُ أرجاها لبّيعٍ تجارُها^(٢)
بأطيب من فيها ولا المسكُ بلّهُ
من اللّيل أزوى ديمةٍ وقطارُها^(٣)

٩٦

وعيد

[الطويل]

- ألا حُجِبَتْ لَيْلَى وآلَى أَمِيرُها
عليّ يَمِيناً جَاهِداً لا أزورها^(٤)
وأوعَدَنِي فِيها رِجالٌ أَبْرُهُم
أبي وأبوها خُشِنَتْ لي صُدُورُها^(٥)
على غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنِي أُحِبُّها
وَأَنْ فُؤادي عِنْدَ لَيْلَى أَسِيرُها^(٦)

(١) القهوة: الخمرة. الصهباء: الصافية. حوران: اسم موضع. قُضتْ: قُذحت. وكذلك ليست الخمرة المعتقدة الصافية في متمنّع بحوران تقذح شرراً لدى صَبّها.
(٢) المحصّنات: النساء اللواتي أحصنّ بالزواج، وهو يقصد الخوابي التي تعتق بها الخمرة وتُصان. تلك الخمرة المعتقدة المهيأة في الخوابي أحضرها تجارها للتجارة بها.
(٢) الديمة: السحابة ينهل مطرها هادئاً بلا رعد ولا برق. القطار: المطر الهطال. فليست تلك الخمرة ولا حتى المسك المشيع بمطر منسكب مدرارٍ بلا توقف بلا رعد ولا برق طوال بالذ من رشف ثغرها.
(٤) آلى: أقسم، ما يزيد لوعة الشاعر أنهم منعه من زيارة ليلى وأن أميرها أقسم يميناً مغلظة عليه بعدم زيارتها.
(٥) و (٦) واجتمعت إرادة ذوي ليلى وأبي على تهديدي بالقتل في حال اقترابي منها، =

وَأَنِّي إِذَا حَنَنْتُ إِلَى الْإِلْفِ إِلْفُهَا
هَفَا بِفؤادي حَيْثُ حَنَنْتُ سُحُورُهَا^(١)

٩٧

مصير الحب

[الطويل]

فَمَا رَحِمْتَ يَوْمَ التَّفَرُّقِ مُهْجَتِي
وَقَدْ كَادَ يَبْكِي رَحْمَةً لِي بَعِيرُهَا^(٢)
وَلَا لِي رَثْتُ لَمَّا شَكَوْتُ صَبَابَتِي
وَلَا أَطْفَأْتُ نَاراً يُشَبُّ زَفِيرُهَا^(٣)
وَإِنِّي مِنَ الْبَلَوَى أَسِيرُ صَبَابَةٍ
وَزَادَتْ بِي الْبَلَوَى يَكْرُ مُرُورُهَا^(٤)
فَلَا تَعْذِلُونِي تَكْسِبُونَ خَطِيئَتِي
فَحَالَةُ مِثْلِي لِلْمَمَاتِ مَصِيرُهَا^(٥)

= وقد انمحت الرأفة من قلوبهم عليّ . والحقيقة أنّي لم أذنب سوى أنّي أحبّها، وأنّها استحوذت على قلبي فهو أسير لديها ياتمر بأمرها .

- (١) وحين الإلف إلى إلفه سببه حبّ صادق وسلك سحريّ يربط بين المحبين .
(٢) و (٣) ثمّة مفارقة بين ليلي وبعيرها، فهي بدت قاسية القلب، فقد انمحت فيه مشاعر الرحمة والحبّ، على عكس بعيرها الذي كاد يبكي إشفافاً ورثاءً لحالي . وهي لم تبد اهتماماً ما عندما شكوت إليها ما أعاني من آلام وعذاب، فنار جوى الحبّ يشتدّ سعيرها بين الضلوع .
(٤) ومصيبة الشاعر أنه مقيد، أسره الحبّ الشديد، ومع مرور الأيام وتقادم العهد فالمصيبة أن عذابه يزداد ومصائبه .
(٥) يوجّه الشاعر كلامه للائمية ألاّ يعذّلوه، فذلك أمر شنيع يكسب صاحبه خطيئة، لأنّ مصير الشاعر إلى الموت الحتمي .

السفور المريب

[الطويل]

لكل لقاء نلتقيه بشاشة
 وإن كان حوْلاً كلَّ يَوْمٍ أزورها^(١)
 وكنتُ إذا ما جئتُ ليلي تبرّعتُ
 فقد رابني منها العداة سفورها^(٢)
 وقد رابني منها صدودُ رأيته
 وإعراضها عن جانبي وبُسورها^(٣)
 ألا إنَّ ليلي قد أجَدَّ بكورها
 ومرّت غداة السَّبْتِ للبينِ عيرها^(٤)
 فما أسودَّ أَلَمي المحاجرِ مُطْفِلُ
 بأحسنٍ منها مُقْلَتَيْنِ تُديرها^(٥)
 وكنتُ إذا ما جئتُ قلتُ لها: اسلمي
 فهل كان في قولي اسلمي ما يضرُّها^(٦)؟

- (١) لقاء الحبيب له طعم وذوق خاص، فيه تحلو الحياة ويسعد المرء حتى ولو توالى يوماً خلال السنة بكمالها.
- (٢) تبرّعت: احتجبت بالبرقع على وجهها. رابني: شككت في الأمر. ومن عادة ليلي أنها كانت تحتجب كلما قمت بزيارتها، فهذا هو اليوم تسفر عن وجهها، فلا بدَّ أن في الأمر شيئاً مخيفاً.
- (٣) البسور: العبوس. ما يريني أن أمراً جلاً قد وقع فيها هي تبدي صدوداً وعبوساً.
- (٤) بكورها: رحيلها باكراً. ثمّة أمر دفع ليلي إلى الرحيل مع إشراقة الفجر الأولى، فقد مرّت وهي تعتلي بعيرها لا تلوي على شيء بعيداً بعيداً.
- (٥) الأسود: الظبية. ألمى المحاجر: عيناها سوداوان. مطفل: ذات رشاء. يعمد الشاعر إلى وصف التفاتات ليلي، فمقلتها أجمل من ظبية سوداء العينين ترقب صغارها.
- (٦) ومن عادة الشاعر، كلما جاءها أن يتمنى لها السلامة ودعة الحياة، فهل في ذلك ما يغضبها؟

- وأشرف بالقَوْزِ اليفاع لعلني
أرى نارَ ليلي أو يراني بصيرها^(١)
حمامة بطن الواديئن ترنمي
سقاك من الغر العذاب مطيرها^(٢)
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً
ولا زلت في خضراء دانٍ بريرها^(٣)

٩٩

الذكرى المحرقة

[البسيط]

- يا دارَ ليلي بسقط الحي قد درست
إلا الثمام وإلا موقد النار^(٤)
ما تفتأ الدهر من ليلي تموت كذا
في موقفٍ وقفته أو على دار^(٥)

- (١) القَوْز اليفاع: الكثيب المرتفع فوق الأرض. ومن عادة الشاعر أن يعتلي ركناً يستطلع أحوال القبيلة بقصد رؤية نار تشب فتير ظلمة الليل، فيعرف ما يجري هناك أو أن يدلها إحساسها وحسها أن قيساً في مكان ما قريب من القبيلة.
- (٢) الغر العذاب: السحب الماطرة بماء عذب. يوجه الشاعر خطابه إلى حمامة بطن الواديين طالباً منها الغناء العذب والترنم، بما يحلو لها، وهو يتمنى لها ماءً غداً عذباً فراتاً من لدن الكريم سبحانه وتعالى.
- (٣) البرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك. ثم هو يطلب منها ألا تختبئ فهو مسالم، فلا خوف منه، وهو يدعو لها بالبقاء ناعمة البال في الرياض النضرة والثمار الدانية والعيش الرعيد.
- (٤) سقط الحي: ناحيته. درست: انمحت معالمه. الثمام: نبات صحراوي. يرسم لنا الشاعر صورة الأطلال وقد رحل عنها ساكنوها بسقط اللوى وقد عملت الطبيعة على تغيير معالمها؛ فالمطر أنبت نبات الثمام، ودلالات الحياة قد اندثرت وانمحت، فبات المكان خالياً يثير الخوف والحزن في النفوس.
- (٥) يخاطب الشاعر نفسه أن وقوفه وإن طال يسبب موته حيث التقى بليلى للمرة الأولى، أو أن دمعك سينهمر على طلل دارس يوقظ فيك ذكريات عذاباً.

أَبْلَى عِظَامَكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذَكَرُكَهَا
كَمَا يُنَحِّتُ قِدْحَ الشُّوْحِطِ الْبَارِي^(١)

١٠٠

نار القلب

[البسيط]

يَا مُوقِدَ النَّارِ يُذَكِّيهَا وَيُخَمِّدُهَا
قُرُّ الشِّتَاءِ بِأَزْيَاحٍ وَأَمْطَارِ^(٢)
قُمْ فَاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي مُضَرَّمَةً
فَالشُّوقُ يُضْرِمُهَا يَا مُوقِدَ النَّارِ^(٣)
وَيَا أَخَا الذُّودِ قَدْ طَالَ الظَّمَاءُ بِهَا
لَمْ تَذِرْ مَا الرِّيُّ مِنْ جَذْبٍ وَإِقْتَارِ^(٤)
رُدَّ الْمَطِيَّ عَلَى عَيْنِي وَمَحْجَرِهَا
تَزُو الْمَطِيَّ بِدَمْعٍ مُسْبِلٍ جَارِي^(٥)

- (١) القِدْح: السهم. الشوْحِط: ضرب من النبات تصنع من عيدانه السهام والعصي. الباري: اسم فاعل من برى العيدان. في العادة الذكريات الحلوة تنعش الذاكرة، ولكن الأمر يختلف مع الشاعر، فقد عملت على بري عظامه عن لحمه فبدا هيكلاً عظيماً يفتقد إلى الحياة، كما يقشر الباري أغصان الشوْحِط للاستعمال.
- (٢) أذكى النار: أشعلها. قُرُّ الشتاء: البرد القارس. يخاطب الشاعر موقد النار، فيبيده يشعلها ويطفئها القُرُّ القارس بعنفه ورياحه العاتية.
- (٣) يطلب الشاعر من موقد النار أن يستعين بنار فؤاده، فأوارها لا يخمد ولا يهدأ، فيأمكنه أن يستدفع من ضرام قلبه.
- (٤) و (٥) الذود: القطيع من الإبل المؤلف من ثلاث إلى ثلاثين. الري: الارتواء. الإقتار: الفقر المدقع. ويوجه الشاعر خطابه إلى راعي الإبل الذي عطشت جماله وطال عطشها، فلا ماء ترتوي به وقد ساد الجذب وعز الماء وجفّ النبات، فعليك باستمداد الماء لإبلك من عيني اللتين طال استمرار دمعهما لكثرة بكائي.

يَا مُزْمَعِ الْبَيْنِ إِنَّ جَدَّ الرَّحِيلِ فَلَا
كَانَ الرَّحِيلُ فَإِنِّي غَيْرُ صَبَّارٍ^(١)

(١٠١)

أيام نجد

[الوافر]

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي
بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضُّمَارِ^(٢)
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ^(٣)
أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ
وَرَيَّا رَوْضِهِ غَبَّ الْقَطَارِ^(٤)
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحِلُّ الْحَيُّ نَجْدًا
وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي^(٥)

(١) مززع: عازم. البين: الفراق. يخاطب الشاعر من صمم على الرحيل عن الديار، والرحيل حتمي، فليت الرحيل لم يُقدَّر؛ فالشاعر فقد الصبر على الفراق.

(٢) و (٣) العيس: النياق السريعة. المنيفة والضمار: موضعان. يخاطب الشاعر صديقه، وهما يرحلان على نياق سريعة بين المنيفة والضمار: بقوله له: تنفس عميقاً وتنشق عبير البنفسج البري في ربوع نجد، فليس بعد اليوم من تنعم بتلك الرائحة الطيبة لبعدنا عن تلك الديار.

(٤) نفحات: نسيمات تحمل العبير. الرّيا: الرّواء المشبع بالندى. القطار: السحوب الممطرة. ما أحبّ إليّ نسيمات نجد الليللة بالندى العطر، وكذلك رياضها المترعة بأمطار سحبه الغنية بالمياه.

(٥) زاري: عاتب. وما أحبّ الحلول في ربوع نجد حيث ينزل أهل لك وأنت مسرور من توافق الزمن مع أمانيك ولست عاتباً عليه!

شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا
 بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سَرَارٍ^(١)
 فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ
 وَأَطْوَلُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ^(٢)

١٠٢

سنا البرق

[الطويل]

أَقُولُ لِقَمَمَقَامِ بْنِ زَيْدٍ: أَلَا تَرَى
 سَنَا الْبَرْقِ يَبْدُو لِلْعُيُونِ النَّوَاطِرِ^(٣)؟
 فَإِنْ تَبُكَ لِلْبَرْقِ الَّذِي هَيَّجَ الْهَوَى
 أَعْنُكَ وَإِنْ تَصْبِرْ فَلَسْتُ بِصَابِرٍ^(٤)
 سَقَى اللَّهَ حَيًّا بَيْنَ ضَارَةِ وَالْحِمَى
 حِمَى الرَّشَفِ صَوَّبَ الْمُدْجَنَاتِ الْمَوَاطِرِ^(٥)
 أَمِينٌ وَأَذَى اللَّهِ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ
 إِلَيْهِمْ وَوَقَّاهُمْ صُرُوفَ الْمَقَادِرِ^(٦)

- (١) السَّرَار: آخر ليلة من الشهر. إذا كان رغد العيش ونعيمه لا يشعر المرء بمرور الزمن، فتتقضي الشهور وتتسارع الأيام، وتنقضي آخر ليلة من الشهر كغمضة عين.
- (٢) وليل تلك الشهور تنقضي سراعاً لحلو سمرها حيث يطيب الحديث فلا يحسن المرء بانقضائها، على نهارات تلك الأيام فتبدو طويلة مملة.
- (٣) و (٤) يخاطب الشاعر قَمَمَقَامَ بْنَ زَيْدٍ قَائِلاً: أَلَا تَرَى بَرْقاً يَلُوحُ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ بَادِئاً لِلْعَيَانِ؟ فَإِنْ أَبْكَاكِ الْبَرْقَ وَحَرَّكَ فِيكَ طَرْفًا مِنَ الْحَبِّ فَسَأَعِينُكَ بِدَمْعِي، وَإِنْ تَمَالَكْتَ وَصَبِرْتَ، فَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.
- (٥) ضَارَةُ وَالْحِمَى: موضعان. الرشف: الماء. الصوب: دُفْقُ الْمَطَرِ. المَواطِر: الغيوم الدافقة بالأمطار. يدعو الشاعر بأن تبارك السماء ذلك الحي بين ضارة والحمى بماء منهمر فيه الحياة والخضرة والنماء.
- (٦) يأمل الشاعر لذلك الحيّ الخير، لساكنيه والنازلين في كنفه، وأن يرعاهم الله تعالى من كل شرّ ويحفظهم من مكائد الأقدار.

١٠٣

عزاء

[الطويل]

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى
 بِشَامِ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَائِرِ^(١)
 كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكَّرِهِ الْحِمَى
 وَأَهْلِ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رَيْشُ طَائِرِ^(٢)

١٠٤

أُقَسِّمُ لَا أَنْسَاكَ

[الطويل]

أَيَا لَيْلَ زَنْدُ الْبَيْنِ يَقْدَحُ فِي صَدْرِي
 وَنَارُ الْأَسَى تَرْمِي فُؤَادِي بِالْجَمْرِ^(٣)
 أَبَى حَدَثَانُ الدَّهْرِ إِلَّا تَشْتَتَا
 وَأَيُّ هَوَى يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الدَّهْرِ^(٤)؟
 تَعَزَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ يَجْرَحُ فِي الصِّفَا
 وَيَقْدَحُ بِالْعَصْرِينِ فِي الْجَبَلِ الْوَعْرِ^(٥)

- (١) البشام: ضرب من شجر طيب الرائحة. الغوائر: الماضية. يقسم الشاعر بالحظ العائر أن الزمان لن يبيح له رؤية شجر البشام ولا التمتع بطيب روائحها في تلك الليالي التي تمرّ من السحاب بسرعة عظيمة.
- (٢) يحسّ الشاعر بخفقان قلبه إذا ما تذكّر تلك الديار وساكنيها كأنه استحال إلى طائر يخفق بجناحيه إلى حيث يحب.
- (٣) الزند: عود يُقدح به النار. يقدح: يشعل اللهب. يخاطب الشاعر ليلى أن البعد وقود يتقد في أعماقه دائم الاشتعال، بينما الجمر يحرق فؤاده.
- (٤) عملت مصائب القدر على تفرّقنا فباعدت بيننا، ومن المعلوم أن الفراق يميّت الحبّ في القلوب، وهل يبقى الحبّ متقدّ المشاعر أم يقضي البعد عليها، فتموت؟
- (٥) الصفا: الصخرة الملساء. العصرين: الغداة والعشي. ما يدخل العزاء على قلوب =

- وإني إذا ما أغوزَ الدَّمْعُ أهْلَه
 فزِعْتُ إلى دَلْحَاءِ دائِمَةِ القَطْرِ ^(١)
 فوالله ما أنساك ما هبَّت الصِّبَا
 وما ناحَتِ الأَطْيَارُ في وَضَحِ الفَجْرِ ^(٢)
 وما نطقتُ بالليلِ ساريَةَ القَطَا
 وما صدَحَتْ في الصُّبْحِ غاديَّةُ الكُذْرِ ^(٣)
 وما لاحَ نَجْمٌ في السَّمَاءِ وما بَكَتْ
 مُطَوِّقَةٌ شَجْواً على فَنَنِ السِّدْرِ ^(٤)
 وما طَلَعَتْ شَمْسٌ لَدَى كُلِّ شَارِقٍ
 وما هَطَلَتْ عَيْنٌ على وَاضِحِ النَّحْرِ ^(٥)
 وما اغْطُوطَشَ الغَرِيبُ واسودَّ لَوْنُهُ
 وما مَرَّ طُولَ الدَّهْرِ ذِكْرُكَ في صَدْرِي ^(٦)

= البشر أن كل شيء يتحوّل ويتبدّل، حتى الصخر فإنه لا يدوم على حاله. فالدهر
 كفيل بتغيير معالمه، وكذلك يحرق بلهبه الجبل الوعر صباح مساء.
 (١) دلحاء: سحابة ماطرة. فرع إليه: استعاذ به. وللدلالة على ما يعانيه الشاعر على
 استعداد لمدّ من بحاجة إلى الدمع أن يمده به من دمع عينيه الدائم السخّ.
 (٢) يقسم الشاعر لحبيبه أنه لن ينساها طالما نسّمت نسمات الحياة، وما دامت الأطيّار
 تبيكي أحبّتها في تفتح الفجر مع إشراقته الأولى.
 (٣) وكذلك طالما أفصحت القطا عن فرحتها في عتمة الليل، وغنّت بصوت رخيم مع
 بزوغ فجر جديد، وثمة غيوم مفعمة بالمطر في الأفق.
 (٤) المطوّقة: ضرب من الحمام البري. السدر: ضرب من الشجر الضخم. وكذلك ما
 انشقت السماء عن نجم يتلأأ ضياءه في كبدها، وذرفت مطوّقة شوقاً لألف وهي
 تحطّ على غصن شجرة سدر.
 (٥) وكذلك حالما نشرت الشمس خيوطها الفضية على الهضاب والسهول كل يوم،
 وبكت عين محبّ على فراق حبيبه فبلّلت النحر.
 (٦) اغطوطش الغريب: لفّ الكون ظلمة الليل. وكذلك ما دام الليل يلفّ الكون بردائه
 الأسود القاتم، وما دمت أعيش مع ذكراك طوال العمر.

- وما حَمَلْتُ أُثْنَى وما خَبَّ ذُعْلِبُ
 (١) وَمَا طَفَحَ الْأَذْيُ فِي لُجَجِ الْبَحْرِ
 وَمَا زَحَفَتْ تَحْتَ الرَّجَالِ بِرُكْبِهَا
 (٢) قِلاصٌ تَوْثُمُ الْبَيْتِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
 فَلَا تَحْسَبِي يَا لَيْلَ أَنِّي نَسِيْتُكُمْ
 (٣) وَأَنْ لَسْتُ مَنِّي حَيْثُ كُنْتُ عَلَى ذِكْرِ
 أَيْبَكِي الْحَمَامُ الْوُزُقُ مِنْ فَقْدِ الْفِهِ
 (٤) وَتَسْلُو؟ وَمَا لِي عَنْ أَلَيْفِي مِنْ صَبْرِ
 فَأُقْسِمُ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
 (٥) وَمَا خَبَّ آلَ فِي مُلَمَّعَةِ قَفْرِ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
 (٦) أَنَا جِيكُمُ حَتَّى أَرَى غُرَّةَ الْفَجْرِ

- (١) خَبَّ الفرس: الخبب ضرب من مشي الفرس، حيث يراوح بين يديه ورجليه.
 الذعلب: الظليم، ذكر النعام. الأذي: الموج، لا يزال الشاعر يقسم بظواهر الوجود،
 فما دامت كلُّ أثنى من البشر والحيوان تحمل أجنتها، ودامت الناقة تسبح في جريها،
 وما دام البحر يذخر بموج يعلو الأعماق ويهوج معلناً عن غضب ونفور.
 (٢) القلاص: النياق الفتية السريعة. وكذلك طالما انسابت بجريها القلاص مسرعة
 يمتطيها الراحلون قاصدين أحياءهم في أعماق الصحراء الموحشة المقفرة.
 (٣) يقسم الشاعر بكل تلك الصور من الحياة أنه لن ينسى ليلى وأنها في عقله ووجدانه
 حيثما كان فذكرها لن تمحوها الأيام من خلده.
 (٤) يسأل الشاعر هل يبكي الحمام البري لفقد إلفه؛ ثم تتوالى الأيام فينسى ويسلو، أما
 الشاعر فإنه لا يمكنه الصبر على بعد من أحب.
 (٥) ذرّ: طلع. يقصد بالشارق انبلاج الفجر. الال: السراب الخادع. يحلف الشاعر أنه
 سيبقى على العهد طالما أن توالى شروق، وما لاح سراب خادع في قفر يلمح في
 نهار حارّ.
 (٦) يتمنى الشاعر لو ينادي طيف الحبيبة حتى تشرق الشمس.

لَقَدْ حَمَلْتُ أَيْدِي الزَّمَانِ مَطِيَّتِي
عَلَى مَرْكَبٍ مُسْتَعْطِلِ النَّابِ وَالظُّفْرِ^(١)

١٠٥

اسمعوا عذري

[الطويل]

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ طَلَبُوا الصَّلَى:
تَعَالُوا اضْطَلُّوا إِنْ خِفْتُمْ الْقُرَّ مِنْ صَدْرِي^(٢)
فَإِنَّ لَهَيْبَ النَّارِ بَيْنَ جَوَانِحِي
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ^(٣)
فَقَالُوا: نُرِيدُ الْمَاءَ نَسْقِي وَنَسْتَقِي
فَقُلْتُ: تَعَالُوا فَاسْتَقُوا الْمَاءَ مِنْ نَهْرِي^(٤)
فَقَالُوا: وَأَيْنَ النَّهْرُ؟ قُلْتُ: مَدَامَعِي
سَيُغْنِيكُمْ دَمْعُ الْجُفُونِ عَنِ الْحَفْرِ^(٥)
فَقَالُوا: وَلِمَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: مِنَ الْهَوَى
فَقَالُوا: لَحَاكَ اللَّهُ، قُلْتُ: اسْمَعُوا عَذْرِي^(٦)
أَلَمْ تَعْرِفُوا وَجْهًا لَلَيْلَى شُعَاعُهُ
إِذَا بَرَزَتْ يُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ^(٧)؟

- (١) ينعى الشاعر على زمن أهداه مطية لا ناب لها ولا ظفر، فلا فائدة منها؛ وذلك قدره، لا معين ولا من يأخذ بيده ليحصل على ما يتمناه في هذا الوجود.
- (٢) و (٣) الصَّلَى: الدفء. اضطلوا: اطلبوا الدفء. القُرُّ: البرد الشديد. يطلب الشاعر من صحبه أن يستمدوا الدفء من صدره الملتهب. فبإمكانه أن يبعد عنهم الإحساس بالبرد القارس، لأن ذكر ليلى يجعل النار يستعر لهيبها بين ضلوعه.
- (٤) كان ردّ الأصحاب بأنهم يرغبون ماءً ليرتووا ويسقوا أنعامهم فكان جواب الشاعر أن نهره مترع، فما عليهم إلا أن يردوه ولهم ما أرادوا.
- (٥) راح هؤلاء يستفسرون عن موقع ذلك النهر، فأشار الشاعر إلى جفون عينيه؛ فدموعها لا تجف، ممّا يوقر عليهم طلب الماء ممّا يحفرون في باطن الأرض.
- (٦) و (٧) راح هؤلاء يستعلمون عن الأخبار، فردّ الشاعر أن الحبّ سبب آلامه ومدّر =

- يَمُرُّ بِوَهْمِي خَاطِرٌ فَيَوُدُّهَا
 وَيَجْرَحُهَا دُونَ الْعَيَانِ لَهَا فِكْرِي ^(١)
 مَنَعَمَةٌ لَوْ قَابَلَ الْبَدْرَ وَجْهَهَا
 لَكَانَ لَهُ فَضْلٌ مُبِينٌ عَلَى الْبَدْرِ ^(٢)
 هَلَالِيَّةُ الْأَعْلَى مُلْطَخَةُ الذَّرَى
 مُرْجَرَجَةُ السُّفْلَى مُهْفَهْفَةُ الْخَصْرِ ^(٣)
 مُبْتَلَّةٌ هَيْفَاءُ مَهْضُومَةٌ الْحَشَا
 مُورَدَةٌ الْخَدَّيْنِ وَاضِحَةُ الثَّغْرِ ^(٤)
 خَدَلْجَةُ السَّاقَيْنِ بَضٌّ بَضِيضَةٌ
 مُفْلَجَةُ الْأَنْيَابِ مَضْقُولَةُ الْعُمُرِ ^(٥)

= دموعه، فكان الحوار لعنة منهم للشاعر الذي طلب منهم ألا يتسرعوا بل عليهم أن يعرفوا السبب أن وجه ليلي شعاع نوري، إذا ما برزت أغنت عن الشمس والبدر، لذا فإنها تمحي الظلمة بأنوار طلعتها البهية.

(١) الوهم: الخلد، الفكر الخاطر: الطارئ المفاجئ. فيؤدّها: يحيرها. العيان: المشاهدة. يطرأ على مخيلة الشاعر رؤى ضبابية ليست واضحة المعالم، يضطرب لها العقل ولا تتضح أمام ناظري.

(٢) يصف الشاعر حبيبته، فهي مرقّقة تعيش بنعمة الترف والجمال لذا لو التقى وجهها بالبدر لفاقه جمالاً وضياءً بيناً.

(٣) مُلْطَخَةُ الذَّرَى: شعرها أسود فاحم. مهفهفه الخصر: رقيقة البطن ضامرة الخصر. يُطْلَعُنَا الشاعر على مفهوم جمالي يتمثل بحبيبته؛ فإطلالة وجهها كالقمر، وشعر أسود قاتم يرفل فيه شباب وحيوية، وهي ذات ردفين رجراجين، وبطن ضامر، وخصر ناعل.

(٤) مُبْتَلَّة: مميّزة بصفاتها وأنوثتها، وتتوالى مواصفات المثال الجمالي لديها؛ فهي نموذج جمالي مميّز؛ فالقامة مشوقة، والبطن ضامر، ممّا يدل على أنها ليست أكلة، بل هي رشيقة، ويزين وجنتيها حمرة الشباب ودفقه، وبسمة رقيقة تعلو ثغرها البديع.

(٥) خَدَلْجَةُ السَّاقَيْنِ: ساقاها ممتلئتان، مفلجة الأنياب: أنيابها منفرجة. العُمُر: لحم اللثة. لا يزال الشاعر يتمّ رسم صورة حبيبته فهي ذات ساقين ممتلئتين متناسقين، =

- فَقَالُوا: أَمْجُنُونُ؟ فَقُلْتُ: مُوسُوسُ
 أَطُوفُ بِظَهْرِ الْبَيْدِ قَفْرًا إِلَى قَفْرِ^(١)
 فَلَا مَلِكُ الْمَوْتِ الْمُرِيحُ يُرِيحُنِي
 وَلَا أَنَا ذُو عَيْشٍ وَلَا أَنَا ذُو صَبْرِ^(٢)
 وَصَاحَتْ بِوَشْكِ الْبَيْنِ مِنْهَا حَمَامَةٌ
 تَغْنَّتْ بِلَيْلٍ فِي ذُرَى نَاعِمٍ نَضِرِ^(٣)
 عَلَى دَوْحَةٍ يَسْتَنُّ تَحْتَ أَصُولِهَا
 نَوَاقِعُ مَاءٍ مَدَّهُ رَصْفُ الصَّخْرِ^(٤)
 مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا تَرَى فِي خِطَامِهَا
 أَصُولَ سَوَادٍ مُطْمَئِنٌّ عَلَى النَّحْرِ^(٥)
 أَرْنَتْ بِأَعْلَى الصَّوْتِ مِنْهَا فَهَيَّجَتْ
 فُؤَادًا مُعْنَى بِالْمَلِيحَةِ لَوْ تَذْرِي^(٦)

= وبيضاء حرّة، مفلجة الأسنان بتناسق بديع، صقلتهما يد الخالق العظيم فبدا تناسقها البديع.

(١) و (٢) هال هؤلاء وصف الشاعر لحبيبته على هذا النسق، ممّا حملهم على الظنّ بجنونه. فردّ عليهم بأنّ وسواس الجنون حمله على السياحة في الصحاري والبراري لا يقرّ له قرار ولا يستكين في مكان، وهو يطلب الموت ولا طائل إليه ولا طريق يؤدي به إليه بحثاً عن الخلاص من العذاب وطلباً لراحة البال؛ فالسعادة ما عرف لها طعماً، وافتقد الصبر، فما اهتدى إليه.

(٣) و (٤) ثمة حمامة، في عتمة الليل البهيم، تغني غناءً شجياً معلنة رحيل الأحبة، وقد اعتلت متربعة دوحه وارفة الظلال، وفي أسفل الدوح ماء نهر يتفجر من بين الصخور بصوت مأنوس هادئ.

(٥) انتقل الشاعر إلى وصف تلك الحمامة المطوقة، متممًا صورة المشهد، يزين عنقها ريش خطّطته يد القدرة بريش خلاف ما يغطي جسدها من ريش، بينما يحيط منقارها سواد يستر رقبتها حتى النحر.

(٦) يشاركنا الشاعر بصوت الحمامة المطوقة التي أرسلت نفسها بصوت شجي مرتفع =

- فَقُلْتُ لَهَا: عُودِي فَلَمَّا تَرَنْمَتْ
 تَبَادَرَتِ الْعَيْنَانِ سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ^(١)
 كَأَنَّ فُؤَادِي حِينَ جَدَّ مَسِيرُهَا
 جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إِلَى الْوَكْرِ^(٢)
 فَوَدَّعْتُهَا وَالنَّارُ تَقْدَحُ فِي الْحَشَا
 وَتَوْدِيعُهَا عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ^(٣)
 وَرُخْتُ كَأَنِّي يَوْمَ رَاحَتْ جَمَالُهُمْ
 سُقِيتُ دَمَ الْحَيَاتِ حِينَ انْقَضَى عَمْرِي^(٤)
 أَيْتُ صَرِيعَ الْحُبِّ دَامَ مِنَ الْهَوَى
 وَأُضْبِحُ مَنْزُوعَ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ^(٥)
 رَمْتَنِي يَدُ الْأَيَّامِ عَنْ قَوْسِ غِرَّةٍ
 بِسَهْمَيْنِ فِي أَغْشَارِ قَلْبِي وَفِي سَحْرِي^(٦)

- = حَزَّكَ مَشَاعِرُ الشَّاعِرِ وَهَيَّجَ أَشْجَانَهُ وَأَحْزَانَهُ، لَتَعَلَّقَهُ وَحْبَهُ لِأَحَدَى الْجَمِيلَاتِ، فَلَوْ
 عَلِمْتَ الْحَمَامَةَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الشَّاعِرِ لَمَا فَعَلْتَ.
 (١) طَلَبَ الشَّاعِرُ مِنَ الْحَمَامَةِ تَكَرَّارَ مَا سَمِعَ؛ فَأَرْسَلَتْ صَوْتَهَا ثَانِيَةً فَاسْتَجَابَتْ عَيْنَاهُ
 فَانْهَمَرَتْ دُمُوعُهُ.
 (٢) عَادَ الشَّاعِرُ إِلَى لَحْظَةِ الْمَسِيرِ الْمُحْتَمِّ، الرُّكْبَ عَلَى وَشَكِّ الرَّحِيلِ، فَبَدَأَ قَلْبُهُ
 كَجَنَاحِي غُرَابٍ أَسْوَدَ عَلَى وَشَكِّ التَّحْلِيقِ إِلَى وَكْرِهِ الْمَعْلُوقِ فِي السَّمَاءِ.
 (٣) كَانَ الْوَدَاعُ مَرَّةً أَشْعَلَ نَاراً فِي أَعْمَاقِ الشَّاعِرِ، وَمَرَاتِهِ كَالْعَلَقَمِ فَبَدَأَ أَشَدَّ مَرُورَةً مِنَ
 الصَّبْرِ بِمَا يَرْمِزُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَارَةٍ وَأَسَى.
 (٤) دَاخَلَ الشَّاعِرُ إِحْسَاسَ قَاتِلِ يَوْمِ أَذْنَتِ الْقَافِلَةِ بِالرَّحِيلِ فَكَأَنَّهُ تَعَاطَى سَمَ الْحَيَاتِ،
 حِينَهَا أَحْسَنَ بَانْقِضَاءِ الْعَمْرِ.
 (٥) لَيْلُ الشَّاعِرِ كُنْهَارُهُ: لَا يَعْرِفُ طَعْمَ النَّوْمِ إِلَّا بَعْدَمَا يَسْتَنْفِذُ الْحُبَّ مَا يَجْرِي فِي
 عُرُوقِهِ مِنَ الْحَيَاةِ، فَيَتَهَالِكُ وَيَرْتَمِي طَرِيحَ الْفَرَّاشِ، وَيَعْلَنُ الْفَجْرُ تَبَاشِيرَ الصَّبَاحِ
 وَقَدْ نَفَدَ وَقُودُ قَلْبِهِ آلاماً وَأَحْزَاناً.
 (٦) غِرَّةٌ: فَجْأَةٌ. سَحْرِي: رَتْتِي. الْقَضَاءُ جَارٍ فِي النَفُوسِ؛ فَالْدَهْرُ يَصِيبُ بِنْبَالِهِ رَمِي =

بِسَهْمَيْنِ مَسْمُومَيْنِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ
 (١) فَعُودِرْتُ مُحَمَّرَ التَّرَائِبِ وَالنَّحْرِ
 مُنَايَ دَعِينِي فِي الْهَوَى مُتَعَلِّقًا
 (٢) فَقَدْ مِتُّ إِلَّا أَتْنِي لَمْ يُزِرْ قَبْرِي
 فَلَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ مِنْ مَاءٍ مُزْنَةٍ
 (٣) وَلَوْ كُنْتُ نَوْمًا كُنْتُ مِنْ غَفْوَةِ الْفَجْرِ
 وَلَوْ كُنْتُ لَيْلًا كُنْتُ لَيْلَ تَوَاضُلِ
 (٤) وَلَوْ كُنْتُ نَجْمًا كُنْتُ بَدْرَ الدُّجَى يَسْرِي
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا غَايَةَ الْمُنَى
 (٥) وَقَاتِلْتِي حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ

= عشواء دون سابق إنذار فيُدمي ويؤلم، فثمة سهمان أصابا مقتلاً دامياً؛ أحدهما آدمي القلب والآخر آدمي رثة الشاعر، وهما عضوان حساسان في كيانه.
 (١) سهمان سامتان صوباً من سماء عالية أصابا مقتلاً فإذا بالشاعر مدمى الجراح ينزف دماً وألماً من نحره وترائبه.

(٢) يوجه الشاعر كلامه إلى حبيبته، فهي ما يتمناه ويحلو عيشه معها، إنه لا يزال يأمل لقاء يتعلق به؛ فهو ميت حي لم يدفن ليكون في عداد الأموات، فيزار قبره.
 (٣) إنه بحاجة للإرواء، فالعطش يحرق الحلق، فلو كانت حبيبته ماءً لاستدر منها ما هو بحاجة إليه، فيبتل ريقه وتسترذ إليه الحياة، وليل الشاعر شهد وأرق تتأكل صحوه الوسوس وبلايل الأفكار، فهو بحاجة إلى إغماضة جفن، ولو زار طينها في هجعة الليل الأخير لغفل ونام.

(٤) لا يزال الشاعر يفتش عن أسباب الراحة، فلو كانت حبيبته ليلاً ينزل بساحته لركن واستراح وعرفت مقلته طعم النوم. ولو كانت نجماً يضيء ظلمة ليله، يستهدي به ويناجيه ويبته لواعج قلبه.

(٥) يتمنى الشاعر الخير لحبيبته؛ فهي غايته وأمله، في حال اللقاء، وإلا فإنها قاتلته مهما طال العمر، وحتى قيام الساعة، فأنت قاتلتي.

١٠٦

هي البدر حسناً والنساء كواكب

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ وَشَوْا بَنَا
 عَلَى غَيْرِ مَا تَقْوَى إِلَهِ وَلَا بِرٍّ^(١)
 أَلَا يَنْهَكُمُ عَنَّا ثِقَاكُمْ فَتَنْتَهُوْا
 أَمْ أَنْتُمْ أَنْاسٌ قَدْ جُبِلْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ^(٢)
 تَعَالَوْا نَقِفْ صَفَّيْنِ مِنَّا وَمِنْكُمْ
 وَنَدْعُو إِلَهَ النَّاسِ فِي وَضَحِ الْفَجْرِ^(٣)
 عَلَى مَنْ يَقُولُ الزُّورَ أَوْ يَطْلُبُ الْخَنَى
 وَمَنْ يَقْذِفُ الْخَوْدَ الْحَصَانَ وَلَا يَدْرِي^(٤)
 حَلَفْتُ بِمَنْ صَلَّتْ قُرَيْشٌ وَجَمَّرَتْ
 لَهُ بِمَنْىَ يَوْمَ الْإِفَاضَةِ وَالنَّحْرِ^(٥)

(١) و (٢) يوجه الشاعر شكواه إلى مسببي الشكوى، فهم اتهموه واتهموا حبيبته بطلاً ونكراً أنهما لا يتقيان الله تعالى، وهو يقرّعهم ويتهمهم بأنهم لا يعرفون للتقوى معنى، ويطلب منهم التوقف عن الإساءة إليه وإلى حبيبته، وإلا فإنهم جُبلوا على الكفر.

(٣) و (٤) ومن باب التحدي يطلب الشاعر من هؤلاء أن يقف جميعهم صفين: صفّاً يمثل هؤلاء القوم وصفّاً يجمع الشاعر وحبيبته، ويلجأ الجميع إلى الدعاء على من يكذب ويكفر بالحب ويسعى إلى الوقوع في الخطيئة، ويتهم المرأة المحصنة بفعل الفاحشة وهو لا يعلم.

(٥) أقسم الشاعر بالله تعالى الذي صلت قريش له طالبة المغفرة في يوم النحر، ورمت الجمار في منى يوم العيد الأكبر وهو ركن من أركان الحج حيث يقوم الحجاج بطواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج، وكذلك يقومون بالنحر، والنحر ركن أيضاً من أركان الحج.

- وَمَا حَلَقُوا مِنْ رَأْسٍ كُلِّ مُلَبِّيٍّ
 صَبِيحَةَ عَشْرِ قَدْ مَضَيْنَ مِنَ الشَّهْرِ^(١)
 لَقَدْ أَضْبَحْتُ مِنِّْي حَصَاناً بَرِيئَةً
 مُطَهَّرَةً لَيْلَى مِنَ الْفُحْشِ وَالنُّكْرِ^(٢)
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَذَرْ مَا الْخَنَى
 وَلَمْ تُلَفْ يَوْمًا بَعْدَ هَجَعَتِهَا تَسْرِي^(٣)
 وَلَا سَمِعُوا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَهَا
 وَلَا بَرَزَتْ فِي يَوْمٍ أَضْحَى وَلَا فِطْرِ^(٤)
 بَرَهْرَهَةً كَالشَّمْسِ فِي يَوْمٍ صَحْوِهَا
 مُنْعَمَةً لَمْ تَخْطُ شِبْرًا مِنَ الْخِذْرِ^(٥)
 هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ
 فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ^(٦)

- (١) يتابع الشاعر مسيرة الحجيج، وهاهم الآن يقومون بالتلبية، والتلبية طقس ديني حيث يرفع الحجيج أصواتهم بقولهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وصبيحة عشر: هو أول أيام عيد النحر، وهو العاشر من شهر ذي الحجة، وحلق شعر الرأس يكون بعد سعي الحاج بين الصفا والمروة.
- (٢) عاد الشاعر إلى ليلَى؛ فهي حصان تحصنت بطهارة حبّه لها، فلا فحش ولا ينكسر عليها ذلك.
- (٣) و (٤) يمدح الشاعر سلوك حبيبته، فهي حيّة والحياء من الإيمان، ولم تقرب الفاحشة، وهي لا تنتهز غفلة الأهل وتغادر مخدعها للقاء حبيب في جوف الليل. والناس لا يلوكون سمعتها ويتندرون بسيرتها، وهي لم تنزّين وتخرج أيام عيد الفطر وعيد الأضحى ليلتهمها الرجال بنظراتهم.
- (٥) بَرَهْرَهَةً: بيضاء. الخِذْر: ستار في ركن من البيت مخصّص للنساء. فالحبيبة بيضاء، دلالة الحرّية وأصالة النسب؛ وإذا ما كان يوم صحو بدت كالشمس بضيائها وإشعاعها، وهي مرفهة منعمة تلازم خدرها والخدم يقومون بأمرها.
- (٦) إنها كالبدر، نوراً وجمالاً، ليلة اكتماله، وبنات جنسها كواكب تسطع =

- يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ يَهَيِّمُ بِذِكْرِهَا
 (١) وَوَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ وَلَا سِحْرِ
 إِذَا مَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ فِي غَيْرِ ذِكْرِهَا
 (٢) أَبِي - وَأَبْيَكُم - أَنْ يُطَاوِعَنِي شِعْرِي
 فَلَا نَعِمْتَ بَعْدِي وَلَا عِشْتَ بَعْدَهَا
 (٣) وَدَامَتْ لَنَا الدُّنْيَا إِلَى مُلْتَقَى الْحَشْرِ
 عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ
 (٤) وَصَبَّ مُعْنَى الْوَسَاوِسِ وَالْفِكْرِ
 سَقَى اللَّهُ أَيَّاماً لَنَا لَسْنَ رُجْعاً
 (٥) وَسَقِيَا لِعَصْرِ الْعَامِرِيَّةِ مِنْ عَصْرِ
 لِيَالِي أُعْطِيتُ الْبَطَالَةَ مَقْوُودِي
 (٦) تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالسُّنُونُ وَلَا أَذْرِي

= أنوارها فتضيء ظلمة الليل، ولكنها تفوقهن جمالاً وإشراقاً، فلا مجال للمقارنة بينهما.

- (١) و (٢) ينفي الشاعر مقالة المشتعين عليه أنه مجنون، فيقسم أنه يتمتع بعقل نير، وليس بمسحور، فحتى الشعر، لو حاوله في غير ذكر ليلي لما استطاع قوله، وتأكيذاً لذلك يقسم بأبيهم على الطريقة الجاهلية.
- (٣) يدعو الشاعر في حال موته ألا تنعم بحياة هائلة سعيدة، كما أنه يدعو على نفسه ألا ينعم كذلك، وهو يتمنى دوام حياة الدنيا لهما حتى يوم البعث.
- (٤) يدعو الشاعر لمحبووبته بدوام رحمة الله تعالى من عاشق آلمه الحب وعشعش في رأسه شتى الوسوس والأفكار.
- (٥) و (٦) يتمنى الشاعر لما مضى من أيام الرحمة والسقيا لما كان فيها من لذة اللقاء والعيش الهنيء، وللأسف تلك الأيام لن تعود، كما يدعو لعصر تلك العامرية بالخير والبركات، وتلك أيام مضت سراعاً وسنون توات، أرخيت فيها عنان البطالة وراحة البال فهي تقودني حيثما أرادت.

- مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أَخَيْرُ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا أَبَدَ الدَّهْرِ ^(١)
 لَقُلْتُ: دَرُوزِي سَاعَةً وَكَلَامَهَا
 عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ ثُمَّ اقْطَعُوا عُمْرِي ^(٢)

١٠٧

تداويت من ليلي بليلى

[الطويل]

- أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكَرِ ضَرِيَّةَ
 سُقَيْتِ الْعَوَادِي مِنْ عُقَابٍ عَلَى وَكْرِ ^(٣)
 أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا
 وَلَا زَلَّتْ فِي صَيْدٍ مُخَضَّبَةِ الظُّفْرِ ^(٤)
 أَبِينِي لَنَا قَدْ طَالَ مَا قَدْ تَرَكْتَنَا
 بِعَمِيَاءَ لَا نَذْرِي أَنْضِجُ أَمْ نَسْرِي ^(٥)
 وَقَفْتُ عَلَى مُرَّانٍ أَنْشُدُ نَاقَتِي
 وَمَا هَلَكْتُ لِي مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرِ ^(٦)

(١) و (٢) ذاك زمان مضى حلو مذاقه، لو خيرت آنذاك بالخلود أبد الدهر دون ذلك، لما قبلت، بل قلت لهم: اتركوني أنجاذب معها الحديث عن الحب والأشواق ولو ساعة، حيث لا وُشاة ولا حساد أستمع إليها حلو حديثها وأبثها لواعج نفسي، ثم اقتلونني فأموت مستريح البال مطمئنًا.

(٣) و (٤) ضَرِيَّة: اسم موضع يخاطب الشاعر عُقَاب وكر ضَرِيَّة متمنياً له الخير بالمطر من السحب الغادية ويطلب منه الظهور، ومتمنياً له دوام العمر سالماً، والعيش في رغد الصيد الوفير.

(٥) ويرد الشاعر قوله للعُقَاب أن يبدو له بلا خوف؛ فقد تساوت في نظره مسيرة الأيام، فهو لا يميز بين ليل ونهار.

(٦) المُرَّان: ضرب من الشجر تُتخذ منه الرماح. القُلُوص: الناقة القويّة الفتية. البكر: =

- وما أُنْشِدُ البُعْرَانَ إِلَّا صَبَابَةً
 بِوَاضِحَةِ الْخَدَّيْنِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ^(١)
 مُفَلَّجَةِ الْأَثْيَابِ لَوْ أَنَّ رِيْقَهَا
 يُدَاوِي بِهِ الْمَوْتَى لَقَامُوا مِنَ الْقَبْرِ^(٢)
 إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى أَسْرُ بِذِكْرِهَا
 كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ الْقَطْرِ^(٣)
 فَقَالَ جَمِيعُ النَّاسِ، لَمَّا نَشَدْتُهَا:
 بَلَى، وَفَرِيقٌ قَالَ: وَاللَّهِ مَا نَذْرِي^(٤)
 تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى عَنِ الْهَوَى
 كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ^(٥)
 أَلَا زَعَمْتُ لَيْلَى بِأَنَّ لَا أَحِبُّهَا
 بَلَى، وَاللَّيَالِي الْعَشْرِ وَالشَّفْعَ وَالْوَتَرَ^(٦)

= الغتي من الجمال. وقف الشاعر يستظل إحدى شجر المُرَّان، مدعياً أن قلوبه تاهت وهو يبحث عنها، وفي الحقيقة لم يفتقد لا قلوفاً ولا البكر من نياقه.

(١) البُعْران، واحدها بعير. كشف الشاعر عن السبب الحقيقي لوقوفه؛ فهو لا يبحث عن جماله بل شوقه حمله على ادعاء ذلك، فثمة عادة حسناء طيبة النشر ضالته.

(٢) وهي سر الحياة، فريقها ترياق إعادة الموتى وبعثهم إلى الحياة، فأثابها مفلجة.

(٣) يحلو للشاعر أن يسمع الناطقين باسمها، فاسمها موسيقى توقظ مشاعره وتثير أحاسيسه، كعصفور بلله المطر، فراح ينتفض ليزيل عن نفسه ما نزل بها من ضرر.

(٤) انقسم الناس فريقين: فريق يوافق الشاعر على موقفه منها، وفريق آخر وقف متفرجاً، لا يبدي حراكاً ولا يعطي رأياً.

(٥) ليلي داء الشاعر ودواؤه، يتجرع الدواء راضياً سعيداً، كشارب الخمرة الذي اعتاد على هذا الدواء.

(٦) زعمت ليلي أنني لا أحبها، والزعم باطل، فحبها ملك عليّ قلبي ووجداني، وأقسم بالعشر الأواخر من شهر رمضان؛ ففيها ليلة القدر والسعد، والشفع، أي ركعتي السنة، والوتر: المفرد.

- بَلَى، وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ
 بِقُدْرَتِهِ تَجْرِي السَّفَائِنُ فِي الْبَحْرِ^(١)
 بَلَى وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدُهُ
 وَعَظَّمَ أَيَّامَ الذَّبِيحَةِ وَالنَّحْرِ^(٢)
 لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا
 عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ^(٣)

١٠٨

فؤادي جناح عقاب

[الطويل]

- أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا
 إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِهَا الْغُبْرِ^(٤)
 كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ
 جَنَاحُ عِقَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ^(٥)
 إِذَا ارْتَحَلْتُ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رُفْقَةً
 دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتَجَّ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ^(٦)

(١) يقرّر الشاعر أنه يحبّها ويُقسم بعالم الأسرار والغيب الذي تمخر السفن عباب اليمّ بقدرته وإرادته .

(٢) ويقرّر الشاعر ذلك أيضاً مقسماً باللّه العظيم الذي نادى سيدنا موسى عليه وعلى سيدنا محمد السلام، وهو الذي جعل أيام التشريق نُسكاً أوجبه على المسلمين تذكيراً بإسماعيل بن إبراهيم الذبيح فرضاً على القادر من أمة سيدنا محمد ﷺ .

(٣) كلّ النساء خير وفضل، وليلى أفضلهنّ على الإطلاق كما فضل الله تعالى ليلة القدر فجعل ثوابها كعبادة ألف شهر .

(٤) قرقرى: اسم موضع . يسأل الشاعر عباد الله أنهم يطلبون منه أن يلتفت إلى قرقرى باهتمام زائد مفكراً بما آلت إليه أعلامها وعظماؤها الكبار، أمورهم وحالهم .

(٥) و (٦) يهفو الشاعر وقلبه يطير، كلما مرّ به طاعن ييمّم وجهه شطر اليمامة، كأن =

- فيا راكِبَ الوَجْناءِ أُبَيَّتْ مُسَلِّماً
 (١) ولا زِلْتَ مِنْ رَيْبِ الحَوادِثِ فِي سِتْرِ
 إِذَا ما أَتَيْتَ العِرْضَ فَاهْتَفْ بِجَوِّهِ
 (٢) سُقَيْتَ عَلَى شَحْطِ النُّوى سُبُلَ القَطْرِ
 فَلِئْكَ مِنْ وادٍ إِلَيَّ مُرَجَّبٍ
 (٣) وَإِنْ كَانَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا عَلَى دُكْرِ
 لَعَلَّ الَّذِي يَقْضِي الأُمُورَ بِعِلْمِهِ
 (٤) سَيَصْرِفُنِي يَوْماً إِلَيْهِ عَلَى قَدْرِ
 فَتَفْتُرْ عَيْنٌ ما تَمَلُّ مِنَ البُكا
 (٥) وَيَسْكُنُ قَلْبٌ ما يُنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ

= قلبه جناح عقاب يبحث عن وكره في الأعالي الشاهقة؛ فالهوى يطير به محلّقاً، وذكرياته تحمله إلى نجد.

(١) الوجناء: الناقة القوية. أُبَيَّتْ: رجعت، يخاطب الشاعر راكب الناقة متمنياً له عوداً سالمًا ورجوعاً ميموناً موفقاً، فلا أخطار ولا حوادث مهلكات؛ فأنت في ستر الله تعالى.

(٢) و (٣) العِرْض: اسم موضع. شحط النوى: البعد الشديد. وعودك ميمون مبارك، فإن وصلت العِرْض، فاهتف إيداناً بوصولك، بارك الله تعالى فيك وسقائك ماءً غدقاً وخيراً عميقاً، نزلت سهلاً ووطئت أهلاً، ولك الكرامة، فأنت في الوادي المحبّب إلى قلبي، وإن كنت لا أراك أو أتذكر أنني أعرفك.

(٤) و (٥) يرجو الشاعر من الله تعالى الذي يوجد الأسباب ويبيده تسير الأمور وعلمه أن يعيده إلى ذلك الموضع المحبّب إلى قلبه، فتهدأ نفسه وترقأ عينه فيتوقف عن البكاء، ويستكين قلبه، وقد امتنع عن زجره وتعنيفه الوشاة واللائمون.

١٠٩

وداع

[الطويل]

- وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ
 تَقُولُ لَنَا: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَذْرِي^(١)
 وَكَيْفَ أُعْزِّي النَّفْسَ بَعْدَ فِرَاقِهَا
 وَقَدْ ضَاقَ بِالْكِثْمَانِ مِنْ حُبِّهَا صَدْرِي^(٢)
 فَوَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَزِيزِ مَكَائُهُ
 لَقَدْ كَادَ رُوحِي أَنْ يَزُولَ بِلَا أَمْرِي^(٣)
 خَلِيلِي مُرًّا بَعْدَ مَوْتِي بِثُرْبَتِي
 وَقُولًا لِلَّيْلِ: ذَا قَتِيلٍ مِنَ الْهَجْرِ^(٤)

١١٠

الصبر على الفراق

[الطويل]

- وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
 فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَذْرِي^(٥)
 دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
 أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي^(٦)

(١) ومما يزيد أحزاني ولوعتي أن من أحب قالت ساعة رحيلها أنها تستودع الله تعالى من هي على علم بحبها.

(٢) عزاء النفس باللقاء، لذا لا تكون السلوى برحيل المحبوبة؛ ففراقها صعب، والقلب يكتنم ما يحسن به.

(٣) يكرر الشاعر القسم بالله تعالى العزيز في عليائه بأن روحه كادت تخرج منه بلا إرادته.

(٤) يخاطب الشاعر صاحبيه أن يعرجا على تربته، ليريا ما آل إليه أمره وينقلا خبر حاله بأنه قُتل بسبب هجرها له؛ فهي مسببة ذلك.

(٥) و (٦) الخيف: أحد الأماكن في جوار مكة. منى: موضع رمي الجمار في مكة. =

- دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ
 وَلَيْلَى بِأَرْضِ الشَّامِ فِي بَلَدٍ قَفْرِ^(١)
 عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ، فَقَالَ لِي:
 مِنْ الْآنَ فَاجْزَعْ لَا تَمَلَّ مِنَ الصَّبْرِ^(٢)
 إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَشَطَّ بِهِ النَّوَى
 فَفُرْقَةُ مَنْ تَهْوَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ^(٣)

١١١

ليتنا

[الطويل]

- أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا غَزَالَيْنِ نَرْتَعِي
 رِيَاضاً مِنَ الْحَوْذَانِ فِي بَلَدٍ قَفْرِ^(٤)

= الشاعر في موسم الحج، منشغل البال بالقيام بأركان الحج، صوت يرتفع في الخيف ينادي ليلى، يلتفت الشاعر فجأة، فليلى تلك غير ليلاه مما أثار لواعج قلب الشاعر وأساه، وهو لا يدري لذلك سبباً فكان المنادي جعل قلبه يطير شوقاً إلى حبيبته.

- (١) أسخن الله عينه: أبكاه. المحب لا يدعو إلا بالخير عادة، ولكن الشاعر لإحساسه بما سبب له ذلك المنادي من ألم دعا الله تعالى أن يبكيه بسبب الحب، فليلى الشاعر يفصلها عنه آماد وأبعاد في بلاد الشام في بلد موحش لا أنيس فيه.
 (٢) محاولة فاشلة، حاول الشاعر إدخال المسرة على قلبه ولكن دون جدوى، فما كان من قلبه إلا الإمعان في دخول معركة الصبر طالباً ألا يمل في ذلك.
 (٣) بان: بُعد. شطَّ النوى: أطال البعد. لا يزال القلب يعلن عن مأساة الشاعر: فمن يهواه تفصله عنه آماد وأبعاد، فهذا يزيد ضرام اللهب في فؤاده.
 (٤) الحوذان: ضرب من النباتات، زهره أحمر، طيب المذاق. نرتعي: نرعى النبات الأخضر. يتمنى الشاعر لو كان هو وحبيبته غزالين يريان بسلام في رياض غناء يريان نبات الحوذان، في مكان مقفر يخلو من البشر: فهم سرّ تعاسته، وبينهم العذول والآثم.

- أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا حَمَامِي مَفَازَةً
 نَطِيرُ وَنَأْوِي بِالْعَشِيِّ إِلَى وَكْرٍ ^(١)
 أَلَا لَيْتَنَا حُوتَانٍ فِي الْبَحْرِ نَرْتَمِي
 إِذَا نَحْنُ أَمْسَيْنَا نُلْجِجُ فِي الْبَحْرِ ^(٢)
 وَيَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعاً وَلَيْتَنَا
 نَصِيرُ إِذَا مِتْنَا ضَجِيعِينَ فِي قَبْرِ ^(٣)
 ضَجِيعِينَ فِي قَبْرِ عَنِ النَّاسِ مُعْزَلٍ
 وَنُقَرَّنُ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ^(٤)

١١٢

قلت احفرا قبري

[الطويل]

- طَبِيبَانِ لَوْ دَاوَيْتُمَانِي أُجْرُتَمَا
 فَمَا لَكُمْ تَسْتَغْنِيَانِ عَنِ الْأَجْرِ ^(٥)

- (١) المفازة: الفلاة الموحشة. ويتمنى الشاعر لو كان هو وحبيبته حمامتين في فلاة تفتقد إلى المؤانسة موحشة مرعبة، لا يجرؤ على المخاطرة فيها أحد من البشر، وهناك يُحلقان في طيرانهما يقصدان إلى عشهما مع المساء.
 (٢) نُلْجِجُ: نخوض عباب الموج. ويتمنى الشاعر لو كان هو وحبيبته حوتين يخوضان عباب اليم الهائج المرعب المخيف حيث لا يجرؤ أحد على الاقتراب منهما، وفي المساء يوغلان في أعماق المحيط.
 (٣) و (٤) ويتمنى الشاعر لو يحيا إلى جانب حبيبته سواء في الحياة أم في الممات، وحتى في أعماق التراب وأن يجمعهما قبر واحد، بعيداً عن الناس وما يجرؤونه عليهما من مأس، وحتى ساعة البعث أن ينشرا في آن واحد معاً ليلقيا جزاء ما قدمت أيديهما.
 (٥) يعاني الشاعر حالة مرضية، لذا فإنه يخاطب طبيبين عليهما يجدان دواءً شافياً لحالته، وهو لن يخل عليهما بالأجر، ويسألهما فهل هما ليسا بحاجة إلى الأجر؟

- فَقَالَا بِحُزْنٍ: مَا لَكَ الْيَوْمَ حِيلَةً
 فَمُتَّ كَمَدًّا أَوْ عَزَّ نَفْسَكَ بِالصَّبْرِ ^(١)
 وَقَالَا: دَوَاءُ الْحُبِّ غَالٍ وَدَاؤُهُ
 رَخِيصٌ وَلَا يُنْبِيكَ شَيْءٌ كَمَنْ يَذْري ^(٢)
 فَمَا بَرِحَا حَتَّى كَتَبْتُ وَصِيَّتِي
 وَنَشَرْتُ أَكْفَانِي وَقُلْتُ: احْفَرَا قَبْرِي ^(٣)
 فَمَا خَيْرُ عَشِقٍ لَيْسَ يَقْتُلْ أَهْلَهُ
 كَمَا قَتَلَ الْعُشَّاقُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ^(٤)
 أَلَا حَبَّذَا الْبَيْضُ الْأَوَانِسُ كَالدُّمَى
 وَإِنْ كُنَّ يُسْكِرُنَّ الْفَتَى أَيَّامًا سُكْرِ ^(٥)

١١٣

لا قبر أفقر من قبري

[الطويل]

- فِيَا رَبِّ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تَرَوْ هَامَتِي
 بَلِيلَى أُمْتُ لَا قَبْرَ أَفْقَرُ مِنْ قَبْرِي ^(٦)

- (١) ردّ الطبيب أنّه قد فات الأوان، فمرضك صعب الشفاء، فأنت إما أن تموت حزناً وإما تدخل صرح الصبر وتلزم نفسك به.
 (٢) وردّ الطبيب: أن دواء الحبّ غالي الثمن، وقد تدفع حياتك ثمّنه، وبإمكان المرء أن يحصل على دائه بأبخس الأثمان، ولطالما عشنا تجربة الحبّ ولهذا نخبرك عن تجربة.
 (٣) وما إن انتهى الطبيب من وصاتهما حتى سارعت إلى كتابة وصيتي، وأحضرت أكفاني، ورجوتهما أن يحفرا قبري استعداداً لمفارقة الحياة.
 (٤) الحبّ قاتل لا يرحم تلك عادته منذ الأزل، لذا فلا خير فيه إن لم يقتل المحبين، الذين كرسوا حياتهم ليسلكوا دربه الوعر حتى آخر المطاف.
 (٥) يختصر الشاعر جنس النساء بحبيبته، فحبّه يشملهنّ جميعاً، فهو يحبّ الفتيات البيض الشبيهات بالدمى المخلوقات على أتم صورة، فذكرهنّ يسكر المحبّ بلا خمر، فينتشي ويضطرب بحبّه.
 (٦) يناجي الشاعر ربّه أن شوقه لليلي لا حدود له، وهي سبب إروائه فإن مات ولم ترتو نفسه بها، فسوف يكون قبره لا شيء فيه معدماً، فهامته خواء لضعفها.

- وإن أكَ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا
 تَسَلَّيْتُ عَنْ يَأْسٍ وَلَمْ أَسْلُ عَنْ صَبْرِ^(١)
 وإن يَكُ عَنْ لَيْلَى غَنَى وَتَجَلَّدُ
 فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٍ مِنَ الْفَقْرِ^(٢)

١١٤

موت الجريح

[الطويل]

- تَوَسَّدَ أَحْجَارَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ
 وَمَاتَ جَرِيحَ الْقَلْبِ مُنْدِمِلَ الصَّدْرِ^(٣)
 فَيَا لَيْتَ هَذَا الْحَبِّ يَعْشَقُ مَرَّةً
 فَيَعْلَمَ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ مِنَ الْهَجْرِ^(٤)

١١٥

هي الخمر

[الطويل]

- هي الْخَمْرُ فِي حُسْنٍ وَكَالْخَمْرِ رِيْقُهَا
 وَرِقَّةُ ذَاكَ اللَّوْنِ فِي رِقَّةِ الْخَمْرِ^(٥)
 وَقَدْ جُمِعَتْ مِنْهَا خُمُورٌ ثَلَاثَةٌ
 وَفِي وَاحِدٍ سُكَّرٌ يَزِيدُ عَلَى السُّكْرِ^(٦)

(١) و (٢) سلا، ومنه: السلوان: النسيان. واحتمال أن نسيانه ذكر ليلي، فإنما بسبب ما تسرّب إلى نفس الشاعر من يأس من قريبتها، ورغم ذلك فإنه لم يستطع النسيان لفقده صبره عن البعد عنها، ولنفرض أن اقتناع الشاعر بهذا المصير والرضى بالصبر والاحتماء به عن ليلي، فرب عمل كهذا هو اكتفاء بنفس مستسلمة أقرب إلى الفقر. (٣) يصف الشاعر ميتة مفاجئة مُحزنة، فهو قد اضطجع على أحجار توسّدها واستسلم إلى ملك الموت، جريح القلب دامياً وانطوى على صدر يخفي آلاماً وأحزاناً. (٤) الحب: الحبيب المعشوق. يتمنى الشاعر لو يعرف المحبوب الحب الحقيقي ليعيش تجربة الألم ويحسّ بعذاب الهجر والفراق. (٥) و (٦) يصف الشاعر حبيبته، هي خمر، وريقها كالخمر، ولونها خمري، فكل ما =

١١٦

المشاركة في الموت

[الطويل]

ولو أَنَّنِي إِذْ حَانَ وَقْتُ حِمَامِهَا
أَحْكَمُ فِي عُمْرِي لِقَاسَمَتُهَا عُمْرِي^(١)
فَحَلَّ بِنَا الْفُقْدَانُ فِي سَاعَةٍ مَعَاً
فَمُتُّ وَلَا تَذْرِي وَمَاتَتْ وَلَا أَذْرِي^(٢)

١١٧

ترويض النفس

[الطويل]

وَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْفِرَاقِ أَرَوْضُهَا
فَقَالَتْ: رُؤِيداً لَا أَغْرُكَ مِنْ صَبْرِي^(٣)
فَقُلْتُ لَهَا: فَالْهَجْرُ وَالْبَيْنُ وَاحِدٌ
فَقَالَتْ: أَأُمْنَى بِالْفِرَاقِ وَبِالْهَجْرِ^(٤)؟

= فيها خمري يُسكر ويجعل المحبَّ في نشوة، فاجتمعت فيها ثلاثة خمور، فيكفي المرء سكرها الذي يفوق كلَّ سكر.

(١) و (٢) الحمام: الموت، يتمنى الشاعر في حال موت حبيبته الفجائي أن يشاركها عمره مناصفة، فحينئذ ينزل بساحتيهما الموت في آنٍ معاً، وهما لا يدريان ما حصل.

(٣) أروضها: أحملها على الطاعة. حوار داخلي، فالشاعر يحدث نفسه بأمر يحتاج إلى المرونة والتمرس على الفراق، فكان ردَّ نفسه أنها لا تعتصم بالصبر، فلم تتعود على ذلك.

(٤) رد الشاعر على نفسه بأن الهجر والبين واحد، سارعت النفس قائلة بألم: أأبتلى بالفراق والهجر؟

١١٨

عين المحب

[الطويل]

سلامٌ على مَنْ لا يُمَلُّ كَلامُه
 وإنْ عاشَرْتُهُ النَّفْسُ عَصْرًا إلى عَصْرِ^(١)
 فما الشَّمْسُ وَاثَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَشْرَقَتْ
 ولا البَدْرُ وَاثَى أَسْعَدًا لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(٢)
 بأَحْسَنَ مِنْهَا أو تَزِيدُ مَلاحَةً
 على ذاك أو رَأَى الْمُحِبُّ، فما أدري^(٣)

١١٩

يا سرحة الروح

[البسيط]

يا سرحةَ الروحِ أينَ الحيُّ؟ واكبدي
 لَهْفَي تَذَوُّبٍ، وَبَيْتِ اللَّهِ، من حَسِرِ^(٤)
 ها أَنْتِ عَجْمَاءُ عَمَّا قَدْ سُئِلَتْ فما
 بالُ المَنَازِلِ لم تَنطِقْ وَلَمْ تُجِرِ^(٥)؟

(١) يتمنى الشاعر أن يعم السلام من يلد له سماع حديثه، حتى وإن طالت معاشرته فامتدت من عصر إلى عصر، وتلاحقت العصور.
 (٢) و (٣) اليوم الدجن: الممطر حيث السماء المتلبدة بالغيوم السوداء. من عادة البشر أن يضجروا من استمرار السماء المتلبدة بالغيوم السوداء في يوم ماطر، ويسرّوا من إشعاع الشمس في ذلك النهار، وحتى البدو في ليلة اكتمال القمر، فليس سرور المحب بأقل من سرور هؤلاء بتلك الظواهر الكونية من إطلالة وجه حبيبته.
 (٤) و (٥) يسأل الشاعر سرحة الروح عن الحي، فكبدته حرّى يُقسم ببيت الله أن نفسه تذوب حباً وهي في ضنك شديد وتعب لا يُحتمل.

- يا قاتِلَ اللّٰه غاداتٍ فرَعْنَ لَنَا
 حَبَّ القلوبِ بما اسْتودِعْنَ من حَوَرٍ ^(١)
 غَنَّتْ لَنَا، وِعيونٌ مِنْ بَراقِعِها
 مَكْنونَةٌ مُقَلَّ الغُزلانِ والبَقَرِ ^(٢)
 بِاللّٰه يا ظَبِيَّاتِ القاعِ قُلْنَ لَنَا
 لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ ^(٣)؟
 يا ما أُميلِحَ غَزْلاناً شَدَدَ لَنَا
 مِنْ هاؤْلِيائِ كُنَّ الضَّالِّ والسَّمَرِ ^(٤)

١٢٠

إلى الله أشكو

[الطويل]

- فَإِنْ يَحْجِبُوهَا أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِها
 مَقالَةٌ واشٍ أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ ^(٥)
 فَلَنْ يَمْنَعُوا عَيْنِي مِنْ دائِمِ البكا
 وَلَنْ يُخْرِجُوا ما قَدْ أَجَنَّ ضَمِيرِي ^(٦)

- (١) يدعو الشاعر الله بالشبور على فتيات نثرن وشتن قلوب الرجال فتاهوا في كل وادٍ؛ وذلك بسبب ما أودع الله في عيونهن من وسائل الإغراء كالحور، ولغة الحب الصامت بإشعاعات تضيء بلغة الفرح.
- (٢) فضلاً عما ترسل عيونهن من شبك يصطدن من أردن اصطيداه، وهن يسترن براقع فيبدو سحرهن فاتناً، فثمة جاذب آخر لا يقل خطراً غناؤهن الساحر الذي يلعب بالقلوب ويحرك سواكن لواعج النفس.
- (٣) يستحلف الشاعر ظبيات القاع مستفسراً عن سر جمال ليلى. فهل ليلى من الغزلان في رقتها وجمالها وأناقته أم هي من البشر؟ وإن كانت من البشر فإنها تملك مواصفات تجعلها أعلى من البشر.
- (٤) شددن الطيبي: استغنى عن أمه. الضال والسمر: ضربان من الشجر. يبدي الشاعر إعجابه بجمال غزلان بدت فتوتها بعدما استغنت عن الاستعانة بأماثها، وقد برزت بين قامات شجر الضال والسمر.
- (٥) و (٦) كل المحاولات لن تُفلح بردي عن حبي لليلي، فلا الواشون وما يتقولونه، =

وما بَرَحَ الواشونَ حتى بَدَتْ لَنَا
 بُطُونُ الهوى مقلوبةً لِظُهُورِ^(١)
 إلى اللَّهِ أَشْكَو ما أُلَاقِي مِنَ الْجَوَى
 وَمِنْ نَفْسٍ يَعتادُنِي وَزَفِيرِ^(٢)

١٢١

ديار ليلي

[الوافر]

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ لَيْلى
 أَقْبِلْ ذا الجِدَارِ وَذا الجِدَارِ^(٣)
 وما حُبُّ الدِّيارِ شَعَفَنَ قلبي
 وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارِ^(٤)

١٢٢

النَّار

[الطويل]

أَبى اللَّهِ أَنْ تَبْقَى لحيٍّ بِشاشَةٍ
 فَصَبْرًا على ما شاءَهُ اللَّهُ لي صَبْرًا^(٥)

= ولا تهديد الأمير بإباحة دمي؛ فلن يمنعني كل هذا من دائم البكاء، لغة من لا حيلة له، وكذلك فلن أمكنهم وأطلعهم عما يجول في خاطري أو ما أُخِبْتُهُ في خلدي.
 (١) لقد أفلح الوشاة بالتفريق بين الشاعر وحبيبته بما يتقوّلون ويحكّون من أكاذيب ويلجأون إلى أضاليل.
 (٢) يلجأ الشاعر إلى خالق الوجود سبحانه، فهو الملاذ للضعفاء؛ فالشاعر يعذب به الحبّ، ونفسه يضيق، فيختلف عليه زفير وشهيق دلالة ضيق الحياة وعسرها.
 (٣) ورد البيت في: حاشية يس على التصريح ١: ٣٠٧، ديوان الصبابة: ١٦. يذكر الشاعر لشدة شوقه أنه يعرج على ديار ليلي، ويُقبل حيطانها جداراً جداراً.
 (٤) والديار رمز لساكنيها، فهي لا تعني شيئاً للشاعر كأحجار صماء ولكنّ حبّه لساكني تلك الديار وبالذات لمن علق حبّه بها.
 (٥) يبدأ الشاعر بعرض مشكلته؛ فالله سبحانه وتعالى حتم ألا تدوم مسرة البشر، فلا بدّ =

رَأَيْتُ غَزَالاً يَرْتَعِي وَسْطَ رَوْضَةٍ
 فَقُلْتُ: أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَا ظَهْرًا^(١)
 فَيَا ظَبِي كُلِّ رَعْدًا هَنِيئًا وَلَا تَخَفْ
 فَإِنَّكَ لِي جَارٌ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرًا^(٢)
 وَعِنْدِي لَكُمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَصَارِمٌ
 حُسَامٌ إِذَا أَعْمَلْتُهُ أَحْسَنَ الْهَبْرًا^(٣)
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَذُبُّ قَدْ انْتَحَى
 فَأَعْلَقَ فِي أَحْشَائِهِ النَّابَ وَالظُّفْرًا^(٤)
 فَبَوَّأْتُ سَهْمِي فِي كَتُومٍ غَمَزْتُهَا
 فَخَالَطَ سَهْمِي مُهْجَةً الذُّبِّ وَالنَّحْرًا^(٥)
 فَأَذْهَبَ غَيْظِي قَتْلُهُ، وَشَفَى جَوَى
 بِقَلْبِي أَنَّ الْحُرَّ قَدْ يُدْرِكُ الْوَتْرًا^(٦)

= ممّا يفسدها ليختبر البشر فهل يصبرون أم يكفرون؟ يعلن الشاعر خضوعه لمشينة الله تعالى ويستمسك بالصبر سلاحاً في معركته .

(١) يرى الشاعر كل جميل يتمثل بليلي، فقد رأى غزالاً غافلاً يرتعي وسط خميلة غناء ساكن البال، فاستحالت الرؤية لديه إلى من يحب فبدت له ليلي ظهراً، وذلك بسبب السراب الخادع .

(٢) يخاطب الشاعر الظبي متمنياً له أكلاً رغيداً وألاً يخاف فهو في جيرة لا تغدر وتمنع الضيف من أن يضام؛ فالدهر مأمون في جوارها .

(٣) والحماية يلزمها قوة لتستقرّ ومناعة تحميها، فثمة حصن لا يصل إليه عدوّ وسيف صارم يحمله مجرّب في الحروب يحسن استعماله؛ وهذا بلا ريب مدعاة للطمأنينة وعدم الخوف .

(٤) و (٥) راعني: أرعيني . وفي غفلة من الزمن ذئب يتحين الفرص ينقض على الظبي يعمل في أحشائه وجسده أظفاره، وسرعان ما استعمل الشاعر قوسه مسدداً للذئب سهماً قاتلاً مزق أحشاءه ونحره .

(٦) الوتر: الثأر . كان قتل الذئب جزاء فعلته الشنيعة أن أزال غيظ الشاعر، وأطفأ نيراناً =

١٢٣

ظباء من الناس

[البسيط]

إِنَّ الظُّبَاءَ الَّتِي فِي الدُّورِ تُعْجِبُنِي
 تِلْكَ الظُّبَاءُ الَّتِي لَا تَأْكُلُ الشَّجَرَا ^(١)
 لَهُنَّ أَعْنَاقُ غَزْلَانٍ وَأَعْيُنُهَا
 وَهْنٌ أَحْسَنُ مِنْ أَبْدَانِهَا صُورَا ^(٢)
 وَلِي فُؤَادٌ يَكَادُ الشُّوقُ يَصْدَعُهُ
 إِذَا تَذَكَّرَ مِنْ مَكْنُونِهِ الذِّكْرَا ^(٣)
 كَانَتْ كَدْرَةٌ بَحْرِ غَاصَ غَائِضُهَا
 فَأَسْلَمَتْهَا يَدَاهُ بَعْدَ مَا قَدَّرَا ^(٤)

= اشتعلت غضباً، فقد اعتدى الذئب على قدس الأقداس، وعلى الحمى؛ والأخذ بالتأثر من شيم الأحرار الأعزاء الأقوياء.

(١) و (٢) يقصد الشاعر بالظباء التي تتخذ من البيوت مسكناً والتي لا تأكل أوراق الشجر وبالتالي البنات النساء اللواتي يعجب بهن ويحلوهن رؤيتهن. فهن ذوات أعناق أنيقة كأعناق الغزلان، وعيون كأعين الغزلان، ولكنهن يفقن الغزلان جمالاً في أبدانهن الإنسانية.

(٣) ونظر الشاعر لهؤلاء النسوة يثير مكاناً قلبه وشوقه إلى من يحب فينظر قلبه لذكرى يخفيها في أعماق ذاكرته.

(٤) كانت حبيبة الشاعر كلؤلؤة مكنونة في أعماق الوجود تماماً كلؤلؤة اتخذت من قاع البحر مسكناً تختبئ فيه من أيدي من يغوص ليمسك بها، فأسلمت يدا غواص تلك الدرة إلى أقدارها المحتومة لتتقاذفها أيدي الطامعين بها.

قافية السين

١٢٤

أطلال

[الطويل]

- شَجَّثْنِي وَأَبْلَثْنِي مَنَازِلُ دُرُسٍ
 (١) أَسَائِلُهَا عَمَّنْ عَهِدْتُ وَتَخَرَسُ
 وَعَهْدِي بِهَا مَحْفُوفَةٌ بِبَدَائِعِ
 (٢) تَحُلُّ بِمَغْنَاهَا بُدُورٌ وَأَشْمُسُ
 رَوَاجِحُ أَكْفَالٍ مَرِيضَاتُ أَغْيَيْنِ
 (٣) إِلَيْهِنَّ يَصْبُو الرَّاهِبُ الْمُتَنَطِّسُ

١٢٥

لو أنصف الدهر

[البسيط]

- لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ مَا فَارَقْتُكُمْ أَبَدًا
 (٤) وَلَا تَنْقَلْتُ مِنْ نَاسٍ إِلَى نَاسٍ

(١) وقف الشاعر على أطلال تركها ساكنوها، فراح يكلمها مستفسراً عن حبيبته، فلم تردّ جواباً ممّا أحزنه وآلمه ذلك. تلك الديار الدوارة خرساء لا تحسن جواباً.
 (٢) ولقد عرف الشاعر تلك الديار مأنوسة تموج بالحركة والحياة، فالفتيات كالبدور والشموس ينشرن الدفء في هذه الربوع، وهنّ ذوات أرداف مكتنزة، ناعسات الطرف، حتى الراهب المنقطع إلى العبادة والتبتّل إذا ما رآهنّ مالت نفسه إليهن.
 (٣) ينعى الشاعر على الدهر ظلمه؛ فهو لم يعدل، لذا حتمّ عليه الهجر والبعد عمّن يحبّ، فراح في التيه العميق من مكان إلى آخر.

قافية الشين

١٢٦

حَبِّ بِلَا غِش

[الطويل]

أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَاكَ بَطْشاً وَقُوَّةً
 وَصَبْرًا وَأَزْرَى ثُمَّ نَقَّصَ مِنْ بَطْشِي ^(١)
 لَقَدْ مَحَضَ اللَّهُ الْهَوَى لَكَ خَالِصاً
 وَرَكَّبَهُ فِي الْقَلْبِ مِنِّْي بِلَا غِشٍ ^(٢)
 تَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ الْجُسُومِ وَحَلَّ بِي
 فَإِنْ مِتُّ يَوْمًا فَاطْلُبُوهُ عَلَى نَعْشِي ^(٣)
 سَلِيَ اللَّيْلَ عَنِّي هَلْ أَذُوقُ رُقَادَهُ؟
 وَهَلْ لِضُلُوعِي مُسْتَقَرٌّ عَلَى فَرْشِي ^(٤)؟

(١) يقسم الشاعر بالقادر سبحانه وتعالى مُقسم الأرزق، فقد رزق حبيبته قوة البطش والصبر على الهجر، ولم ينعم على الشاعر بمثل ما أنعم على حبيبته، فما لديه منها معاب ناقص.

(٢) و (٣) تلك هبة الله تعالى لك لا لبس فيها ولا غش، وبالمقابل فقد غرس في أعماقي حباً لا شبيه فيه خالصاً من كل شائبة. هذا الحب خُلص إلي من دون الرجال ولبسني، وفي حال موتي فعليكم بنعشي حيث يمكنكم الحصول عليه إن رغبتم.

(٤) يطلب الشاعر من حبيبته أن تستعلم حاله من الليل مسكن الضعفاء وسائر أحوالهم، فالشاعر لا يعرف للنوم طعماً، ولا يستريح جسده على فراش، فعيناه دائماً لا تعرفان السكون فيغمض له جفن.

قافية الصاد

١٢٧

شبيه الغزال حياتي

[الطويل]

- وَدَّكَّرْنِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
 (١) مَحَاجِرُ خَشْفٍ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ
 فَقُلْتُ، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي بِحُرْقَةٍ
 (٢) وَلَحْظِي إِلَى عَيْنَيْهِ لَحْظَةً شَاخِصٍ
 أَلَا أَيُّهَذَا الْقَانِصُ الْخَشْفَ حَلَّهْ
 (٣) وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَاهُ فَخُذْ بِقَلَائِصِي
 خَفِ اللَّهَ لَا تَقْتُلْهُ إِنَّ شَبِيهَهُ
 (٤) حَيَاتِي وَقَدْ أَرَعَدَتْ مِنِّي فَرَائِصِي

(١) و (٢) الخشف: ولد الطيبة. يروي الشاعر حدثاً جعله يتذكر حبيبته، ذلك أن صياداً أوقع خشفاً تنقصه الخبرة بشباكه، تلاقى النظرات فإذا بعينيه المستعطفة الضعيفة تذكران الشاعر بحبيبته التي لا يودّ بالبوح باسمها مخافة الواشين. ممّا استدّر عيني الشاعر، فإذا بدموعه تجري حرّى، فابتدر الصياد قائلاً:
 (٣) القلائص: النباق السريعة القوية. يا من اصطاد الخشف اللطيف، أطلقه، وإن لم تفعل، فهذه نياقي ترعى فخذ منها ما يحلو لك.
 (٤) الفرائص، مفردا فريصة: وهي لحمه بين الثدي والكتف تُرعد من شدّة الخوف. خفّ الله تعالى، فلا تقدم على قتله، فشبيّهته فيها حياتي، أحيا بها، وفعلك يُرعيني ويهزّ كياني.

قافية الضاد

١٢٨

رسالة

[الطويل]

- إِذَا جَاءَنِي مِنْهَا الْكِتَابُ بِعَيْنِهِ
 خَلَوْتُ بِبَيْتِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْأَرْضِ^(١)
 فَأَبْكِي لِنَفْسِي رَحْمَةً مِنْ جَفَائِهَا
 وَبَبْكِي مِنَ الْهَجْرَانِ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي^(٢)
 وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا مُسِيئاً وَمُحْسِناً
 وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي لَهَا بِالَّذِي تَقْضِي^(٣)
 فَحَتَّى مَتَى رَوْحُ الرِّضَا لَا يَنَالُنِي؟
 وَحَتَّى مَتَى أَيَّامُ سَخَطِكَ لَا تَمْضِي^(٤)

(١) و (٢) فلو تكرّمت من أحبّ وأرسلت لي رسالة عربون حبّ، انتحيت زاوية في بيتي، وافترشت الأرض، ورحت أبكي مصيري معها وجفائها، رحمة بي، وتتساقط العبرات، فإذا بكل جارحة من جوارحي تشاركني البكاء، والكل يبكي على الكلّ مني.

(٣) يُقرّ الشاعر بأن حبّها ملك عليه قلبه، في حال إساءتها وإحسانها، وهو قاضٍ على نفسه بما تقضي به حبيبته عليه دون اعتراض أو رفض.

(٤) الرّوح: نسيم الرضا. يسأل الشاعر إلى متى تحكم حبيبته عليه فلا يتنسم نسيم رضاها، وهل ستنتهي أيام الجفاء ويمضي سخطها؟

١٢٩

أنفس العاشقين

[الخفيف]

- أَنْفُسُ الْعَاشِقِينَ لِلشُّوقِ مَرُضَى
 وَبَلَاءُ الْمُحِبِّ لَا يَتَقَضَّى^(١)
 عَبْرَاتُ الْمُحِبِّ كَيْفَ تَرَاهَا؟
 بَعْضُهَا يَسْتَحِثُّ فِي الْخَدِّ بَعْضًا^(٢)
 لَيْسَ يَخْلُو أَخُو الْهَوَى أَنْ تَرَاهُ
 كُلَّ يَوْمٍ يُلَامُ أَوْ يَتَرَضَّى^(٣)
 بَاكِيًا سَاهِيًا نَحِيلًا ذَلِيلًا
 لَيْسَ يَهْدَا وَلَيْسَ يُطْعَمُ غَمَضًا^(٤)

١٣٠

انتفاضة محب يائس

[الطويل]

- أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بِنَا يَرْضَى
 شَقِيتَ وَلَا أَدْرُكَتَ مِنْ عَيْشِكَ الْخَفْضَا^(٥)

(١) الشوق وشدة الحب من أسباب مرض العاشقين، ومصائبهم لا نهاية لها، فالحب غلب عليهم، لا فكاه منه.

(٢) ودموع المحب لا انقطاع لها تستدر بعضها على الخدين وتتبع بعضها الآخر.
 (٣) و (٤) والمحب من أخى الهوى فلازمه ملازمة الأخ أخاه، فالنظرة من ملامة اللائمين وشماتة الحاسدين أو من حالة من يسترضي حبيبته ويستعطفها عليها ترق إلى حاله وتمنحه التفاتة؛ فهو دائم البكاء، ساء بدت عليه علائم الضعف والهزال، يمشي بذلة يستعطف وليس من راحم، وهو تائه دائماً، ولا يعرف للنوم طعماً، قلق باستمرار.

(٥) خفض العيش: سعادة الحياة. يوجه الشاعر كلامه إلى من كان سبب تعاسته بقسوة ذلك أنه لم يرض به زوجاً لابنته، فيدعو عليه بالشقاء وقلة يد الحال في الرزق.

شَقِيتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي
 أَهِيْمُ مَعَ الْهَلَاكِ لَا أُطْعِمُ الْعَمَضَا^(١)
 أَمَّا وَالَّذِي أَبْلَى بِلَيْلَى بَلِيَّتِي
 وَأَصْفَى لَلَيْلَى مِنْ مَوَدَّتِي الْمَحْضَا^(٢)
 لَأَعْطِيْتُ فِي لَيْلَى الرِّضَا مَنْ يَبِيعُهَا
 وَلَوْ أَكْثَرُوا لَوَمِي وَلَوْ أَكْثَرُوا الْقَرْضَا^(٣)
 فَكَمْ ذَاكِرٍ لَيْلَى يَعِيشُ بِكُرْبَةٍ
 فَيَنْفُضُ قَلْبِي حِينَ يَذْكُرُهَا نَفْضَا^(٤)
 وَحَقَّ الْهَوَىٰ إِنِّي أَحْسُ مِنَ الْهَوَىٰ
 عَلَى كَبِدِي نَارًا وَفِي أَعْظَمِي رَضَا^(٥)
 كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
 إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ شَدَّتْ بِهِ قَبْضَا^(٦)

- (١) ويتمنى الشاعر لهذا الشيخ أن يُبلى بما بُلى به، فقد أشقى الشاعر وجعله يهيم في فضاء الأرض على وجهه مع من مات من الحب ولم يعرف للنوم طعاماً.
- (٢) و (٣) يُقسم الشاعر بقاسم الأرزاق ومُحتَم القضاء الذي أوقع ليلى في طريق حياته وجعله يهيم بها ويشغف بحبها ويخلص لها الحب أنه لن يتخلى عن حبه لها بل سيستمر مكرساً نفسه من أجل هذا الحب مصمماً على ذلك رغم محاولات الإغراء وكثرة اللوم.
- (٤) كثرة هم من يتردد على ألسنتهم اسم ليلى فتجعلهم يعيشون بحسرة وآلام. أما أنا فذكرها يبعث في نشوة وسعادة فينتفض قلبي فرحاً وحبوراً.
- (٥) يُقسم الشاعر بحبه أن هذا الحب يعود عليه بدفق ناري اشتعالي في كبده، ورغم ذلك فإنه يترك في عظامه قوام وجوده الرضا والسعادة، ممّا يحمله على تقبل نعيم تجربة الحب.
- (٦) وهذا الإحساس تتنازعه الهواجس؛ ففؤاده كأن نسرأ أمسك به بمخالبه وطار إلى السماكين وذلك في حال تذكرها، وكلما ارتفع زاد الطائر تشبُّاً بصيده مخافة الإفلات منه.

- كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلَقَةً خَاتَمَ
 عَلَيَّ فَلَا تَزْدَادُ طُولاً وَلَا عَرْضاً^(١)
 وَأُغْشَى فَيُحْمَى لِي مِنَ الْأَرْضِ مَضْجَعِي
 وَأُضْرَعُ أَحْيَاناً فَأَلْتَزِمُ الْأَرْضَ^(٢)
 رَضِيتُ بِقَتْلِي فِي هَوَاهَا لِأَنْنِي
 أَرَى حُبَّهَا حَتِّماً وَطَاعَتَهَا فَرْضاً^(٣)
 إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى أَهْيَمُ بِذِكْرِهَا
 وَكَأَنْتُ مُنَى نَفْسِي وَكُنْتُ بِهَا أَرْضِي^(٤)
 إِذَا رُمْتُ صَبِراً أَوْ سُلِّوْا بِغَيْرِهَا
 رَأَيْتُ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ دُونِهَا بَعْضاً^(٥)

- (١) فجاج الأرض: شقوقها. وهذا الإحساس يلامس الأرض، فهي رغم اتساعها، فإنها تضيق وتختصر فيها المسافات؛ ففجاج الأرض تقلصت وراحت تضيق ثم تضيق وتكاد تخنق الشاعر، فلا يجد متنفساً يستنشق فيه عبير الحياة.
- (٢) ويحس الشاعر أحياناً أخرى أنه في غيبوبة الوعي واللاوعي فيبدو منامه ناراً حامية تمنعه لذة النوم، وأحياناً أخرى يحس بجالة جنونية ترمي به إلى الأرض صريعاً بعنف وبلا رحمة.
- (٣) يستسلم الشاعر إلى قضائه؛ فيرضى بمصيره؛ فهو قتيل هواها فحبها فرض عليه وحبها واجب عليه الالتزام به.
- (٤) يلذ للشاعر سماع اسم حبيبته ليلى ويحس بأن ذلك يأخذه برحلة النشوة إلى بقاع السعادة، فهي غايته ومنيته في هذه الحياة، لذا رضي طائعاً بلذة المعاناة وآلام التجربة.
- (٥) ولو حاول الشاعر استبدال حبيبته بسواها من النسوة لرأى جميع بنات جنسها سواء دونها؛ فهي لا تقارن بغيرها.

قافية الطاء

١٣١

البين قدر

[الكامل]

نَعَبَ الْغُرَابُ بِبَيْنٍ لَيْلَى غُدْوَةً
 كَانَ الْكِتَابُ بِبَيْنِهِمْ مَخْطُوطاً^(١)
 أَصَبَحْتُ مِنْ أَهْلِي الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ
 كَالسَّهْمِ أَصْبَحَ رِيْشُهُ مَمْرُوطاً^(٢)

(١) مع انبلاج بشائر الصباح مَرَّقَ سكون هجعة الليل صوت غراب معلناً خبر الشؤم، رحيل ليلى من الديار، وذلك قدرى الذي خطته يد القدرة على جبين مصيري.
 (٢) إنهم أهلي أحببتهم، وبرحيلهم أصبحت كسهم نتف ريشه، ففقد فاعليته ودوره في معركة الوجود.

قافية العين

١٣٢

الديار البلاقع

[الطويل]

طَرِبْتُ وَهَاجَتْكَ الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ
وَعَادَكَ شَوْقٌ بَعْدَ عَامَيْنِ رَاجِعٌ^(١)
وَأَوْقَدَ نَاراً فِي فؤَادِكَ مُحْرِقاً
غَدَاتِيْذٍ لِلْبَيْنِ أَشْفَعُ نَازِعٌ^(٢)
شَحَافَاهُ نُطْقاً بِالفِرَاقِ كَأَنَّهُ
سَلِيْبٌ حَرِيْبٌ خَلْفَهُ السَّرْبُ جَازِعٌ^(٣)
فَقُلْتُ: أَلَا قَدْ بَيَّنَّ الْأَمْرُ فَاَنْصَرَفُ
فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعٌ^(٤)
سُقِيْتُ سَمَاماً مِنْ غُرَابٍ فَإِنَّمَا
تَبَيَّنْتُ مَا حَاوَلْتَ إِذْ أَنْتَ وَاقِعٌ^(٥)

- (١) طربت: جعلتك تضطرب لما ترى. البلاقع: مفرداها بلقع: المكان القفر. عادك: رجعتك، يقف الشاعر على أطلال تركها أهلها قفراً، لا حياة فيها، بعد عامين من رحلة الأقدار، مما أثار فيه إحساس الألم وحمله إلى الماضي وذكرياته الجميلة، فاشتد شوقه إلى الأحبة.
- (٢) يقصد بالأسفع: الغراب الأسود. النازع: الغريب. والذي أثار بالشاعر ألماً وألهب فؤاده في غداة يوم رحيل الأحبة غراب أسود غريب عن الديار وأهلها.
- (٣) شحافاه: فتح منقاره. سليب، سليب بمعنى مفعول أي مسلوب. حريب: مسلوب المال. فتح ذلك الغراب منقاره مؤذناً بالفراق بصوت مزعج كأنه سطا عليه من سلبه ماله، وثمة سرب غريبان تردّد خلفه ما نطق به.
- (٤) و (٥) حينئذ حاول الشاعر إسكاته بأنه قد علم قصد الغراب، قائلاً: قد آذن =

أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَا مُجِبُّ أَلْوَمُهُ
 وَلَا بِبَدِيلٍ مِنْهُمْ أَنَا قَانِعٌ^(١)
 فَسِرِّكَ عَنِّي لَا تَرَى وَجَدَ مُقْصِدٍ
 لَهُ زَفَرَاتٌ أَحْلَبَتْهَا الْمَدَامِعُ^(٢)
 أَلَمْ تَرَ دَارَ الْحَيِّ فِي رَوْثِ الضُّحَى
 بِحَيْثُ انْحَنَتْ لِلْهَضْبَتَيْنِ الْأَجَارُعُ^(٣)؟
 وَقَدْ يُشْعَبُ الْأَلْفُ مِنْ بَعْدِ عِزَّةٍ
 وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ^(٤)
 فَكَمْ مِنْ هَوَى أَوْ خَلَّةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ
 زَمَانًا فَلَمْ يَمْنَعَهُمُ الْبَيْنَ مَا نِعُ^(٥)

- = بالرحيل قبلك مُرَوِّعٌ فانصرف . ثم دعا عليه لو يُسْقَى سُمًّا، فيموت ليستريح من نعيته؛ فالشاعر عليم بما يحمل منقاره من شؤم .
- (١) ويتابع قوله للغراب بأن الشاعر لن يلوم حبيباً على حبه، ولن يقبل باستبدال حبيبته مهما قدمت المغريات، فهو قانع بها .
- (٢) ثم يطلب الشاعر من الغراب الرحيل والابتعاد، ويدعو له ألا يعرف طعم الحب وعذابه، ويتمنى له ألا يذوق حرقه من أصابه سهم الحب، فخلّف ذلك المحبّ يذرف دموعاً حرّى تجري من عينيه .
- (٣) الأجارع، مفردّها جرعاء: هي أرض مستوية لا تنبت زرعاً . لا زال الشاعر يخاطب الغراب، لعلك لم تر دار الحيّ تحتضنها هضبتان فرقت بينهما أرض مجدبة لا تنبت زرعاً في ذلك الفجر الضاحك المفترّ عن جمال إلهي؟
- (٤) يُشعب: يُفَرِّق . صدع الشيء: شقّه نصفين ولم يفترق . مصير الحياة عجيب غريب، فقد يختلف الأصدقاء ويفترقون من بعد عِزّة، وقد ينجح من يرمي الخليطين بالخلاف فيفترقان من بعد ألفه ومحبة .
- (٥) الخَلَّة: المرأة الخفيفة . فكثير من الأحبة والخَلَان قد عاشرتهم زماناً، فلما قضى القضاء بالفراق بانوا وبعثوا .

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ رَهْنٌ مَنِيَّةٌ
 أَخُو ظَمَلٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ^(١)
 تَخَلَّسَ مَنْ يَهْوَاهُ مَاءَ حَيَاتِهِ
 فَلَا الشُّرْبُ مَبْذُولٌ وَلَا هُوَ نَاقِعُ^(٢)
 وَبَيْضُ غَذَاهُنَّ النَّعِيمُ كَأَنَّهَا
 نِعَاجُ الْمَلَا جِيبَتْ عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ^(٣)
 عَرَّاضِ الْمَطَا فُبَّ الْبَطُونِ كَأَنَّمَا
 وَعَى السَّرَّ مِنْهُنَّ الْغَمَامُ اللَّوَامِعُ^(٤)
 تَحْمَلْنَ مِنْ ذَاتِ التَّنَاضُبِ وَأَنْبَرَتْ
 لَهُنَّ بِأَطْرَافِ الْعُيُونِ الْمَدَامِعُ^(٥)
 فَمَا رَمَنَ هَجَلِ الدَّارِ حَتَّى تَشَابَهَتْ
 هَجَائِنُهَا وَالْجُونُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ^(٦)

- (١) المنية: الموت. المشارع: موارد الشاربين أحس الشاعر غداة رحيل الأحبة كأنه على وشك الموت؛ فالعطش استولى على حلقه وسدَّ سُبلَ جريان الماء فيه.
- (٢) تخلَّس: سرق خلسة. ناقع: مرتو. ولقد استولى المُحبُّ على أسباب الحياة ممن أحبه فسرقتها، ولم يبقَ له حتى الماء، لذا بخل به، والماء يمثل الحياة والحب. والمشكلة أن عدم توفر الماء وأن الشاعر عطش لم يرتو بعد.
- (٣) و (٤) الملا: الصحراء. جيبت: سترت. يعرج الشاعر على وصف نساء بيض، دلالة الحرية والجمال، منعمات مرفهات يعشن عيشة الغنى شبيهات بنعاج صحراء، استترن بالبراقع، يكشفن عن عيون سحرهن قاتل ذوات ظهور عراض، وبطون ضامرة، لا يعلم سرهن إلا الغمام اللوامع.
- (٥) التناضب: اسم موضع فيه ماء. تحمَلْنَ: ظعنَ، ارتحلن. انطلقت القافلة تحملهن في هوداجهن من ذات التناضب إلى حيث قدر لهن الرحيل، فلما أيقن أن الأمر لا رجوع فيه انهمرت دموعهن من أطراف عيونهن.
- (٦) الهَجَلُ: المظمتن من الأرض. الهجائن: الإبل البيضاء الكريمة. الجُون: النياق السوداء المشربة بحمرة. الخواضع: النوق تُخضع أعناقها حين يجد بها السير. لا =

وَحَتَّى حَمَلْنَ الْحَوْرَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 وَخَاضَتْ سُدُولَ الرَّقْمِ مِنْهَا الْأَكَارُ^(١)
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ تَحْتَ الْخُدُورِ وَقَدْ جَرَى
 عَبِيرٌ وَمِسْكٌ بِالْعَرَانِينَ سَاطِعُ^(٢)
 أَشْرَنْ بِأَنْ حُثُّوا الْمَطْيَى وَقَدْ بَدَا
 مِنَ الصَّيْفِ يَوْمٌ طَيِّبُ الظِّلِّ مَاتِعُ^(٣)
 فَقُمْنَ يُبَارِينَ السُّدُولَ بِوَافِرٍ
 يُلَاعِبُ عِطْفَيْهِ الْجَرِيرُ وَدَافِعُ^(٤)
 وَكُلُّ نَجَيبَاتٍ هِجَانٍ كَأَنَّهَا
 إِذَا رَدَعَتْ مِنْهَا الْخَشَاشَةُ طَالِعُ^(٥)

= يزال الشاعر يصف رحيل النسوة، فهنا هن في الطريق ينزلن أرضاً منبسطة فإذا بالنيق يسبح بهن السهل لسهولة السير في تلك الأرض، فتختلط الهجان والخواضع فيتشابهن.

(١) الحور: المرأة الحوراء، ذات عينين حوراوين، والحور: شدة البياض وشدة السواد في العين، السدول: الستائر تستر بها الهودج. الرقم: ضرب من الوشي. الأكارع: القوائم. ولا يزال الشاعر يتم صورة رحيل النسوة الحور، ذوات العيون الجميلة في هودجهن المجللة بستائر موشاة، أسدلت عليهن حتى غطت قوائم النياق.

(٢) و (٣) العرانيين، مفرد عرنون: الأنوف. وما يزال الشاعر يتم الصورة؛ فالنسوة في خدورهن، وما يدل على ترفهن عطرنه ينتشر بالمكان حتى يداعب الأنوف، ما بين عبير ومسك. وهن على عجل، فأشرف قائد الرحلة يحث النياق على الإسراع؛ فالיום يساعد على ذلك، في جو صيفي ظليل لطيف.

(٤) يُبارين: يتسابقن. الوافر: الجمل القوي السريع. الجري: الحبل. الدافع: المهماز. لا يزال الشاعر يصف الرحلة. فالنياق يسابقن الريح والستائر المنسدلة على قوائمها في سباق دائم، يلعب أعطافها رسن طويل ومهماز توجه به.

(٥) نُجيبات هيجان: نياق كريمات. الخشاشة: عود من الخشب يوضع في أنف الناقة. الطالع: القمر. لا يزال الشاعر يتم الصورة. يشبه الشاعر إسراع النياق الكريمات =

يُعَارِضُهَا عَوْدُ كَأَنَّ رُضَابَهُ
 سُلَاقَةً قَارِ سَيَّلَتْهُ الْأَكَارُ^(١)
 رَفِيقُ بَرَجِجِ الْمَرْفَقَيْنِ مُمَانِعُ
 إِذَا رَاعَ مِنْهُ بِالْخِشَاشَةِ رَائِعُ^(٢)
 عَلَيْهِ كَرِيمُ الْخَيْمِ يَخْبِطُ رِجْلَهُ
 بِرِجْلِ وَلَمْ تُسَدِّدْ عَلَيْنَا الْمَطَالِعُ^(٣)
 يُجِيبُ بِلَبَّيْهِ إِذَا مَا دَعَاؤُهُ
 عَلَى عِلَّةٍ وَالنَّجْمُ لِلْغُورِ طَالِعُ^(٤)
 وَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحُمُولِ تَبَاشَّرَتْ
 بِنَا مُعْصِرَاتُ غَابَ عَنْهَا الطَّلَائِعُ^(٥)

= وهن يسرن في حال ردعهن بالخشاشة بقمر مشرق في حال رفعها رؤوسها وخفضها.

(١) العود: البعير المسنن. الأكارع، مفردا كراع: المستدق من الساق. لا يزال الشاعر يُتَمَّ صورة القافلة، فثم بعير مسنن مشاكس يعرض للنجيبات الكريمات، وكأن ريقه خلاصة زفت ينحدر على قائمته.

(٢) يعمل ذلك البعير على تهدئة حركة المسارعة بسيره المتمهل، فكلما تحركت الخشاشة آلمته فيزداد خوفه ويرتاع.

(٣) الخيم: السجاييا والأخلاق. من صفات ذلك الجمل صفة كرائم النياق الرفيعة براكيها، فهو يخبط رجلاً برجل، والطرق مشرعة لم تُسدَّ علينا منافذها.

(٤) اللب: الصدر. دعوته: حضضته. يركب الشاعر ذلك الجمل، والجمل مطواع يأتمر بأمر صاحبه، فهو يلبي سيده إذا حثه على السير بصدره لعجزه، وقد حل المساء وتألأت النجوم في السماء.

(٥) الحمول: ما تحمله النياق. المعصر من الفتيات: اللواتي أدركن سن الشباب. الطلائع: الفجر الكاذب، ومن العرب من كان يتشاءم به. يصف الشاعر مغامرة لحاقه بركب فيه فتيات ما إن أدرك الشاعر الركب، وهو على جملة، حتى تباشرت به فتيات معصرات متفائلات بمستقبل سعيد ويتفاءلن بوصول الشاعر، وما يبشر به من خير.

تَعَرَّضْنَ بِالدَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْدُ
 حِمَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهُنَّ مَوَانِعُ^(١)
 خَضَعْنَ بِمَعْرُوفِ الْحَدِيثِ بِشَاشَةٍ
 كَمَا مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَهِيَ شَوَارِعُ^(٢)
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
 بِحَيْثُ أَظْمَأْتِ بِالْحَبِيبِ الْمَضَاجِعُ^(٣)
 وَهَلْ أَلْقَيْتَنِي رَحْلِي إِلَى جَنْبِ خَيْمَةٍ
 بِأَجْرَعٍ حَفَّتْهَا الرُّبَى فَمُتَالِعُ^(٤)؟
 وَهَلْ أَتْبَعَنَ الدَّهْرَ فِي نَهْضَةِ الضُّحَى
 سَوَاماً تُزْجِيهِ الْحُمُولُ الدَّوَافِعُ^(٥)؟
 سَقَاهَا عَلَى نَأْيِ الدِّيَارِ خَسِيفَةً
 وَبِالْخَطِّ نَضَّاحِ الْعِثَانَيْنِ وَاسِعُ^(٦)

- (١) الدَّلُّ: الدَّلَال. المَلِيحُ: الجميل والظريف. تَعَرَّضَ: أظهر نفسه. وحالما أَحَسَّتِ الفتيات برفيق لهن حتى أظهرن ما لديهن من جمال وملاحة وجوه ورقة طباع، ولكنهن يمتنعن على كل طامع، فلا يستطيع الدخول إلى حماهن، فهن محصنات مصونات.
- (٢) وكانت الاستجابة عبارة عن حديث حلو تخالطه بشاشة وجوه مبتسمة ببسمات ناعمات، وكان قبول صحبته أعناق النبايق التي انساحت كرماح مسرعة.
- (٣) يتمنى الشاعر لو يحصل على مرقد في ليلة إلى جانب الحبيب. فتلك الليلة أمنيته لا تمحي ذكراها من قاموس الحياة.
- (٤) أَجْرَعُ ومُتَالِعُ: موضعان. الرحل: ما يجعل على ظهر البعير لراحة راكبه. ألقى رحله: ترحل ونزل أرضاً. ويتمنى الشاعر لو يسمح الدهر له بالنزول إلى جانب خيمة تحيط بها تلال تحميها من قسوة الطبيعة بين أجرج ومُتَالِع.
- (٥) السوام: الأنعام. تُزْجِيهِ: تُسرِّع به. ويتمنى الشاعر لو يرعى أنعاماً يخرج معها مع الفجر الأول، وتركض النبايق متدافعة متسارعة تحمله إلى حيث يريد. حيث الحرية والبعد عن الوشاة والحساد.
- (٦) خسيفة: سحابة ماطرة. الخط: الحي. نَضَّاح: ماطر. العثانين: الرياح. يتمنى =

أَجَشُّ جُمَادِيٍّ إِذَا عَجَّ عَجَّةً
 وَأَقْبَلَ يَسْتَتْلِي تَسْكُ الْمَسَامِعُ^(١)
 يُحِطُّ الْوُعُولُ الشُّهْلَ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ
 وَلِلْسَدْرِ وَالْدُّومِ الطُّوَالِ الْمَصَارِعُ^(٢)
 فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي، وَدَمْعِي مُسْبَلٌ
 وَقَدْ صَدَعَ الشُّمْلُ الْمُشْتَتَّ صَادِعُ^(٣)
 أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الْخُدُورِ تَعَرَّضْتُ
 لِعَيْنِي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ^(٤)؟

١٣٣

نعم إنني صَبٌّ

[الطويل]

إِذَا حُجِبَتْ لَيْلَى فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
 أَتُصْبِرُ أَمْ لِلْبَيْنِ قَلْبُكَ جَارِعُ^(٥)؟

= الشاعر لتلك الديار الخير العميم والمطر بحيث تعمها سحابة بمطرها الغزير، والرياح تأتي بدفق مطر عميم يجعل الخضرة تعم تلك الرباع.

(١) أجشُّ الصوت: خشن الصوت. عَجَّ الصوت: رفعه. جُمَادِيٍّ: نسبة شهري جُمَادَى، ويُخص بذلك فصل الشتاء. تسكُ المسامع، تصمت. يُتَمَّ الشاعر الصورة في يوم مطير في جمادى، شهر المطر، فزمرجة الرعد مخيفة تصم الآذان لترادفها وتتبعها.

(٢) يحطُّ: ينزل. السدر والدوم: أنواع من الشجر، لا يزال الشاعر يرسم الصورة، وتتضح معالمها. تلك الأمطار والرعود تُثير خوفاً حتى في عالم الحيوان، فتجبر الوعول على الهبوط إلى السهول خوفاً تاركة أعالي الجبال؛ فصوت الرعد مخيف مرعب، وشدة الرياح تصرع تلك الأشجار الصلبة القوية فتكسرهما فتفوي طريحة صراع الطبيعة القاسية.

(٣) و (٤) في هذا الجوّ المخيف المرعب، تذكر الشاعر ليلى حبيبته، فقال لأصحابه مستفسراً، ودمعه على خديه، خوفاً عليها، وأفلح الواشون فانقطعت أواصر المحبة:

أهي ليلى التي تصدّت بباب الخدر لعيني المحبِّ، أم هي الشمس أشرقت بضياؤها؟
 (٥) يتساءل الشاعر، إذا حُجِرَ على ليلى ومُنعت من المثل بين يديه أيتحمّل مرارة الصبر أم أنه يخاف قلبه من الهجر والبعد؟

نَعَمْ، إِنَّنِي صَبُّ بَلِيلِي مُتَيِّمٌ
 وَلَسْتُ بِسَالٍ مَا دَعَا اللَّهَ خَاشِعٌ^(١)
 وَلَا صَبْرَ لِي عَنْهَا وَلَا لِي سَلْوَةٌ
 سِوَى سَقَرَاتٍ فِي الْحَشَا وَمَدَامِعُ^(٢)
 وَقَدْ جَدَّ بِي وَجْدِي وَفَاضَتْ مَدَامِعِي
 وَقَدْ زَادَ مَا انْضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ^(٣)
 أَلَا إِنَّ لَيْلِي كَالْغَزَالَةِ فِي الضُّحَى
 أَوْ الْبَدْرِ فِي الظُّلُمَاءِ كَالْتَّمِ طَالِعُ^(٤)
 لَقَدْ حَبَّبَهَا قَلْبِي وَعَمَّ غَرَامُهَا
 وَلَا صَبْرَ مِمَّا يَلْتَقِي الْعَبْدُ مَا نِعُ^(٥)
 وَكَيْفَ أَسْلِي النَّفْسَ عَنْهَا وَحُبُّهَا
 يُؤَزِّقُنِي وَالْعَاذِلُونَ هَوَاجِعُ^(٦)؟

- (١) يُجِيبُ الشاعر بنعم؛ ذلك أنه عاشقٌ يميل إلى ليلِي، يهيم بها، ولن ينساها طالما يدعو الله تعالى داعٍ أو مؤذِن.
- (٢) سَقَرَاتٍ، واحدها سَقْرَةٌ: شِدَّةُ حَرِّ الشَّمْسِ. ويتبع كلامه أنه يفتقد إلى الصبر، فلا يملك منه شيئاً يسمح له بالبعد عنها، وليس له سوى الدموع تترجم معاناته، وتوقد لهيباً في أحشائه.
- (٣) يعبر الشاعر عن ألمه؛ فحبه يزداد باطراد، وعيناه تفيض بالدمع وفي داخله قلب يقطر ألماً وحنناً لما آلت إليه حاله.
- (٤) وليلى شبيهه غزالة في ضحَى نَبَرٍ، لها أنافتها ورقتها ورشاقتها ولطفها وجمالها، أو هي كالبدر في ليلة مظلمة، فإذا ما طلعت سرى الأنس في النفس، وزال خوف الوحدة من النفوس.
- (٥) يقرّر الشاعر حقيقة أمره، فقد داخل حبها قلبه، فاستقرت به، وشمل غرامها كلّ جارحة فيه، ولكن مشكلة الشاعر أنه لا يصبر على ما يلقاه في سبيلها من آلام وعذابات.
- (٦) ومشكلة الشاعر أن نفسه لم تعرف للعزاء طريقاً، فلم يستبدل بها من تحلّ مكانها، =

وقلبي كئيبٌ في هواها وإنني
لَفِي وَضَلٍ لَيْلَى مَا حَيْثُ لَطَامُعُ^(١)

١٣٤

تُضْرِبُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامُعُ

[الطويل]

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا
لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ^(٢)
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ^(٣)
لَقَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ
كَمَا ثَبَّتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ^(٤)
وَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْضِعَ الْعَثْبِ لَاشْتَفَى
فُوَادِي وَلَكِنْ لِلْعِتَابِ مَوَاضِعُ^(٥)

= نفسه لا تودّ غيرها، ولذا فالأرق يقتل كلّ رغبة فيه للنوم، وهناك العذال ساهرون يحوكون المؤامرات لإبعاده عنها بشتى الطرق.

(١) وقلب الشاعر مترع حزناً بسبب حبه لها، ولديه الإصرار على الاستمرار في طريق هذا الحب، وهو طامع بصلتها ما دام على قيد الحياة.

(٢) يقضي الشاعر نهاره كما يقضيه الآخرون، وما إن يحلّ الليل بظلمته ووحشته، حتى يُحسّن أنه بحاجة إلى من يؤنس وحشته، ويزيل عنه إحساسه بالوحدة والانكسار.

(٣) يُمضي الشاعر نهاره كسائر الناس؛ عمل وحديث وأمل، ولكن ما إن يسدل الليل ستار الظلمة حتى تعاوده الهموم مجتمعة.

(٤) يخاطب الشاعر حبيبته، فقلبه مترع بحبها متمكن حبها من شغاف فؤاده تماماً كما جعل الله تعالى الأصابع في يدي المرء لترجم القوة والاتحاد والالتحام.

(٥) العتاب بين الأحبة والأصحاب يغسل القلوب ويشفي سقمها؛ فهذا بالنسبة له لا يُعدّ عتاباً، بل فضفضة عما يُعانيه من آلام وأحزان، ولكن هناك متسع من الوقت للعتاب، فليس وقته الآن.

وَأَنْتِ الَّتِي صَيَّرْتَ جِسْمِي زُجَاجَةً
تَنْمُ عَلَى مَا تَحْتَوِيهِ الْأَضَالِعُ^(١)
أَتَطْمَعُ مِنْ لَيْلَى بِوَضَلٍ وَإِنَّمَا
تُضْرِبُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(٢)

١٣٥

التابع المطيع

[الطويل]

وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً
بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(٣)
فَأَمْرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَعَذَابُهَا
وَمَا لِلْعِدَى مِنْ صَبْوَةٍ كَيْفَ أَصْنَعُ^(٤)؟
وَأَتَّبِعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودَّعُ^(٥)

(١) إنَّ ليلَى هي السبب الحقيقي الذي جعل جسم الشاعر شفافاً كزجاجة تكشف محتواها، ضعيفاً لا يقوى على المقاومة والصمود، وبذلك تعلمين مدى ما تخفيه ضلوعي من المحبة لك.

(٢) يخاطب الشاعر نفسه بواقع حاله؛ فالوصل واللقاء بليلى معناه الموت الأحمر، فثمة رجال يقفون بالمرصاد لكل طامع مهما علت منزلته.

(٣) دار الزمان دورة عقدين، وتغيرت معالم تلك الديار، فالديار خلت من حبيب، وتبدلت حالها، وسرعان ما انهالت الدموع على الخدود.

(٤) لقد حلَّ بساحة قلب الشاعر حبَّ ليلَى، ولم يترك له فُسحة فراغ فعذابها استحوذ على كل ركن في هذا القلب. والعدى لا يعرفون للحب طعماً ولو عرفوا لتغير موقفهم مني.

(٥) ويذكر الشاعر أنه يتبع حبيبته كظلّها، فحيثما سارت سار وحيثما رحلت رحل، ولذا فالناس هم بين موعد ومستقبل لهما.

كَأَنَّ زِمَاماً فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقاً
تَقْوُذُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ^(١)
أَبَيْتُ بِرُوحَاتِ الطَّرِيقِ كَأَنِّي
أَخَوْجِنَّةٍ أَوْصَالُهُ تَتَقَطَّعُ^(٢)

١٣٦

وحش البرِّ أليفي

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقُصَّادُ نَحْوِي لِتَعْلَمُوا
بِحَالِي وَمَا أَصْبَحْتُ فِي الْقَفْرِ أَضْنَعُ^(٣)
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْقَطَا قَدْ أَلْفَتْهُ
وَأَنَّ وُحُوشَ الْقَفْرِ حَوْلِي تَرْتَعُ^(٤)؟
وَعَيْشُكَ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي
بِلَفْظِ الْحَصَى وَالْخَطِّ فِي الْأَرْضِ مُوَلِّعُ^(٥)

(١) الزمام: مقود البهيمة. يُفسّر الشاعر سرّ هذه المطاردة، فهو يرى أن ليلي بيدها زمام أموره، فحيثما سارت يسير وبارادتها يأمر.

(٢) لذا فهو، حيثما أدركه الليل استسلم للنوم في منعرجات الطرق لا يهتمّ لما يحدث له، وكأنه ألم طرف من جنون به فتاه عقله وتقطّعت أوصاله.

(٣) يخاطب الشاعر القصّاد الذين يلاحقونه ليستعلموا عنه أحواله ويستطلعوا أخباره ويستفسروا عمّا يصنعه في قفر موحش مخيف.

(٤) يخبر الشاعر هؤلاء بأنه قد تألف طير القطا، فزال خوف الطير من الإنسان لعلمه أنه مسالم لا ينوي غدرًا، وأنه قد عايش وحوش القفر، فأكل العشب يرتع مطمئنًا، ووحشه لا يقربه لعلمه بأنه مسالم، فتألفت الحياة الكونية الوجودية بوحدانية عجيبة.

(٥) لفظ الحصى: رميها. الخطّ في الأرض: ريادة أراضٍ لم يطأها إنسان من قبل. يُقسم الشاعر بحياة حبيبته أنه لا عمل له سوى رمي الحصى؛ وهذا رمز نفسي يعني أن الشاعر يعاني من مشكلة يودّ التخلص منها، والسير في أرض لم يرتدها بشر =

وَأَنْ وُحُوشَ الْبَرِّ يَأْتِلِفُونَ بِي
 ذُكُورٌ إِنَاثٌ ثُمَّ خَشَفٌ وَمُرْضِعٌ^(١)
 ودونُ مُقامي في الفلاةِ ووحدتي
 وعشقي لِّلَيْلَى لِلْهُمُومِ تَجْمَعُ^(٢)

١٣٧

ضياع

[الطويل]

وإِنَّ أَخَاكَ الْكَارَةَ الْوَرْدَ وَارِدٌ
 وَإِنَّكَ مَرَأَى مِنْ أَخِيكَ وَيَسْمَعُ^(٣)
 وَإِنَّكَ لَا تَذْهَبُ بِأَيَّةِ بَلَدَةٍ
 تَمُوتُ وَلَا عَنْ أَيِّ شَقِيكَ تُصْرَعُ^(٤)
 وَإِنَّكَ لَا تَذْهَبُ أَشْيَاءُ تُحِبُّهُ
 وَآخِرُ مِمَّا تَكْرَهُ النَّفْعَ أَنْفَعُ^(٥)

- = يعني الفرار من البشر وما يمثلون من قيم فاسدة وكرهية الخير للآخرين .
- (١) الخشف: ولد الطبيعة. تألفت وحدات الكون، الإنسان ممثلاً بالشاعر، والطبيعة ممثلة بأجوائها، جبالها وسهولها، الحيوان، الذكور والإناث والصغار الرضع والأمات المرضعات من الأطباء .
- (٢) ومما زاد هموم الشاعر أنها اجتمعت كلها عليه؛ فمأواه فلاة قفراء ووحدة موحشة وحب فاشل لليلى .
- (٣) يخاطب الشاعر نفسه في حوار ذاتي، وهو يتألم لما هو فيه، ويعلم أخوه بما يقاسيه، ولكنه لا يمد له يد المساعدة، رغم طلب الشاعر ذلك وإلحاحه في الطلب .
- (٤) الشاعر في رحلة متنقل في كل مكان لا يستقر له مقام، لذا فهو لا يدري أين ينزل به الموت، وكذلك لا يدري كيف يكون مصرعه .
- (٥) يعبر الشاعر عن حيرته؛ فاخياره قد لا يكون صائباً وليس فيه نفعه، وقد يكون ما لا يختاره له فيه نفع .

١٣٨

تحية وداع

[الطويل]

مُنِعْتُ عَنِ التَّسْلِيمِ يَوْمَ وَدَاعِهَا
 فَوَدَّعْتُهَا بِالطَّرْفِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ^(١)
 وَأُخْرِسْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ فَمَنْ رَأَى
 مُحِبًّا بِدَمْعِ الْعَيْنِ قَلْبًا يُودِّعُ^(٢)؟
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَنِّي تَحِيَّةً
 إِلَى أَنْ تَغِيَبَ الشَّمْسُ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ^(٣)

١٣٩

لا رادَّ لقضاء الله

[الطويل]

رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ^(٤)
 يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي
 أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ^(٥)

(١) و (٢) لقد حالت بين الشاعر وحبيبته موانع حرمة من التسليم لحظة الوداع، فكان وداع آخر، فيه استسلام وخضوع لإرادة المانع، وبلغة أخرى، لغة الدمع والألحاظ. وتوقفت لغة الكلام لكن لغة العيون نطقت بما تكن القلوب بدمع يودع قلباً.

(٣) يتمنى الشاعر لحيبته سلام الله تعالى، وفيه راحة النفوس والقلوب حتى قيام الساعة؛ فمن علاماتها أن تشرق الشمس من حيث تغرب.

(٤) علم الشاعر بمرض حبيبته، لذا راح يوجه إليها ما يتمنى المحب لحيبته، من رعاية الله تعالى في حال المرض، والتمنى لها بالشفاء العاجل، وذلك من سعة رحمته في عباده.

(٥) خوف الإنسان من الكوارث والمصائب التي تنزل بساحته عظيم، والشاعر يعاني من =

فوالله ما أبكي على يومٍ ميتتي
ولكنني من وشك بينك أجنع^(١)
فصبراً لأمر الله إن حان يؤمنا
فليس لأمر حمه الله مدفع^(٢)

١٤٠

الأحمق

[الطويل]

أيا حرجات الحَيِّ حينَ تحمّلوا
بذي سلم لا جادكن ربيع^(٣)
وخيمائك اللّاتي بمنعرج اللّوى
بليّن بلى لم تبلهن ربيع^(٤)

= الويلات ما يعاني، وخوفه على حبيبته يتخطى ما يعانيه من خوف على نفسه، ويتمنى لها دائماً كل خير.

(١) يُقسم الشاعر بالله تعالى أنه لا يخاف الموت، ففيه راحة من عذاباته ولكنه يخاف من حصول فراقه عن حبيبته.

(٢) يعلن الشاعر خضوعه لمشيئة الله تعالى والاستسلام لما قدره على الخلائق من موت؛ فلا يستطيع أحد من خلائقه أن يدفع ما قدره وقضاه عليهم.

(٣) الحرجات، واحدها حرجة: هو ضرب من الشجر الملتف، تحملوا: طعنوا. ذو سلم: اسم موضع حجازي. شهدت تلك الأشجار رحيل رهط محبوبته، لذا يصب الشاعر جام غضبه على تلك الحرجات، لا ذنب لها سوى أنها شهدت ذلك الحدث في ذي سلم ويدعو الله تعالى ألا يوجد عليها بمطر الربيع، مطر الخير والبركات.

(٤) منعرج اللوى: اسم مكان. بلي: فني. ولم يسلم من دعاء الشاعر حتى تلك الخيم بمنعرج اللوى، فإنه يتمنى لو تمحق من الوجود فما سينزل بها لم ينزل في سالف الدهر على مثيلاتها.

أَلَا هَلْ إِلَى لَيْلَى قُبَيْلَ مَنِيَّتِي
 سَبِيلٌ؟ وَهَلْ لِلنَّاجِعِينَ رُجُوعٌ^(١)؟
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ الْعَصَا
 هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعٌ^(٢)
 فَلَوْلَمْ يَهْجُنِي الطَّاعِنُونَ لَهَا جَنِي
 حَمَائِمُ وَرُقٌ فِي الدِّيَارِ وَقُوعٌ^(٣)
 تَدَاعَيْنَ فَاستَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
 نَوَائِحُ لَا تَجْرِي لَهْنٌ دُمُوعٌ^(٤)
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرَعَاءٍ مَالِكٍ
 لَعَاصٍ لِأَمْرِ الْعَاذِلِينَ مُضِيعٌ^(٥)

(١) الناجعون: هم الباحثون عن العشب في موطنه. يسأل الشاعر إن كان ثمة طريق أو واسطة لحمل ليلي على جعل قلبها يرق وتداعبه أحلام حب الشاعر، ويسأل هل من أمل بعودة القبيلة التي رحلت طلباً للحياة وراء العشب والكأ والماء إلى الربوع من جديد؟

(٢) ورد البيت معزواً إلى قيس بن ذريح في: التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١٢٣: ٢، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢: ٢٤٠، الدرر اللوامع ١: ٢٠١. والنية: التباعد. شقت العصا: تعبير مجازي بمعنى فرقت. يشكو الشاعر ما نزل بساحته، فالفرقة حلت ومزقت عرى اجتماعه بحبيبتة، بعدما كانا متآلفين مجتمعين.

(٣) و (٤) لا بد ممن يُنغص سكون الشاعر وطيب حياته، فالراحلون يُثيرون لواعج القلب؛ ومن المحتمل أن يتحمل تلك الصدمة، والديار يلعب بها الريح خواء، إلا من حمامات برية اتخذت ممّا فيها ارتفع مريضاً فحطت عليه وراحت تنزع من الشاعر آخر قلاع الصبر بغناء شجي حزين فانهمرت الدموع، فشاركها النواح.

(٥) جرعاء مالك: اسم موضع. يُقسم الشاعر على طريقة شعراء الجاهلية بـ «لعمرك» أنّه قد كان رده يوم كان في جرعاء مالك على العُذال واللائمين العصيان على ما يقترحون لخلاصه من أزماته ومشاكله.

وما كان قلبي بعد أيام جاوزت
 إِلَيَّ بِأَجْوَازِ الْبَدْيِ يَرِيعُ^(١)
 وَإِنْ أَنِهَمَالَ الدَّمْعَ يَا لَيْلَ كُلَّمَا
 ذَكَرْتُكَ يَوْمًا خَالِيًا لَسَرِيعُ^(٢)
 مَضَى زَمَنُ النَّاسِ يَسْتَشْفِعُونَ بِي
 فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْعَدَاةِ شَفِيعُ^(٣)؟
 نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً
 كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ^(٤)
 لَعَمْرُكَ، مَا شَيْءٌ سَمِعْتُ بِذِكْرِهِ
 كَبَيْنِكَ يَأْتِي بَغْتَةً فَيَرُوعُ^(٥)
 عَدِمْتُكَ مِنْ نَفْسٍ شِعَاعٍ فَلِإِنِّي
 نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ^(٦)

(١) الْبَدْيِ: اسم مكان. جاوزت: تعدت. أجواز، واحدها جوز: وسط كل شيء.

فارقني قلبي، وعرف الرجوع إليّ منذ رحيلها عني في وسط البدْي.

(٢) إدراار دموعي، يا ليلي، إذا ذكرتك ذات يوم ينهمر بسرعة بلا توقف.

(٣) ورد البيت في: مغني اللبيب وشرح شواهد، للسيوطي: ٤٣٢ (٢٨٥)، همع

الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١: ٢٤٠، الدرر اللوامع ١: ٢٠١،

ويعزى البيت لقيس بن ذريح. وبسبب ما وصلت إليه حالي من بؤس وعذاب كثير

من الناس فيما مضى كانوا يستشفعون لي عند ليلي، يسأل الشاعر هل من يشفع له

عندها، وقد تَخَلَّى عنه الشفعاء.

(٤) لقد عرفت طعم الندم بسبب ما قدمت من جهود في سبيل استرضاء من أحب كما

يندب المغبون الخاسر وقت بيعه سلعته.

(٥) يُقسم الشاعر، على الطريقة الجاهلية، بعمره أيها الإنسان إن ما يخيفني بكثرة

بعدك المفاجئ عني.

(٦) ورد البيت في لسان العرب ٨: ٥٤ مادة (جمع) «والجميع ضد التفرق؛ =

وَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ
 هُنَاكَ ثَنَايَا مَا لَهْنِ طُلُوعُ^(١)
 يُضَعِّفُنِي حُبِّكَ حَتَّى كَأَنَّنِي
 مِنْ الْأَهْلِ وَالْمَالِ التَّلِيدِ نَزِيعُ^(٢)
 إِذَا مَا لِحَانِي الْعَاذِلَاتُ بِحُبِّهَا
 أَبَتْ كِبِدًا - مِمَّا أَجِنُّ - صَدِيعُ^(٣)
 مَدَى الدَّهْرِ أَوْ يَنْدَى الصِّفَا مِنْ مُتُونِهِ
 وَيُشْعَبُ مِنْ كَسْرِ الزُّجَاجِ صُدُوعُ^(٤)

- = قال قيس بن معاذ وهو مجنون بني عامر: فَقَدْتُكَ^(١) . . .
 والشعاع: المتفرق، يقال: ذهب نفسي شعاعاً: إذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم.
 يدعو الشاعر على نفسه المتمزقة التي ما عادت تذوق طعم الاستقرار، فقد بذلت
 الجهد، وقد نهيتك عن الانزلاق والميل إلى حب ليلى يوم كنت صاحبة إرادة وقرار.
 (١) أشرفت: ارتفعت. الثنايا، واحدها ثنية: المرتقى الصعب. سهلت لي الصعب،
 وأوهمتني بسهولة المرتقى، ودونه صعوبات ومرتفات وعرة المرتقى، ليس من
 السهل ارتقاؤها.
 (٢) حبك أنك قواي فأفقرني، الفقير غريب الديار والأهل، فلا ينتمي إلى أهل، ولا
 ميراث له.
 (٣) العاذلات: اللائعات، لحاني: لامي. أجن: أخفي، صديع: مشقوق شطرين.
 أمر اللائعات واحد، كلام في كل جهة وعدل لا ينتهي، وهن ينعين علي حبي
 ليلى، وكبدي ترفض مقولاتهن، لما تُسرّ وتخفي من الحب والآلام حتى تكاد
 تنفطر.
 (٤) الصفا: الصخرات الرقاق. يُشعب: يُجمع. رد الشاعر على هؤلاء تصميم على
 حبها بعناد حتى آخر العمر، أو يتفجر الماء من الصخر، أو تلحم أجزاء الزجاج
 المتكسر؛ وذلك محال.

(١) قوله: فقدتك إلخ. . . «نسبه المؤلف في مادة (شعب) لقيس بن ذريح لابن معاذ». وورد
 البيت في ١: ١٨١ مادة شعب. «وقال (قيس بن ذريح) أيضاً: فقدتك . . . وأنت . . . جميع».

وَحَتَّى دَعَانِي النَّاسُ أَحْمَقَ مَائِقًا
 وَقَالُوا: تَبُوعٌ لِلضَّلَالِ مُطِيعٌ^(١)
 وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا
 يُؤَرِّقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعٌ^(٢)؟

١٤١

قلب للحسان تبوع

[الطويل]

أَلَا طَالَمَا لَاعَبْتُ لَيْلَى وَقَادَنِي
 إِلَى اللَّهِوِّ قَلْبٌ لِلْحَسَنِ تَبُوعٌ^(٣)
 وَطَالَ امْتِرَاءُ الشُّوقِ عَيْنِي، كُلَّمَا
 نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوعٌ^(٤)
 فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِي عَلَى الْكَبِدِ الَّتِي
 بِهَا مِنْ هَوَى لَيْلَى الْغَدَاةُ صُدُوعٌ^(٥)

-
- (١) المائق: الهالك. موقف الناس لا يرحم، ولما رأوا استمرار الشاعر على هذا الموقف المعاند، اتهموه بالحماسة المهلكة، وراحوا يسخرون منه قائلين: يتبع الضلالة فيطيع هواه، لا يرعوي ويتعظ.
- (٢) يرد الشاعر بأنه لا يستطيع طاعة العاذلات اللائعات، فحب ليلى حرمة طعم النوم، فهو قلق ساهر دائماً.
- (٣) كثيراً ما لاطفت ليلى وحادثتها حديث الحب، وببسر حملني اللهو البريء إلى الحسان، فتملك جبهتي قلبي.
- (٤) امتراء: انتشال. ومن شدة الشوق لمن أحب رحت أمثري من بثر الدموع دموعاً، فكلما نزفت تُستجد في بثر الدموع دموع.
- (٥) ولقد طال زمن إمساكي بكبدي الحرى التي صدعها حب ليلى في الغداة.

١٤٢

في القلب صدوع

[الطويل]

لَئِنْ نَزَحْتُ دَارَ بَلِيلَى لَرَبِّمَا
 غَنِينَا بِخَيْرٍ وَالزَّمَانُ جَمِيعُ^(١)
 وَفِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ حَزَاوَةٌ
 وَفِي الْقَلْبِ مِنْ وَجْدِي عَلَيْكَ صُدُوعُ^(٢)

١٤٣

بلادي

[الوافر]

بِلَادِي لَوْ فَهِمْتُ بَسَطْتُ عُذْرِي
 إِذَا مَا الْقَلْبُ عَاوَدَهُ نُزُوعُ^(٣)
 بِهَا الْحَيْنُ الْمُتَّاحُ لِمَنْ بَعَاهُ
 وَجَزَعُ - لِلْغَرِيبِ بِهِ - مُرِيعُ^(٤)
 إِلَى أَهْلِي الْكَرَامِ تُشَاقُّ نَفْسِي
 فَهَلْ يَوْمًا إِلَى وَطَنِي أَرِيعُ^(٥)؟

(١) يعزّي الشاعر نفسه صابراً راضياً برحيل ليلى وتركها الديار على أمل أن يتكرّم الزمان ويجمعهما ثانية .

(٢) والنفس في شوق دائم إلى من يحبّ يتأكلها الغيظ والألم، ذلك أن ما يختزنه القلب من رصيد الحبّ الكبير الذي حطّمه، فتشقق هذا القلب .

(٣) قلب الشاعر مفعم بحبّ بلاده، فيخاطبها بأنّ قلبه يُعاوده الحنين إلى العودة، ولكن ثمّة عذرٌ يحول دون ذلك .

(٤) الحين، بفتح الحاء: الموت. الجزع: الخوف العظيم. ثمّة عاملان يبتابان الشاعر: خوف من القتل، فالهلاك لمن أراد العودة محتم، ورعب وفُتُوط لمن حمّله الحنين على العودة من نتائج ذلك .

(٥) أريع: أرجع. حنين يحمل النفس إلى الأهل الكرام الأحبة، ولكن يا تُرى هل من سبيل يُتيح لي العودة إلى الوطن ومن فيه وما فيه؟

١٤٤

إليك سلامي

[الطويل]

- وإنَّكَ لو بَلَّغْتَهَا قَوْلِي: اسْلَمِي
 طَوْتُ حَزْناً وَازْفَضَّ مِنْهَا دُمُوعُهَا^(١)
 وَبَانَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى
 إِذَا هَاجَهَا مِنِّي حَدِيثٌ يَرُوعُهَا^(٢)
 وَفَاضَتْ فَلَمْ تَمْلُكَ سِوَى فَيْضِ عَبْرَةٍ
 وَقَلَّ لِبَاقِي الْعَيْشِ مِنْهَا قُنُوعُهَا^(٣)
 إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَسَلِّمِي
 فَايَةً تَسْلِمِي عَلَيْكَ طُلُوعُهَا^(٤)
 بَعْشَرَ تَحِيَّاتٍ إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ
 وَعَشِيرٍ إِذَا اصْفَرَّتْ وَحَانَ وَقُوعُهَا^(٥)

- (١) يشغل بال الشاعر حبيبته، وحالها، فهي تذرف الدمع، ولا ينقطع، لذا فالمرسال يحمل الطمأنينة إلى قلبها وأمنيات السلامة وراحة البال من لدنه.
- (٢) و (٣) الملاحظ أن الشاعر تحدّث عن معاناته، ولم يذكر ما تعانیه حبيبته إلا في هذه القصيدة. فهي تحمل بين حناياها قلباً يعمره الحب والشوق، لذا إذا تذكّرت بينهما حديثاً ما أثار في نفسها الحزن الشديد، فكانت العبرات تعبيراً عمّا تُحسّ به، وهي عاجزة عن الثورة، فليس لها إلا البكاء وقد استحوذ عليها يأس، فلا قيمة لما بقي لها من عيش وأمان.
- (٤) و (٥) الآية: العلامة. ولا زال يحاول إدخال التسلية والطمأنينة أنه على العهد، فإذا بدت بشائر النهار بخيوط شمسهِ الأولى، فإنها تحمل سلامي، فعليك أن تردّي السلام؛ فتلك علامة التسليم، وليكن السلام منك بعشر تحيات عند الفجر وعشر إذا مالت الشمس إلى الغروب مع المساء.

١٤٥

كوني شفيعي

[الطويل]

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ
إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا^(١)
أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبَتَّغِي
بِهِ الْجَاهَ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا^(٢)

١٤٦

ظبية كليلى

[الوافر]

أَلَا يَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي
وَلَا تَنْسَلْ عَنْ وَرْدِ التَّلَاعِ^(٣)

(١) ورد البيت في: خزانة الأدب، للبغدادى ١/٤٦٣: ٣/٥٩٧: ٤/٤٩٨، ٥٢٤، المغني اللبيب وشرح شواهد، للسيوطي ٧٤، ٢٦٩، ٣٠٧، ٥٨٣ (٧٩)، شرح شواهد شروح الألفية، للعيني ٣/٤١٦: ٤/٤٥٧، ٤٧٨، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/٤١، ٢٦٣، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/٦٧، الدرر اللوامع ٢/٨٣، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/٢٥٩: ٤/٥٢، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ١١٢٠، وينسب البيت أيضاً للصمّة القشيري، ولابن الدمينّة ولإبراهيم الصولي. تنامي إلى مسمع الشاعر أن ليلى أرسلت إليه من يشفع لها عنده، فهو يتمنى لو كانت هي نفسها شفيعاً بدل المراسيل.

(٢) ورد البيت في: مغني اللبيب وشرح شواهد، للسيوطي: ٥٨٧، (٣٠٩)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٢٢٠، ويُعزى البيت أيضاً إلى ابن الدمينّة. ليس ثمة من هو أكرم عندي من ليلى، وهل هي تودّ الجاه بانتسابها إليّ؟ وتُشهر بأشعاري فيها وتشبهي بها؟ وهل تعتقد أنني لا أأتمر بأوامرها؟

(٣) التلاع، واحدها تلعة: المرتفع من الأرض. يخاطب الشاعر غزاً لا يُشبه ليلى بجمالها وأناقته ورقتها ألا يلتفت تلفت الخوف والحذر، ولا تفرّ بهدوء ولا ترد المرتفعات لئلا يُصيبك مكروه فأنألم لما يُصيبك.

لَقَدْ أَشْبَهَتْهَا إِلَّا خِلَالاً
نُشُورَ الْقَرْنِ أَوْ خُمْشَ الْكَرَاعِ^(١)

١٤٧

البين نافع

[الطويل]

أَمِنْ أَجَلٍ سَارٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَامِعٍ
جَفَوْتَ حِذَارَ الْبَيْنِ لَيْنَ الْمَضَاجِعِ^(٢)؟
عَلَامَ تَخَافُ الْبَيْنَ، وَالْبَيْنُ نَافِعٌ
إِذَا كَانَ قُرْبُ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ^(٣)؟

١٤٨

غدر

[الطويل]

إِذَا لَمْ تَزَلْ مِمَّنْ تُحِبُّ مُرَوَّعاً
بِغَدْرِ فَإِنَّ الْبَيْنَ لَيْسَ بِرَائِعٍ^(٤)

(١) الخُمْشُ: الشَّقْ. الْكَرَاعُ: مَا دُونَ الْكَعْبِ عِنْدَ الدَّوَابِّ. أَنْتِ تُشَبِّهُهَا بِصِفَاتِكَ الْجَمَالِيَّةِ، وَتَخْتَلِفُ عَنْهَا بِطَبِيعَتِكَ الْحَيَوَانِيَّةِ؛ كِبَرُوزِ الْقَرْنَيْنِ وَشِقِّ أَسْفَلِ قَوَائِمِكَ.

(٢) سَارٍ: سَاطِرٌ فِي اللَّيْلِ. الدُّجَى: الْعَتَمَةُ. جَفَوْتَ: كَرِهْتَ. مَا الَّذِي حَمَلَكِ عَلَى تَرْكِ فِرَاشِكَ وَهَجْرَانِ النَّوْمِ الْمَرِيحِ مَخَافَةَ ابْتِعَادِ مَنْ تُحِبُّ أَهْوَاؤِ غَيْمِ سَرَى فِي عَتَمَةِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ تَعْلَنَ عَنْهُ بَرُوقُ وَرَعُودٍ؟

(٣) مَا هُوَ سَبَبُ خَوْفِكَ، وَالْأَمْرُ سَيِّئَانِ فَقَرَّبِ الدِّيارَ لَمْ يَجْزَ عَلَيْكَ نَفْعاً لَصُدُودِ مَنْ تُحِبُّ، وَلَعَلَّ الْبَعْدَ أَنْفَعُ لَكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَمْ الْأَمْرُ سَيِّئَانِ؟

(٤) الْحَالُ وَاحِدٌ، إِذَا الْخَوْفُ مَلِكٌ عَلَيْكَ رَوْحُكَ مِنْ غَدْرِ حَبِيبَتِكَ وَتَذَكَّرِ حَالَكَ، فَكَذَلِكَ إِنْ الْبَعْدَ لَا يَجْلِبُ لَكَ رَاحَةُ الْبَالِ.

١٤٩

يأس

[الطويل]

فأصبحتُ من لَيْلَى الغداة كقَابِضٍ
على الماءِ خائِثُهُ فُرُوجُ الأصابعِ^(١)

١٥٠

أمنية

[الطويل]

فإنْ تَرْجِعِ الأَيَّامُ بيني وبينها
بذي الأثلِ صيفاً مثل صيفي ومَرْبَعِي^(٢)
أشدُّ بأعناقِ النَّوى بعدَ هذه
مَرَّائِرٍ إنْ جاذبَتْها لم تَقْطَعْ^(٣)

١٥١

لوم النفس

[الطويل]

أتبكي على لَيْلَى ونَفْسِكَ باعدَتْ
مَزارَكَ من لَيْلَى وشِغْبَاكُمَا مَعَا^(٤)؟

- (١) الفروج، مفردا فرجة: الخلل بين شيئين. حال ليلى لا تسرّ حبیباً فمثّلها في عدم الإخلاص ونكران الحبّ ونسيان الودّ كمثّل من يودّ الإمساك بالماء وقد فرّج بين أصابعه، ففرّ الماء من بينها؛ وتلك هي حال الشاعر مع حبيبته.
- (٢) ذو الأثل: اسم مكان. يودّ الشاعر لو تعود أيام كان ينعم بوّد حبيبته بذي الأثل صيفاً وربيعاً، وهل الزمن إلا صيف وربيع تحل به الحياة؟
- (٣) يتمنى الشاعر لو يستطيع القضاء على البعد لما يحمل للمرء من عذاب وآلام وحسرات على جميل الأيام. ومرارة الفراق طعمها علقم، طويل حبّلها يطول بطول البعد.
- (٤) الشُّغْب: الحيّ والطريق. المزار: الموضع المقدّس للزيارة. يسأل الشاعر ذاته عن =

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً
 وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعاً^(١)
 قِفَا وَدَّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِالْجَمَى
 وَقَلَّ لِلنَّجْدِ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا^(٢)
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
 وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنَنَّ نُرْعَا^(٣)
 تَلَقَّتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي
 وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتاً وَأَخْدَعَا^(٤)
 بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
 عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ، أَسْبَلْتَا مَعَا^(٥)

= سبب بكائه وهو سبب آلامه، فقد حوّل طريقه إلى نحو آخر، فلم يعد يزورها، والمشكلة أن سبيلهما واحد يسلكانه ويؤدي إلى داريهما المتجاورين.

(١) جزع: خاف، وأشفق. ولقد أحس الشاعر بفداحة ما وقع فيه من خطأ، فاستسلم طائعاً بإرادته، فإذا بعواطف مفاجئة جارفة تستيقظ في أعماقه حملته على الحزن لذلك.

(٢) يخاطب الشاعر صاحبيه على طريقة شعراء الجاهلية، طالباً منهما الوقوف والتأمل بما آل إليه حال تلك الديار، بعدما ارتحل أحبة نزلوا بذلك المكان، أما الشاعر، فمن طبيعته الإخلاص إلى نجد، وما تمثله بالنسبة إليه من ذكريات العمر.

(٣) البشر: جبل في البادية من ناحية الفرات. والحقيقة أن الأمور ومحدثاتها في صحراء لا تخضع للنواميس التي يريدها بنو البشر، بل الأحداث تجري بمشيئة إلهية تجبر المرء على الرحيل، والشاعر يمتطي جملة، وجبل البشر يصغر في عينيه قليلاً قليلاً، وأخيراً يختفي، فإذا ينبوع من حنان وحب إلى أرض الطفولة يفيض ويجيش في النفس.

(٤) الليت: صفحة العنق. والأخدع: عرق العنق. تلفت وتلفت يتتابع نحو الحي، وكلما بعد المسير بالشاعر، وهو ساكت يحمل في نفسه ألماً وغمّة حتى ألمه عنقه وعروقها من كثرة التفاته، وفي النفس سؤال هل حقيقة أنا تارك الديار؟

(٥) زجره: منعه ونهره. كانت عينه اليسرى أسرع إلى البكاء، بكاء الوداع، وربما لا =

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتُشْنِي
 عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا^(١)
 فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
 عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَذَمُّعَا^(٢)
 مَعِيَ كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ
 بِوَصْلِ الْعَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعَا^(٣)
 إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِيْنَ أَسْرَعَتْ
 إِلَيْهِ الْعَيُونُ النَّاطِرَاتُ التَّطَلُّعَا^(٤)

= تكون عودة إلى الديار، فكانت محاولة ردع، ففي البكاء ضعف وتخاذل؛ فعلى المرء أن يحتكم لعقله، وفجأة وبلا سابق إنذار تجاوبت العين مع أختها، فانهمرت الدموع.

(١) تتلاحق الذكريات على مخيلة الشاعر؛ ماض جميل سعيد انقضى سراعاً، والمستقبل مجهول، مستقبل الغربة والوحشة والفشل، وربما الدموع، وهنا يحاول أن يتماسك مخافة أن تتمزق كبده وتشقق.

(٢) الزمن لن يرجع إلى الوراء، فتلك الأمسيات في الحمى رحلت ورحلت معها السعادة وراحة الدعة، لذا طلب الشاعر من عينيه أن تترجم لوعته بدموع دافقات.

(٣) الغر: من يجرب الحياة من الفتيان. صحة الشاعر من الأغوار الذين لم يلتفتوا إلى عواقب الأمور، ولم تجربهم الأحداث، غايتهم في هذه الحياة وصل الغواني، وقد ترعرعوا على ذلك، وهم لا يهتمون لأقوال العاذلات، بل يردون عليهن بالاستمرار على ما عرفوا به.

(٤) الواحد من هؤلاء اللاهين يتزياً بفاخر اللباس يختال به معتزاً بما لديه من شباب وغنى، ممّا يستهوي عيون الحسناوات ينظرن إليه بإعجاب.

أرى أن هذه القصيدة لا تمت إلى من عُرف بإحساس المرارة والدموع، فلا تمثل شعر المجنون، وإنما هي أقرب إلى شاعر مدني كعمر بن أبي ربيعة مثلاً، فهي تصوّر شاعراً لاهياً مدنياً.

١٥٢

أَحْبُ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

[البسيط]

- ما بالُ قَلْبِكَ؟ يا مَجْنُونٌ قد خُلِعَا
 في حُبِّ مَنْ لَا تَرَى فِي نَيْلِهِ طَمَعَا^(١)
 الحُبُّ والودُّ نِيْطَا بالفُؤَادِ لَهَا
 فأَصْبَحَا فِي فُؤَادِي ثَابِتَيْنِ مَعَا^(٢)
 طُوبَى لِمَنْ أَنْتِ فِي الدُّنْيَا قَرِينَتُهُ
 لَقَدْ نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الْهَمَّ وَالْجَزَعَا^(٣)
 بَلْ مَا قَرَأْتُ كِتَاباً مِنْكَ يَبْلُغُنِي
 إِلَّا تَرَفُّقَ مَاءِ الْعَيْنِ أَوْ دَمَعَا^(٤)
 أَدْعُو إِلَى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيَتْبَعُنِي
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ: هَذَا صَادِقٌ نَزَعَا^(٥)
 لَا أَسْتَطِيعُ نُزُوعاً عَنْ مَوَدَّتَيْهَا
 وَيَصْنَعُ الحُبُّ بِي فَوْقَ الَّذِي صَنَعَا^(٦)

- (١) يُخَاطَبُ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ، نَاعَتاً ذَاتَهُ بِالْجُنُونِ، فَقَلْبُكَ قَدْ خُلِعَ مِنْ مَكَانِهِ، وَتَمَزَّقَ مَتَّبِعاً فِي حُبِّكَ مَنْ تَطْمَعُ فِي وَصَالِهِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي عَنْكَ غَافِلٌ لَا يُبَادِلُكَ الْمَشَاعِرُ.
 (٢) نِيْطَا: رِبْطَا. وَالْفُؤَادُ مَكْبَلٌ بِحُبِّ مَنْ تَهْوَى وَالْوَدُّ قَدْ خُلِصَ لِحَبِيبَتِكَ، فَكِلَاهُمَا مَتَمَكِّنَانِ مَغْرُوسَانِ فِي سَاحَةِ قَلْبِكَ يَنْعَمَانِ بِلَذِيذِ الْإِقَامَةِ.
 (٣) يَتَمَنَّى الشَّاعِرُ لِقَرِينِ حَبِيبَتِهِ فِي الدُّنْيَا بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ؛ فَقَدْ وَكَلِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كُلَّ خَيْرٍ، فَكَفَاهُ الْهَمُومُ وَالتَّعَاسَةُ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ نَعِيماً وَسَعَادَةً.
 (٤) الرِّسَالَةُ مِنَ الْحَبِيبِ تُفْرِحُ عَادَةً وَتُطْمَئِنِّنُ، وَلَكِنْ الْأَمْرُ بِالنَّسْبَةِ لِلشَّاعِرِ خِلَافَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ رِسَالَةٍ تَتْرَكَ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ الْأَثَرَ الْحَسَنَ، بَلْ بِالْعَكْسِ تَزِيدُهُ هَمًّا، فَتَتَرَفَّقُ دُمُوعُهُ مِنْ عَيْنَيْهِ.
 (٥) وَ (٦) ثَمَّةٌ خِلَافٌ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَقَلْبِهِ، فَحِينَئِذٍ هُمَا عَلَى اتِّفَاقٍ يَدْعُوهُ إِلَى هَجْرِهَا، فَيُؤَافِقُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَا إِنْ يَحِينُ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى عَقْبَيْهِ، مُنْتَفِضاً، وَسُرْعَانِ مَا يَعَاوَدُهُ =

- كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ
 (١) وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لَهَا تَبَعًا
 وَزَادَنِي كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مُنِعْتُ
 (٢) أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
 إِفْرَ السَّلَامِ عَلَى لَيْلَى وَحَقَّ لَهَا
 (٣) مِنِّْي التَّحِيَّةُ إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَعَا
 أَمَاتَ أَمْ هُوَ حَيٌّ فِي الْبِلَادِ؟ فَقَدْ
 (٤) قَلَّ الْعَزَاءُ وَأَبْدَى الْقَلْبُ مَا جَزَعَا

١٥٣

زيارة قمر

[الرميل]

- قَمَرُ نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ
 (٥) كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا

- = الحنين إلى من يُحِبُّ؛ وتلك مشكلة الشاعر . وينقاد الشاعر لإرادة قلبه مستسلمًا لما يصنعه الحبُّ بالمحبين والإذعان لسيطرة الحبِّ بلا مقاومة .
 (١) ولذا فقد أحبَّ الشاعر كلَّ من ينتمي إلى حبيبته ، وراح يتبعه كظلِّه حرصاً على رضاها ، وليست المشكلة مرتبطة بها بل المشكلة بذلك القلب الذي يهفو إليك ، ولا يصحو من غفلته ، فيعود إليَّ معافًى .
 (٢) وما زاد عنائي أَنَّ أهلَ ليلى قد حالوا بيني وبينها ، ولذا فالممنوع مرغوب ، مُحبب إلى النفوس .
 (٣) يخاطب الشاعر المرسال طالباً أن يُبلِّغها سلامه ؛ وذلك حقَّ فالموت ليس ببعيد عنه .
 (٤) ويسأل الشاعر بلسان حال الحبيبة هل مات المحبُّ ، فاستراح أم هل هو تائه يعاني البؤس والعذاب والمذلة؟ وليس من سبيل للسرور ، فالطريق ضيق المعابر إليه ، والقلب يكشف عما يعانيه من خوف على المصير .
 (٥) القمر نوره دليل عليه ، فإذا ما سطع انكشف عن حقيقة ، والليل لا يمكنه ستر ضياء القمر ، فهو يمزق ظلمة الليل لقوَّته وضيائه .

رَصَدَ الْخُلُوءَ حَتَّى أَمْكَنْتُ
 وَرَعَى السَّاهِرَ حَتَّى هَجَعَا^(١)
 رَكِبَ الْأَخْطَارَ فِي زَوْرَتِهِ
 ثُمَّ، مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا^(٢)

(١) رصد: راقب. هجع: نام. القمر رقيب حارس أمين لمن اختلى بحبيبه، لا يكشف سرهما، وهو معهما يرعاهما حتى يهجع كل منهما مستسلماً لنوم هادئ يحلم أحلام الهوى الحلوة.

(٢) ركب الأخطار، تعبير مجازي: جعل من عرضة للمخاطر. زورته: الزيارة الخاطفة السريعة. المحب لا يفكر بالعواقب لذا يحمل دمه على كفه من أجل لقاء سريع. يمرّ الوقت فيه بسرعة البرق، لذا كان سلام ثم وداع يموت معه الإحساس بالزمن.

قافية القاف

١٥٤

نعم أنتِ حبيبتي

[الطويل]

لعمرك إنَّ البَيْتَ بِالْقَبْلِ الَّذِي
مَرَرْتُ وَلَمْ أَلِمُّ عَلَيْهِ لَشَائِقُ^(١)
وَبِالْجَزْعِ مِنْ أَعْلَى الْجُنَيْنَةِ مَنَزَلُ
شَجَا حَزَنٍ، صَدْرِي بِهِ مُتَضَايِقُ^(٢)
كَأَنِّي إِذَا لَمْ أَلْقَ لَيْلَى مُعَلَّقُ
بِسَبَّيْنِ أَهْفُو بَيْنَ سَهْلٍ وَحَالِقُ^(٣)
عَلَى أَنَّنِي لَوْ شِئْتُ هَاجَتْ صَبَابَتِي
عَلَيَّ رُسُومٌ عَيٍّ فِيهَا التَّنَاطُقُ^(٤)

(١) القَبْلُ: الجهة. أَلِمُّ عَلَيْهِ: أزره بسرعة، الشائِق: المحبَّب إلى النفس، يُقَسِّم الشاعر على طريقة شعراء الجاهلية. لعمرك إنَّ البيت الكائن في الجهة التي عرَّجت عليها بسرعة، ولم أقف لزيارته هو محبَّب إلى نفسي.

(٢) الْجَزْعُ: منعطف الوادي. ذَلِكَ الْبَيْتَ يَتَّخِذُ مِنْ كَتِفِ الْوَادِي مَرِيضاً، فِي أَعْلَى الْمَنَعُطِ أَدْخَلَ عَلَى قَلْبِي حُزناً حَتَّى لَمْ يَعُدْ فِي صَدْرِي اِحْتِمَالُ الضِّيقِ الَّذِي أَحْدَثَهُ.

(٣) السَّبُّ: الحبل. أَهْفَوُ: أَمِلَ. حَالِقُ: عَالٍ. لَمْ يَكُنْ مَقْصِدُ الشَّاعِرِ الْمُرُورَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ إِلَّا لِرُؤْيَا لَيْلَى، وَلَكِنْ شَاءَتْ الْمَقَادِيرُ أَلَّا يَرَاهَا، وَلِذَا فَإِنَّهُ أَحْسَنَ كَأَنَّهُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

(٤) وَيُعْلِنُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ رُؤْيَا حَبِيبَتِهِ، فَيَكْفِيهِ أَنْ تُثِيرَ عَشْقَهُ أَطْلَالٌ قَدْ عَرَفَتْ إِطْلَالَ حَبِيبَتِهِ، تِلْكَ الْأَطْلَالُ عَاجِزَةٌ عَنِ النُّطْقِ، وَلَكِنَّهَا تُتَرَجِّمُ عَنْ تَارِيخٍ وَحْيَاةٍ.

لعمرك إنَّ الحُبَّ يا أمَّ مالكٍ
 بقلبي يراني اللُّهُ منه لَاصِقُ^(١)
 يَضُمُّ عليَّ اللَّيْلُ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ
 كما ضَمَّ أَطْرَافَ القَمِيصِ البَنَائِقُ^(٢)
 وماذا عسى الواشونَ أَنْ يتحدَّثوا
 سوى أَنْ يقولوا: إنني لك عاشِقُ^(٣)؟
 نعم، صَدَقَ الواشونَ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ
 إِلَيَّ وإنَّ لِمِ تَصِفُ مِنْكِ الخَلَائِقُ^(٤)
 أُمُسْتَقْبَلِي نَفْحُ الصَّبَا ثم شائِقي
 بِبَرْدِ ثَنَايَا أمَّ حَسَّانَ شَائِقُ^(٥)؟
 كَأَنَّ عليَّ أنيابها الخمرَ شَجَّها
 بماءٍ سحابٍ آخَرَ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٦)

- (١) يُقسم الشاعر بحياة أم مالك ليلي أن حبها مغرور في أعماق قلبه، وهو يُشهد الله تعالى على ما يقول أنه صادق في قوله.
- (٢) البنائِق: من بَنَقَ القميص، أي رقع على القميص بنيقة لربطه. ليل المحبين ليل طويل، يجول في خواطرهم هموم وأحلام تجتمع في آنٍ معاً، وهذا شأن الشاعر، كما تَضُمُّ البنائِق أطراف القميص.
- (٣) ورد البيت في: المقتضب، للمبرد ٣: ١٩٥، خزانة الأدب، للبغداد ٢: ٥٥٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٦٣، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ١٣٨٣. من طبيعة الوشاة أن يتقولوا الأقاويل ويفتروا الافتراءات، وليس لهم إلا أن يقولوا: إنني لك عاشق.
- (٤) الخلائق، واحدها خليفة: ما جُبلَ عليه الإنسان من خُلُق. يقرّر الشاعر بلا تردد ولا تلجُّج أن الواشين صادقون في مقولتهم، أنت حبي وعزيزة على نفسي، ولكن المشكلة فيك فمن طبعك أنك لست صافية الود، صادقة الحب.
- (٥) و (٦) نسيم الصبا منعش رقيق يستقبله المرء بلهفة وحب؛ يثير في سحراً، وكذلك يجذبني إليه برد ثنايا أم حسان بشوق. وهو بمثابة خمر مسكر لذيذ مُزج بمطر آخر الليل لمن يعتبق.

وما ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا
كما شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ^(١)

١٥٥

التوق إلى الحبيب

[الطويل]

أِنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنٍ وَادٍ حَمَامَةً
تُجَاوِبُ أُخْرَى دَمْعُ عَيْنِكَ دَافِقُ^(٢)
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ
بَلِيلٍ وَلَمْ يَحْزُنْكَ إِلْفُ مُفَارِقُ^(٣)
وَلَمْ تَرْمَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يُحِبُّهُ
سِوَاكَ وَلَمْ يَعْشُقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ^(٤)
بَلَى وَأَفِقْ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى فَإِنَّمَا
أَخُو الْحُبِّ مَنْ ذَاقَ الْهَوَى وَهُوَ تَائِقُ^(٥)

(١) شِيمَ، فعل ماضٍ للمجهول من شام: لمح. حقيقة لم أجرو على مذاقه، بل كان لنظري مجال التذوق، التأمل والتمتع والتمتع بسرعة كناظر البرق الخاطف بين السحب.

(٢) أفي كل حين أجابت حمامة أختها غناءها في بطن وادٍ استجابت عينك لهديلهما دمعاً يتدقق حزناً على هجر من تحب.

(٣) و (٤) الشاعر مندهش لما يحدث أمامه ماذا به لا يحس ولا يشعر، وللوهلة الأولى نراه طالباً من نفسه استزادة إدراك الدموع من عينيه؛ فثمة حمامة تنن أنين الدموع بفقد حبيب، وكأنه لم يتأثر لهجر حبيب، ولم ير مخلوقاً أصيب بحبه، فخر حبيبه سواه، وكأن العشق اقتصر عليه من دون العالمين.

(٥) يجيب الشاعر، طالباً من نفسه أن يتخلى عن ذكر ليلي، وقد أوصلته إلى هذه الحالة، وينتهي الحوار الوجداني أن من عرف الحب الحقيقي وذاق حلوه ومره يلد له التوق إلى حبيبه.

١٥٦

ضعيف في قفر

[الطويل]

يُغَادِرُنَ بِالْمُومَاةِ سَخْلًا كَأَنَّهُ
دَعَامِيصُ مَاءٍ نَشَّ عَنْهَا الرَّنَائِقُ^(١)

١٥٧

يوم سعد

[الطويل]

وَيَوْمٍ كَحَسَوِ الطَّيْرِ بَثْنًا نَنُوشُهُ
عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ وَاللَّيْلِ غَاسِقُ^(٢)

١٥٨

التوق المتبادل

[الطويل]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ ذَوُو الْهَوَى
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ^(٣)
إِذَا لُمْتُهَا، قَالَتْ: وَعَيْشِكَ إِنَّنَا
حِرَاصٌ عَلَى اللَّفْيَا وَلَا نَتَفَرَّقُ^(٤)

(١) ورد البيت في لسان العرب ١٠: ١٢٧ مادة (رئق) «الجهري: ماء رُنُقٌ، بالتسكين، أي كدير. قال ابن بري: قد جمع رُنُقٌ على رنائق كأنه جمع رنيقة؛ قال المجنون: «... بالمزماة...». المومة: الفلاة. السخل: ولد العنز. دعاميص، واحدها دَعْمُوص: ضرب من الدود تستوطن العُدران. نَشَّ: نضب.

(٢) الحسو: ما يحتسبه المرء من سوائل. كان أحب إلينا يوم مضى كلمح البصر مسرعاً قضيناه في شعب الأكوار ننعمة بلذة الحياة ونلهو قبل أن يسدل الليل ستائره.

(٣) يعلن الشاعر فرحه بنعمة الحب، فالعاشقون المتيمون هم من صحب الهوى في رحلة العمر، لذا فلا خير في من لا ينعم بنعمة الحب ولا يعيش مسراته وعذباته، انتظار، لقاء، فراق، دموع، فرح... .

(٤) العتاب مفتاح القلوب والعقول، فلو كان لوم المحب لحبيته، كان أن أقسمت بحياة الشاعر أنها حريصة على لقاء الحب وما فيه من مسرة، لذا فإنها لا ترغب في الفراق.

فَإِنْ كُنْتَ مُشْتَاقاً فَسِرْ نَحْوَ بَابِنَا
فَنَحْنُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ أَشْوَقُ^(١)

١٥٩

صديق خلوق

[الطويل]

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي
لَكَ الْيَوْمَ مِنْ بَيْنِ الْوَحُوشِ صَدِيقُ^(٢)
وَيَا شِبْهَ لَيْلَى أَقْصِرِ الْخَطُوءَ إِنِّي
بِقُرْبِكَ إِنْ سَاعَفْتَنِي لَخَلِيقُ^(٣)
وَيَا شِبْهَ لَيْلَى رُدِّ قَلْبِي فَإِنَّهُ
لَهُ خَفَقَانٌ دَائِمٌ وَبُروُقُ^(٤)
وَيَا شِبْهَهَا أَذْكَرْتَ مَنْ لَيْسَ نَاسِياً
وَأَشْعَلْتَ نِيرَاناً لَهْنٌ حَرِيقُ^(٥)
وَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتَ سَاعَةً
لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ^(٦)

- (١) وتردف قائلة، معبرة عن رغبتها في اللقاء لتحمله على المشاركة الوجدانية طالبة منه أن يبادر إلى المجيء إلى ديارها؛ فشوقها إلى لقاء من تهوى شديد أكثر من حبيبها.
- (٢) يُخاطب الشاعر غزلاً شبيهاً بليلى برقته وجماله طالباً ألا يخاف منه ومن غدره، فهو صديق، والصديق لا يغدر، بل حبه لليلى يحمله على إكرامه.
- (٣) ويتابع الشاعر مخاطبة شبه ليلى ألا يسرع الخطو، فإنه بحاجة لمساعدة وهو يستحق ذلك.
- (٤) و (٥) ويتابع الشاعر مخاطبة شبه ليلى أن يُعينه على استعادة قلبه الذي حملته معها مستأثرة به. وها أنت تذكره بمن أحب، وهو في الحقيقة غير ناسٍ ولكنك جددت ما في القلب من حرارة متأججة فزدت في استعارها واشتعالها من جديد.
- (٦) ويطلب الشاعر من شبه ليلى البقاء معه ولو لساعة فيمكن أن يهدأ القلب وتخف وطأة عذاب لطالما لازمه، فيقود إلى القلب سكونه وطمأنينته.

- ويا شِبْهَ لَيْلَى لَنْ تَزَالَ بِرَوْضَةٍ
 عَلَيْكَ سَحَابٌ دَائِمٌ وَبُرُوقٌ^(١)
 فَمَا أَنَا - إِذْ أَشْبَهْتُهَا ثُمَّ لَمْ تَتُوبْ
 سَلِيمًا - عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ شَفِيقٌ^(٢)
 عُقْتُ فَأَدَّى شُكْرَ لَيْلَى بِنِعْمَةٍ
 فَأَنْتَ لِلَّيْلِ إِنْ شَكَرْتَ طَلِيقٌ^(٣)
 فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا
 سَوَى أَنَّ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقٌ^(٤)
 وَكَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 بِمَا رَحُبَتْ مِنْكُمْ عَلَيَّ تَضِيقٌ^(٥)
 يُذَكِّرُنِي لِلْوَصْلِ أَيَّامُنَا الْأَلَى
 مَرَرْنَا عَلَيْنَا وَالزَّمَانُ وَرِيقٌ^(٦)

- (١) ويتمنى الشاعر لشبه ليلي هناة الحياة في ظل روضة روتها مياه سحابة سخاء تمطر بسخاء.
- (٢) حب الشاعر لليلي يحمله على الحرص على حياة شبيهه ليلي ويعمل على حفظه سليماً من كل شر، وإلا فلا يعتبر نفسه رحيماً لحبيته رؤوفاً بها.
- (٣) يطلب الشاعر من شبيهه ليلي أن تشكرها، فليلى سبب حريتها، لذا فأنت طليقة.
- (٤) ورد البيت في: الكامل، للمبرد: ٥٠٩، الخصائص، لابن جني ٢: ٤٦٠، المقرب، لابن عصفور: ١١١، خزنة الأدب، للبغدادي ٤: ٥٩٥. والتشابه بين ليلي والطبية يكاد يكون تاماً، فعينا الطبية كعيني ليلي، وجيدك كجيدها، والفارق أن عظم الساق لديك دقيق.
- (٥) ورغم اتساع الكون، فقد تقلصت المسافات فضافت على الشاعر الأرض بما رحبت بسبب ليلي وما جرته على الشاعر من ويلات.
- (٦) يتذكر الشاعر أيام الوصل والود والحب التي عاشها في كنف حبه وسعاده يوم كان الزمان أخضر وارفاً يستظلان بوارف ظلاله.

- أَرُدُّ سِوَاءَ الطَّرْفِ عَنْكَ وَمَا لَهُ
 عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ^(١)
 عَسَىٰ إِنْ حَاجَّجْنَا أَنْ نَرَىٰ أُمَّ مَالِكٍ
 وَيَجْمَعُنَا بِالنَّخْلَتَيْنِ مَضِيقُ^(٢)
 تَتَوَقَّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا
 حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ^(٣)
 وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَتَقْنَتِ أُنْثَىٰ
 وَرَبِّ الْهَدَايَا الْمُشْعِرَاتِ صَدِيقُ^(٤)
 سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَحْبَتِهِ
 وَهَلْ دَمَّ رَحْلِي فِي الرَّفَاقِ رَفِيقُ^(٥)

١٦٠

ليلى المريضة

[الطويل]

يَقُولُونَ: لَيْلَىٰ بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ
 فَمَا لَكَ لَا تَضُنِّي وَأَنْتَ صَدِيقُ^(٦)؟

- (١) يومها كان الشاعر قد قصر النظر على حبيبته دون سواها من بنات جنسها، لذا فلا طريق لغيرها بالمرور على مخيلته.
 (٢) يتمنى الشاعر أن يلتقي بأم مالك في موسم الحج إذا قضى الله تعالى ذلك حيث مضيق النخلتين.
 (٣) ثمة شوق يقودني إلى ليلى، ولكن محاولات أبذلها لمنع نفسي من أن تجرني لرؤياك، وذلك بسبب حياء حقيقي يحول دون توقفي إليك.
 (٤) يقصد بالهدايا المشعرات: حواس الإنسان وكل ما تقوم به حياة البشر. ويخاطب الشاعر حبيبته أنها لو كانت على علم حقيقي في داخلها مما يضره لها من حب وإخلاص، وتأكيذاً لذلك يُقسم بخالق الإنسان السوي أنه صديق يحب الخير لها.
 (٥) وتأكيذاً لمدعاه يطلب الشاعر من حبيبته أن تسأل عارفيه أنه مخلص فلم يتخل أحد ما عن صداقته له، ولم يذم له رفيق صفات سيئة أثناء مرافقته في السفر.
 (٦) يتناقل الناس خبراً مزعجاً أن ليلى مريضة في العراق، ديار الغربية، بعيدة عن =

شَفَى اللّهُ مَرَضِي بِالْعِرَاقِ فَإِنِّي
 عَلَى كُلِّ مَرَضِي بِالْعِرَاقِ شَفِيئٌ^(١)
 فَإِنْ تَكُ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً
 فَإِنِّي فِي بَحْرِ الحُتُوفِ غَرِيئٌ^(٢)
 أَهِيْمُ بِأَقْطَارِ البِلَادِ وَعَرَضُهَا
 وَمَا لِي إِلَى لَيْلِي الْعَدَاةَ طَرِيئٌ^(٣)
 كَأَنَّ فُؤَادِي فِيهِ مُورٍ بِقَادِحٍ
 وَفِيهِ لَهِيْبٌ سَاطِعٌ وَبُرُوقٌ^(٤)
 إِذَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ مَاتَتْ صَبَابَةً
 لَهَا زَفَرَةٌ قَتَالَةٌ وَشَهِيقٌ^(٥)
 سَقَتْنِي شَمْسٌ يُخْجِلُ البَدْرُ نُورُهَا
 وَيَكْسِفُ ضَوْءَ البَرْقِ وَهُوَ بَرُوقٌ^(٦)

= الأقرباء والأحبة، مستغربين عدم اهتمام الشاعر لهذا الخبر الجلل ظانين أنه سيبصق لمرضها فيمرض بدوره.

(١) يتمنى الشاعر أن يعم الشفاء كل مريض بالعراق، فينزل بديار ليلي وتستعيد عافيتها.
 (٢) يتنازع الشاعر هَمَان عظيمَان: مرض ليلي في العراق، ومرضها يجعله مريضاً، وصراعه مع الموت، فموجه طام يتقاذفه في كل اتجاه مع تياراته المتعارضة في دوامة مُمَيِّتة.

(٣) يعبر الشاعر عن تجربة التيه في أقطار البلاد وعرضها، لا يقرّ له قرار ولا يعرف له وجهة، وطريق ليلي لا يهتدي إليه، ضائعة معالمة، ضبابية مسالكها.

(٤) و (٥) مور: ملتهب. نتيجة ما سمع وما يعانيه من آلام نفسية، يحسّ الشاعر أن قلبه في قراره لهب متجدد كلما قذف بمصيبة زاد اضطرابه وسطع اشتعاله. ونفسه إذا ذكرت ليلي وما تعانيه ذابت وسالت من أجل حبها، فتتابع الشهيق والزفير القاتلان على قلبه.

(٦) الماء سرّ الحياة وسببها، تلك الشمس التي يتمثل فيها الدفء والنور، ويقصد بذلك حبيبته، سقته طعام الحب الصافي الصادق فعاش، ونورها وضاء يكسف كل نور ويخفي إشعاعها ضياء كل البروق.

غُرَابِيَّةُ الْفَرْعَيْنِ بِذَرِيَّةِ السَّنا
 وَمَنْظَرُهَا بَادِي الْجَمَالِ أُنِيقُ^(١)
 وَقَدْ صِرْتُ مَجْنُوناً مِنَ الْحُبِّ هَائِماً
 كَأَنِّي عَانٍ فِي الْقُيُودِ وَثِيقُ^(٢)
 أَظْلُ رَزِيحِ الْعَقْلِ مَا أُطْعِمُ الْكَرَى
 وَلِلْقَلْبِ مِنِّي أَنَّةٌ وَخُفُوقُ^(٣)
 بَرَى حُبُّهَا جِسْمِي وَقَلْبِي وَمُهْجَتِي
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَعْظَمُ وَعُرُوقُ^(٤)
 فَلَا تَعْذِلُونِي إِنْ هَلَكْتُ تَرَحَّمُوا
 عَلَيَّ فَفَقَدْتُ الرُّوحَ لَيْسَ يَعُوقُ^(٥)
 وَخُطُّوا عَلَى قَبْرِي إِذَا مِتُّ وَاكْتُبُوا:
 قَتِيلٌ لِحَاظِ مَاتَ وَهُوَ عَشِيقُ^(٦)

(١) يصف الشاعر المظهر الجمالي لحبيبته، فشرعها أسود فاحم، جميلة الوجه الوضاء المشرق بريّ الشباب ودققه، والنظر إليها يسرّ العين بجمالها الأنيق.

(٢) العاني: العبد. وثيق: مقيد. فلا عجب أن يجنّ الشاعر بمثال جمالي نادر الوجود وأن يهيم في الكون باحثاً عنه، لذا فإحساسه بالعبودية لمن أحبّ حمله على تتبعه وكأنه مشدود بقيد لا فكاك من سحره.

(٣) تتناوب الشاعر الهموم، وعقله يرزح تحت وطأة الوسواس تتجاذبه في كلّ اتجاه، وهو لا يعرف للنوم طعماً، وقلبه يصدر أنيناً خافتاً لا ينقطع تجدده، إنه أنين الألم.

(٤) تكشف أمر الشاعر عن معاناة طاحنة دمّرت كلّ كيانه المادي البشري ولم يبق من شكله الآدمي سوى العظم؛ فالجسم أكله الضنى والقلب عصره الألم والمهجة تاهت في مجاهل الضياع.

(٥) و (٦) يخاطب الشاعر عارفيه متمنياً عليهم ألا يلوموه في حال موته طالباً منهم أن يترحموا عليه، فهو لم يجنّ جنابة ولم يسئ إلى أحد، والموت آتٍ لا محالة، ففقد الروح ليس يعوق. وهو يرجوهم أن يكتبوا وصيته على أنه شهيد عيين عشقهما لسحرهما.

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى
بَلِيلِي فَنِي قَلْبِي جَوَى وَحَرِيْقُ^(١)

١٦١

إنجاز حق

[الطويل]

فَيَا لَيْتَ لَيْلَى وَافَقْتُ كُلَّ حِجَّةٍ
قَضَاءً عَلَى لَيْلَى وَأَنْتِي رَفِيقُهَا^(٢)
فَتَجَمَعْنَا مِنْ نَخْلَتَيْنِ ثَنِيَّةٍ
يَعْصُ بِأَعْضَادِ الْمَطِيِّ طَرِيقُهَا^(٣)
فَالْقَائِلُ عِنْدَ الرُّكْنِ أَوْ جَانِبِ الصَّفَا
وَيَشْغَلُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ سُوقُهَا^(٤)
فَأُنْشِدُهَا أَنْ تَجْزِيَ الْهُونَ وَالْهَوَى
وَتَمْنَحَ نَفْسًا طَالًا مَطْلًا حُقُوقُهَا^(٥)

(١) يوجّه الشاعر شكواه على ما جرّه الحبّ إلى نفسه من آلام وما سببه لقلبه من جوى واشتعالٍ إلى الله تعالى، فهو القادر على تغيير مجرى الأحداث لصالح الشاعر بإرادته سبحانه وتعالى.

(٢) يتمنى الشاعر لو أن ليلى تحجّ كل عام ليكون رفيقاً لها في ذلك الموقف حيث يلتقيان لا رقيب ولا عدول.

(٣) و (٤) الثنية من الطريق: المنعطف. أعضاد المطي: أفخاذ الإبل. وإذا ما التقى الشاعر وهو يمتطي راحلته بحبيته بين النخلتين حيث منعطف الطريق الضيق الذي يعيق حركة المرور، حتى بأفخاذ الراحلات فيتوقف كل من في المضيق ويكون اللقاء، ولو لحظات عند الركن أو جانب الصفا، حيث يلتقي كل حاج بما هو بصدد فلا يلتفتون إلينا في سوق مكة.

(٥) في هذا الموقف المزدحم يطلب الشاعر من حبيته أن تُجازيه بحبّها بدل ما يلقي من هوان وذلّ بسبب حبه لها، وأن تهبه وصلاً مضبّعة حقوقه بسبب المماطلة من جانبها.

١٦٢

دم مهدر

[الطويل]

وعارٍ مِنَ الْأَرْيَاشِ كَاسٍ مِنَ الْهَوَى
 مِنَ الْمَالِ مَعْدَمٍ لئِيمِ الْخَلَائِقِ^(١)
 تُرَى هَلْ أَتَى لَيْلَى بِعَزْمَةٍ صَادِقٍ
 كَمَا هَاجَ بِي مِنْ نَوْفَلٍ بِنِ مَسَاحِقٍ^(٢)؟
 إِذَا جِئْتُهُ فِي النَّاسِ مِنْهُ عَلَى الرَّجَا
 أَلَمْ بِقَلْبٍ مُسْتَطَارِ الْخَوَافِقِ^(٣)
 أَمِنْ أَجَلِ هَذَا الْحُبِّ صِرْتُ كَمَا أَرَى؟
 فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَالْحُبُّ مُرُّ الْمَذَائِقِ^(٤)
 سَأُقْضِي إِلَى سُبُلِ الْهَلَاكِ وَإِنِّي
 لَمُحْتَسِبٌ رَاضٍ مَشِيئَةَ خَالِقِي^(٥)

(١) و (٢) يصف الشاعر ما كان عليه يوم التقاه نوفل بن مساحق، وكان قد وعده بمساعدته ليرتبط بليلى، فالشاعر في حالة يُرثى لها، يرتدي لباس الفقراء، ممّا يؤكد أن أهله قد تخلّوا عنه، يرتدي الحبّ جلباباً، وفي جوّ اختلاف القيم لا قيمة لجلباب كهذا، وجيوبه فارغة من المال اللازم، وفاقد الشيء لا يُعطيه، لذا لم تُقبل الوساطة، بل هدّده أهل ليلى بالقتل فعاد منكسر الخاطر خالي الوفاض، وقد تخلّى عنه من وعده بالمساعدة أيضاً.

(٣) و (٤) راودته أحلام ودغدغت مشاعره آمال بمجيئه إلى نوفل بن مساحق طالباً العون آملاً خيراً، وهو يحمل بين جوانحه قلباً ملؤه الخوف في حال الفشل، وهذا ما كان. وكان حوار، سأل نوفل الشاعر عن سوء حاله وسببه، فكان الجواب أن الحبّ سبب ذلك، وهو مرّ المذاق.

(٥) يعلن الشاعر استسلامه لقضاء الله تعالى وهو راضٍ بما قُدّر عليه، وها هو يسلك درب الموت.

- وجادٍ بوعْدٍ خالطَ الشَّهْدُ طَعْمَهُ
 (١) وألقى عليه موبقات البرائق
 * * *
- وقالوا: وأيم الله لا صار بيننا
 (٢) إلى أن تُزيل البيضُ شُعْتَ المَفَارِقِ
 وقالوا: دَمُ المجنونِ في الحَيِّ مُهْدَرٌ
 (٣) وقالوا: اضْرِبُوا والقولُ غَيْرُ مُوَافِقِ
 أبى الله أَرْجُو القُرْبَ إِلَّا تَطَايَرَتْ
 (٤) بتفريقنا بالبينِ سَرْبُ النِّوَاعِ
 ولا أَرْتَجِي يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ رَاحَةً
 (٥) أَسْرُبُهَا إِلَّا رُمِيتُ بِعَائِقِ
 ولما بلغنا الحَيَّ والجسمُ ناحِلٌ
 (٦) وقلبي مَوْجُوعٌ كثيرُ الخوافِقِ

- (١) كان من كرم أخلاق نوفل أنه وعده أن يعمل على مساعدته، فإذا بوعده يُفرح كأنه الشهد بلذيد مذاقه، فبدت بشائر الخير تلوح في أفق حياته.
- (٢) البيض: السيوف. شُعْتَ المَفَارِقِ: يقصد بذلك الرؤوس، كان جواب أهل ليلى الرفض، وأقسموا قطعاً لن يكون الشاعر بينهم حتى تراق الدماء وتُسْتَلَّ السيوف وتقطع رقاب.
- (٣) أجمع القوم على قتل المجنون، وقد تخطى حدوده ودخل حيناً؛ فدمه مهذور، ولا قود عليه، لقد حان حينه. وما قيل لا يُقبل مرفوض ولا يُوافق إرادة القوم.
- (٤) إنها إرادة الله تعالى ألا يكون لقائي بليلى، فثمة موانع تحول دون اقترابي منها، وهذا ما يشتت من نعيق أسراب الغربان.
- (٥) الدهر دائماً معاند، فما من أمل يدغدغ مشاعر الشاعر ذات يوم ويُحسّسه بشيء من السعادة حتى تتسرب الأحلام من بين أصابعه وقد حدثت عوائق تعبت بالأمل، فلا يتم لقاء.
- (٦) ها هما يسلكان آخر رحلة الأمل؛ والحَيِّ أخذت معالمه تظهر للعيان، فبدأ خفقان =

- فوالله ما أذري أقليبي مخصّص
 بهذا فاللقاء بتسليم صادق^(١)
 أم الحب فعّال بغيري كما أرى
 فقلبي منها خصّه بالبوائق^(٢)
 حلفت بعهد الله يا أم مالك
 لأنك من قلبي مكان علائقي^(٣)
 وأكثر شيء نلته من نوالها
 أمانني لم تعلق كبرقة بارق^(٤)
 فله قلب في الهوى ذو صباة
 ولله قلب من مشوق وشائق^(٥)
 وإنني لأهوى قرب ليلى وذكرها
 هوى صادق في الحب غير منافق^(٦)

= قلب الشاعر، تتنازع نوازع شتى تتأرجح بين الأمل والخيبة، يحملها جسم ناهل قد أضناه الشوق.

(١) يقسم الشاعر أنه لا يعلم يقيناً إذا كُتب على قلبه الحرمان والآلام فانصاع لمصيره البئيس دون مقاومة أو ثورة.

(٢) البوائق، واحدها: بائقة: المصائب. ويتساءل الشاعر هل كلّ من أحب يعيش عذاب الحب وآلامه أم الأمر يختص به دون سواه بالمصائب والويلات؟

(٣) أقسم الشاعر بالله عز وجل لأم مالك بأنها ترتبط بقلبه وحياته؛ ففيها وجوده، مسرته، عذابه، أمله، حسراته...

(٤) مواعيدها لا تتحقق، ولا قيمة لها مع كثرتها، فلا نوال ولا صدق؛ فتلك أمان كاذبة، لا طائل منها، لذلك تبرق وتمطر لقاء.

(٥) يعجب الشاعر من قلبه المدنف المعذب يملأه الحب والشوق إلى من يحب.

(٦) يُقرّ الشاعر أنه يحب قرب ليلى ويتذكرها؛ فحبّه صادق لا يفاق فيه ولا غاية تشوّه، وهو خالص لأجل الحب.

سَأْصِرُ لِمَقْدُورٍ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ مُرُّ الْمَذَائِقِ ^(١)

١٦٣

القتل الحلال

[الكامل]

إِنَّ الْعَوَانِي قَتَلَتْ عُشَّاقَهَا
يَا لَيْتَ مَنْ جَهَلَ الصَّبَابَةَ ذَاقَهَا ^(٢)
فِي صُدْغِهِنَّ عَقَارِبٌ يَلْسَعُنَنَا
مَا مِنْ لَسَعْنٍ بِوَاجِدٍ تَرِيَّاَقَهَا ^(٣)
إِنَّ الشُّفَاءَ عِنَاقُ كُلِّ خَرِيدَةٍ
كَالْخَيْزُرَانَةِ لَا نَمَلُ عِنَاقَهَا ^(٤)
بِيضٌ تُشَبَّهُ بِالْحِقَاقِ تُدِيئُهَا
مِنْ عَاجَةٍ حَكَتِ الشُّدِيِّ حِقَاقَهَا ^(٥)

(١) يصمّم الشاعر على مواجهة مصيره بصبر وشجاعة، ولن يحول عن دربه. وهو يعلم، ويخبر أم مالك أن الصبر علقم طعمه، لا يُستساغ بسهولة، ورغم ذلك فهو ماضٍ في طريقه، مهما امتدّت المسافات في رحلة العذاب.

(٢) يقرّر الشاعر أن الفتيات الجميلات يلذّ لهنّ قتلُ عشاقهنّ بتعذيبهم ليكتشفن مقدار ما لديهنّ من رصيد الحبّ، لذا يتمنّى لهنّ عذاب الحبّ وآلامه، فهنّ في الحقيقة لم يعرفن الحبّ حقّاً، وإن كنّ يدعين ذلك.

(٣) يقصد الشاعر بعقارب: خصل شعورهنّ المعقوفة على أصداغهنّ. الترياق: البلسم الشافي من لسع الحيات السّام. فأصداغهنّ يحملن الموت لمن يقع في حبّهنّ، ولسعها لا شفاء منه لعدم وجود ترياق فاعل في هذه الحالة.

(٤) يقترح الشاعر مصلاً واقياً لم يجزّبه مع حبيبته؛ فالشفاء بعناق كلّ بكر عذراء حيّة، كأنها الخيزرانة بتناسق جمالها وجسدها الممشوق؛ فتلك نعمة لا يملّ المرء من معانقتها.

(٥) الحقائق، واحدها حقّ: قنينة الطيب. يصف الخرائد بالبياض لجمالهنّ، فأندأوهنّ =

يُذْمِي الْحَرِيرَ جُلُودَهُنَّ وَإِنَّمَا
 يُكْسَيْنَ مِنْ حُلَلِ الْحَرِيرِ رِقَاقَهَا ^(١)
 زَانَتْ رَوَادِفَهَا دِقَاقَ خُصُورِهَا
 إِنِّي أُحِبُّ مِنَ الْخُصُورِ دِقَاقَهَا ^(٢)
 إِنَّ الَّتِي طَرَقَ الرِّجَالَ خَيَالُهَا
 مَا كُنْتُ زَائِرَهَا وَلَا طَرَّاقَهَا ^(٣)

= حِقَاق تنشر عبثاً وطيباً، عاجية، وهنا انسجام رائع بين العاج والطيب، فكان تشابه بديع بين الثدي والحقاق والبياض.

(١) ولشدة حساسية ورقة جلود الخرائد يتأذين من ارتداء الحرير، ولهذا يكسين ما رق من الحرير وشف مخافة التعرض للأذى.

(٢) تزدان أجسام تلك الخرائد بخصور دقيقة الأرداف متناسقة؛ وهذا للجمال في ذلك العصر، ويقر الشاعر أنهن من النساء دقاق الخصور.

(٣) والتي يحلم بها الرجال والتي بطرق خيالها عقولهم ومخيلتهم، لم يعرف لها الشاعر طريقاً ولم يزرها ويطرق بابها.

قافية الكاف

١٦٤

لُعِنْتَ يَا غَرَابَ

[الطويل]

أَقُولُ، وَقَدْ صَاحَ ابْنُ دَايَةَ غُدُوَّةً
بِبُعْدِ النَّوَى: لَا أَخْطَأَنَّكَ الشَّبَائِكُ^(١)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَائِعِي؟ أَنْتَ رَوْعَةٌ
بَبَيُّونَةِ الْأَحْبَابِ، إِلْمُكَ فَارِكُ^(٢)
وَلَا بَضْتَ فِي خَضِرَاءَ مَا عَشْتَ بَيْضَةً
وَصَاقَتْ بِرَحْبَيْهَا عَلَيْكَ الْمَسَالِكُ^(٣)
وَفَارَقْتَ أُمَّ الْأَفْرُخِ السَّوْءِ عَنْ قَلِي
وَنَاحَتْ عَلَى ابْنَيْكَ الضَّرُوسِ الْمُمَاحِكُ^(٤)

(١) ابن داية: الغراب. تنامي إلى مسامع الشاعر صوت كرية في الصباح الباكر يؤذن بالفراق؛ إنه غراب، فدعا عليه أن يصادفه شبك صياد يُريحه منه، ومن صياح الشؤم.

(٢) و (٣) رائعي: مُخِيفِي. بينونة: فراق. فارك: شاني، مُبْغَض. تلك عادتكَ تأنيبي بما يزعج كل يوم، ويؤذن بفراق الأحبة، فليكن قدرك كقدري وليغادرِكَ أليفك ويبغضك، ولا بضت في أرض غنيّة بالخصب والماء والخضرة بيضة، ولتنقبض عليك الأرض ولتضق عليك مسالك الرزق، فتموت محروماً من نعمة الحياة.

(٤) القلي: الكراهية. ضرس: عض. مَحَك: عادى. المماحك: الشرير. ويوالي الشاعر دعاءه على الغراب بأن يضطرّ لترك أفراخه السيئة وأمها بسبب الشحناء، والبغضاء تفرّقهما، ولتبك على فراخك النياق الشريرة ذوات الأخلاق المكروهة.

وَأَصْبَحْتُ مِنْ بَيْنِ الْأَحْبَةِ هَالِكاً
 كَمَا أَنَا مِنْ بَيْنِ الْأَحْبَةِ هَالِكٌ^(١)

(١) ويتمنى الشاعر الموت العاجل وتعدمه الأحبة؛ فهو هالك لا محالة، فلا حبيب يُحسّ، وليس من أمل في حياة سعيدة، فالحياة ضياع وتشرد.

قافية اللام

١٦٥

أخو ليلى

[الطويل]

- أَقُولُ لِظَبِّي مَرَبِّي وَهُوَ رَائِعُ:
 أَأَنْتَ أَخَوَلَيْلَى فَقَالَ: يُقَالُ^(١)
 أَيَا شَبَّهَ لَيْلَى إِنَّ لَيْلَى مَرِيضَةٌ
 وَأَنْتَ صَاحِبُ إِذَا لَمْ حَالُ^(٢)
 فَإِلَّا تَكُنْ لَيْلَى غَزَالًا بَعَيْنِهِ
 فَقَدْ أَشَبَّهَتْهَا ظَبِيَّةٌ وَغَزَالُ^(٣)

١٦٦

حب لا مثيل له

[الطويل]

- أَظُنُّ هَوَاهَا تَارِكِي بِمَضَلَّةٍ
 مِنْ الْأَرْضِ لَا مَالٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ^(٤)

- (١) يخاطب الشاعر غزالاً جميلاً رائع الجمال سائلاً أهو أخ ليلي؟ والأخوة هنا تعني التشابه في الصفات الخلقية والصفات الجمالية، فيردّ مجيباً: يقال أنا كذلك.
 (٢) ثم يخاطب الشاعر شبيه ليلي أنها مريضة، فكيف تكون ليلي مريضة وأنت معافى، فهذا أمر عجيب مستحيل.
 (٣) وهنا تختلط الأمور على الشاعر؛ فهل ليلي غزال حقيقة؟ أم أن الظبية والغزال يشبهانها، وفي ذلك رفع لطبيعتهما من المنزل الحيوانية إلى المنزل البشرية التي تتمثل بليلى.
 (٤) يرى الشاعر أن حبه ليلي جعله يتيه في الأرض، لا معالم لها، يعاني الضياع =

ولا أَحَدٌ أَفْضِي إِلَيْهِ وَصِيَّتِي
 وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلُ^(١)
 مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا
 وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ^(٢)
 فَحُبِّي لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي الْحَشَا
 فَمَا إِنْ أَرَى حُبًّا يَكُونُ لَهُ مِثْلُ^(٣)

١٦٧

توبة

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ الْمُعَدَّلُ
 أَفِقْ عَنْ طِلَابِ الْبَيْضِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ^(٤)
 أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ مِنَ الْهَوَى
 وَأَنْتَ بَلِيلِي هَائِمُ الْقَلْبِ مُتَبَلِّ^(٥)

= والخوف، أرض موحشة، فقير لا مال يعين ولا أهل يحمون؛ وذلك أقسى الفقر.
 (١) من الطبيعي في الصحاري المقفرة لا بد من رفيق يؤنس وحشة الطريق، والشاعر يُحسّ بموت قريب، وثمة وصية يريد إبلاغها إلى أصحاب الشأن، وليس له رفيق درب إلا مطيته ورحلها.
 (٢) من حسنات حب الشاعر للى أنها قضت على من كان يأمل بحبها قبلها، فإذا بها تستحوذ على مشاعره وتحتل مكانة لم تستطع غيرها احتلالها.
 (٣) لقد تغلغل حب لى في أعماق الشاعر حتى استمكن في أحشائه، لذا فهو لا يرى أن حباً ما قد بلغ ما توصل إليه حبه.
 (٤) و (٥) اللجوج: الملحاح. يخاطب الشاعر قلبه المتهافت على حب الجميلات أن يرعوي ويتوقف عن ملاحقتها، شرط أن يعقل أن ذلك لن يفيد. وهو يأمره أن يعود إلى رشده؛ فكثير من العشاق صحت عقولهم وتركوا الهوى وما يجلبه من مشاكل لأصحابه، والمشكلة أن قلب الشاعر هائم مرتبط بلى لا يستطيع فكاً ولا فراراً.

وقد زَعَمْتُ لَيْلَى بِأَنِّي سَلَوْتُهَا
 وَأَنَّ سِوَاهَا حُبُّهُ لِي مُكَمَّلٌ^(١)
 فَقُلْتُ لَهَا: يَا لَيْلَ وَاللَّهِ إِنَّنِي
 لِأَوْفِي بَعْهْدِي فِي الْجَمِيلِ وَأَفْضَلُ^(٢)
 هَبِي أَنَّنِي أَذْنَبْتُ ذَنْباً جَهْلُتُهُ
 وَلَمْ آتِهِ عَمِداً وَذُو الْجَهْلِ يَجْهَلُ^(٣)
 فَقَدْ تُبْتُ مِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ فَهَا أَقْبَلِي
 وَمِثْلِي إِذَا مَا تَابَ مِثْلُكَ يَقْبَلُ^(٤)
 عَفَا اللَّهُ عَمَّا قَدْ مَضَى لَسَبِيلِهِ
 فَهَا أَنَا مِنْ ذَنْبِي لَكُمْ أَتَنْصَلُ^(٥)
 فَإِنْ شِئْتَ هَاتِي نَازِعِيْنِي حَكُومَةً
 وَإِنْ شِئْتَ قَلْنَا: إِنَّ حُكْمَكَ أَعْدَلُ^(٦)

- (١) إن ليلي تزعم أن الشاعر استبدل بها سواها وأن حب من حلت في قلب الشاعر ملاً عليه حياته حباً وسعادة.
- (٢) يرد الشاعر على زعمها مُقسماً بالله العظيم أن من طبيعته الوفاء للجميل الذي أولته له، وهو يفضل سواه في هذا المنحى. فحبها أعظم جميل.
- (٣) و (٤) وافترضني أنني اقترفت ذنباً ولم يكن عن عمد، والمرء معرض للوقوع في الخطأ، ولا يعاقب أحد لاقترافه ذنباً عن جهل. ثم يعلن الشاعر توبته ولن يعود لمثل هذا ويرجوها أن تقبل اعتذاره، فمثله يخطئ ومثلها يعفو عن مقدرة ويقبل العذر ويغفر الخطايا.
- (٥) ويتابع الشاعر اعتذاره؛ فالله قد عفا عما يبدر من البشر ويتوب عليهم إذا استغفروا وتابوا عن المعصية، والشاعر بدوره يتبرأ من ذنبه الذي اقترفه.
- (٦) فإن ملت إلى اللجاج والخصام، فأنت من يحكم، فاحكمي بما تشائين وإن أردت العفو والمغفرة؛ فهذا من طبيعة المحبين، وعلى كل حال، فإن حكمك أعدل بغض النظر عن النتائج.

وإن كان هذا الهجر هجر تدل
فقد زادني ياليل هذا التدل^(١)
أغلل منك النفس بالوعد والمنى
فهل لي بياس منك ليلى أعدل^(٢)
أهيم بكم في كل يوم وليلة
جنونا وجسمي بالسقام موكل^(٣)

١٦٨

كيف احتيالي

[البسيط]

واخجلتي من وقوفي وسط داركم
وقول واشيكم: من أنت يا رجل^(٤)
فقلت: حيران قد ضل الطريق به
فأرشدوني فلي في حيكم شغل^(٥)
فقال: مزارع ليس الطريق كذا
كيف احتيالي وقد ضاقت بي الحيل^(٦)

- (١) ويتابع الشاعر مقالته، إن كان ما تفعله ليلي دلالاً وغنجاً؛ فقد تكون نتائجه زيادة تعلق بك، وقد تكون زيادة ألم وعذاب له.
- (٢) أعيش على أمل أن تصدقي وعداً ببقاء ينسيني عذابي وحرمانني. فهل يحصل ذلك فأنتهي من يأس يفقدني الصواب، ويبعد عني عناء اليأس؟
- (٣) السقام: المرض المزمن. موكل: مستسلم. إنني مفتن بك ومشغوف ليلاً نهاراً مشغول الفكر حتى الجنون، وجسمي يغزوه المرض قليلاً قليلاً، ولا أبدي مقاومة، وأنا مستسلم لقضائي.
- (٤) يخجل من عمل مشين، أحس الشاعر من وقوفه في صحن دار ليلي، وثمة واشٍ ساخر يسأله عن طبيعة سؤال المتجاهل، وكأنه مجهول لا يعرف: من أنت يا رجل؟
- (٥) و (٦) يجيب الشاعر أنه قد ضل الطريق، وهو يسترشد فثمة عمل يؤد القيام به في هذا =

١٦٩

نجوى

[الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخُزَامَى وَنَظَرَةٍ
 إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلٌ^(١)
 فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْحُجَيْلَاءِ شَرْبَةً
 يُدَاوِي بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلِيلٌ^(٢)
 فَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي
 مَسِيرِي فَهَلْ فِي ظِلِّكَ مَقِيلٌ^(٣)؟
 وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ ظَاهِرٌ مَا بَدَا
 بِجَسْمِي عَلَى مَا فِي الْفُؤَادِ دَلِيلٌ^(٤)
 وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ مَنْ بَيَّنَّ تَوْضِيحَ
 حَنِينِي إِلَى أَفْيَائِكَ طَوِيلٌ^(٥)

- = الحي . ويأمره الواشي أن يرجع من حيث أتى فليس هذا الطريق يؤدي به إلى حيث يُريد . ويقرر الشاعر أنه طرق كل الطرق ولجأ إلى شتى الحيل ، فباءت جميعها بالفشل .
- (١) الخزامى : نبت طيب الرائحة . قَرْقَرَى : اسم موضع . يتمنى الشاعر أن يشم عطر نبت الخزامى ويلقي نظرة على سهل قَرْقَرَى قبلما يدركه الموت .
- (٢) الحُجَيْلَاءُ : اسم مكان . العليل : المريض . نزول الشاعر في ذلك المكان يعيد إليه الشعور بالشفاء والبعد عن المرض لشربه جرعة ماء الحُجَيْلَاءِ ، وهي دواء شافٍ يداوى به المريض فيشفى ويبعد عنه المرض .
- (٣) أثلاث ، واحدتها أثلة : ضرب من الشجر الصلب كثير الأغصان . القاع : اسم موضع . الشاعر يعاني عدم الاستقرار ، فهو رهين التيه ، وقد تعب وملَّ المسير ، يخاطب أثلاث القاع طالباً منها أن تسمح له أن يستريح في ظلالها ، وقد اشتدت حرارة الشمس وقت الظهيرة .
- (٤) ويقول الشاعر لأثلاث القاع : إن كلَّ ما بدا بجسمه من ضعف وهزال دليل صادق عما يصادفه قلبه من عذاب الحب .
- (٥) توضح : اسم مكان . ويقول الشاعر لأثلاث القاع بأن رحلته طويلة من توضح ، وقد =

ويا أثلاتِ القَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ
 بِكُنَّ وَجَدَوِي خَيْرُكُنَّ قَلِيلٌ^(١)
 أَرُومُ أَنْجِدَاراً نَحْوَهَا فَيَرُدُّنِي
 وَيَمْنَعُنِي دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلٌ^(٢)
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ إِذْ لَسْتُ رَاجِعاً
 إِلَيْكَ فَحُزْنِي فِي الْفُؤَادِ دَخِيلٌ^(٣)

١٧٠

روعة الفراق

[الطويل]

فَمَا وَجَدُ مَغْلُوبٍ بِصَنْعَاءَ مُوثِقٍ
 لِسَاقِيهِ مِنْ ثِقَلِ الْحَدِيدِ كُهُولٌ^(٤)
 قَلِيلُ الْمَوَالِي مُسْتَهَامٌ مُرَوَّعٌ
 لَهُ بَعْدَ نَوْمَاتِ الْعِشَاءِ عَوِيلٌ^(٥)

= حمله حنينه إلى تلك الظلالة الوارفة الظليلة الأفياء لينعم بها ويتذكر ماضي الأيام السعيدة.

(١) ويقول الشاعر لأثلات القاع: إن قلبه ترك قياده لها، تفعل به ما تشاء، والغريب في الأمور أن مبادلة الخير بالخير من طبيعة النفوس العظيمة، ورغم ذلك فخير تلك الشجرات قليل.

(٢) يقصد بالدين الثقيل: إهدار دم الشاعر. يتمنى الشاعر ويرغب الاستغلال بتلك الشجرات، ولكن الأمر يحمل في طياته مأساة حياة؛ فحياته رهن الأخطار، وبدافع الحرص على الحياة يمتنع الشاعر من المخاطرة بحياته، فثمة دين ثقيل ثمنه حياته.

(٣) إنه حوار داخلي ذاتي، حوار نفس تتنازعها الهواجس والهموم والآمال والأحلام، والحرص يجعل الشاعر يتراجع عن عزمه ولن يقوم بتحقيق أمنيته، لذا فالقلب يملأه حزن دفين في الأعماق.

(٤) و (٥) الكهولة: مرحلة وسطى بين الشباب والشيخوخة. نزل بساحة ذلك المسكين عذابان: عذاب الحب وآلامه وعذاب السجن بصنعاء، بعيداً عن الديار؛ فالساقان =

يَقُولُ لَهُ الْحَدَّادُ: أَنْتَ مُعَذَّبٌ
 غَدَاةَ غَدٍ أَمْ مُسَلَّمٌ فَقَتِيلٌ^(١)
 بِأَعْظَمَ مِنِّي رَوْعَةً يَوْمَ رَاعَنِي
 فِرَاقُ حَبِيبٍ مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ^(٢)

١٧١

الدمع الجمان

[الطويل]

ذِدِ الدَّمْعَ حَتَّى يَظْلَعَ الْحَيُّ إِنَّمَا
 دُمُوعُكَ إِنْ قَاضَتْ عَلَيْكَ دَلِيلٌ^(٣)
 كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
 جُجْمَانٌ عَلَى جَنْبِ الْقَمِيصِ يَسِيلُ^(٤)

= موثقان، يكبلهما حديد ثقيل، وساقاه أنهكهما العذاب فبدتا كسافي كهل هذه
 العمر وبدتا هزيلتين، وقد تخلى عنه الأصحاب فقلّ عددهم، يحمله الشوق
 بعيداً عن سجنه، وليله في العشاء بكاء وعويل لا ينقطعان، فلا تعرف عيناه
 النوم وطعمه.

(١) يروى الشاعر مأساة محكوم عليه بالإعدام ويبشّره الحداد، والبشارة للخير عادة،
 وبماذا يبشّره؟ يبشّره بالعذاب غداة غد، وبعد ذلك بالقتل. وما هو الذنب الذي
 اقترفه؟ لا ندري، فلم يطلعنّا الشاعر عليه.

(٢) يُقَارَنُ الشاعر بين حاله وحال ذلك المسكين؛ فعذاب الأخير ليس بأعظم من
 عذاب يوم فراق حبيبته وقد رحلت إلى حيث لا يعلم، ولا سبيل للوصول إلى
 مكانها.

(٣) ظعن: ارتحل. يخاطب الشاعر نفسه طالباً منها ألا تنهار؛ فعليه أن يمسك دمعته،
 فهو دليل حسبي ملموس في حال رحيل أهل الحي بعيداً يحملون معهم أمله وحلمه
 بحياة سعيدة، ولو فعل ذلك لافترض أمره، فذلك دليل لا لبس فيه.

(٤) الجُمان: اللؤلؤ. لم يستطع الشاعر أن يتماسك ففاضت دموعه ساعة رحيل
 الأحبة، فبدت كاللؤلؤ يسيل على جنب القميص.

١٧٢

ظماً

[الطويل]

أَحْبَبًا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ^(١)
 بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمُلْبُوثَ بَيْتَهُ
 وَيَشْفِي الْجَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ^(٢)
 وَإِنْ بَنَّا لَو تَعْلَمِينَ لَعُلَّةُ
 إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ غَلِيلٌ^(٣)

١٧٣

الخيال الزائر

[الطويل]

عَجِبْتُ لِلَّيْلِ كَيْفَ نَامَتْ وَقَدْ عَفَتْ
 وَلَيْسَ لِعَيْنِي لَلْمَنَامِ سَبِيلٌ^(٤)

-
- (١) يضطرد حبيبي ويكبر مع مرور الزمن لك وفي كل يوم، والمشكلة ألا وصال لبيخلك، والناس يذكرون أن البخيل لا يعرف الحب.
- (٢) يجيب الشاعر بدلاً عنها بالإيجاب مقسماً بالحجيج الذين لبوا نداء السماء وأموا البيت الحرام، وبمن يشفي من ابتلي قلبه بالعشق ولبي نداء قلبه وقدم عطاء ولو كان زهيداً.
- (٣) الغلة: شدة العطش. يوجه الشاعر خطابه إلى حبيبته أنه مشوق ظامي إلى قطرة من الحب، لو تعلم ذلك، وذلك الظمأ شبيه بطيور قد هدّها الظمأ، وهي تحوم في جو السماء تبحث عن نقطة ماء تروي بها عطشها.
- (٤) يستغرب الشاعر كيف تستطيع ليلى النوم رخيّة البال وتغفو، وكأنها لا هم لها ولا تحب والشاعر يعاني ويلات الهموم والأرق يحول بينه وبين النوم، فلا تُغمض له عين.

وَلَمَّا غَفَّتْ عَيْنِي وَمَا عَادَةٌ لَهَا
 بِنَوْمٍ وَقَلْبِي بِالْفِرَاقِ عَلِيلٌ^(١)
 أَتَانِي خَيَالٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ زَائِرٌ
 فَكَادَتْ لَهُ نَفْسِي الْغَدَاةُ تَزُولُ^(٢)
 خَيَالٌ لِلَّيْلِ زَارَنِي بَعْدَ هَجْرِهِ
 وَرَامَ عِتَابِي وَالْعِتَابُ يَطُولُ^(٣)

١٧٤

ليلي هي البدر

[البسيط]

إِنِّي لِأَجْلَسُ فِي النَّادِي أُحَدِّثُهُمْ
 فَأَسْتَفِيقُ وَقَدْ غَالَتْ نَيَّ الْعُورُ^(٤)
 يُهْوِي بِقَلْبِي حَدِيثُ النَّفْسِ نَحْوَكُمْ
 حَتَّى يَقُولَ جَلِيسِي: أَنْتَ مَخْبُولُ^(٥)
 قَالُوا: شَبِيهُكَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ
 لَيْلَى الْجَمَالِ رِضَاهَا الْقَصْدُ وَالسُّوْلُ^(٦)

(١) و (٢) ولعجب المفارقات، قدّرتي أن أغمض عيني وأغفو على غير العادة، وقلبي تتناهبه الوسواس وتتناهبه العلل والأمراض بسبب الفراق، إذ بخيالك يا ليلي يأتيني زائراً بليل، ولهول المفاجأة كادت نفسي تخرج من جسدي لشدة فرحي لأمر لم أتوقع حدوثه.
 (٣) إنه خيال لمحبوبته يزوره بعد طول فراق وتمنّ بلقاء، وكان عتاب طويل، والعتاب باب الصفاء.

(٤) و (٥) الغول: المصيبة. الشاعر رجل الندوة يحدث محدّثيه بعلم، ولكن سرعان ما يقطع حبل حديثه الممتع صحوّة تغير مجرى تفكيره وسلوكه، فيُفاجأ بصدمة من المشاعر مهلكة. تلك هي الأفكار التي تراوده وتذكّره بحبه، فيختلط عليه الأمر، فلا يدري ما يقول بلا وعي، وهنا يتدخل جليسه قائلاً له: أنت مخبول مجنون.
 (٦) يقول القوم: حالك لا يخفى على أحد فأنت عاشق لليلي، وأنت تقصدها بحديثك، وأنت تعمل على استرضائها وتحرص على معرفة أحوالها.

ليلى هي البدرُ ما لي قَطُّ مُضْطَبَّرٌ
عنها وإن كَثُرَتْ فيها الأَقَاوِيلُ^(١)

١٧٥

قناعة

[الطويل]

وإنِّي لأَرْضِي مِنْكَ يَا لَيْلَى بِالَّذِي
لَوْ أَيْقَنَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ^(٢)
بِلا، وَبِأَنْ لَا أَسْتَطِيعُ، وَبِالْمُنَى
وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الْوَعْدَ أَمِلُهُ^(٣)
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي
أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ^(٤)

١٧٦

الحب لا يموت

[الطويل]

تَقُولُ الْعِدَى - لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي الْعِدَى:
تَقَاصَرَ عَنْ لَيْلَى وَرَثَتْ وَسَائِلُهُ^(٥)

(١) يجيب الشاعر جمع الحضور بأن ليلي بدر حياته تضيء ظلمات عتمتها وهو لا يصبر على البعد عنها، وهو لا يهتم لما يُقال عنه، ولو كثرت فيه الأَقَاوِيل والتنادر بأحاديث أحواله وذكر ما يعاينه في سبيل حبّه.

(٢) و (٣) بلابله، واحدها بلبل: ضرب من العصافير، جميل الصوت، أسود اللون. يطلب الشاعر من ليلي أن تُعلن للملأ، وبالذات الوشاة الإقرار بحبّها، ممّا يُسكتهم، وبذلك يرضى ويطيب خاطره، ومهما كان كلامها سلباً أو إيجاباً، فلو كان الوعد سلباً جعل الأمل يتلاشى في خلد الموعود ويسأم طول الانتظار.

(٤) يعلن الشاعر أن النظرة الخاطفة تكفيه، وتنقضي السنة فلا نلتقي لا في بدئها ولا في نهايتها.

(٥) ينثر العدى أفوالاً مغرضة غايتها التفريق بين الحبيبين، بقولهم: «تقاصر قيس عن =

ولو أَصْبَحْتَ لَيْلَى تَدِبُّ عَلَى الْعَصَا
لَكَانَ هَوَى لَيْلَى جَدِيداً أَوَائِلُهُ^(١)

١٧٧

داء عضال

[الطويل]

شَفَى اللَّهَ مِنْ لَيْلَى فَأَصْبَحَ حُبُّهَا
بِلا حَمْدٍ لَيْلَى زَايَلَتْنِي حَبَائِلُهُ^(٢)
سَوَى أَنَّ رُوعَاتٍ يُصِيبْنَ فُؤَادَهُ
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى وَدَاءٌ يُطَاوِلُهُ^(٣)

١٧٨

عفا الله عنها

[الطويل]

أَقُولُ لِمُفْتٍ ذَاتِ يَوْمٍ لَقِيَتْهُ
بِمَكَّةَ وَالْأَنْضَاءُ مُلْقَى رِحَالُهَا^(٤) :
بِرَبِّكَ، أَخْبِرْنِي أَلَمْ تَأْتِمْ التِّي
أَضَرَّ بِجِسْمِي مِنْ زَمَانٍ خِيَالُهَا^(٥)؟

= ليلي ورثت وسائل. وتقاصر: انكمش وامتنع. ولغة الضعفاء، لذا فالشاعر يدعو عليهم: لا بارك الله في العدى.

(١) وتأكيذاً لتمسك الشاعر بليلى حتى آخر العمر، في حال أسنت وراحت تدب على العصا، فلن يتخلى عن حبه المتجدد لها وكأنه في درب الحب الأولى.

(٢) و (٣) يدعو الشاعر الله تعالى أن يشفيه من داء عضال، ذلك حبه ليلي الذي يراه صيداً أحاط به من كل مكان، وقد أفلحت فحصلت على صيد عزيز وألقت شباك فتنتها؛ مما يوحي بأن الشاعر يعاني صراعاً حقيقياً يتردد بين البقاء على حالة اليأس وضياح الأمل بحصوله على من يحب وبين الخلاص بأقل خسارة ممكنة. ومشكلته تكمن أن قلبه المحب سرعان ما يلاقي تجاوباً يحول دون اتخاذ القرار المناسب في حال تذكره ليلي، ولذا فلا مجال للتخلص من ذلك الداء الذي لا شفاء منه.

(٤) و (٥) الأنضاء: النياق الهزيلة. يذكر الشاعر لقاءه عالماً يُفتي في الحلال والحرام =

فقال: بلى، واللّه سوف يمسّها
عذابٌ، ويلوى في الحياة تنالها^(١)
فقلتُ؛ ولم أملك سوابق عبّرة
سريع إلى جيب القميص أنهمالها^(٢):
عفا اللّه عنها ذنبها وأقالها
وإن كان في الدنيا قليلاً نوالها^(٣)

١٧٩

باعوها

[الطويل]

ألا إن ليلى العامريّة أضبحت
تقطّع إلا من ثقيف جبالها^(٤)
إذا التفتت والعيس صُغر من البرى
بنخلة غشى عبّرة العين حالها^(٥)

= بمكة، وقد حطّ يودّ الراحة وسرح ناقتة التي أهزلها طول المسير، وألقى رحلها عنها، وراح يستحلفه باللّه تعالى: ألم تأثم تلك التي سبّب له خيالها الضرر بجسمه منذ زمن بعيد؟

(١) وكان جواب المفتي إيجاباً بعدما أقسم باللّه العظيم سينالها عذاب عظيم يوم الحساب، وتنزل بها مصائب في حياة الدنيا.

(٢) و (٣) كانت ردّة الفعل لدى الشاعر سريعة، فانهمرت دموعه حتى بلت جيب قميصه لأجلها ولما يمكن أن يصيبها من بلاء؛ فدعا اللّه العظيم العفو والمغفرة وإيقالتها من إساءتها له، حتى لو كانت قليلة العطاء في هذا الوجود؛ فهي تبخل ببقاء، وإن وعدت أخلفت.

(٤) بلغ الشاعر أن ليلى قد رُقّت إلى رجل من بني ثقيف، وقد أحسّ أنها ما عادت تهتم له؛ وذلك بدافع الأمانة الزوجية؛ ومن الطبيعي أن تقتصر علاقتها على بني ثقيف دونه.

(٥) العيس: الإبل، صُغر: ممالة. البرى: حلقة تجعل في منخر البعير. نخلة: اسم =

فَهُمْ حَبَسُوهَا مَحْبَسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى
 بِهَا الْمَالَ أَقْوَامٌ، أَلَا قَلَّ مَالُهَا ^(١)
 خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانِهَا
 يُدْنِي لَنَا تَكْلِيمَ لَيْلَى احْتِيَالُهَا ^(٢)؟
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْلَمَاهَا فَلَسْتُمَا
 بِأَوَّلِ بَاغٍ حَاجَةً لَا يَنْأَلُهَا ^(٣)
 كَأَنَّ مَعَ الرُّكْبِ الَّذِينَ اغْتَدَوْا بِهَا
 غِمَامَةً صَيَفٍ زَعَزَعْتُهَا شِمَالُهَا ^(٤)
 نَظَرْتُ بِمُفْتَضَى سَيْلِ جَوْشَيْنٍ إِذْ غَدُوا
 تَخَبُّ بِأَطْرَافِ الْمَخَارِمِ آلُهَا ^(٥)
 بِشَافِيَةِ الْأَحْزَانِ هَيَّجَ شَوْقُهَا
 مُجَامَعَةَ الْأَلْفِ ثُمَّ زِيَالُهَا ^(٦)

= موضع . يصف الشاعر ساعة ارتحال ليلى عن قومها إلى مريض بني ثقيف؛ فهي تلتفت مودعة وثمة دعة محبوسة نطق بها عيناها مما تُعانيه بنخلة، والإبل قد أمالت صُعراً أعناقها البرى .

(١) البدن : النياق السمينة . المحبس : السجن . ولقد باعها أهلها طامعين بالمال، وحجروا عليها في محبس البدن السمان . ودعا عليهم بالفقر؛ فذلك المال ناتج عن ظلم .
 (٢) و (٣) يخاطب الشاعر صديقيه، على الطريقة الجاهلية، مستعلماً عن حيلة يعرفانها تسمح له برؤية ليلى ومحادثتها، فيكون كلام وشوق . . . وإن لم تقدر على اختراع الحيلة، فلستما أول من سألت، فقد حدث أن حاولت ولم أحصل على طائل .
 (٤) يصف الشاعر ساعة انطلاق الطاعنين، فثمة غمامة لا تحمل مطراً، شأن غيوم الصيف، تظلل ليلى تتحرك معها بريح الشمال .

(٥) جَوْشَيْن : جبالان متجاوران، غربي حلب . المخارم، واحدها مخرم : الطريق في الجبل . يتابع الشاعر القافلة بنظره وهي تعبر بمحاذاة سيل جوشين في غدوة ذلك اليوم، والجمال تمشي الخبب مسرعة مختربة وعراً صعب الدرب .

(٦) يقصد بشافية الأحزان : عينه . زياها : رحيلها . كلما بدأ الركب يختفي زاد شوق =

١٨٠

تصبر

[البسيط]

ألا اصطباراً ليلي أم لها جلد؟
إذا ألقى الذي لاقاه أمثالي^(١)

١٨١

إعراض وصد

[الطويل]

أعقر من جرّاً كريمة ناقتي
ووصل لي مفروش لوصول منازل^(٢)
إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن
إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل^(٣)

= الشاعر، فانفجر باكياً لفراق الأحبة، فسوف يجتمع الآلاف وسوف يكون فراق، وتلك هي الحياة.

(١) ورد البيت في: المغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ١٥، ٦٩ (١٥، ٧٧)، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٢: ٣٥٨، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١: ١٤٧، الدرر اللوامع ١: ١٢٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢: ١٥. يسأل الشاعر نفسه أيسطيع الصبر على بعد ليلي ويتجلد؟ فإن كان كذلك فهذا بلاء، ولكنه إذا استمر مدى العمر، فلا بد من حدوث ما حدث للعشاق أمثاله من موت وعذاب وألم.

(٢) كريمة: اسم امرأة من بني قومه. يذكر الشاعر حدثاً سرّه في بدنه وساء في نهايته؛ ذلك أنه صادف وجود ليلي عند كريمة وأتراب لهنّ، فكان حديث عذب، وساد السرور جميعاً وأعجب الفتيات بحديثه، فعقر لهنّ ناقته وباشر بخدمتهنّ، ولسوء حظه إذ بفتى يسمى منازلًا يمر بهم، وسرعان ما تركت الفتيات قيساً وملنّ إلى منازل، فغضب وأنشد القصيدة. ومفاد قوله أنه ذبح ناقته من أجل إطالة بقائه إلى جانبهنّ، ولكن ذلك كان إيذاناً بمقدم منازل.

(٣) ومن طبيعة النساء لفت نظر من أحبين فإذا بهنّ يُحرّكن حليتهنّ فلفتن نظره إليهنّ؛ وتلك عادة أطلعت الشاعر على حقيقة مفادها عدم رغبتهنّ بحضوره.

- ولم تُغْنِ سِيجَانُ الْعِرَاقَيْنِ نَقْرَةً
 وَرُقْشُ الْقَلْنَسَى بِالرَّجَالِ الْأَطَاوِلِ ^(١)
- ولم تُغْنِ عَنِّي بُرْدَتِي وَتَجْمُلِي
 وَقَوْمِي وَنَسْلِي مِنْ كِرَامِ أَفَاضِلِ ^(٢)
- متى ما انتضلنا بالسَّهَامِ نَضَلُّهُ
 وَإِنْ نَرَمُ رَشْقاً عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي ^(٣)
- وإِنِّي مِنْ إِعْرَاضِهَا مُتَّالِمٌ
 قَلِيلُ الْعَزَا وَالصَّدُّ لَا شَكَّ قَاتِلِي ^(٤)

(١) ورد البيت في الخصائص، لابن جني ١: ٢٣٥. السيجان، واحدها ساج: الطيلسان الواسع المدور (فارسي). رُقْش، واحدها أرقش: منمنم تختلط فيه نقط سود وبيضاء. القلنسى مفردها قُلْنَسُوة: لباس الرأس (فارسي). يبدو أن الشاعر كان يهتم بمظهره الخارجي فيرتدي فاخر الثياب، وغالي الثمن منها. ورغم ذلك لم يلفت انتباه الفتيات ما كان يرتديه فلا طيالة العراقيين ولا القلانيس المرقطة، لباس عليه القوم كان عوناً له على منازل.

(٢) وكذلك فقد تأثيره لدى الفتيات ارتداؤه بردته وصبره لاستمالتهن؛ وبالذات ليلى، وحتى انتمائه إلى شجرة كريمة وحسب شريف؛ ما كان كل ذلك لجعلهن يملن إليه دون منازل.

(٣) انتضلنا بالسهم: تبارزنا. نرمي رشقاً: نترشق بالكلام. وإذا ما تبارينا بالسلح تغلبت عليه، ولكنه يستطيع التغلب علي في الحديث الشيق أمام ليلى. والسؤال هل شاعر تستعصي عليه الكلمة وهو سيد الكلمة، وتلك ميدانه؟!!

(٤) والسؤال هل إعراض ليلى عن الشاعر لعدم الاهتمام به؟ أم لتعرف مدى حبه لها؟ فإعراضها يؤلمه، ولا من يُعزّيه؛ وتلك نكسة تترك في القلب غصّة، والصد أثره سبيّ جداً يؤدي إلى قتله.

١٨٢

سهام العيون القاتلة

[الطويل]

- لَيَالِي أَصْبُو بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى
 إِلَى خُرْدٍ لَيْسَتْ بِسُودٍ وَلَا عُضْلٍ ^(١)
 مَنَعَمَةَ الْأَطْرَافِ هَيْفَ بَطُونُهَا
 كَوَاعِبَ تَمْشِي مَشْيَةَ الْخَيْلِ فِي الْوَحْلِ ^(٢)
 وَأَعْنَاقُهَا أَغْنَاكَ غَزْلَانِ رَمْلَةٍ
 وَأَعْيُنُهَا مِنْ أَعْيُنِ الْبَقَرِ التُّجْلِ ^(٣)
 وَأَثْلَاثُهَا السُّفْلَى بُرَادِي سَاحِلٍ
 وَأَثْلَاثُهَا الْوُسْطَى كَثِيبٌ مِنَ الرَّمْلِ ^(٤)
 وَأَثْلَاثُهَا الْعُلْيَا كَأَنَّ فُرُوعَهَا
 عَنَاقِيدُ تُغْذَى بِالذَّهَانِ وَبِالْغَسْلِ ^(٥)

- (١) و (٢) الخُرْد، والواحدة خريدة: الفتاة البكر الحبيبة. العصل، الواحدة عصلاء: التي لا لحم عليها. أمضي ليلى ونهاري وبي شوق إلى أ بكر حبيبات، بيض لسن نحيلات، وفي ذلك نظرة جمالية للمرأة لديه بشكل عام. أردافهن ممتلئة، ضامرات البطون، ناهدات يمشين مشية فيها كبرياء وخيلاء متمهلات كما تمشي الخيول الأصيلة في أرض موحلة.
- (٣) وأعناقهن رقيقة بديعة كأعناق غزلان رملية حيث تشتهر الغزلان بتلك الصفات، وذوات عيون واسعة كأعين البقر الوحشي، باشتداد بياضهن وسوادهن.
- (٤) أثلاثها السفلى: أقدامهن. يقصد بأثلاثها الوسطى: أردافهن. البرادي: ضرب من النبات المائي القصبى. يشبه الشاعر أقدامهن بقامات البرادي منتصبات إلى جانب ساحل مائي، وأردافهن شبه كثر رملية متموجة مترجرجة.
- (٥) أثلاثها العليا: الرأس والصدر، الغسل: ضرب من الطيب. ورؤوسهن ركن على صدورهن، وقد زينهن شعورهن يتدلين كأنهن عناقيد تُغذى بالدهن والطيب.

وَتَرْمِي فَتَضْطَّادُ الْقُلُوبَ عُيُونُهَا
 وَأَطْرَافُهَا مَا تُحْسِنُ الرَّمْيَ بِالنَّبْلِ^(١)
 زَرَعْنَ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ ثُمَّ سَقَيْنَهُ
 صُبَابَاتِ مَاءِ الشُّوقِ بِالْأَعْيُنِ النُّجْلِ^(٢)
 رَعَابِيْبُ أَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ وَإِنَّمَا
 هِيَ النَّبْلُ رِيشتُ بِالْفُتُورِ وَبِالْكُحْلِ^(٣)
 فَفِيمَ دِمَاءِ الْعَاشِقِينَ مُطْلَّةٌ
 بِلَا قَوْدٍ عِنْدَ الْحَسَانِ وَلَا عَقْلٍ^(٤)؟
 وَيَقْتُلْنَ أَبْنَاءَ الصَّبَابَةِ عَنُودَ
 أَمَا فِي الْهَوَى يَا رَبِّ مِنْ حَكَمٍ عَدْلٍ^(٥)؟

- (١) وهؤلاء سهامهن قاتلات، يصطدن بعيونهن، رغم أنهن لا يجدن الرماية بالنبال.
- (٢) وهؤلاء يُحسِّن زراعة حبهن في قلوب الرجال، ويعملن على تغذيتها بسقاء ملؤه عذاب الرجال فتطفح قلوبهم شوقاً إلى أعين نجل.
- (٣) الرعابيِب، واحدها رُعبوب: الناعمة من النسوة. أقصده: أحسن التصويب وأصاب الهدف. رأس السهم: ألصق به السهم كي لا ينحرف عن مساره. ومن صفاتهن نعومة ورقة خادعة، يصوبن سهامهن فلا يُخطئن أهدافهن، فنبالهن ريشة بكحل العيون النواعس؛ وذلك سلاح فتاك لا يُخطئ هدفاً.
- (٤) دمَاء مطلة: لم يؤخذ بثأرها. القود: الثأر. العقل: الدية. كل تلك الأسلحة فتاكة قاتلة، فهن يستعملنها لهدر دماء العشاق ولا من يرحم، ولا من يثار من القتلة، ولا يتوقّر من يُطالب بدية.
- (٥) وقتلن أبناء الصبابة هوايتهن المحببة إليهن بقصد عنوة. ويسأل الشاعر ربّه ألا يوجد حكم عدل في الحب.

١٨٣

لا سلوى تنسي

[الطويل]

ولمّا أبى إلّا جمّاحاً فؤادُه
ولم يسأل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ^(١)
تسألني بأخرى غيرها فإذا التي
تسألني بها تُغري بليلى ولا تُسلي^(٢)

١٨٤

بئس الأهل

[الطويل]

أزوح ولم أجد ليلى زيارةً
لبئس إذا راعي المودّة والوصل^(٣)
تراب لأهلي لا ولا نعمة لهم
لشدّ إذا ما قد تعبّدني أهلي^(٤)

(١) و (٢) عانى الشاعر من حبه ليلي كثيراً، فالقلب نفور يهفو إلى حبيبته، والقناعة بالأمر الواقع لا تتوفّر لديه، لذا فلا المال ولا الأهل وجد فيهم حلاً، لذا حاول استبدال ليلى بغيرها من بنات جنسها فإذا بالتي حلت محلّها تذكره بليلى، ولهذا لم يعرف السلوى.

(٣) يتنازع الشاعر أمران: أمر الرحيل عن ليلى، وذلك فرار من أمر واقع، أو أن يلتقي بها، والأمران يُسببان إحراجاً له، وربما يقع في المحذور لو حاول لقاءها ويسبب لنفسه المشاكل والإهانات.

(٤) برّر الشاعر عدم رضاه عن موقف أهله منه، فهو يتمنى لهم الفقر وزوال النعمة عنهم، فهم لم يقفوا إلى جانبه، بل عاملوه معاملة العبد، وليس للعبد على سيده حقوق.

١٨٥

أعدل بيننا يا الله

[الطويل]

- حَجَجْتُ وَلَمْ أَحْجُجْ لِذَنْبِ جَنِّيئُهُ
 وَلَكِنْ لَتُعْذِي لِي عَلَى قَاطِعِ الْحَبْلِ^(١)
 ذَهَبْتَ بِعَقْلِي فِي هَوَاهَا صَغِيرَةً
 وَقَدْ كَبِرْتَ سِنِّي فَرُدَّ بِهَا عَقْلِي^(٢)
 وَإِلَّا فَسَاوِ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 فَإِنَّكَ يَا مَوْلَايَ تَحْكُمُ بِالْعَدْلِ^(٣)

١٨٦

حبي قاتلي

[الطويل]

- كَأَنْ لَمْ تَكُنْ لَيْلَى تُزَارُ بِذِي الْأَثْلِ
 وَبِالْجِزْعِ مِنْ أَجْزَاعِ وَدَّانَ فَالْتَّحُلِ^(٤)
 صَدِيقُ لَنَا فِيمَا نَرَى غَيْرَ أَنَّهَا
 تَرَى أَنَّ حُبِّي قَدْ أَحَلَّ لَهَا قَتْلِي^(٥)

(١) لتعدي لي: لتؤازرنني وتساعدني. القيام بالحج غاية تعبدية في الأصل، ولكن الشاعر يرى أن المرء يحج ليتخلص من تبعات ذنوبه، بينما هو يحج لغاية دنيوية، ليساعده ربه ويكمل التي صرتمته وقطعت حبل المودة موصولاً بينها وبين الشاعر.
 (٢) و (٣) بدأت رحلة الحب منذ صغرها فاستحوذت على عقله، وسلبت إرادته، ولذا فهو يود استرداد عقله، وقد كبرت سنّه. وإن لم تُعني فاجعل المساواة بيني وبينها في الحب لأن من صفاتك العدل بين البشر.
 (٤) و (٥) الأثل: ضرب من الشجر. الجزع: الجانب من الوادي حيث تمر به. ودان والتحل: موضعان. يأسف لما آلت إليه أموره مع ليلي؛ فكأنّه لم يزرها بذِي الأثل والجزع وودان والتحل، وتعدّد أسماء الأمكنة دلالة على أنه كان يتردد على زيارتها ورؤيتها مرّات كثيرة. تبدّلت نظرتها لعلاقته بها؛ في البدء كانت ترى فيه صديقاً =

١٨٧

عندكم عقلي

[الكامل]

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى
 مَا كَانَ مِنْكَ وَخُبُّكُمْ شُغْلِي ^(١)
 وَأُذِيقُ نَحْوَ مُحَدَّثِي لِيَرَى
 أَنَّ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي ^(٢)

١٨٨

عزاء

[الطويل]

وَعَزَّيْتُ نَفْسًا عَنْ هَوَاكِ كَرِيمَةً
 عَلَى مَا بِهَا مِنْ لَوْعَةٍ وَعَلِيلٍ ^(٣)
 بَكَتْ مَا بَكَتْ مِنْ شَجْوِهَا ثُمَّ رَاجَعَتْ
 لِعِرْفَانِ هَجْرٍ مِنْ نَوَاكِ طَوِيلٍ ^(٤)

= مخلصاً، ومع مرور الوقت بدأت تتحوّل عنه حتى ظننت أنّ حبّه لها قد أحلّ لها قتله .

(١) و (٢) من آداب الحديث أن يستمع المحدث إلى حديث محدّثه، وكون الشاعر مشغول البال بحبّ ليلى، وإن بدا مصغياً لحديث محدّثه، فإنّه في الحقيقة لا يدري من حديث محدّثه شيئاً لانشغال عقله بليلى وإن أدام النظر إليه .

(٣) و (٤) الشاعر كريم النفس لا يذلّ، وهو يسرّي عن نفسه رغم معاناته من هجر حبيبته، بأمل الوصل واللقاء لشدة ظمئه . ولقد بكى لما يقاسيه بكاءً مرّاً لحزنه مع رحلة العذاب الطويل التي تخطر على باله، وما كان يعانیه من هجرها له .

١٨٩

المودة المتجددة

[الطويل]

يَجِيشُونَ فِي لَيْلَى عَلَيَّ وَلَمْ أَنْلُ
 مَعَ الْعَذْلِ مِنْ لَيْلَى حَرَاماً وَلَا حِلًّا^(١)
 سِوَى أَنْ حُبًّا لَوْ تَشَاءُ أَقْلَهَا
 وَلَوْ تَبْتَغِي ظِلًّا لَكَانَ لَهَا ظِلًّا^(٢)
 أَلَا حَبِّذَا أَطْلَالَ لَيْلَى عَلَى الْبَلَى
 وَمَا بَدَلْتُ لِي مِنْ نَوَالٍ وَإِنْ قَلَّا^(٣)
 فَمَا يَتِمَادَى الْعَهْدُ إِلَّا تَجَدَّدَتْ
 مَوَدَّتُهَا عِنْدِي وَإِنْ زَعَمْتَ أَنْ لَا^(٤)

١٩٠

سلمت يا غزال

[الوافر]

تَرَوْخَ سَالِماً يَأْشِبُهُ لَيْلَى
 قَرِيرَ الْعَيْنِ وَاسْتَطَبَّ الْبُقُولَا^(٥)
 فَلَيْلَى أَنْقَذَتْكَ مِنَ الْمَنَايَا
 وَفَكَّتْ عَنْ قَوَائِمِكَ الْكُبُولَا^(٦)

(١) و (٢) يجيشون: يثيرون. حديث وأقوال الوُشاة والعُدال يثير في النفس حب ليلي، بدل إبعادي عنها، وفي الحقيقة فإن اجتماعي بها بريء من كل إثم، فلم أهلك لها سبترًا ولم أقترف حراماً، فكيف بما هو حلال ما خلا الحب الطاهر لا تشوبه شائبة، ولم تشاركني أقل حب، ولو رغبت حبي لكان لها ظلاً ظليلاً تنفياً بحماه وتسدني بدفته.

(٣) و (٤) الأطلال رمز المعاناة وقسوة الطبيعة في الصحراء، ومن الطبيعي أن يرتحل الأحبة لظروف قسوة الحياة. وأطلال ليلي التي تقادم عهدا عزيزة على قلب الشاعر، وقد عرف فيها الحب والسعادة، رغم ما حل بها من ظروف المعيشة القاسية التي لا ترحم، وحتى القليل من الحب الذي سمحت نفس ليلي أكرمه به وأنعم، ومهما امتد العهد بحبي لها فهو متجدد ومودتي لها لن تنقطع وإن زعمت أنه يفتر ويتلاشى.

(٥) و (٦) يخاطب الشاعر غزالاً يشبه ليلي جمالاً ورقة وأناقة أن ينطلق إلى الحرية =

١٩١

زعمت

[الكامل]

- إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا
 خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا^(١)
 فَلِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ
 شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا^(٢)
 بَيْضَاءَ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
 بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا^(٣)
 إِنِّي لَأَكْثُمُ فِي الْحَشَا مِنْ حُبِّهَا
 وَجَدَّالَوْ أَصْبَحَ فَوْقَهَا لَأَظْلَمَهَا^(٤)
 وَيَبِيتُ تَحْتَ جَوَانِحِي حُبُّ لَهَا
 لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لَأَقْلَمَهَا^(٥)

= مطمئناً هادئ النفس مرتاح البال وأن يستمتع بما يطيب له من البقول؛ والفضل في ذلك يعود إلى محبوبته، فقد حالت بينك وبين الموت ومنحتك الحرية، ففكت عن قوائمك القيود.

(١) كان حوار بين الشاعر وحبيبته، وكانت توذ معرفة إلى مدى يستمسك الشاعر بها فزعمت أن حبه فتر لها وملة، فردّ مخبراً بحقيقة مشاعره أنها خلقت لتكون قدره في الحب ويكون قدرها كذلك.

(٢) ردّ الشاعر قائلاً: إنها الوسواس التي تنتابها وتعشعش في مخيلتها؛ فليس لها ما يسوّغها، ولذا فعليها أن تعود إلى ضميرها فتكتشف حقيقة مشاعره؛ فالقلب دليل صادق لا يكذب، وعندئذ يسهل عليها أن تنسى تلك الوسواس.

(٣) يصف الشاعر حبيبته، فهي بيضاء مرفهة منذ طفولتها المبكرة، لذا جعلها النعيم كاملة الصياغة بيد خالق الخلق المبدع، فكانت كما شاءت وأرادت كما في كمال بديع.

(٤) رغم ما يبديه الشاعر من حبّ لحبيبته، ففي الأحشاء أضعاف أضعاف ما يظهر، ولو كشف عما لديه لظلمها بظلم حميم.

(٥) وكذلك ففي جوانح الشاعر حبّ عظيم يحتفظ به لحبيبته، فلو قُدر له أن يجعل =

ضَنْتُ بنائِلِها، فقلْتُ لِصاحِبِي:
 ما كانَ أَكثَرُها لَنا وأَقَلُّها^(١)

= تحت فراشها لنهض بها وحملها إلى الخلود؛ وفي الحقيقة هذا ما كان فقد جعلها خالدة بخلود شعره.
 (١) من طبعها البخل، فلم تتكرم بوعد ولقاء، فقلت لصديقي: لا تبقى الأمور على حال، فقد كانت كثيرة الوعد والوفاء، وها هي الآن قليلة ذلك.

قافية الميم

١٩٢

ندم

[الطويل]

وإني وإن لم آت ليلى وأهلها
 لباك بكا طفل عليه التَّمائم^(١)
 بكأ ليس بالنَّزْرِ القليل ودائم
 كما الهجر من ليلى على الدَّهرِ دائِم^(٢)
 هَجَرْتُكَ أَيَّاماً بِذِي الغَمْرِ إني
 على هَجَرِ أَيَّامِ بِذِي الغَمْرِ نَادِم^(٣)
 فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ ذِي الغَمْرِ وَارْتَمَى
 بِي الهَجْرُ لَامَتْنِي عَلَيْكَ اللَّوَائِمُ^(٤)
 وإني وذاك الهَجْرَ مَا تَعْلَمِيْنَهُ
 كَعَاذِبَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمُ^(٥)

(١) و (٢) التَّمائم، واحدها تميمة: ما يُوضع على أثواب الطفل دفعاً للحسد عنه وأعين الحساد، العادة أن يأتي الشاعر زائراً ليلى أو أهلها وفي حال لم يجد سبباً وجيهاً يُبيح له ذلك راح يبكي كطفل علقت عليه التَّمائم بكاءً لا ينقطع طالما امتنعت ليلى عن ملاقاته، مهما امتد العمر.

(٣) لم تدم هجرة الشاعر لحبيبته سوى أيام قليلة، ولذا فهو لا يزال نادماً على هجرها في ذي الغمر.

(٤) مضت أيام ذي الغمر سراعاً وعدت إلى حبي لك، إذ باللاثمين يلومونني لإصراري على حبك وتعلقك بك.

(٥) في الحقيقة فإن ذلك الهجر ترك في نفسي أثراً أليماً كأم حكم عليها بترك صغيرها، وهي متألّمة لذلك.

أَلَمْ تَعَلِّمِي أَنِّي أَهْيَمُ بِذِكْرِهَا
 عَلَى حِينٍ لَا يَبْقَى عَلَى الْوَصْلِ هَائِمٌ^(١)؟
 أَظَلُّ أُمْنِي النَّفْسَ إِيَّاكَ خَالِيًا
 كَمَا يَتَمَنَّى بَارِدُ الْمَاءِ صَائِمٌ^(٢)

١٩٣

اعتذار

[الطويل]

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ
 عَلَى فَنٍّ وَهْنًا وَإِنِّي لَنَائِمٌ^(٣)
 فَقُلْتُ اغْتِذَارًا عِنْدَ ذَاكَ وَإِنِّي
 لِنَفْسِي فِي مَا قَدْ أَتَيْتُ لَلَّائِمٌ^(٤)
 أَأَزْعُمُ أَنِّي عَاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ
 بِلَيْلَى وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ^(٥)
 كَذَبْتُ؛ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا
 لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ^(٦)

(١) يسأل الشاعر حبيبته هل هي على معرفة ما حصل له بما حدث فهو كلما تذكر منه أحس بالندم، علماً أن التارك لا يتأثر ولا يتألم ولا يتعذب، والشاعر يعيش هذه الحالة.

(٢) أمل واحد يراود الشاعر فقط دون سواه القرب من حبيبته، كما يتمنى الصائم كوباً من الماء البارد يبرد جوفه في يوم صوم حار.

(٣) و (٤) في هدأة ليل، والشاعر مستسلم لنوم هانئ نبهته حمامة غنت وهي تتخذ غصن شجرة مخدعاً لها. فراح يردد اعتذاره لليلى مبدياً أسفه لما بدر منه، لائماً نفسه على ذلك.

(٥) والعشق له ضريبة غالية يدفع المحب عربونها بكاء وندماً وعذاباً، والادعاء كلام فارغ من مضمونه، فالحيوانات تبكي فلم لا أبكي إذا؟

(٦) الادعاء كذب إن لم يبك الشاعر، وقد أقسم ببيت الله تعالى لو كان صادق الحب لما سبقته حمامة إلى البكاء.

١٩٤

حب في الصغر

[الطويل]

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غُرٌّ صَغِيرَةٌ
 وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَثْرَابِ مِنْ تَذْيِهَا حَجْمٌ^(١)
 صَغِيرَيْنِ نَزَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا
 إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبَهْمُ^(٢)
 فَأَجَابَتْهُ لَيْلَى بَاكِئَةً لَمَّا سَمِعَتْ شِعْرَهُ:

١٩٥

حديث العيون

[الوافر]

كَأَنَّا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضًا
 وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ^(٣)
 تُخَبِّرُنَا الْعُيُونُ بِمَا أَرَدْنَا
 وَفِي الْقُلُوبَيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفِينٌ^(٤)

(١) يصف الشاعر رحلة الحب مع ليلي؛ فقد وقع في غرامها، وهي لا زالت حدثاً لم تبد معالم الأنوثة فيها بعد؛ فلم يبن لشديدها شكل ولم ينهد لها صدر بين أترابها رفيقات العمر.

(٢) كنا صغيرين تزينا البراءة وصدق الغاية، يتمنى الشاعر لو لم تدر بهما الأيام ويكبرا، وحتى البهائم لم تكبر، ولا زالت بحاجة إلى رعايتهما.

(٣) كلا المحبين يلجأ إلى خداع الآخرين، مخافة الحساد والوشاة، فيبدي كل منهما بغضاً للآخر، وهما في الحقيقة قد تمكّن من قلوبهما حبّ قد انغرز في أعماقهما.

(٤) لغة العيون لا يفهمها إلا المحبون، ترتبط بأسلاك نورانية فيعرف الحبيب ما يقوله المحب، وفي قلوبهما حبّ لا تدركه أبصار الحاسدين والوشاة.

١٩٦

صريع الحب

[الطويل]

بحبك يا ليلي قد أضحيتُ شهرةً
 وكلُّ بما ألقاه عندك يفهم^(١)
 صريع من الحب المبرح والجوى
 وأي فتى من لوعة البين يسلم^{(٢)؟}!
 وما هي إلا حسرة بعد نظرة
 أثارت لهيباً في الحشاشة يضرم^(٣)
 فلا تقتليني بالصدود وبالقللى
 ومثلك يا ليلي يرق ويرحم^(٤)
 فوالله إني فيك عانٍ وعاشق
 أدوب غراماً فيك والحب أكثم^(٥)
 مخافة واشٍ أو رقيب وحاسد
 يحدث ما لا كانت الناس تعلم^(٦)

(١) ما عاد حب الشاعر مقصوراً عليهما، إنما انتشر صيته بين القبائل أنه يحبها، والكل قد عرف أسباب عذابه وما يلاقيه منها.

(٢) و (٣) إن الشاعر أدى به الحب المبرح إلى الهلاك، والقلب يلتهب وذلك سببه الهجر، وكل محب لا يسلم من بلائه. وكل ذلك سببه نظرة اخترقت حجب النفس والقلب فلامست جمال الحياة وأعقبت حسرة أضمرت فيهما نارا متأججة تحرق حتى العظم.

(٤) يطلب الشاعر من ليلي أن تبقي عليه سليماً معافى؛ فالصدود والهجر يقتلان، فأنت من طبعك الرقة والرحمة لكل الناس، فلم لا يكون لي شيء من ذلك؟

(٥) العاني: الأسير. يُقسم الشاعر بالله تعالى أنه أسير حبها، عاشق لها يكتنم حباً دفيناً جعله يذوب شيئاً فشيئاً.

(٦) وسبب ذلك خوفه من واشٍ أو رقيب أو حاسد؛ وهؤلاء ثرثارون نمامون ينقلون كلاماً ويتناقلون ويتنادرون، وهم يعملون على نشر أخبارنا بين الناس.

١٩٧

ارحميني

[الطويل]

أيا لَيْلَ أَبْكِي لِي بِعَيْنَيْكَ رَحْمَةً
 مِنْ الْوَجْدِ، مِمَّا تَعْلَمِينَ، وَأَعْلَمُ^(١)؟
 أَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ نَكُونَ بِبَلَدَةٍ
 كِلَانَا بِهَا يَشْقَى وَلَا نَتَكَلَّمُ^(٢)؟
 لَئِنْ كَانَ مَا أَلْقَى مِنَ الْحُبِّ أَنَّنِي
 بِهِ كَلِفْتُ جَمُّ الصَّبَابَةِ مُغْرَمُ^(٣)
 لَعَلَّكَ أَنْ تَرُثِي لِعَبْدٍ مُتَيِّمٍ
 فَمِثْلُكَ يَا لَيْلَى يَرِقُّ وَيَرْحَمُ^(٤)
 بَكِي لِي يَا لَيْلَى الضَّمِيرُ وَإِنَّهُ
 لَيَبْكِي بِمَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَيَعْلَمُ^(٥)

(١) يُخاطب الشاعر ليلَى أأبكتك حالتي التي تعلمين قد وصلت إليها، وهل رقّ قلبك إشفاقاً عليّ، فأنا على علم بما يُخبئه لي قلبك.

(٢) العجب كلّ العجب أن نكون من ساكني بلدة واحدة، ولا نتكلم ونلتقي ونعيش في عذاب وآلام.

(٣) و (٤) الحقيقة أنني صادق الحبّ، مغرم تيمّه الحبّ، مفعم قلبه بشوق لا حدود له، أتمنى أن ترقّي لعبدك المتيمّ بحبكّ، ومن طبعك الرقة والرحمة لمن يستحقّ ذلك، وأنا أكثر الناس حاجة لذلك.

(٥) أنت تعلمين أن ضميرك بكى لحالتي وتألم لما نزل بي من عذاب والقلب لا يكذب وهو على علم بما يلقي المحبّون.

١٩٨

انتقام ظالم

[الطويل]

- أَلَا إِنَّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَضْبَحَتْ
 عَلَى النَّأْيِ مِنِّي ذَنْبَ غَيْرِي تَنْقِمُ^(١)
 وَمَا ذَاكَ مِنْ شَيْءٍ أَكُونُ اجْتَرَمْتُهُ
 إِلَيْهَا فَتَجْزِينِي بِهِ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٢)
 وَلَكِنْ إِنْسَانًا إِذَا مَلََّ صَاحِبًا
 وَحَاوَلَ صَرْمًا لَمْ يَزَلْ يَتَجَرَّمُ^(٣)

١٩٩

غنى النفس

[الطويل]

- كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْغِنَى مُتَعَذِّرٌ
 عَلَيَّ وَأَنْتِ بِالْمَكَارِمِ مُعْرِمٌ^(٤)
 فَمَا قَصَّرْتُ بِي فِي الْمَطَالِبِ هِمَّةٌ
 وَلَكِنِّي أَسْعَى إِلَيْهَا وَأُحْرَمُ^(٥)

(١) و (٢) هجرت ليلى العامرية الديار وهي تنتقم مني لا للذنب اقترفته، إنما غيري من أذنب فأدى ذلك إلى الهجر والصد. وفي الحقيقة لا أعلم سبباً أدى إلى القطيعة حتى أقبل الجزاء، فليتبني أعرف سر ذلك.
 (٣) ومن طبع البشر إذا ضجر المرء من صاحبه اختلق أعذاراً لقطع الصلة حتى ولو كانت واهية، فهو يتمسك بها يتخذها سبباً لتجريمه.
 (٤) و (٥) يطلب الشاعر المكارم ويسعى في سبيلها؛ والمكارم لا تتأتى للمرء إلا بالغنى في المجتمعات التي بدأت تنفك؛ وهذا ما يؤلم الشاعر، وهو لا يتوانى في طلب ذلك، فهمة الشباب متوفرة، ولكن الظروف غير مواتية، والأقدار ليست لصالحه تحرمه فرصته.

٢٠٠

حب مكين

[الطويل]

لِصَفْرَاءَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ شُعْبَةٌ
 هَوَى لَمْ تَرْمُهُ الْغَانِيَاتُ صَمِيمٌ^(١)
 بِهِ حَلَّ بَيْتُ الْحَيِّ ثُمَّ انْتَنَى بِهِ
 فَزَالَتْ بُيُوتُ الْحَيِّ وَهُوَ مُقِيمٌ^(٢)
 وَمَنْ يَتَهَيَّضُ حُبُّهُنَّ فُؤَادُهُ
 يَمُتْ وَيَعِشْ مَا عَاشَ وَهُوَ سَقِيمٌ^(٣)
 فَحَرَّانٍ صَادٍ ذِيدَ عَنْ بَرْدٍ مَشْرَبٍ
 وَعَنْ بَلَلَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ يَحُومٌ^(٤)
 بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ
 دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعِينَ أَلُومٌ^(٥)؟
 أَهَذَا الَّذِي يَبْكِي مِنَ الْهُونِ وَالْبَلَا
 أَمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمٌ^(٦)

- (١) الصفراء: يقصد بذلك الحب والعذاب. يملأ قلب الشاعر حبَّ عظيم لمن يحب، ولكن الأسى يكدره، حتى تغلغل في الأعماق ولم يكن قصد الغانيات الإساءة.
- (٢) حب بيت في الحي استقر في قلبي، وشاءت الظروف أن يرتحل ساكنوه فترك في النفس ألماً لم يفارقها.
- (٣) يتَهَيَّض: يعاوده مرة تلو الأخرى، فإذا ابتلي المرء بحب إحدى النساء توالى هبات ذلك الحب عليه فأماتته أو جعلته يعيش في شقاء وجعلته مريضاً دائماً.
- (٤) حَرَّانٍ: عطشه شديد. صَادٍ: ظمآن. ذِيدَ: طرد. فذلك إنسان عطشه شديد، وظماؤه لا يرتوي لأنه طرد عن مصدر ربه ومنع عنه ماؤه العذب الذي يبّل ريقه، وهو لا يتوانى يسعى للحصول عليه ويحوم حوله.
- (٥) و (٦) شاركت ديار ليلى البكاء الشاعر المتألم لفقد الأحبة فانهمرت الدموع وهنا اجتمعت مأساة البشر إلى مأساة الحجر الذي يُحسّ الفراغ، ولذا يتساءل الشاعر =

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو حُبَّ لَيْلَى كَمَا شَكَا
 (١) إِلَى اللَّهِ فَقَدَ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمٌ
 يَتِيمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فَعَظُمَ
 (٢) كَسِيرٌ وَقَدَّ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ
 أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنَّ قَلْبَكَ فَارِغٌ
 وَقَلْبِي مِمَّا قَدْ أَجَنَّ يَهِيمٌ (٣)؟
 إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى أُنِّ لِيذْكُرَهَا
 (٤) كَمَا أَنَّ بَيْنَ الْعَائِدَاتِ سَقِيمٌ
 عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا
 (٥) عَلَى النَّأْيِ فِي طُولِ الزَّمَانِ يَرِيمٌ
 دَعُونِي فَمَا عَنْ رَأْيِكُمْ كَانَ حُبُّهَا
 (٦) وَلَكِنَّهُ حَظٌّ لَهَا وَقَسِيمٌ

= فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَلُومُ؟ فَهَلْ يَلُومُ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْهَوَانِ وَتَبَدَّلَتْ بِهِ الْحَالُ؟ أَمْ يَلُومُ نَفْسَهُ الْبَاكِيةَ الْحَزِينَةَ وَهُوَ يَحْمِلُ أَحْزَانَهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ وَيَهِيمُ فِي الْقَفْرِ؟
 (١) وَ (٢) يَشْكُو الشَّاعِرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُوءَ حَالِهِ الَّتِي جَعَلَتْهَا لَيْلَى أَلَامًا وَأَحْزَانًا كَطِفْلِ يَتِيمٍ فَقَدَ وَالِدَيْهِ، فَلَا سَنْدَ وَلَا مَعِينَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ، وَقَدْ تَخَلَّى عَنْهُ الْأَقَارِبُ وَتَرَكُوهُ عَرِضَةً لِنَهَبِ الزَّمَنِ وَالْأَقْدَارِ وَابْتَعَدُوا عَنْهُ فَذَلَّ، وَهُوَ نَاعِمُ الْبَدَنِ لَمْ يَقْوِ عَظْمَهُ، لَا يَزَالُ طَرِيَّ الْعُودِ، فَقَدَ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمُ الْأَثَرِ فِي النَّفْسِ.
 (٣) يَخَاطِبُ الشَّاعِرُ الْحَيَّ هَلْ حَقًّا أَنَّ قَلْبَكَ خَوَاءٌ لَا حَسَّ فِيهِ وَلَا رُوحَ وَقَلْبِهِ مَلَى هُمُومًا وَأَحْزَانًا وَيَكَادُ الْجَنُونُ يَطْبِقُ عَلَيْهِ، وَقَدْ سَلَبَ عَقْلَهُ وَهُوَ نَائِلٌ لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ.
 (٤) وَذَكَرَ لَيْلَى لِيَجْعَلَ الشَّاعِرُ يَتَأَلَّمُ وَيَتَنُّ أَنْيْنَ الثَّكْلَى الَّتِي فَقَدَتْ عَزِيزًا عَلَيْهَا وَقَدْ أَمَضَّهَا الْحُزْنَ وَهِيَ تَتَلَوَّى أَمَامَ عَائِدِيهَا مِنَ النِّسْوَةِ.
 (٥) رَامَ: مَالَ وَتَحَوَّلَ. الْبُذْنُ: النِّيَاقُ السَّمَانُ. يَتَعَهَّدُ الشَّاعِرُ بِدَفْعِ الدِّيَةِ لِطَالِبِ ثَارٍ مِنَ النِّيَاقِ السَّمَانِ فِي حَالِ تَحَوُّلٍ عَنْ حُبِّهِ أَوْ زَالِ هَذَا الْحُبِّ مِنْ قَلْبِهِ.
 (٦) يَخَاطِبُ الشَّاعِرُ الْمَلَأَ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرَكُوهُ وَشَأْنَهُ، فَهُوَ لَمْ يَسْتَشِرْ أَحَدًا عِنْدَمَا أَحَبَّهَا، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيتَتِهِ وَذَلِكَ قَسَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا.

٢٠١

الزمان الذميم

[الطويل]

- تَعَشَّفْتُ لَيْلَى وَابْتُلَيْتُ بِحُبِّهَا
 وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا فِي الْقِفَارِ أَهِيْمُ^(١)
 وَأَصْبَحْتُ فِيهَا عَاشِقًا وَمَوْلَهَا
 مَضَى الصَّبْرُ عَنِّي وَالْغَرَامُ مُقِيمُ^(٢)
 فَيَا أَبَتِي إِنْ كُنْتَ حَقًّا تُرِيدُنِي
 وَتَرْجُو حَيَاتِي بَيْنَكَ أَقِيمُ^(٣)
 فَجِدْ لِي بَلِيلَى وَاضْطَنِّعْنِي بِقُرْبِهَا
 أَصِيرُ لَهَا زَوْجًا وَأَنْتَ سَلِيمُ^(٤)
 لِلَّيْلَى عَلَى قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ حَاجِزُ
 مُقِيمٌ وَلَكِنَّ اللِّسَانَ عَقِيمُ^(٥)
 فَوَاحِدَةٌ تَبْكِي مِنَ الْهَجْرِ وَالْقَلَى
 وَأُخْرَى تُبْكِي شَجْوَهَا وَتُقِيمُ^(٦)

(١) أحب الشاعر ليلى، وذلك ابتلاء وامتحان، صبر له وعليه حتى هام على وجهه في القفار، فأنس الوحدة والعزلة هرباً من واش ولائم.

(٢) حطّ رجال العشق بساحة الشاعر وتيممه وتخلّى الصبر عنه وحلّ الغرام في قلبه المعذب.

(٣) و (٤) يوجّه الشاعر خطابه لأبيه لا تبخل بي واعمل على الاحتفاظ بحياتي في الديار إلى جانب العشيرة فتكرّم عليّ بليلي واجعلني زوجاً لها أنعم بقربها بلذيد الحياة، وأنت مطمئن البال تعيش بسلام.

(٥) لقد استطاعت ليلى أن تبني سدوداً منيعة على قلبي سدّت عليه المنافذ فلا فكّك له من ذلك، وإنني في الحقيقة عاجز عن كشف ما أعاني به.

(٦) فأحدى عيني تبكي بسبب البعد والهجر والأخرى تبكي بسبب الألم الدائم والحزن المستديم.

- وَتَنهَشُنِي مِنْ حُبِّ لَيْلَى نَوَاهِشُ
 لَهُنَّ حَرِيقٌ فِي الْفُؤَادِ عَظِيمٌ^(١)
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو حُبَّ لَيْلَى كَمَا شَكَا
 إِلَى اللَّهِ فَقَدَ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمٌ^(٢)
 يَتِيمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فَعَظُمَتْهُ
 ضَعِيفٌ وَحُبُّ الْوَالِدَيْنِ قَدِيمٌ^(٣)
 وَإِنَّ زَمَانًا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكَ يَا لَيْلَى فَذَاكَ ذَمِيمٌ^(٤)

٢٠٢

كل المشارب ذميم

[الكامل]

- إِقْرَأْ عَلَى الْوَشْلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ
 كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هَجَرْتَ ذَمِيمٌ^(٥)
 جَبَلٌ يَزِيدُ عَلَى الْجِبَالِ إِذَا بَدَا
 بَيْنَ الذَّرَائِعِ وَالْحُثُومِ مُقِيمٌ^(٦)

- (١) تنهشني: تعضني بشراة أفاعي القلق والخوف تنشب أنيابها في قلبي فتترك فيه اشتعالاً يأكل كل ما فيه من حياة.
 (٢) و (٣) يشكو الشاعر حبَّ ليلَى وما جره عليه من مأس وأحزان وويلات كيتيم فقد والديه، وفقد بهما الأمان والعون والسند. وتخلَّى عنه الأقرباء لفقره وحاجته إليهم ليقوم أوده، لذا فعظمه لا يقوى على حمله لتهافته وضعفه، فحاجته إليهما عظيمة.
 (٤) يخاطب الشاعر ليلَى ناعياً على الزمان عمله على التفريق بينهما لذا فهو مذموم بسبب ذلك.
 (٥) الوشل: جبل عظيم بناحية تهامة. المشارب، واحدها مشرب: مورد الماء. بلغ سلامي لجبل الوشل وأخبره أن ماء ما عادت صالحة للشرب منذ هجرت ليلَى ربوعك، بل أصبحت ذميمة.
 (٦) الذرائع والحثوم: موضعان. إنه جبل فاق الجبال روعة وجمالاً إذا اشربَّ بعلوه بين الذرائع والحثوم.

- تَسْرِي الصُّبَا فَتَبِيْتُ فِي الْوَادِي
 وَيَبِيْتُ فِيهِ مَعَ الشَّمَالِ نَسِيمٌ^(١)
 سَقِيًّا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى
 وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ^(٢)
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ مَنَعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ
 مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَبِيْتُ لَثِيمٌ^(٣)

٢٠٣

أَنْتِ السَّبَبُ

[الطويل]

- وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ السُّرَى
 وَجُونَ الْقُطَا بِالْجِلْهَتَيْنِ جُثُومٌ^(٤)
 وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَرَاةً
 وَرَفَرَقْتَ دَمْعَ الْعَيْنِ فَهِيَ سُجُومٌ^(٥)
 وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ
 بَعِيدُ الرِّضَى دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمٌ^(٦)

- (١) الألواذ، واحده لوذ: جانب الجبل. تنسم الصبا في مسراها الرقيق الهادئ الناعم فتحط في جنباته وتغفو نسائم الشمال الناعمة في أرجائه.
 (٢) يدعو الشاعر الله أن يُديم على الجبل الظل الظليل في إطلالة المساء وإشراق الفجر، ويتمنى له استمرار مائه العذب البارد الوافر في الأيام الحارة.
 (٣) ليس باستطاعتي منع مائك من التفجر، ولو قدرت على ذلك ما استطاع لثيم احتفار حفرة فيك ليسترقد ماءك.
 (٤) و (٥) دلج السرى: المشي ليلاً. جون: أسود. القطا: ضرب من الحمام.
 الجلهتان: موضع. جثوم: قعود. يخاطب الشاعر حبيبته عن سبب معاناته فهي جعلته يهيم في الليل على وجهه باحثاً عن شيء ما، فهو تارة يعاني سرى الليل في الجلهتين، وفي عتمة تستسلم طيور القطا لنوم خالٍ من الهموم، وهي التي مزقت أحشاءه إرباً وجعلت دموعي تنهمر ولا تتوقف.
 (٦) ويرى أنها سبب نقمة قومه عليه، فكلهم يُنكر عليه أفعاله، ولهذا فهو يرى وجوهاً ملأها الغيظ عبوساً وكدر رضاها.

وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
 وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ^(١)
 وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي
 لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمُ^(٢)
 فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا
 بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومُ^(٣)

٢٠٤

قد أفاق العاشقون

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِماً
 بِلَيْلَى وَلَيْدَا لَمْ تَقْطَعْ تَمَائِمُهُ^(٤)
 أَفِئْتُ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ أَنَى
 لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تَلْقَى طَبِيباً ثَلَاثِمُهُ^(٥)
 فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ الْعَزَاءِ كَأَنَّمَا
 تَرَى نَأْيَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهُ^(٦)

- (١) لا زال الشاعر يلوم حبيبته؛ فهي تعد وتُخلف الوعد، بل حملت الأعداء على الشماتة به والسخرية منه، وهم في الأصل بين لائم وعازل على حبي لك.
- (٢) وهي التي فضحته على مشهد من الناس ثم تخلت عنه غرضاً يُرمى فيوجهون نحوه سهام سخريتهم وشماتتهم، بينما لم يصيبها سوء ما فعلته.
- (٣) ولهذا فلو أن الكلام يترك أثراً في الأبدان لما وجدت مكاناً لم يُصب بسموم سهام الوشاة والعُزَال.
- (٤) لَجَّ في الأمر: تمادى في الطلب. التمايم، واحدتها تميمة: التعاويذ. يُخاطب الشاعر قلبه الذي يستمسك بليلَى ويُلَحَّ بعناد على ذلك منذ صغره، ولا يزال يحتفظ بتمائم.
- (٥) يطلب الشاعر من قلبه أن ينهض من كبوة الحب، فقد حان له أن يعثر على طبيب مداوٍ لديه الدواء الشافي ليتخلص من دفع ضريبة الحب.
- (٦) ويوجه الشاعر اللوم إلى قلبه الرقيق، إنه مسلوب الإرادة والعزاء بعيد المنال، ما =

أَجْدَكَ لَا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةً
تُلِمُّ وَلَا عَهْدٌ طُولُ تَقَادُؤْمُهُ^(١)

٢٠٥

إِيْمَاءَة

[الطويل]

فَلَوْ زُرْتُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ رَأَيْتُهَا
بِأَبْوَابِهِ حَيْثُ اسْتَجَارَتْ حَمَامُهَا^(٢)
لَمَسْتُ ثِيَابِي إِنْ قَدِرْتُ ثِيَابَهَا
وَلَمْ يَنْهَنِي عَنْ مَسِّهِنَّ حَرَامُهَا^(٣)
وَلَوْ شَهِدْتُني حِينَ تَحْضُرُ مِيتَتِي
جَلَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَنِّي كَلَامُهَا^(٤)
كَذَلِكَ مَا كَانَ الْمُحِبُّونَ قَبْلَنَا
إِذَا مَاتَ مَوْتَاهَا تَزَاوَرَ هَامُهَا^(٥)

= بك تلوم نفسك على هجر ليلى لك وكأنك أنت سبب نكبتك وعليك دفع غرامة مادية غالية الثمن، بكاء وعذاباً وغربة.

(١) أَجْدَكَ: ما بك. الملمة: الكارثة. ويوجه الشاعر لومه لقلبه أنه لم يتأثر لما أصابه من مصائب ونزل به من محن من جزاء حبه ليلى وهو لا يزال مستمسكاً بحبه رغم تقادم العهد ومرور الأيام.

(٢) فلو كنت زائراً بيت الله الحرام ورأيتها ببابه وهناك تستجير الحمام بصاحب البيت ليصونها ويرعاها.

(٣) حَرَامُهَا: أثواب الإحرام في الحج أو العمرة. ولشدة شوق الشاعر لحبيبته يستبيح لنفسه، وهو في مكان مناجاة واستغفار، أن يلامس ثوبه ثوب ليلى، ولم يتهيب هذا الموقف العظيم رغم أنها في ثوب الإحرام الطاهر.

(٤) كلام ليلى له وقع السحر على الشاعر، فلو حضرت سكرات الموت حيث المعاناة والاستغفار ساعة مميته لحال كلامها العذب دون الإحساس بعذاب الموت.

(٥) تلك حال المحبين عبر الزمن، فمنذ كان الحب كان تزاور الأحياء فأرواحهم ترفرف على قبورهم هياماً وشوقاً.

فِيَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعاً فَإِنْ نُمْتُ
 تُجَاوِرُ فِي الْهَلَكَى عِظَامِي عِظَامُهَا^(١)
 وَفِي الظُّعْنِ بَيُضَاءُ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ
 مُنْعَمَةٌ يَسْبِي الْحَلِيمَ ابْتِسَامُهَا^(٢)
 إِذَا سُمْتُهَا التَّقْبِيلَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ
 صُدُودَ شَمُوسِ الْخَيْلِ صَلَّ لِجَامُهَا^(٣)
 وَعَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِهَا ثُمَّ أَوْمَأَتْ:
 أَخَافُ عُيُوناً أَنْ تَهْبَ نِيَامُهَا^(٤)

٢٠٦

إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ

[الطويل]

أَلَا تِلْكَ لَيْلَى قَدْ أَلَمَ لِمَامُهَا
 وَكَيْفَ مَعَ الْقَوْمِ الْأَعَادِي كَلَامُهَا^(٥)؟

- (١) يتمنى الشاعر العيش إلى جانب حبيبته وحتى في حال الموت يود أن تتجاوز عظامهما لينعم بالقرب منها في حالتي الحياة والموت.
- (٢) والحبوبة تبدو ساعة رحيلها بيضاء الأسنان منبسطة الأسارير تعلوها ابتسامة طفولية بريئة جذابة تستولي على الرجل العاقل الرزين فتستعبده وتستولي عليه بلطفة مظهرها.
- (٣) و (٤) سمتها التقبيل: حاولت تقبيلها. الشموس: الجموح. صَلَّ: صرصر صوتاً كالصليل. فلو قصد الشاعر تقبيل حبيبته لصدته وازورت عنه كأنها فرس جموح لم تُروض وصهلت مُغضبة وأسمعت صليل لجامها. وعضت إبهامها مشيرة أنها تحذر عيوناً نائمة سرعان ما تنتبه لأول سانحة، فتلوك الألسنة السيئة سمعتها.
- (٥) إنها ليلى، فلما تزار لِمَاماً بين الأحيان، ولا مجال لحديث يكشف ما يعانيه الأحبة؛ فالأعداء يتربصون بهما لينقلوا الأحاديث ويتقوّلوا الأقاويل.

تَمَتَّعْ بِلَيْلَى إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ
 مِنَ الْهَامِ يَدْنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمَامُهَا^(١)
 وَبَادِرُ بِلَيْلَى أَوْبَةُ الرِّكْبِ إِنَّهُمْ
 مَتَى يَرْجِعُوا يَحْرُمُ عَلَيْكَ لِمَامُهَا^(٢)
 تَزَوَّدْتُ مِنْ لَيْلَى بِتَكْلِيمِ سَاعَةٍ
 فَمَا زَادَ إِلَّا ضَعْفَ مَا بِي كَلَامُهَا^(٣)

٢٠٧

وَأَقْتُلْ دَاءَ الْعَاشِقِينَ قَدِيمُهَا

[الطويل]

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيَا
 سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا^(٤)

- (١) يطلب الشاعر من نفسه أن يجد سبيلاً ليتمتع بليلي؛ فالموت على الأبواب، ولا بدّ منه، وإن لم يغتنم المرء لحظات السعادة فقد فاتته الحياة وتركته خطاماً.
- (٢) بادر: أسرع. لمامها: الاجتماع بها. الحياة فرص، يخاطب الشاعر نفسه حاثاً إيّاها لتنتهز فرصة غياب العذال وأقاربها ويجتمع بها، وربما كان هذا آخر اجتماع يحصل بينهما، فبرجوع القوم يحرم عليه لقاءها ورؤيتها.
- (٣) ورد البيت في شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٢: ٤٨١، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ٢٨٢، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١: ١٦١، الدرر اللوامع ١: ١٤٣، ١٩٥، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢: ٥٧، تُعاني أذن الشاعر جوعاً لسماع حديث لبلى، فقد تزوّدت ساعة من لزيد ما يجعله يتألم لفقدته سماع صوتها، فزاد ذلك أسى في نفسه، وفاض لديه العناء.
- (٤) ورد البيت في: المغني اللبيب وشرح شواهد، للسيوطي ٢٠: (٢٢)، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ١٥٢، الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١: ١٧٠/٣٤، الحماسة الشجرية: ١٦٨، الحماسة البصرية ٢: ٩٦. يخاطب الشاعر جبلي نعمان طالباً منهما أن يسمحا لريح الصبا بالمرور عبرهما حتى يتنسّم ريح الحبيبة فينتعش.

أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً
 عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا^(١)
 فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتُ
 عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا^(٢)
 لِيَالِي أَهْلُونَا بِنَعْمَانَ جِيرَةٍ
 وَإِذْ نَحْنُ نُرْضِيهَا بِدَارٍ نُقِيمُهَا^(٣)
 وَيَا رِيحُ مُرِّي بِالْدِّيَارِ فَخَبِّرِي
 أَبَاقِيَّةً أَمْ قَدْ تَعَفَّتْ رُسُومُهَا^(٤)؟
 أَلَا إِنَّ أَدْوَائِي بِلَيْلَى قَدِيمَةٍ
 وَأَقْتُلُ دَاءَ الْعَاشِقِينَ قَدِيمُهَا^(٥)
 تَذَكَّرْتُ وَضَلَ النَّاعِجِيَّاتِ بِالضُّحَى
 وَلَذَّةَ عَيْشٍ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهَا^(٦)

- (١) الصميم: الأصل . وإذا ما هبت الريح كان بردها سلاماً لقلبه وروحه ويخمد جوى قلبه وتنطفئ حرارة كبده التي كاد الأسى يقضي عليها ولم يبق منها سوى أصلها .
 (٢) من حسنات تلك الرياح إذا هبت كانت لروح المحزون دواءً، يزيح عن كاهله همومه وأحزانه، فيتجدد فيه دفق حياة جديدة .
 (٣) من حسنات تلك النسائم أنها تعيدنا إلى ماضٍ سعيد يوم كُنَّا ننعيم بدفء الحياة ورغد العيش بنعمان بالقرب من جيرة محببة إلى النفس يومها كان يمسخ الزمن العيش برضى النفس في دار تجمعنا .
 (٤) يطلب الشاعر من الريح المرور بالأرض، أرض الذكريات والسعادة، وأن تخبره عن مآلها وحالها، فهل لا تزال على ما كانت عليه من رواء وظلٍّ ومطر أم قست عليها الطبيعة فحوّلتها إلى يباب وخراب فعفت رسومها؟
 (٥) يكشف الشاعر عن سبب طلبه، فثمة حبٍّ قديم لا ينام، حيٌّ في الذاكرة والوجدان؛ إنه حبه لليلى . وما يقتل العشاق ما كان حباً قديماً لم تستطع السنون على محوه من الذاكرة .
 (٦) الناعجيات: البيض من النسوة . إنه الفجر تنشق عنه شمس فتذكر الشاعر النسوة =

وَأَنْتِ الَّتِي هَيَّجْتَ عَيْنِي بِالْبُكَ
 فَأَسْجَمَ غَرْبَاهَا فَطَالَ سُجُومُهَا^(١)
 وَقَدْ قَذَيْتُ عَيْنِي بِلَيْلَى وَأَتَّبَعْتُ
 قَذَاهَا وَقَدْ يَأْتِي عَلَى الْعَيْنِ شُومُهَا^(٢)
 خَلِيلِي، فُومًا بِالْعِصَابَةِ فَاغْصَبَا
 عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَمِيمُهَا^(٣)

٢٠٨

زينة الدنيا

[الطويل]

أَلَا حَبَّذَا يَوْمٌ يَقَرُّ بِهِ الصَّبَا
 لَنَا وَعَشِيَّاتٌ تَجَلَّتْ غُيُومُهَا^(٤)
 بِنَعْمَانَ إِذْ أَهْلِي بِنَعْمَانَ جِيرَةً
 لِيَالِي لَا تُرْضَى بِلَادُ نَقِيمُهَا^(٥)

= البيض، ولذة العيش في تلك الديار، ويا للأسف فقد مضى كل شيء، ولم يبق من طيف الماضي سوى ذكريات باهتة.

(١) أسجم: انهمر. الغرب: عرق في العين. سجومها: انسكابها. يخاطب الشاعر حبيبته أنها نجحت بجعله يبكي، فانهمرت الدموع من عرق عينه، فطال انسكابها بلا توقف.
 (٢) القذى: ما يُزعج العين مما يدخل فيها. شومها: نقطة سوداء تبدو في الجلد. إن ليلي سبب دموعه في عينه وقذاها، ولم تكتف بما حدث بل قد تؤدي إلى عماها إذا غطت البؤبؤ منها غشاوة سوداء.

(٣) عصب: شد العصابة، الرميم: البقايا البالية. يخاطب الشاعر خليليه، على طريقة شعراء الجاهلية، أن يعمل على الإمساك بما بقي من حاله كإنسان يتمتع بما يتمتع به البشر المعافون الأسوياء، فثمة كبد لديه تفتت ولم يبق منها سوى شكل بالٍ يريد أن يتهاوى وتقويته تتطلب جمعه بعصابة.

(٤) و (٥) يعود الشاعر بذاكرته إلى ماضٍ سعيد إلى يوم هبت فيه ريح الصبا اللطيفة، حيث عشيّات واضحة الضياء، حيث لا غيم ولا حرارة مرتفعة بنعمان، فيحلو =

- أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِّيا
 نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا^(١)
 أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً
 عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَوِيمُهَا^(٢)
 فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمتْ
 عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا^(٣)
 تَذَكَّرْتُ مِنْهَا بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
 لَذَاذَةً دُنْيَا قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهَا^(٤)
 أَتَعَذِّرُ لَيْلَى مَا لِعَيْرِي بِلَوْمِهَا؟
 وَلَيْلَى فِدَى نَفْسِي الَّتِي لَا أَلُومُهَا^(٥)
 أَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَنَالُهَا
 مُنَايَ وَلَا يَبْدُو لِقَلْبِي صَرِيمُهَا^(٦)
 بِعَيْنِي قَذَاةٌ مِنْ هَوَاكِ لَوْ أَنَّهَا
 تُدَاوِي بِمَنْ تَهْوَى لَسَحَّ سَقِيمُهَا^(٧)

= السمر والشمل مجتمع، كل الجيرة في تواذ وتحاب، وتلك الليالي تمضي سراعاً ولا تقام في بلاد غير بلادنا.

(١) و (٢) يخاطب الشاعر جبلي نعمان متمنياً عليهما، مستعيناً بالله تعالى، أن يسمحا لنسيم الصبا الذي مرّ عليهما أن يأتيه، فيستروح ريحها فتنتعش روحه، أو تشفى روحه ويبرد كبده الذي لم يبق منه سوى هيكله الأصلي.

(٣) وريح الصبا ريح لطيف ودود في حال هبوبها كشفت عن المحزون همّه وجلت نفسه فانشرح.

(٤) ذلك حملني على تذكر تلك الأمسيات الممتعة الجميلة، والضحي الباسم الضاحك، يومئذ كنت أحسّ جمال الحياة ونعيمها.

(٥) يتساءل الشاعر هل تعذر ليلي أحداً إذا لامها، بينما لا يلومها وهو مستعد للتضحية بنفسه فإنه لا يلومها.

(٦) و (٧) الصريم: الصبح لانقطاعه عن الليل. يخاطب الشاعر حبيبته فهي أمله في =

وما صَبَرْتُ عَنْ ذِكْرِكَ النَّفْسُ سَاعَةً
 وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَاناً كَثِيراً أَلَوْمُهَا^(١)
 عَلَيَّ نَذُورُ يَوْمٍ زُرْتُكَ خَالِياً
 لَيْالٍ وَأَيَّامٍ كَثِيراً أَصُومُهَا^(٢)
 وَإِنِّي لَمَجْلُوبٌ إِلَى الشَّوْقِ كُلَّمَا
 بَدَا لِي مِنْ أَعْلَامٍ لَيْلَى رُسُومُهَا^(٣)

٢٠٩

في البعد جفاء

[الطويل]

أَحِنُّ إِلَى لَيْلَى وَأَخْسَبُ أَنَّنِي
 كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى، وَغَيْرِي كَرِيمُهَا^(٤)
 فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ تَرْكاً لَبَيْتِهَا
 وَفِي النَّفْسِ مِنْ لَيْلَى قَدْى لَا يَرِيمُهَا^(٥)

= هذه الحياة وضياء بهجته الذي لم ينله منه شيء، والفجر عادة ما يحمل جديداً ولكنه لا يحمل لقلبه بضيء أمل. ولقد أصاب عيني الشاعر قذاة من الحب فابتلي بهواها، ولو وقع نظره على من أحب لزال عنه المرض وشفني وانعدم سقم نفسه، لذا فهي سرّ مرضه بهجرها وسرّ شفائه بوجودها إلى جانبه.
 (١) ونفس الشاعر لجوج انعدم فيها الصبر ولو لساعة، ولذا فلومه إياها دائم لا انقطاع فيه.

(٢) كان من عادة الشاعر أن ينذر الصوم أياماً عديدة إذا أمكنه زيارة حبيبته.
 (٣) إن كل ما يدل على ليلي من الأشياء التي اختصت بها أو معالم الطبيعة التي وقعت عينها عليه له سحر جذاب يشد الشاعر إليه لأنه يذكره بحبيبته.
 (٤) شوق الشاعر إلى ليلي يشده إليها بقوة، وهو يحسب أنه عزيز كريم عليها، ولكن الحقيقة خلاف ذلك فغيري مفضل عندها كريم عليها.
 (٥) لا يريمها: لا يتركها. تتنازع الشاعر نوازع مختلفة؛ فهو تارة يرغب في التخلي عنها وتركها، ولكن في نفسه جوّ منها لا يغادرها.

لئن آثرت بالوُدَّ أَهْلَ بِلَادِهَا
 عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا تَلُومُهَا^(١)
 وَمَا يَسْتَوِي مَنْ لَا يُرَى غَيْرَ لَمَّةٍ
 وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيْمُهَا^(٢)

٢١٠

هي الموت والحياة

[الطويل]

أَمُوتُ إِذَا شَطَّطْتُ وَأَخِيَا إِذَا دَنَنْتُ
 وَتَبَعْتُ أَحْزَانِي الصَّبَا وَنَسِيْمُهَا^(٣)
 فَمِنْ أَجْلِ لَيْلَى تُوَلِّعُ الْعَيْنُ بِالْبُكََا
 وَتَأْوِي إِلَى نَفْسٍ كَثِيرٍ هُمُومُهَا^(٤)
 كَأَنَّ الْحَشَا مِنْ تَحْتِهِ عَلِقَتْ بِهِ
 يَدَ ذَاتِ أَظْفَارٍ فَتَدْمِي كُلُّومُهَا^(٥)

- (١) من طبيعة العربي أن يؤثر بالحب أهل عشيرته، ولذا فلا غرابة أن تفضل ليلى أهل عشيرتها على نازح عن أرضها.
- (٢) لمة: يأتي مرة ويغيب. ثاو: مقيم. لا يريمها: لا يفارقها. وثمة فارق عظيم بين من يتردد نادراً فيأتي زائراً مرة في كل موسم ثم يفتر عن الزيارة وبين مقيم لا ينقطع عن رؤية المحبوب على الدوام.
- (٣) شططت: بعدت. الشاعر تتردد فيه الروح، فإذا بعدت ليلى يحس بأنه فارق الحياة، وإذا اقتربت منه يحس بدفق الحياة وعودة الروح إليه. وتجدد أحزاني الريح الشرقية اللطيفة إذا نسمت لأنها تذكرني بمحبوتي التي تمرّ عليها.
- (٤) و (٥) ثمة سبب وجيه يحمل العين على انهمار الدموع لدى الشاعر تذكره حبيبته، حتى أصبحت لغة الدموع محببة إليها. وليلى مدعاة لتداعي الهموم ونزولها في نفسه كلما تذكرها. وكأن يد وحش تنشب أظفارها في أحشائه وتشد بكل ما أوتيت من قوة حتى تدمي جراحها.

٢١١

عناد

[الطويل]

وإني على لَيْلى لَزَارٍ وإني
على ذاك فيما بَيْنَنَا مُسْتَدِيمُهَا^(١)

٢١٢

صحوة

[الطويل]

عَلِقْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ
فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلْوْمُهَا^(٢)

٢١٣

مناجاة القبر

[الطويل]

أَيَا قَبْرَ لَيْلى لَوْ شَهِدْنَاكَ أَغَوَلْتُ
عَلَيْكَ نِسَاءً مِنْ فَصِيحٍ وَمِنْ عَجَمٍ^(٣)
وَيَا قَبْرَ لَيْلى أَكْرَمَنْ مَحَلَّهَا
يَكُنْ لَكَ مَا عِشْنَا عَلَيْنَا بِهَا نَعَمُ^(٤)
وَيَا قَبْرَ لَيْلى إِنَّ لَيْلى غَرِيبَةٌ
بِأَرْضِكَ لَا خَالَ لَدَيْهَا وَلَا ابْنَ عَمٍ^(٥)

- (١) يصرّ الشاعر على إدامة تردده على ديار ليلي وزيارتها بحيث لا ينقطع على الدوام.
(٢) يبدو أن الشاعر يعاني حالة من الندم؛ فقد عشي بصره ولم يعد يرى عندما وقع أسير حب ليلي، ولكن ما إن انجلت تلك الغشاوة حتى راح يلوم نفسه على ما فعل لما يُقاسيه من آلام وعذاب في ذلك الحب.
(٣) تنامت إلى مسامع الشاعر أخبار مفادها أن ليلي اختارها الرفيق الأعلى إلى جواره، فراح الشاعر يخاطب قبرها أنه لو شهد جنازتها لانتحبت عليه أنواع من البشر، منهم العرب والعجم لفقد من سمت نفس الشاعر إليها.
(٤) و (٥) ويطلب الشاعر من القبر أن يُكرم نُزلها ولقاء ذلك فله أفضال وبركات من =

- ويا قَبْرَ لَيْلَى مَا تَضَمَّنْتَ قَبْلَهَا
 شَبِيهَا لَلَيْلَى ذَا عَفَافٍ وَذَا كَرَمٍ^(١)
 ويا قَبْرَ لَيْلَى غَابَتْ الْيَوْمَ أُمُّهَا
 وَخَالَتُهَا وَالْحَافِظُونَ لَهَا الذَّمَّ^(٢)

٢١٤

حديث العين

[الطويل]

- أَشَارَتْ بِعَيْنَيْهَا مَخَافَةَ أَهْلِهَا
 إِشَارَةً مَحْزُونٍ بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ^(٣)
 فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً
 وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمَتِّيمِ^(٤)

٢١٥

بين عروة وقيس

[الوافر]

- عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ الْعُذْرِيِّ أَمْسَى
 أَحَادِيثاً لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ^(٥)

= قبله . ذلك أن ليلى بعدت عن الوطن في أرض الغربة حيث لا خال لديها ولا ابن عم سيقوم بواجب العزاء .

(١) ويخاطب القبر أنه ضمَّ أجمل النساء وأعفهن وأكرمهن ، فلا شبيه لها في بنات جنسها .

(٢) ويخاطب القبر أن في أحضانه غريبة تركها وغاب عنها الحافظون للود والصحة ، فلا أم ولا خالة ولا حافظون لذمم .

(٣) و (٤) يصف الشاعر لقاء صامتاً عنه غابت الكلمة وحلت محله الإشارة ، فقد استبدلت ليلى النطق بنظرة من عينيها ، وذلك حذراً ومخافة من أن يكشف ذووها أمرها ، وفي عينيها حزن ظاهر ، ولكن الشاعر ترجم ذلك بأن طرّفها مرحّب به كلّ الترحاب ، فهو حبيب متيم بمن يحب .

(٥) هو : عروة بن حزام بن مهاجر الضني ، من بني عذرة : شاعر ، من متيمي العرب . =

وَعُرْوَةُ مَاتَ مَوْتاً مُسْتَرِيحاً
(١) وَهَذَا أَتَذَا أَمَوْتُ بِكُلِّ يَوْمٍ

٢١٦

دلال غانية

[الكامل]

وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا
(٢) لَوْبَاعَ مَجْلِسِهَا بِفَقْدِ حَمِيمٍ
مِنْ مُحَدِّثَاتِ أَخِي الْهَوَى غُصَصَ الْجَوَى
(٣) بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُثْقَلَةِ رِيمٍ
صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا
(٤) تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ

= كان يحب ابنة عم له اسمها «عفراء» نشأ معها في بيت واحد، . . . ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهرأ لا قدرة له عليه . . . ومات نحو ٣٠هـ = نحو ٦٥٠م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٣٧، مصارع العشاق: ١٣٢. ولقد صار ذكر عروة على كل لسان وطار في الآفاق، وتتوالى الأجيال، جيلاً بعد جيل، وذكره لا يزال حياً مع أنه قضى منذ زمن بعيد.

(١) كان الموت بالنسبة لعروة راحة من عذاب الحب، ولا يزال الشاعر يعانيه يوماً بعد يوم، ولم يعرف للراحة طعماً.

(٢) و (٣) يتمنى الشاعر حبيبة تنشر أطراف السعادة على قلب من تحب بحديث عذب كأنه الماء الزلال؛ ففي هذه الحالة يبغي جلسها لو يشير بها بفقد عزيز على قلبه. فتلك يفتتن بها أخو الهوى بما أوتيت من لباقة وفن أحاديث الحب وألوانها فيتجرع غصص الهوى دلالاً وفتنة وجمالاً ورقة من عينها الساحرتين كعيني طيبة.

(٤) ورد البيت في لسان العرب ٨: ١٢٣ مادة (ردع) « . . . وقد رُدِعَ من مرضه . الرُدَاعُ: كالرُدْع، والرُدَاع: الوجع في الجسد أجمع؛ قال قيس بن معاذ مجنون بني عامر: . . . ترك الحياة . . . » ورد «الحياة» بدلاً من «الحياة» ورواية اللسان أكثر انسجاماً لمعنى البيت ممّا ورد في الديوان. والجواء: الوادي. هي صفراء شبيهة بقر الوادي الوحشي لم تعد رؤية الغرباء، وهي لما عليه من حياء وخفر كأن بها بقايا مرض لا يزال يعاودها بين الحين والآخر.

٢١٧

حرام عليّ صيد الظباء

[الكامل]

- راحوا يصيدون الظباء وإنني
 لأرى تَصَيُّدَهَا عَلَيَّ حَرَاماً^(١)
 أَشْبَهَنَ مِنْكَ سَوَالِفاً وَمَدَامِعاً
 فَأَرَى عَلَيَّ لَهَا بِذَاكَ ذِمَاماً^(٢)
 أَغْزَرَ عَلَيَّ بِأَنْ أُرَوِّعَ شِبْهَهَا
 أَوْ أَنْ يَذُقْنَ عَلَى يَدَيَّ حِمَاماً^(٣)

٢١٨

زيارة ليلي من مناسك الحج

[الوافر]

- إِذَا الْحُجَّاجُ لَمْ يَقِفُوا بِلَيْلى
 فَلَسْتُ أَرَى لِحَجَّجِهِمْ تَمَاماً^(٤)
 تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا
 عَلَى لَيْلى وَتُقْرِئَهَا السَّلَاماً^(٥)

(١) و (٢) يختلف فهم الشاعر عن فهم الصيادين للظباء، فهم يرون في ذلك رياضة ونفعاً مادياً، بينما يحرم الشاعر على نفسه صيدها لا لأنها محرمة شرعاً بل لأنها تُشبه من أحبب؛ فالسؤال والعيون والمدامع متشابهة لدى كل منهما؛ إضافة إلى أن عهداً قطعها الشاعر على نفسه وذمة، فهي ترعى في حماه، فلا يمكن أن ينتهك زمامها.

(٣) ويرى الشاعر أنه يصعب عليه أن يشير شبيهه حبيبته ويرعبها أو أن يرسل إليها سهماً قاتلة تُؤذي بها على يديه إلى موت شنيع.

(٤) و (٥) يرى الشاعر أن وقوف الحجاج بباب ليلي ركن هام، وإلا يعتبر حجهم مبتوراً لا بدّ لهم أن يتموه بوقوف مطاياهم حيث هي ويهدوها سلاماً من حبيب مشوق قد أضناه الهجر.

٢١٩

اللوم الظالم

[الطويل]

تَعُودُ مَرِيضاً أَسْقَمَتْهُ بِهِجْرَهَا
 وَلَوْ عَاوَدَتْهُ عَادَ لَا يَعْرِفُ السُّقْمَا ^(١)
 لَقَدْ أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ نَاراً مِنَ الْجَوَى
 فَمَا تَرَكَتْ عَظْماً وَلَا تَرَكَتْ لَحْماً ^(٢)
 وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِهَا وَصُدُودِهَا
 وَمَا حَلَّ بِي مِنْهَا أَرَى حُبَّهَا حَتْماً ^(٣)
 خَلِيلِي، كُفَّا لَا تَلُومَا مُتَيِّماً
 وَلَا تَفْتُلَا صَبّاً بِلُومِكُمَا ظُلْماً ^(٤)

٢٢٠

رسولي غراب

[الطويل]

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ إِنْ كُنْتَ هَابِطاً
 بِلَادِ اللَّيْلِ فَالْتَمِسْ أَنْ تَكَلِّمَ ^(٥)

- (١) و (٢) عاد المريض: زاره. السقم: المرض الشديد. من كرم أخلاق ليلى أنها أتت تزور مريضاً أسقمته بهجرتها، ولو عاودت زيارته لبرئ من مرضه وما عاد يعرف المرض. وقد أشعلت في قلبه نار الحب ولم تترك شيئاً لديه يدل على الحياة، فلا عظماً تركت ولا لحماً.
- (٣) يبدو الشاعر قدرياً مستسلماً لمصيره، فرغم هجرانها وصدودها فإنه يرى حبها لا مفر منه، حتمي كما هي الحياة والموت.
- (٤) يخاطب الشاعر صاحبيه، على طريقة شعراء الجاهلية، طالباً منهما ألا يلوماه، فهو محبٌ مُفتتن بحب عمره، وألا يقتلا عميداً بحب غيداء بلومهما، وذلك أبشع الظلم.
- (٥) يخاطب الشاعر غراب البين والشؤم والفراق، طالباً منه في حال نزل وخط بلاد ليلى أن يخبرها.

وَبَلَغْ تَحِيَّاتِي إِلَيْهَا وَصَبُّوتِي
وَكُنْ بَعْدَهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَعْجَمًا^(١)

٢٢١

الحبّ الطاهر

[الطويل]

خَلِيلِي، هَذَا الرَّبْعُ أَعْلَمُ آيَهُ
فَبِاللَّهِ عُوجًا سَاعَةً ثُمَّ سَلَّمَ^(٢)
أَلَمْ تَعْلَمَ أَنِّي بَذَلْتُ مَوَدَّتِي
لِلْيَلَى وَأَنَّ الْحَبْلَ مِنْهَا تَصَرَّمًا^(٣)
سَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ لَمَّا قَضَيْتُمَا
بِعَدْلٍ فَقَدْ وُلِّيتُمَا الْحُكْمَ فَاحْكُمَا^(٤)
بِجُودِي عَلَى لَيْلَى بِوُدِّي وَبُخْلِهَا
عَلَيَّ سَلَاهَا: أَيُّنَا كَانَ أَظْلَمًا^(٥)
أَحْنُ إِلَيْهَا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
كَحَبِّ النَّصَارَى قُدْسَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ^(٦)

(١) وبلغها تحياته وأشواقه إليها. وأن يلتزم الصمت بعد ذلك وكأنه أخرس أعجم لا يحسن النطق.

(٢) و (٣) يخاطب الشاعر صاحبيه أنهما أدركا ربع حبيبته، وهو خبير به وبمعالمه، ويُقسم عليهما أن يعرجا عليه ويسلما ولو لساعة؛ فقلبه لا زال مُفْعَمًا بحب ليلَى يقدم كل شيء بلا حساب، وأنها هجرت الشاعر وقطعت حبل المودة بينهما.

(٤) و (٥) يستحلف الشاعر صاحبيه بالله تعالى أن يتوليا محاكمة الظالم وينتصفا للمظلوم، ويحكمما بالإنصاف؛ فهو كريم ولم ييخل بحبه لها بينما هي بخيلة بوّدها عليه. وللحكم العدل يطلب منهما تحديد الظالم ليقْتَصَ منه.

(٦) حب الشاعر يتجدّد وحنينه يجرفه إليها، مع إشراقه كل صباح؛ فحبه كحبّ النصارى قدس عيسى ابن مريم عليهما السلام.

فوالله ثم الله إني لصديق
 غدت مدي قلبي أجل وأعظمًا^(١)
 كلامك أشهى فأعلمي لو أناله
 إلى النفس من برد الشراب على الظما^(٢)
 ووالله ما أحببت حبك فأعلمي
 لنكر ولا أحببت حبك مائما^(٣)
 لقد أكثر اللوام فيك ملامتي
 وكانوا لما أبدوا من اللوم ألوما^(٤)
 وقد أرسلت لي رسلها
 بأن آتينا سرا إذا الليل أظلم^(٥)
 فجئت على خوف وكنت معوذا
 أحاذر أبقا عداة ونوما^(٦)

(١) يوجه الشاعر خطابه لليلي، بعد أن أقسم يمينا عظيمة ومغلظة على صدق مدعاه من أنها تمكنت من قلبه فحلت في أرفع مكان وأصبحت أجل شأنا وأعظم قدرا.

(٢) وكلام حبيبة الشاعر حلو المذاق، لو تعلم، لو حصل عليه لكان أشهى إلى نفسه من بارد الشراب في يوم حار شديد الحر، وقد اشتد به الظما.

(٣) يقسم الشاعر بالله عز وجل أنه أخلص لها الحب لا تشوبه شائبة ولا تعكره غاية مائم، فلتعلم ذلك.

(٤) الحق أن اللائمين أفرطوا في لومي على حبك، ولم يُراعوا حرمة، حتى استحقوا اللوم العنيف على لومهم لي.

(٥) و (٦) يصف الشاعر لقاء بينه وبين حبيبته، فقد أرسلت إليه رسولها لزيارتها إذا حلّ الليل وأسدل الظلام سدوله على الكون، وذلك أستر، وكان أن أتى الشاعر، والخوف يحمله على الحذر، وهو يستعيز بالله تعالى لئلا يوقظ الأعداء والنوم.

فَبِتُّ وَبَاتَتْ لَمْ نَهُمَّ بِرَيْبَةٍ
 وَلَمْ نَجْتَرِحْ يَا صَاحِ، وَاللَّهِ مَحْرَمًا^(١)
 وَكَيْفَ أَعَزِّي الْقَلْبَ عَنْهَا تَجَلُّدًا
 وَقَدْ أَوْرَثْتُ فِي الْقَلْبِ دَاءً مُكْتَمًا^(٢)!
 فَلَوْ أَنَّهَا تَدْعُو الْحَمَامَ أَجَابَهَا
 وَلَوْ كَلَّمْتُ مَيْتًا إِذَا لَتَكَلَّمَا^(٣)
 وَلَوْ مَسَحَتْ بِالْكَفِّ أَعْمَى لِأَذْهَبَتْ
 عَمَاهُ وَشَيْكَائِ ثُمَّ عَادَ بِلَا عَمَى^(٤)
 مُنْعَمَةً تَسْبِي الْحَلِيمَ بِوَجْهِهَا
 تَزِينُ مِنْهَا عِفَّةً وَتَكْرُمًا^(٥)
 فَتِلْكَ الَّتِي مَنْ كَانَ دَاءً دَوَاؤُهُ
 وَهَارُوتُ كُلِّ السَّحْرِ مِنْهَا تَعَلَّمَا^(٦)

- (١) ويُقسم الشاعر بالله العظيم أنه قضى تلك الليلة وحببته سعيدين لم يرتكبا فاحشة، ولم يفعلوا ما يريب من المنكر.
- (٢) يتساءل الشاعر هل باستطاعته أن يحمل القلب على الصبر؛ وقد أورثته في قلبه داء الحب يُحاول أن يخفيه عن الوشاة واللوم.
- (٣) وسلطة ليلي تخطت سلطتها عليه حتى إنها لو استدعت الحمام لأجابها بلا تردد، فهي لا تُؤذي مخلوقاً، وحتى لو حصل أنها كلمت الموتى في قبورهم لخرجوا ملبيين مطالبها؛ وتلك مواصفات الأنبياء والرسل.
- (٤) حتى الأعمى يمكن أن يذهب عنه عماه؛ فيكفي أن تمسح بكنمها على عينيه ليرى في الحال.
- (٥) إنها مرقهة، كل ما فيها يدل على أنها مُنعمّة، وحتى الحليم العاقل؛ إذا أطلت أضاء وجهها تُزينه عفتها وكرم النفس لديها.
- (٦) إنها تُقدّم دواءً، هو الحب، فتستبي من منحته الدواء ليصبح بدوره داءً يتطلب دواءً وهكذا دواليك، وهي من جعل هارون ساحراً وقد علّمته فنون السحر التي تُتقنها.

٢٢٢

نَاعِيَا لَيْلَى

[الطويل]

أَيَا نَاعِيَيَّ لَيْلَى بِجَانِبِ هَضْبَةٍ
 أَمَا كَانَ يَنْعَاهَا إِلَيَّ سِوَاكُمَا^(١)؟
 وَيَا نَاعِيَيَّ لَيْلَى بِجَانِبِ هَضْبَةٍ
 فَمِنْ بَعْدِ لَيْلَى لَا أُمِرْتُ قِوَاكُمَا^(٢)
 وَيَا نَاعِيَيَّ لَيْلَى لَقَدْ هَجُتُمَا لَنَا
 تَبَارِيحَ نُوحٍ فِي الدِّيَارِ كِلَاكُمَا^(٣)
 فَلَا عِشْتُمَا إِلَّا حَلِيفَيَّ مُصِيبَةٍ
 وَلَا مِثْمَا حَتَّى يَطُولَ بَلَاكُمَا^(٤)
 وَأَسْلَمْتَ الْيَّامُ فِيهَا عَجَائِباً
 بِمَوْتِكُمَا إِنِّي أَحِبُّ رَدَاكُمَا^(٥)
 أَظُنُّكُمَا لَا تَعْلَمَانِ مُصِيبَتِي
 لَقَدْ حَلَّ بَيْنَ الْوَصْلِ فِيمَا أَرَاكُمَا^(٦)

- (١) يخاطب الشاعر من أتياه يحملا نأ صاعقاً، مفاده أن ليلي وُريت التراب بجانب هضبة .
 ما أحب أن يسمع نأ كهذا، فلو أن غيرهما بلغاه الخبر ما حمل لهما ضغناً وكراهية .
- (٢) ويخاطب الشاعر من حملا إليه النبأ المفجع، داعياً عليهما بالموت وبفقدتهما قوتهما، حتى يصبحا عاجزين .
- (٣) و (٤) ويخاطب الشاعر من حملا إليه نبأ الفاجعة، ولقد أثارا ما فيه من حزن، فزاد حزن الهجر إلى حزن الموت، فكانت آلام النواح والعيول في الديار . لذا يدعو عليهما بالمصائب تتوالى طوال حياتهما ويتمنى دوام عذاب وبلاء على أن يطول بهما العمر يتعذبان .
- (٥) ويتابع الشاعر دُعاه متمنياً للناعيين أغرب مية يموتانها، ويقرّ أنه يحبّ موتهما .
- (٦) يخاطب الشاعر الناعيين مقدراً أنهما لا يعلمان مقدار الأسى الذي جعلاه يُحسّ به، فهو رغم وحشة الهجر، فقد حلّ بساحته فراق أبدي لا رجعة فيه منذ أن رآهما، ولعلّه كان يعتقد بـرجوع حبيبته إليه .

٢٢٣

دعني ومن أهوى

[الطويل]

- أيا أبتى دُعني وما قد لقيتُهُ
 ولا تلحَ مَحزُونُ الفُؤادِ سَقِيما^(١)
 عَدِيمَ التَّشَكِّي بِاِكِي العَيْنِ سَاهِراً
 حَلِيفَ الأَسَى لِلإِضْطِبارِ عَدِيما^(٢)
 كَلِفْتُ بِها حَتَّى أَذَابَنِي الهَوَى
 وَصَيَّرَ عَظْمِي بِالْغَرَامِ رَمِيما^(٣)
 يَقُولُ أَبِي: يَا قَيْسُ عِنْدِي خِلَافُها
 وَأَكْثَرُ مِنْها بَهْجَةً وَنَعِيما^(٤)
 فذِي أُمِّها كانت من الرُّومِ أَصلُها
 وَقَضَدِي أَنَا أَضِلُّ يَكُونُ كَرِيما^(٥)
 رَضِيْتُ الَّذِي قَدْ عِبْتُ يَا أبتى بِها
 وَدَعُ أَضَلَّها بَيْنَ النِّساءِ ذَمِيما^(٦)

- (١) و (٢) يخاطب الشاعر أباه ألا يُكثر اللوم وأن يتركه وشأنه، فهو مريض، فالإلحاح يزيده مرضاً على مرضه، وهو لا يشكو همّه، ولكنه يفتقد إلى الصبر، حاله الحزن والأسى، ودائم البكاء، لا يعرف للنوم طعماً دائم السهر.
- (٣) يذكر الشاعر لأبيه أنه مغرم عاشق هائم بحبها حتى كاد الحب أن يذيبه وحتّ عظمه حتى استحال رميمًا تذروه الرياح.
- (٤) و (٥) ينقل الشاعر مقالة أبيه الذي آلمه حال الشاعر، وهو لا يريم يبحث له عن حلّ لمشكلته، فلديه من هي أجمل من ليلي وأكثر نضارة وإشراقاً وثراءً منها. ويتابع أن والدته ليلي رومية الأصل وذاك أصل وضع لا يرتقي إلى مستوى من اخترتها لك؛ فهي عربية الفرعين.
- (٦) يرّد الشاعر أنه راض بمن عابها والده؛ فمهما كان أصل والدتها بين النساء وضعياً وحقيقاً، فهو يهواها؛ وهذا كافٍ.

قافية النون

٢٢٤

الخوف مما سيكون

[الطويل]

وإِنِّي لَمُفْنٍ دَمَعَ عَيْنِي بِالْبُكَ
حِذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنْ^(١)
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِئِي
بِكَفِّي إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنْ^(٢)
وَقَالُوا: غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيَّةٌ
فِرَاقُ حَبِيبٍ بَانَ أَوْ هُوَ بَائِنْ^(٣)

٢٢٥

ليتنى إليها أطيّر

[الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَاتِ الْحَمَى عُذْنَ عَوْدَةً
فَلِإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حُنُونٌ^(٤)
فَعُذْنَ فَلَمَّا عُذْنَ عُذْنَ لِشَقْوَتِي
وَكِدْتُ بِأَسْرَارٍ لَهْنٍ أَبِينُ^(٥)

(١) إن الشاعر يستنفذ ما لدى عينه من الدموع، بسبب ما مرّ به من أحداث واستباقاً لما يُمكن أن يحدث في المستقبل.

(٢) ويُتبع أنه لم يطرأ على باله أن يسبب لنفسه الموت بيده؛ ولكن ما سيحدث لا مفرّ منه؛ فعندما يحين الحين فلا مردّ له.

(٣) الأصحاب والأحباب يقولون: لا بدّ من مصيبة ستحدث غداً أو بعد غد؛ إنها عبارة عن هجرة حبيب ترك الديار أو سيترك.

(٤) و (٥) طلب الشاعر من حمامات الديار أن يرجعن إلى الحمى؛ إنه قد اشتاق سماع =

- وَعُدْنَ بِقَرْقَارِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا
 شَرِبْنَ مُدَاماً أَوْ بِهِنَّ جُنُونٌ^(١)
 فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِماً
 بَكَينَ فَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونٌ^(٢)
 وَكُنَّ حَمَامَاتٍ جَمِيعاً بَعِيْطَلٍ
 فَأَصْبَحْنَ شَتَّى مَا لَهُنَّ قَرِينٌ^(٣)
 فَأَصْبَحْنَ قَدْ قَرَقَرْنَ إِلَّا حَمَامَةً
 لَهَا، مِثْلُ نُوحِ النَّائِحَاتِ، رَنِينٌ^(٤)
 تُذَكِّرُنِي لَيْلَى عَلَى بُعْدِ دَارِهَا
 رَوَّاجِفُ قَلْبٍ بَاتَ وَهُوَ حَزِينٌ^(٥)
 إِذَا مَا خَلَا لِلنَّوْمِ أَرْقَ عَيْنُهُ
 نَوَائِحُ وَزِقِ فَرُشُهُنَّ غُصُونٌ^(٦)
 تَدَاعَيْنَ مِنْ بَعْدِ الْبُكَاءِ تَأَلَّقَا
 فَقَلْبُنَ أَرِيَاشاً وَهَنَّ سُكُونٌ^(٧)

= غنائهن، ولكن ما إن رجعن حتى انتفضت أشجانه من مكانها، فتذكر آلامه وعذابه، وكاد أن يكشف ما يُخَبِّئُه من أسرار حبه.

(١) رجعت الحمامات ترجع هديلاً على وتيرة شجية؛ فكأنها سكرت لكثرة ما ارتوت من خمر، أو أصابها جنون فصخبت.

(٢) رأى الشاعر عجباً، بكاء الحمام بلا دموع، وذلك من عجب ما يحدث.

(٣) العيطل: النخلة الصغيرة. حطت تلك الحمام بنخلة صغيرة جميعاً سرعان ما تكاثرن ولا يقرن بسواهن.

(٤) و (٥) انسجم هديل الحمامات خلاف إحداهن فهي تبكي نائحة، بشجى أليم أثار الشاعر فتذكر ليلي، رغم بعد الداء، فارتاع قلبه لذكرها فامتلاً حُزناً وألماً.

(٦) ذاك قلب لا يعرف للنوم طعماً، فلو عزم على النوم حال نواح حمامات اتخذن من أغصان الشجر فراشاً دون نومه نوماً هائلاً.

(٧) ومن عجب أمر تلك الحمامات أنهن اجتمعن وقد انتهين من بكائهن، =

فِيَا لَيْتَ لَيْلَى بَعْضُهُنَّ وَلَيْتَنِي
 أَطِيرُ وَدَهْرِي عِنْدَهُنَّ رَكِينٌ^(١)
 أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرَ رَأْيَةٍ
 إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينٌ^(٢)

٢٢٦

المجنون

[الطويل]

مَضَى زَمَنٌ وَالنَّاسُ لَا يَأْمَنُونَنِي
 وَإِنِّي عَلَى لَيْلَى الْعِدَاةِ أَمِينٌ^(٣)
 يُسَمُّونَنِي الْمَجْنُونُ حِينَ يَرَوْنَنِي
 نَعَمْ بِي مِنْ لَيْلَى الْعِدَاةِ جُنُونٌ^(٤)
 لِيَالِي يُزْهَى بِي شَبَابٌ وَشِرَّةٌ
 وَإِذْ بِي مِنْ خَفْضِ الْمَعِيشَةِ لِينٌ^(٥)

- = فرحات ونفصن ريشهنّ، وهنّ في حالة انسجام ساكنات هادئات .
- (١) يتمنى الشاعر لو استحالت ليلى حمامة بينهنّ وتحول هو إلى فرخ بدوره في سربهنّ؛ فتمضي بهما الحياة معاً إلى آخر العمر سعيدين هانئين .
- (٢) ولدقة قوام ليلى شبه الخيزران فمن السهل إذا غمرت بالأيدي أن تلين .
- (٣) موقفان متضاربان . الناس يخشون غدر الشاعر بحبيبته فينتهز لحظة ضعف منها لينال منها شراً، بينما هو يخلص الودّ أمين عليها حريص على سمعتها وسمعة أهلها .
- (٤) بسبب حالة الشاعر سهّل على الناس تسميته المجنون، ويُقرّ بالجنون، ولكنّ جنونه من نوع آخر جنون من يحبّ فيمن أحبّ .
- (٥) الشّرة: الطيش . يتحدّث الشاعر عن لحظة العمر السعيد؛ شباب وحيوية وطيش ولين عيش وغنى؛ تلك هي حلوة، ولكنها للأسف لم تدم على حال بالنسبة للشاعر .

٢٢٧

أحلام المنام

[الطويل]

- أَرَى النَّاسَ إِمَّا مَنْ تَجَدَّدَ وَضْلُهُ
 فَعَثْتُ وَإِمَّا مَنْ خَلَا فَسَمِينُ^(١)
 وَإِنِّي لَأَسْتَعْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ
 لَعَلَّ لِقَاهَا فِي الْمَنَامِ يَكُونُ^(٢)
 نَخْبِرُنِي الْأَحْلَامُ أَنِّي أَرَاكُمْ
 فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ الْمَنَامِ يَقِينُ^(٣)
 شَهِدْتُ بِأَنِّي لَمْ أَخْنُكْ مَوَدَّةً
 وَأَنِّي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ ضَمِينُ^(٤)
 وَأَنْ فُرَادِي لَا يَلِينُ إِلَى هَوَى
 سِوَاكَ وَإِنْ قَالُوا: بَلَى سَيْلِينُ^(٥)

(١) الغَث: الضعيف. يلخص الشاعر موقفه من الحب والأحباب بين موقفين نتيجة ما مرَّ به، فالصنف الأول من تجدد وصاله ضعيف أضناه الشوق، أما الصنف الثاني فهو من لم يعرف الحب وعذابات، وعاش خلي البال، مرتاحاً من كلِّ همٍّ، لذا فهو سمين.

(٢) و (٣) ولسبب شوقه لمحبيبته، يلجأ الشاعر إلى محاولة النوم، فيغمض عينيه، وهو في الحقيقة قد فرَّ النعاس من عينيه بُغية أن يطيف طيف حبيبته في المنام فيلتقيان؛ والأحلام خلاف الحقيقة، فلو تمثلت له حبيبته في النوم تمنى الشاعر أن تستحيل الرؤية إلى حقيقة ويقين.

(٤) و (٥) يخبر الشاعر حبيبته أنه كرس حبه ونفسه لها دون سواها، ولم يخنها البتة، ولذا فهو ضنين بحبها حتى آخر العمر ونهاية رحلة وجوده، ويؤكد لها أن قلبه يُبدي مقاومة إغراءات الأهل والأصدقاء لاستبدال سواها بها، فهو لا يلين ولن يلين، فلن يهوى سواها، وإن أصرّوا وقالوا ذلك.

٢٢٨

محل وجفاف

[الطويل]

أَلَا يَا رَكِيَّاتِ الرُّسَيْسِ عَلَى الْبَلَى
 سُقِيتُنَّ هَلْ فِي ظِلِّكُنَّ شُجُونٌ^(١)؟
 أَضَرَّ بِكُنَّ الْعَامَ نَوءٌ سَحَابَةٌ
 وَمَحَلٌّ فَمَا تَجْرِي لَكُنَّ عُيُونٌ^(٢)
 أَجْنُتُنَّ بَعْدَ الْحَيِّ فَاَنْصَاخَتِ اللَّوَى
 وَكُنْتُنَّ عَهْدِي مَا بَكُنَّ أَجُونٌ^(٣)

٢٢٩

أحبك

[الطويل]

أَحِبُّكَ يَا لَيْلَى مَحَبَّةَ عَاشِقٍ
 عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمُضْعِيبَاتِ تَهُونٌ^(٤)
 أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تُحِبِّينَ مِثْلَهُ
 أَصَابَكَ مِنْ وَجَدِ عَلِيٍّ جُنُونٌ^(٥)

(١) رَكِيَّاتٍ، واحدتها رَكِيَّةٌ: آبار ذات مياه. الرسيس: اسم وادٍ بنجد. يخاطب الشاعر آبار الرسيس التي نُضِبَ ماؤها متمنياً لها السقيا بعدما جفَّت، وسائلاً إياها هل في ظلها حزين ذو شجن؟

(٢) النوء: المطر. المحل: القحط. لقد كان هذا العام عاماً احتبست به الأمطار، فسبب ضرراً فادحاً لذا ما انسابت مياه عيونك.

(٣) انصاغت: تشبقت. أجن الماء: تغيّر طعمه ولونه. سبب ذلك الحدث رحيل ساكني الربع فأقفرّت الأرض وتشبقت حول تلك الآبار وتغيّر لون المياه وطعمها بعدما كانت عذبة وصافية كما عهدتها فيما مضى.

(٤) و (٥) يعلن الشاعر حبه ليلى، فحبه حبّ عاشق متيم، وهو على استعداد لتحمل كل المصاعب من أجل البقاء على حبه لها، وحبه عظيم لو بادلت حبا كحبه لأذى بها ذلك إلى الجنون.

أَلَا فَارْحَمِي صَبًّا كَثِيبًا مَعَذَّبًا
 حَرِيقُ الْحَشَا مُضْنَى الْفُؤَادِ حَزِينٌ^(١)
 قَتِيلٌ مِنَ الْأَشْوَاقِ أَمَّا نَهَارُهُ
 فَبَاكِ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنْيِنٌ^(٢)
 لَهُ عِبْرَةٌ تَهْمِي وَنِيرَانٌ قَلْبِهِ
 وَأَجْفَانِهِ - تُذْزِي الدَّمُوعَ - عُيُونٌ^(٣)
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي مُعَجَّلًا
 عَلَى أَنَّ عِشْقَ الْغَانِيَاتِ فُتُونٌ^(٤)

٢٣٠

كل نفس ودينها

[الطويل]

يَقُولُونَ: لَيْلَى بِالْمَغِيبِ أَمِينَةٌ
 وَإِنِّي لَرَاعٍ سِرَّهَا وَأَمْنُهَا^(٥)

- (١) يطلب الشاعر من ليلَى أن تُشفق عليه وترأف به؛ فقد برَّح به الشوق وعذَّبه، فهو حزين، أحشاؤه مشتتة لحرارة معاناته وشدتها، لذا ففؤاده سقيم.
- (٢) قتله شوقه إلى من يحب؛ لذا فنهاره يمضي والدموع في عينيه، وليله أنين متواصل لا يعرف للنوم فيه طعمًا.
- (٣) تلازمه دمة تهمني بلا انقطاع، وفي قلبه نيران تأكل وجوده، وأجفانه لا تعرف للنوم طعمًا، بل هي عيون تندفق دموعها غزيرة.
- (٤) يتمنى الشاعر أن يُعاجله الموت فجأة ليستريح من آلامه وأحزانه، ولكن لذة عذاب حب الغانيات فيه من الجنون والفتنة ما فيه . . .
- (٥) تنامي إلى مسامع الشاعر أقوالهم بأن ليلَى تُخلص بالود وتحفظ العهد لك، فهي لك أمينة رغم بعدها عنك، فردَّ أنه هو بدوره يحفظ لها العهد ويصون الود، فهو أمين أيضاً.

وللنفس ساعات تهش لذكرها
 فتَحيا وساعات لها تستكيئها^(١)
 فإن تك ليلى استودعتني أمانة
 فلا وأبي ليلى إذا لا أخونها^(٢)
 أأرضي بليلى الكاشحين وأبتغي
 كرامة أعدائي بها فأهينها^(٣)؟
 وقد قيل: نصرانيّة أم مالك
 فقلت: ذروني كل نفس ودينها^(٤)
 فإن تك نصرانيّة أم مالك
 فقد صوّرت في صورة لا تشينها^(٥)
 معاذة وجه الله أن أشميت العدى
 بليلى وإن لم تجزني ما أدينها^(٦)

(١) ونفس الشاعر لا تستقر على قرار، فتارة ينشرح صدره إذا تذكر ليلي ويسرّ، فتدبّ

فيه الحياة وتنشع فيه الآمال، وتارة أخرى تتنابه سويداء فيكتب ويستسلم لقضائه.

(٢) وكون ليلي قد أخذت علي عهداً ألا أخونها، فلن تكون مني خيانة ونقض للعهد، وأقسم بأبي على ذلك.

(٣) الكاشحين: المبغضين. يسأل الشاعر نفسه أمن الإخلاص للحب أن أرضي الأعداء وأغضب ليلي؟ وما هي غاية أعدائه إلا إثارة البغضاء والعداوة بينه وبين ليلي وهذا يُفرح الأعداء ويسرهم، لذا فهو لن يهينها نكايّة بالأعداء.

(٤) و (٥) ومن أسباب دواعي التفريق بين الشاعر وحبيبته قولهم: إنّ والده ليلي نصرانية، فيردّ عليهم: دعوني فأني لا أهتم إلى ذلك ودعوا كلاً على دينه، وحتى لو كان ذلك حقاً، فجماها صوره الخالق سبحانه وتعالى أجمل صورة؛ وذلك فخر لها لا يُشينها.

(٦) يستعيز الشاعر بالله تعالى أنه لن يُفرح الأعداء بما قد يفعله بليلى من سوء، بل سيغفر لها ما تفعله به، وإن لم تُبادلني ديناً بدين.

٢٣١

عرضي جنة لعرضاها

[الطويل]

- سأَجْعَلُ عِرْضِي جُنَّةً دُونَ عِرْضِهَا
 وَدِينِي فَيَبْقَى عِرْضُ لَيْلَى وَدِينُهَا^(١)
 وَقَائِلَةٌ: هَلْ يُحْدِثُ الدَّهْرُ سَلْوَةً؟
 فَقُلْتُ: بلى هذا فقد حَانَ حِينُهَا^(٢)
 صِلِي الْحَبْلَ يَحْمِلُ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا
 يُعْطِي عَلَى عَثِّ الْأُمُورِ سَمِينُهَا^(٣)
 بَذَلْتُ لَلَيْلَى النُّصْحَ حَتَّى كَأَنِّي
 بِهَا غَيْرَ إِشْرَاكِ بِرَبِّي أَدِينُهَا^(٤)
 فَيَا لَيْتَ أَنِّي كُلَّمَا غَبْتُ لَيْلَةً
 مِنَ الدَّهْرِ أَوْ يَوْمًا تَرَانِي عُيُونُهَا^(٥)
 لِأُبْرِئَ أَيْمَانِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا
 وَتَعْلَمَ لَيْلَى أَنَّني لَا أَخُونُهَا^(٦)

- (١) الجنة: السترة. يُقرّر الشاعر أنه سيعمل على حماية ليلى وسيردّ عنها مكائد العدى جاعلاً من شرفه ودينه واقياً يسترها، فيصون عليها شرفها ودينها.
 (٢) و (٣) وثمة امرأة تسأل الشاعر إن قُدّر له أن يُبدّل القضاء سيره فينسى ليلى ويميل إلى غيرها، فيُجيبها بأن ذلك قد آن أوانه، وألتمس منك أن تصليني بليلى وتتركي سواها، والأمر العظيم يُعطي على ما صغر من الأمور.
 (٤) وصل الأمر بالشاعر أن قدّم النصّح والإخلاص لليلى، ويكاد لولا خوف الإشراف بالله العظيم أن يعيدها لشدة حبه لها.
 (٥) ويتمنى الشاعر ألا يغيب عن ناظري ليلى وألا يبتعد عنها لا في ليل ولا في نهار طوال الدهر؛ فهما يلتقيان ويسرّ منهما الواحد الآخر.
 (٦) الأيمان، جمع مفردة يمين: القسم. ومن أهداف تواجد الشاعر مع حبيبته أن يُقسم يمين الإخلاص لها، وتستيقن أنه لن يخونها على مدى الأيام.

٢٣٢

النفس المجنونة

[الطويل]

- وَتَحَسَبُ لَيْلَى أَنَّنِي إِنْ هَجَرْتُهَا
 حَذَارَ الْأَعَادِي أَنَّ مَا بِي هُونُهَا ^(١)
 وَلَكِنْ لَيْلَى لَا تَفِي بِأَمَانَةٍ
 فَتَحَسَبُ لَيْلَى أَنَّنِي سَاخُونُهَا ^(٢)
 وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلَى الَّذِي لَوْ أَبَتْهُ
 جَمَاعَةُ أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا ^(٣)
 وَقَدْ أَيَقَنْتُ نَفْسِي بِأَنْ حِيلَ بَيْنَهَا
 وَبَيْنَكَ لَوْ يَأْتِي بِبَأْسٍ يَقِينُهَا ^(٤)
 أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلَى أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِي
 فَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِلَيْلَى جُنُونُهَا ^(٥)

(١) تظن ليلى بي الظنون أن بعدي عنها إهانة لها، بينما الحقيقة أن خوفي من أن تلوك سمعتها ألسنة السوء.

(٢) و (٣) ولكن ليلى لم تحفظ العهد ولم تف الوعد بإساءة الظن بي من أنني سأخونها، وحببي لها فوق كل شبهة، ولو وزعته على أعدائي لتأثروا لحالي وبكوا دمعاً تعبيراً عما أعانيه في حبها.

(٤) ونفسي على يقين بأن الأقدار عملت على التفريق بيننا، ولو كان يقينها بما يكفي من القوة لذهب عنها وهمها، وعلمت حقيقة موقفها وأسبابه.

(٥) ثمّة حوار بين الشاعر ونفسه، حوار عقلي، فنفسه تنهاه عن التماهي في حب كهذا كُتب له الفشل، وحبّه الذي بلغ حدّ التعلّق بل حدّ الجنون، فكان أن انسأقت نفسه إلى شيء من الجنون.

٢٣٣

العين الحزينة

[الطويل]

- خَلِيلِي، هَلْ بِالسَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
 تُبَكِّي عَلَى نَجْدٍ؟ لَعَلِّي أُعِيْنُهَا^(١)
 قَدْ أَسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً
 مُطَوَّقَةً بَانَتْ وَبَانَ قَرِينُهَا^(٢)
 تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرَآنَةٍ
 يَكَاذُ يُدَنِّيْهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنُهَا^(٣)

٢٣٤

لَكَ الدُّنْيَا

[الطويل]

- لَوْ أَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا عُدِلَتْ بِهِ
 سِوَاهَا، وَلَيْلَى بَائِنٌ عَنْكَ بَيْنُهَا^(٤)
 لَكُنْتَ إِلَى لَيْلَى فَقِيرًا وَإِنَّمَا
 يَقْوَدُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حِينُهَا^(٥)

(١) يخاطب الشاعر صاحبيه مستفسراً عن عين أدمعها حزن الغربة عن نجد، الربوع والأرض والوطن، ويعلن أنه سيسهم بقسط من مشاركتها في الدموع.

(٢) و (٣) قد استرسل سرب الحمام للبكاء، ولكن من بينها ثمة حمامة مطوقة فارقتها أليفها، بكاؤها مُبِضُّ حزين وجدت حمامة أخرى في نفس حالتها تتخذ من خيزرانة ملجأ جثمت على أحد أغصانها فانحنى ليلينه حتى كاد يلامس الأرض.

(٤) و (٥) يرى الشاعر أن لا قيمة للغنى، حتى لو حصل على ما في الكون من مال وثراء، فلا قيمة له، إذا نأت ليلى عنه في ديار غربة لبقى يُحسُّ أنه فقير وعليه أن يلتحق بها حتى لو أورده ذلك إلى حتفه على أن يحصل على رضاها.

٢٣٥

يمانية والرمس غير يمانى

[الطويل]

أَلَا يَا غُرَاباً صَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا
 أَفَقْ لَا أَفَقْتَ الدَّهْرَ مِنْ صِيحَانِ^(١)
 وَلَا كَانَ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ آمِناً
 جَنَاحُكَ إِنْ أَرَمَعْتَ لِلطَّيْرَانِ^(٢)
 أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرَتْ بِالَّذِي
 أَحَازِرُهُ مِنْ وَقَعِ الْحَدَثَانِ^(٣)
 أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ أَنَّكَ شَاحِبٌ
 وَصَوْتُكَ مَشْنُوٌّ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٤)
 فَلَا زِلْتَ مَذْعُورَ الْفُؤَادِ مُرَوَّعاً
 إِذَا رُمْتَ نَهْضاً وَاهِيَّ الطَّيْرَانِ^(٥)
 وَيَا عَاذِلِيَّ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ
 أَقْبَلَا مَلَامِي لَا تَ حِينَ أَوَانِ^(٦)

(١) و (٢) يُخَاطَبُ الشَّاعِرُ غُرَاباً لَا يَفْتَرُ يَنْعَقُ مِنْ جِهَةِ أَرْضٍ مِنْ يَحِبُّ طَالِباً مِنْهُ أَنْ يَلْتَزِمَ الصَّمْتَ وَإِلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ شَرَّ مَا تُعْلَنُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ وَحَوَادِثِهِ وَافْتَقَدْتَ الْأَمْنَ عَلَى جَنَاحِيكَ إِذَا أَرَدْتَ الطَّيْرَانِ ذَاتَ يَوْمٍ .

(٣) وَيُخَاطَبُ الشَّاعِرُ غُرَابَ الْبَيْنِ لَقَدْ حَمَلْتَ مَعَكَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يُحْزَنُ وَيُخِيفُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْجَسَامِ .

(٤) مَشْنُوٌّ: مَكْرُوهٌ . وَيُخَاطَبُ الشَّاعِرُ غُرَابَ الْبَيْنِ سَاخِراً مِنْهُ مَرْكَزاً عَلَى مَا يَبْدُو فِيهِ مِنْ صِفَاتٍ مَنْفَرَةٍ، لَوْنِ أَسْوَدَ نَذِيرِ شَوْمٍ، صَوْتِ مَنْكَرٍ هُوَ الشَّوْمُ بَعِيْنُهُ، وَلَا يَحِلُّ بِمَكَانٍ إِلَّا نَزَلَتْ بِهِ الْكَوَارِثُ .

(٥) يَدْعُو الشَّاعِرُ عَلَى الْغُرَابِ أَنْ يَسْتَوَلِيَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَالذَّعْرُ فَيَتَمَلَّكُ قَلْبَهُ، فَلَوْ حَاوَلَ الطَّيْرَانِ لِأَحْسَنِ بِالضَّعْفِ، فَلَا يَحْمِلُهُ جَنَاحَاهُ .

(٦) يَلْتَفَتُ الشَّاعِرُ إِلَى لَائِمِيهِ طَالِباً مِنْهُمَا أَنْ يَكْفَا عَنْ لَوْمِهِ، فَهُوَ لَمْ يَحْنِ وَقْتَهُ بَعْدَ .

فلا بُدَّ للعيْنَيْنِ إِنْ شَطَّتِ النَّوَى
 بِلَيْلَى الْمُنَى مِنْ وَكِفِ الْهَمَلَانِ^(١)
 أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ غُدُوَّةً
 تُغَيِّظُنِي بِالنَّعْبِ وَالْحَجَلَانِ^(٢)
 أَمَا لَكَ نَاهٍ - لَا عَمَرَتْ - تُطِيعُهُ
 وَلَا لِلنَّوَى عِنْدِي فَتَنَتَّهِيَانِ^(٣)
 فَيَا سَرْحَتِي وَادِي شُرَيْحٍ أَلَا اسْلَمَا
 وَلَا زَالَ خُضْرًا مِنْكُمَا الْفَنَانِ^(٤)
 وَلَا زَالَ مِنْ نَوَى السَّمَاءِ عَلَيْكُمَا
 أَجَشُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ بِالْهَطَلَانِ^(٥)
 نَظَرْتُ وَوَادِي الْحَجَرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 فَرَدَّ إِلَيَّ الطَّرْفُ بُعْدُ مَكَانِ^(٦)

(١) واكف الهملان: الدموع المنهمرة. شطت النوى: غالت في البعد. ومن أهم أسباب انهمار دموع الشاعر في حال أوغلت في البعد ليلي متمنية ذلك أن تستدر من نبع عينيه ما تختزنه.

(٢) يعود الشاعر إلى مخاطبة غراب البين سائلاً إياه عن غاية إثارة غيظه وعينيه بنعيبه الشنيع مع إطلالة كل فجر.

(٣) ألم ينهك ناهٍ ويطلب منك السكوت فتطيعه، ثم يدعو له بقصر العمر، ويتمنى الشاعر لو استطاع الفرار والبعد عن ذلك الغراب فينتهي من إزعاجه ويرتاح.

(٤) و (٥) سرحتي الوادي: ضرب من الشجر العظيم. شريح: اسم مكان. يخاطب الشاعر سرحتي وادي شريح متمنياً لهما السلام واستمرار الخضرة والنمو الدائم لأغصانهما، وتكاثف الغيوم المشبعة بالمطر تصحبها زغردة الرعد، فتتهطل أمطار نوء السماء عليهما.

(٦) الحجر: اسم مكان. يتطلع الشاعر بالأفق على أمل أن يرى معلماً يخبره عن حبيبته، والمكان بعيد في وادي الحجر، فلم يستطع النظر أن يخترق حجب المسافات فعاد خائباً.

- بَنَظْرَةَ أَقْنَى الْأَنْفِ أَمْسَى وَدُونَهُ
 مَتَالِفٌ - تُهْوِي الطَّيْرَ - غَيْرُ دَوَانِي ^(١)
 خَلِيلِي، بِالنَّسْرَيْنِ بَيْنَ عُنْزَةِ
 وَبَيْنَ صَفَا صُلْدٍ أَلَا تَقِفَانِ ^(٢)
 عَلَى دِمْنَتِي دَارٍ لِّلِيلَى كَأَنَّهَا
 إِزَارَانِ مِنْ بُرْدٍ لَهَا خَلَقَانِ ^(٣)
 وَكَيْفَ إِلَى لَيْلَى إِذَا رَمَّ أَعْظَمِي
 وَصَارَ وَسَادِي مَنَكَبِي وَبَنَانِي ^(٤)؟
 وَحَلَّتْ بِأَعْلَى بِيَشْتَيْنِ فَأُضْبَحَتْ
 يَمَانِيَّةٌ وَالرُّمُسُ غَيْرُ يَمَانِي ^(٥)

٢٣٦

أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَشْقَانِي

[الطويل]

- أَيَا جَبَلَ الثَّلَجِ الَّذِي فِي ضَلَالِهِ
 غَزَالَانِ مَكْحُولَانِ مُؤْتَلِفَانِ ^(٦)
 غَزَالَانِ شَبَّافِي نَعِيمٍ وَغِبْطَةٍ
 وَرَغْدَةٍ عَيْشٍ نَاعِمٍ عَطْرَانِ ^(٧)

(١) الأنف الأَقْنَى: الذي ارتفعت أرنبته. المتالف: المهالك. كان نظره بعيد المدى كمن لا يُعجبه شيء تكبراً حتى تخطى الأماكن التي لا تدركها الطيور رغم مخاطرها.
 (٢) و (٣) النسرين وعُنْزَة: من المواضع. يُخاطب الشاعر صاحبيه طالباً منهما أن يقفَا بالنسرين بين عُنْزَة وصخر صلد ويشرفا على أطلال ديار ليلي المهجورة التي تبدو كإزارين خَلَقَيْنِ نزعا من رداء ذات خطوط غالي الثمن.
 (٤) رَمَّ العظم: بلي وتفتت. يسأل الشاعر كيف السبيل إلى الوصول إلى ليلي وقد أدركه الموت وتفتت عظامه وبليت وأصبحت وسادته عبارة عن منكبيه ويده؟
 (٥) بيشتان: اسم موضع. ودفنت رفاته في أعلى بيشتين من بلاد اليمن، وصاحب القبر ليس يمانياً.
 (٦) و (٧) يخاطب الشاعر جبل الثلج الذي حلّ فيه غزالان مكحولان العينين متحابان في =

- أَرْغَتْهُمَا خَتْلاً فَلَمْ أَشْتَطِغْهُمَا
 (١) فَفَرًّا وَشَيْكاً بَعْدَ مَا قَتَلَانِي
 خَلِيلِي أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا
 (٢) وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْأَلْنِي
 فَمَا صَادِيَاتُ حُمْنٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً
 (٣) عَلَى الْمَاءِ دُونَ الْوَرْدِ هُنَّ حَوَانِي
 لَوَاغِبٌ لَا يَضْدُرُّنَّ عَنْهُ لَوِجْهَةٌ
 (٤) وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي
 يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ
 (٥) وَهُنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاءِ رَوَانِي
 بِأَكْثَرِ مَنِّي حَسْرَةً وَصَبَابَةً
 (٦) إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ عَرَانِي

- = ألفة، فقد كبرا معاً وعاشا منعمين مرفهين ناعمي البال رغيدين .
 (١) أَرْغَتْهُمَا: طلبتهما بحذر. الختل: الخداع. عملت على الإمساك بهما بحذر شديد على أمل أن أمسك بهما، مُتَّبِعاً المكر والخداع، ولكن للأسف فلم أفلح، ففراً بسرعة وقد أنهكا قواي وأتعباني وكنت على وشك الإمساك بهما .
 (٢) يُخَاطَبُ الشاعر صاحبيه محدداً طبيعة الغزالين، فإحدهما كانت أم عمرو أي ليلي، وأما الأخرى فلا أهتم لأمرها فلا تسألاني عنها .
 (٣) و (٤) الشاعر يتربص بها علّه يُمسك من يودّ اقتناصها ولكن بلا جدوى؛ ولقد حاولن ورود الماء رغم ظمئهنّ، فحُمْنٌ يوماً وليلة، ولم ينحنين ليشربن حتى انتهاز فرصة الإمساك بهنّ .
 (٥) حَبَابُ الْمَاءِ: الفقاقيع الصغيرة التي تطفو على سطح الماء. السقاء: الدلو. رواني: يدمن النظر بسكون الطرف. لا يزال الشاعر يصف ما عليه الغزلان من حذر شديد، فثمة عاملان يسيطران على الغزلان: عطش جعلهن ينظرن إلى حباب الماء المنساب تحت أنظارهن، والعطش شديد، وفي نفس الوقت يُصْغِينَ ويسترقن السمع لمن جاء يودّ نقل الماء إلى دياره .
 (٦) ليست تلك الغزلان بأكثر مني حسرة وعشقا إلى ما جئن من أجله ولكن =

- خَلِيلِي، إِنِّي مَيِّتٌ أَوْ مُكَلِّمٌ
 لِلَّيْلِ بِحَاجِي، فَاْمُضِيَا وَذَرَانِي ^(١)
 أَقْلُ حَاجَتِي وَحَدِي فَيَا رَبَّ حَاجَةٍ
 قَضَيْتُ عَلَى هَوْلٍ وَخَوْفٍ مَكَانٍ ^(٢)
 وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ مِنِّي تَحِيَّةً
 وَشَوْقاً لَهُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ شَقَانِي ^(٣)
 وَمَنْ قَادَنِي لِلْمَوْتِ حَتَّى إِذَا صَفَتْ
 مَشَارِبُهُ سُمَّ الزُّعَافِ سَقَانِي ^(٤)

٢٣٧

جرائر يدي ولساني

[الطويل]

- أَيَا جَبَلَ الدُّومِ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ
 غَزَالَانِ مَكْحُولَانِ مُؤْتَلِفَانِ ^(٥)

= خوفاً اخترق شغاف قلبي فحبسني عن المغامرة.

(١) و (٢) يخاطب الشاعر صاحبيه أن عليه أن يقوم بأحد أمرين: إما أن يموت فيستريح، وإما أن يلقي ليلي ويخبرها بحاجته إليها، وأن يُطلعها على ما في قلبه، وأنتما لا تستطيعان تحقيق أحد الأمرين فامضيا في سبيلكما واتركاني أعمل على حلّ مشاكلي وحيداً لأحصل حاجتي وقلما قدرت على قضاء حاجتي إلا والخوف رائدي والهول ملازمي.

(٣) و (٤) يتحدث الشاعر عن أمر جَلَلْ أَلَا وهو طريقة موت مريح؛ فأحقّ الناس بتحقيقه وشوق المحتاج إليه امرؤ لو أراد شقاءه وأخذ بيده إلى موت مريح، وبصدق نية وغاية خالصة عمل على إشرابه سماً زعافاً سريع الفتك، يقتل دون ألم. (٥) يخاطب الشاعر جبل الدوم حيث يختبئ بين أشجاره الظليلة غزالان مكحولان العينين متحابان.

غزالان شَبَّا في نعيم وغبطة
 (١) مِنَ النَّاسِ مَذْعُورانِ مُحْتَبَسَانِ
 خَلِيلِي، أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا
 (٢) وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْأَلْنِي
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتِ آتٍ دِيَارَهَا
 بَعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ (٣)؟
 إِذَا اغْرُورَقْتَ عَيْنَايَ، قَالَ صَحَابَتِي:
 (٤) لَقَدْ أُولِعْتَ عَيْنَاكَ بِالْهَمَلَانِ
 نَأَتْ دَارُهُمْ عَنِّي وَفَرَّقَ بَيْنَنَا
 (٥) جَرَائِرُ جَرَّتْهَا يَدِي وَلِسَانِي
 فَأَصْبَحْتُ عَنْهُمْ أَجْنَبِيًّا وَلَمْ أَكُنْ
 (٦) كَذَلِكَ عَلَى بُعْدٍ وَنَحْنُ دَوَانِي
 وَكَمْ مِنْ هَوًى لَا يُسْتَطَاعُ طَلَابُهُ
 (٧) أَتَى دُونَهُ مَرٌّ مِنَ الْحَدَثَانِ

(١) إنهما غزالان كبيران في سعادة ومسرة، وهما يحذران الناس ويخافان غدرهم ولذا فهما يحبان نفسيهما.

(٢) يخاطب الشاعر صاحبيه أن أم عمرو هي إحدى الغزالتين، والآخرى لا يهتم لأمرها، فلا تسألاني عنها.

(٣) و (٤) إنسان العين: بؤبؤ العين الأسود، يُسأل الشاعر عن سرّ زيارة ديار ليلى في كل يوم، وعينه قد غشيها دمع مما يمنعهما من وضوح الرؤية، يلفت أنظار أصحابه عينان دامعتان لا تنفكان تذرفان، فيقول أصحابه: لقد اعتادت عينك الدموع، فالبكاء ولع لديها.

(٥) يردّ الشاعر أن من أسباب الفراق بينه وبين ليلى ذنوباً وتلك جرائر لسانه الذي لا ينفك يتغزل بليلى ممّا حال دونهما فافترقت الديار، وكذلك يده التي امتدت طالبة المساعدة ممن يأمل فيهم خيراً.

(٦) و (٧) وذلك من دواعي غربة الشاعر وإبعاده عن ليلى، علماً أنهما كانا جارين، =

وَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهِيَ بَيْنَ صَبَابَةٍ
تَجُودُ، وَهَلْ لِي بِالْفِرَاقِ يَدَانِ^(١)؟
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ شُعْبَةً
مِنَ السَّرِّ ذَاعَ السِّرُّ كُلُّ مَكَانٍ^(٢)

٢٣٨

شاهد حب

[الطويل]

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَهَلَّلَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَنِي^(٣)
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ
وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَدَعَانِي^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ
حَوَالَيْكَ فِي خُضْبٍ وَطَيْبِ زَمَانٍ^(٥)؟

= وكذلك هما أبناء قبيلة واحدة وقرابة لصيقة . وثمة مصائب كثيرة حالت دون الفلاح في مساعي طلاب الغايات فما استطاعوا تحصيلها رغم ما بذلوه من جهود، فتوالت عليهم الويلات .

(١) والعزاء وسيلة الضعفاء، حاول الشاعر أن يُسلي نفسه، فقدم نفسه على مذبح الحب والشوق عساه أن يُفلح ولكن للأسف لم يوفق وخرج بلا طائل، فلا ذنب له ولم يغمس يديه بالفراق .

(٢) هنا ينصح الشاعر نفسه والبشر جميعاً أن يحتفظ المرء بأسراره فإذا كشف الإنسان عن سرّه فلا يلومنّ إلا نفسه التي جعلت ذلك السرّ ينتشر ويُذاع بين الناس فيفتضح بين البشر .

(٣) التوباد: اسم جبل . أجهش بالبكاء: استعدّ له . استعدت للبكاء فرحاً حين شارفت على جبل التوباد، وإذ به يهلل فرحاً بمقدمي .

(٤) و (٥) كان للقاء الشوق بين الشاعر والجبل دويّ، انهمرت عينا الشاعر بالدمع لدى رؤيته الجبل والجبل دعاه بصوت مرتفع له دويّ، راح الشاعر يسأل الجبل عما حلّ =

فَقَالَ: مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ،
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى مَعَ الْحَدَثَانِ^(١)؟
وَإِنِّي لِأُبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدًا
فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ^(٢)
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبِلًا وَدِيمَةً
وَسَحًّا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمَلَانِ^(٣)

٢٣٩

وشاية كاذبة

[الطويل]

أَيَا مُهْدِيًا نَفِيَّ الْحَبِيبِ صَبِيحَةً
بِمَنْ وَإِلَى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَّانِ^(٤)؟
بِمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ
وَمَنْ لَوْ رَأَنِي عَانِيًا لَفَدَانِي^(٥)

= به، وقد رأى الجبل خاويًا تركه ساكنوه، أين هم الآن وقد كانوا ينعمون في ظلك
بالأمن والخصب وطيب العيش؟

(١) ردّ الجبل: بأنهم رحلوا وتركوا لي بلادهم أمانة على أمل العودة ذات يوم، ويُقرّر
الجبل أنه من غير المستغرب أن يترك الناس أوطانهم إذا نزلت بهم الكوارث
وتوالت عليهم النكبات.

(٢) إن الشاعر يستبقي الأحداث فيبكي خوفًا مما يكون في الغد من أحداث لا تسرّ
كفراق أبناء العشيرة الواحدة المؤتلفة المتحدة.

(٣) السّجال: ملء الدلو. التّهتان: توالي الأمطار. الوبل: المطر العنيف. الديمة:
الغيمة الماطرة بهدوء. السّخ: المطر الغزير. التسجّام: الصعب. الهملان: فيض
دمع العيون. وبكاء الشاعر ليس بكاءً عاديًا، بل هو ملء الدلاء يستمرّ غزيرًا عنيفًا
يشبه المطر المنهمر بكثرة وغزارة.

(٤) و (٥) وشى به: نمّ عليه. يخاطب الشاعر من جاء يشي له أن ليلي لا تحبه، فيردّ
عليهما بعنف أنهما أخطأ غايتهما سائلًا إياهما بمن وإلى من جئتما تشيان؟ أنتما
تنمان على من لو رأيته أسيرًا لفديته بروحي وعملت على فكاهه وحرّرتّه، وكذلك
لو رأيته أسيرًا مقيدًا لقدّم الفدية وأعادني للحرية.

فَمَنْ مُبْلِغُ عَنِّي الْحَبِيبِ رِسَالَةً
 بِأَنَّ فُؤَادِي دَائِمُ الْخَفَقَانِ^(١)
 وَأَنْتِي مَمْنُوعٌ مِنَ النَّوْمِ مُدْنَفٌ
 وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدِ الْأَسَى تَكْفَانِ^(٢)

٢٤٠

غُبْنُ الْبَائِعِ

[الطويل]

أَيَا بَائِعِي لَيْلَى بِمَكَّةَ ضَلَّةً
 تَبَايَعْتُمَا هَلْ يَسْتَوِي الثَّمَنَانِ^(٣)
 فَمَا غُبِنَ الْمُبْتَاعُ بِمَالِهِ
 بَلِ الْبَائِعُ لَيْلَى هُمَا غَبْنَانِ^(٤)

٢٤١

حُبُّكَ أَنْسَانِي

[الطويل]

فَحُبُّكَ أَنْسَانِي الشَّرَابَ وَبَرْدَهُ
 وَحُبُّكَ أَبْكَانِي بِكُلِّ مَكَانٍ^(٥)
 وَحُبُّكَ أَنْسَانِي الصَّلَاةَ فَلَمْ أَقُمْ
 لِرَبِّي بِتَسْبِيحٍ وَلَا بِقُرْآنٍ^(٦)

- (١) يسأل الشاعر هل من يُمكنه نقل رسالة إلى حبيب أنني على الود لا أريم ولا أميل وقلبي دائم الخفقان بذكره.
- (٢) وأن يصف له حالتي، فأنا لا أعرف للنوم طعاماً، أعيش معذب البال، وعيناي دائماً تدمعان لحبي لها وحزني من أجلها.
- (٣) و (٤) يوجه الشاعر اللوم إلى من باع ليلي في مكة بالمال واشتراها، فهما لا يعلمان ما اقترفاه من ذنوب بحق من بيعت، ومهما كان الثمن غالياً فلن يستوي الثمنان والرايح هو من اشترى ليلي بماله والخاسران هما من باعاها.
- (٥) و (٦) يخاطب الشاعر محبوبته، فحبها استحوذ عليه فنسي ما تقوم به الحياة، حتى =

٢٤٢

الليل والنهار سواء

[الوافر]

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُنِي وَلَيْلَى؟
 كَفَّاكَ بِذَلِكَ فِيهِ لَنَا تَدَانِي^(١)
 تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ
 وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي^(٢)

٢٤٣

الظبية الطليقة

[الخفيف]

إِذْهَبِي فِي كَلَاءَةِ الرَّحْمَنِ
 أَنْتِ مِئِّي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانِ^(٣)
 لَا تَخَافِي وَلَنْ تُرَاعِي بِسُوءٍ
 مَا تَعْنَى الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ^(٤)

= الشراب، سر الحياة، وبرده في يوم حار، فافتقد الشعور لذته، وبالمقابل ذلك الحب أبكى الشاعر، فحيثما ذهب تذكّر ليلى، فأبكاه كل شيء يذكره بها. وحتى الصلاة، علاقة العبد بربه، باب المغفرة نسيها بسبب ذلك الحب الذي ملك على الشاعر كل مشاعره وشغل عقله، فلم يصلّ لربه ولم يسبح ولم يقرأ شيئاً من القرآن.

(١) يسأل الشاعر نفسه ألا يكفيه أن الليل يفسح له فرصة لقاء ليلى في الحلم، فيرد ذلك كافٍ أن يلتقي حبيبته في المنام.

(٢) أما النهار فنحن شريكان، فإننا نرى إشراقة ضحاها معاً، وإذا أدركت الشمس كبد السماء علتها كما علتني.

(٣) و (٤) يُخاطب الشاعر غزاله ليُزيل خوفها منه طالباً منها أن تذهب برعاية الله الرحمن، ولقد رعتك ذمتي وخفري لك آمنة، وألا تخاف فلن تصل إليها يد جانية تودّ الغدر بها طالما غنت حمام على الأغصان.

دَلَّهْتُنِي وَالْجَيْدُ مِنْهَا كَلَيْلَى
وَالْحَسَا وَالْبُعَامُ وَالْعَيْنَانِ^(١)

٢٤٤

مَنْ مِنْصَفِي

[البسيط]

يَا لِرِّجَالٍ لِهَمٍّ بَاتَ يَغْرُونِي
مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَادَ يُبْلِينِي^(٢)
مَنْ عَاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ؟
يَأْبَى فِيمَطُلُنِي دَيْنِي وَيَلْوِينِي^(٣)
لَا يُبْعِدُ النَّقْدَ مِنْ حَقِّي فَيَنْكُرُهُ
وَلَا يُحَدِّثُنِي أَنَّ سَوْفَ يَقْضِينِي^(٤)
وَمَا كَشُكْرِي شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي
وَلَا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِينِي^(٥)

(١) دَلَّهْتُنِي: أذهلتني. البُعَام: صوت الظبي. تلك الغزالة أذهلتني؛ فكل ما فيها شبه ما ليلي، فالجيد كجيدها والخصر كخصرها والصوت الحلو كصوتها والعينان الجميلتان كعينها.

(٢) يستغيث الشاعر بالرجال ليعيدوا عنه همًا ينتابه في كل وقت، ليلاً نهاراً، فجديده وقديمه على وشك أن يقضي عليه ويؤدي به إلى الهلاك.

(٣) يُفْتَش عَمَّنْ يُعِينُهُ عَلَى اسْتِرْجَاعِ حَقِّهِ مِمَّنْ سَلَبَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ يَنْكُرُ عَلَيْهِ دَيْنَهُ فَيُمَاطِلُهُ وَيُسَوِّفُهُ، فَيَعِدُهُ ثُمَّ يُخْلِفُهُ الْوَعْدَ.

(٤) وَرَدَ الْبَيْتُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ٢٦٢:٧ مَادَّةَ (بِعَط) «الإِبْعَاط: الإِبْعَاد...» وَقَالَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ: لَا يُبْعِطُ النَّقْدُ مِنْ دَيْنِي فَيَجْحَدُنِي...». فَهُوَ مَآكِرٌ لَا يَرْفُضُ أَنْ يَنْقُذَنِي حَقِّي وَلَا يُنْكِرُهُ عَلَيَّ، وَهُوَ لَا يَذْكُرُ لِي أَنَّهُ سِيرَدٌ لِي حَقِّي.

(٥) وَمَنْ طَبَعَهُ الْعِنَادُ، فَلَوْ وَافَقَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ لَشُكْرَتُهُ وَوَفَّيْتُ لَهُ الشُّكْرَ، وَأَبْغِي لِقَاءَ مَنْهُ، فَذَلِكَ مَطْلَبِي وَأُمْنِيَّتِي لَيْسَ إِلَّا.

- أَطْعْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ
 (١) فِي أَمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهُوَ يَعْصِينِي
 خَيْرِي لِمَنْ يَبْتَغِي خَيْرِي وَيَأْمُلُهُ
 (٢) مَنْ دُونَ شَرِّي، وَشَرِّي غَيْرُ مَأْمُونٍ
 وَمَا أَشَارُكَ فِي رَأْيِي أَخَا ضَعْفٍ
 (٣) وَلَا أَقُولُ: أَخِي مَنْ لَا يُؤَاتِينِي

٢٤٥

بين اليأس القاتل والرجاء أعيش

[البسيط]

- يَا صَاحِبِي الْمَّابِي بِمَنْزِلَةٍ
 (٤) قَدْ مَرَّ حِينَ عَلَيْهَا أَيَّمَا حِينٍ
 فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ دِيْوَانُ مَعْرِفَةٍ
 (٥) لَمْ يُبْقِ بَاقِيَةَ ذِكْرِ الدَّوَاوِينِ
 إِنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الْحُبِّ تَقْتُلُنِي
 (٦) وَكَانَ فِي بَدْئِهَا مَا كَانَ يَكْفِينِي

- (١) انساق الشاعر طوعاً لأمره ومال معه حيث مال الهوى، ولا يستمع لنصيحة أحد،
 ورغم طاعتي له فهو يعصيني ولا يستجيب لرغبتني.
 (٢) من صفات الشاعر أنه كريم، فخيره يشمل كل ما هو خير، وهو مباح لكل من
 يرغب به دون شره، وشره غير مأمون العواقب، ولذا فليحذر كل شره.
 (٣) ومن طبعه استشارة من يتمتع بحصافة رأيه، أما الضعيف فلا يستعين به لضعف رأيه
 وقلة حيلته، ومن طبعه أنه لا يؤاخي من لا يؤافقه ولا يصحبه.
 (٤) يخاطب صديقيه أن يقفا على أطلال من مر عليها زمن بعيد فضاه سعيداً.
 (٥) للشاعر جولات وجولات في تلك الديار، فمعرفة لها معرفة معايشة ومصادقة،
 ولقد انمحت معالمها، ولذا فقد اختفت معالم الذكريات فيها.
 (٦) يرى الشاعر نسيمات الحب تهب عليه متتالية فيها الموت القاتل، وكان يكفي ما
 عرفه منها في أول الأمر.

- لا خَيْرَ في الحُبِّ لَيْسَتْ فِيهِ قَارِعَةٌ
 كَأَنَّ صَاحِبَهَا فِي نَزْعِ مَوْتُونٍ^(١)
 إِنَّ قَالَ عُدَّالُهُ: مَهْلًا، فَلَانَ لَهُمْ
 قَالَ الْهَوَى: غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ يُغْنِينِي^(٢)
 أَلْقَى مِنَ الْيَأْسِ تَارَاتٍ فَتَقْتُلُنِي
 وَلِلرَّجَاءِ بَشَاشَاتٌ فَتُخَيِّنِي^(٣)

٢٤٦

لو تعلمين

[البسيط]

- قَالَتْ: جُنِنْتُ عَلَى رَأْسِي، فَقُلْتُ لَهَا:
 الْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ^(٤)
 الْحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
 وَإِنَّمَا يُضْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحَيْنِ^(٥)

- (١) القارعة: النضال. الموتون: عرق في القلب. والحب بلا نضال ولا حرمان لا خير فيه كامرئ تقطعت نياط قلبه فقاسى لحظات النزاع الأخير.
 (٢) ومضمون الصراع أن العدال يطلبون منه الصبر فيلين، ولكن يرفض بعناد منكراً عليهم قولهم، ولسان حالهم يقول: غير هذا القول يغنيني.
 (٣) والشاعر بين أمرين: أولهما أنه تصادفه ظروف يداخله فيها اليأس القاتل، فيُميت فيه كل سانحة أمل تخطر على باله، وقد تمرّ لحظات أمل باسم فتحيي في نفسه الرجاء بسعادة الحياة.
 (٤) ينقل الشاعر حواراً بينه وبين حبيبته، لقد نطقَتْ بأنه قد جُنَّ من أجلها، فردَّ عليها أن الحب أعظم نعمة يُرزق بها المجانين.
 (٥) الحب نعمة يجعل من عرفه في حالة غيبوبة طوال العمر، أما من أحبَّ وغاص في بحر الحب فإنه يُصرع للوهلة الأولى ما إن يجوب عبابه.

لَوْ تَعْلَمِينَ إِذَا مَا غَبَتْ مَا سَقَمِي
وَكَيْفَ تَسْهَرُ عَيْنِي لَمْ تَلُومِينِي^(١)؟

٢٤٧

بين ليلي والغزال

[مجزوء الكامل]

أَخَذْتُ مَحَاسِنَ كُلِّ مَا
ضَنْتُ مَحَاسِنُهُ بِحُسْنِهِ^(٢)
كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا
لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُورُ قَرْنِهِ^(٣)

٢٤٨

حمامة جميلة

[الوافر]

كَأَنَّ بِجِيدِهَا وَالنَّحْرِ مِنْهَا
إِذَا مَا أُمَكَنْتُ لِلنَّاظِرِينَ
بِخَطِّ كَانَ مِنْ قَلَمٍ دَقِيقٍ
يَخُطُّ بِجِيدِهَا فِي النَّحْرِ نُونًا^(٤)

(١) هل تعلمين أن غيابك عني يجعلني مريضاً؛ فلا أعرف طعم النوم وتتوالى الليالي مسهّداً، وعندئذٍ لن تلوميني.

(٢) سلبت ليلي كلّ من لم يجد الحسن عليه بظاهرة من ظواهره وقصرتها عليها، فاستأثرت به لنفسها.

(٣) الشوى: اليدان والرجلان. إنها شبيهة غزال لولا ظاهرة الحيوانية فيه، القرنان والقوائم الأمامية والخلفية، وفيما عدا ذلك فهو يكاد يُشبهها.

(٤) يرى الناظر، بعد تدقيق النظر أن قلماً دقيق الخطّ قد جمع ما بين جيدها ونحرها فخطّ حرف النون؛ وذلك قلم إلهي ماهر.

٢٤٩

القلب البكر

[الطويل]

بِرُغْمِي أُطِيلُ الصَّدَّ عَنْهَا إِذَا نَأَتْ
أَحَازِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا^(١)
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا^(٢)

٢٥٠

صلاة

[البسيط]

يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّ وَمَغْفِرَةٍ
بَيِّتْ بَعَافِيَةَ لَيْلِ الْمُحِبِّينَا^(٣)
الذَّاكِرِينَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِهَا رَقْدُوا
السَّاقِطِينَ عَلَى الْأَيْدِي الْمُكَبِّينَا^(٤)
يَا رَبِّ، لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَداً
وَيَرْحَمْ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ: آمِينَ^(٥)

(١) و (٢) بدافع الحرص على من يُحبُّ الشاعر يمتنع ويُغالب نفسه فيُطيل الصدَّ عنها في حال ابتعادها عنه، لا لمقاصصتها ولكن مخافة ألسنة العذال وأعين الرقباء. ولقد تغلغل حبها في أعماق نفسه قبل تجربة الحب، فإذا بحبها يخترق حواجز قلب خلا من الحب وهمومه، فاستراح متمكناً فيه.
(٣) يناجي الشاعر ربه الغفور ذا المنّ ويطلب منه أن يجعل ليل المحبين ليلاً هادئاً فيبيتون بسعادة وعافية.

(٤) هؤلاء دائمو الذكر للمحبوب، وكلما حاولوا الرقاد، فرّ من أعينهم فقصوا الليل ساهرين يفكرون بمن يُحبُّون، وحتى عندما يسجدون في صلواتهم لا تخلو صلواتهم من حديث النفس بمن يُحبُّون.
(٥) يتمنى الشاعر من ربه أن يُديم عليه حبها وألا يحرمه نعمة هذا الحب، ثم يدعو لمن يؤمن على هذا الدعاء بالدعوة له بالرحمة.

٢٥١

الحمامات الحزينة

[الوافر]

- أَجَدُّكَ يَا حَمَامَاتِ بِطُوقٍ
 فَقَدْ هَيَّجَتْ مَشْغُوفاً حَزِيناً^(١)
 أَغْرَكَ يَا حَمَامَاتِ بِطُوقٍ
 بِأَنْي لَا أَنَامُ وَتَهْجَعِينَا^(٢)؟
 وَأَنْي قَدْ بَرَانِي الْحُبُّ حَتَّى
 ضَنْنْتُ وَمَا أَرَاكَ تُغَيِّرِينَا^(٣)
 أَرَادَ اللَّهُ مَحَلِّكَ فِي السُّلَامَى
 إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا^(٤)
 وَلَسْتُ وَإِنْ حَنْنْتُ أَشَدَّ وَجْداً
 وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُغْلِيْنَا^(٥)
 وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أَنْي
 أَحِلُّ عَنِ الْعِقَالِ وَتُعْقِلِينَا^(٦)

- (١) يخاطب الشاعر حمامات أليفات متمنياً لها الحظ السعيد، فقد أثر غناؤها به فهاج به شوق المحب الحزين.
- (٢) و (٣) ويسأل الشاعر الحمامات بشوق عن سبب غنائها هل ما رآته من حالته المستغربة؟ فهو لا يعرف للنوم طعاماً، دائم السهر، أرقه حبّ معذب وهي تغفو رخيّة البال لا هم لها. فأنا هدّ حيلي الحبّ فبراني وسلبني العافية فدبّ فيّ الضعف، وأراك على حالك لم تتغيري.
- (٤) المحل: الجذب. السُّلَامَى: العظم المَجُوف الصغير. جعل الله تعالى فيك إرادة صلبة فلا تهتمين كثيراً لمن تحنين وتشتاقين.
- (٥) وأنت في حال شاقك الحنين فإنك لست أكثر مني شوقاً لمن أحبّ، فأنا أخفي وجدي فلا أعلنه، أما أنت فإنك تعلنينه على الملأ ولا تخفينه.
- (٦) وكلانا يعاني من الحبّ، فلديّ مثل ما لديك منه، غير أنني أعلن عمّا أعانيه من بناييع مشاعري وأنت لا تفصحين عمّا بك.

- أَمَّا وَاللَّهِ، غَيْرَ قَلَى وَبُغْضٍ
 أُسِرُّ وَلَمْ أَزَلْ جَزِعاً حَزِيناً^(١)
 لَقَدْ جَعَلْتُ دَوَاوِينَ الْغَوَانِي
 سَوَى دِيَوَانٍ لَيْلَى يَمَّحِينَا^(٢)
 فَقَدْ مَا كُنْتُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي
 وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى مَا تَطْلُبِينَا^(٣)
 أَلَا لَا تَنْسِينَ رَوْعَاتِ قَلْبِي
 وَعَضْيَانِي عَلَيْكَ الْعَاذِلِينََا^(٤)

٢٥٢

على نجد تحية

[الوافر]

- أَحِنُّ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ قَوْمِي
 وَأُبْكِي إِنْ سَمِعْتُ لَهَا حَنِيناً^(٥)
 سَقَى الْغَيْثُ الْمَجِيدُ بِلَادَ قَوْمِي
 وَإِنْ خَلَّتِ الدِّيَارُ وَإِنْ بَلِينَا^(٦)

- (١) يُقَسِّمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ لَا يَخْفِي عِدَاءً أَوْ بُغْضاً، أَوْ كِرَاهِيَةً لِمَنْ يُحْزِنُنِي وَيَعْمَلُ عَلَى التَّفْرِيقِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحَبُّ، فَالْحُزْنُ مَلَأَ الْقَلْبَ الْخَائِفَ.
 (٢) لَقَدْ انْمَحَتْ مِنْ ذَاكِرَتِي كُلُّ مَجَالِسِ الْغَوَانِي الَّتِي كُنْتُ أُرْتَادُهَا إِلَّا مَجْلِساً فَلَا أَزَالُ أَذْكُرُهُ حَيّاً فِي ذَاكِرَتِي.
 (٣) يَخَاطِبُ الشَّاعِرُ حَبِيبَتَهُ، أَنَّكَ كُنْتَ فِيمَا مَضَى أَمَلِي دُونَ سَائِرِ النَّاسِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى جَعْلِي مَطِيعاً لَكَ، أَنْفُذْ مَا تَأْمُرِينَ بِهِ دُونَ تَرَدُّدٍ.
 (٤) لَذَا أَمَلُ أَلَا تَنْسِي دَقَاتِ قَلْبِي حَالَمَا تَذْكُرِينَ، وَعَضْيَانِي فِيكَ وَفِي سَبِيلِ رِضَاكَ أَقْوَالِ الْعَذَالِ اللَّائِمِينَ.
 (٥) يَقْتُلُ الشَّاعِرُ حَنِينَ فِي حَالِ رُؤْيَيْهِ جَمَالَ عَشِيرَتِهِ أَمَامَ نَظَرِيهِ، وَيُبْكِي إِذَا سَمِعَ لَهَا حَنِيناً إِلَى الدِّيَارِ، فَهُوَ بِدَوْرِهِ يَهْفُو إِلَى تِلْكَ الرُّبُوعِ.
 (٦) يَدْعُو الشَّاعِرُ اللَّهَ أَنْ يَرْسِلَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ غَيْثاً مُغِيثاً، وَحَتَّى فِي حَالِ رَحِيلِهِمْ عَنْ تِلْكَ الدِّيَارِ أَوْ فِي حَالِ مَوْتِهِمْ.

على نَجْدٍ وَسَاكِنِ أَرْضِ نَجْدٍ
تَحِيَّاتُ يَرْحُنَ وَيَغْتَدِينَا^(١)

(١) يهدي الشاعر سلاماً عطراً إلى نجد وساكنيها، ولتكن التحيات غادية رائحة في تلك الربوع.

قافية الهاء

٢٥٣

إكرام شبيهها

[البسيط]

يا صاحِبَيَّ اللَّذَيْنِ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا
 فِي الْحَبْلِ شَبْهًا لِلَّيْلِ ثُمَّ غَلَّاهَا^(١)
 إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أُعْطَافٍ شَاتِكُمَا
 مُشَابِهًا أَشْبَهَتْ لَيْلَى فَحَلَّاهَا^(٢)
 وَأَرْشَدَاهَا إِلَى خَضِرَاءَ مُعْشِبَةٍ
 يَوْمًا وَإِنْ طَلَبْتَ إِلْفًا فَدَلَّاهَا^(٣)
 وَأَوْرَدَاهَا غَدِيرًا، لَا عِدْمُتُكُمَا،
 مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ قَرِيبٍ عِنْدَ مَرْعَاهَا^(٤)

(١) و (٢) يخاطب الشاعر صاحبيه وقد اصطادا غزالة وقيداهما بحبل، إنها شبه ليلي، لذا فإنه يطلب منهما أن يفكّا قيداهما، فأعطافها شبيهة بما تتمتع به ليلي.

(٣) ويطلب منهما أن يرشداها إلى خَمِيلَةٍ ذات خضرة ونماء، يكثر فيها العشب، وحتى لو طلبت إلفاً فدلاها عليه.

(٤) ويطلب منهما أن يوقرا لها الماء في غدير ويورداها حيث ماء المطر قرب مرعاها، ويدعو لهما بالخير ودوام العيش.

٢٥٤

غيرة

[الوافر]

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى
 قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا^(١)؟
 وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونٌ لَيْلَى
 رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا^(٢)
 كَأَنَّ قُرْنُفُلًا وَسَحِيقَ مِسْكِ
 وَصَوْبَ الْغَادِيَاتِ شَمِلْنَ فَاهَا^(٣)

٢٥٥

ليتها تراه كما يراها

[الوافر]

بَكَى فَرَحاً بِلَيْلَى إِذْ رَأَاهَا
 مُجِبّاً لَا يَرَى حَسَناً سِوَاهَا^(٤)

(١) ورد البيت في: الأغاني ٢١:٣، المنصف، لابن جني ٢١:٣، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ١٠٢:٩، خزانة الأدب، للبغدادي ٢١٠:٤، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٨٤ (٣٠٨). يسأل الشاعر زوج ليلى بالله العظيم، هل ضممت ليلى، وفي نفسه حسرات تقطر منها الغيرة والنقمة، قبيل انبثاق الفجر، أو هل قبَّلَ فاهها، وهو يتمنى لو فعل ذلك دونه.

(٢) ورد البيت في: الأغاني ١٦٩:١، المنصف، لابن جني ٢١:٣. ويسأل الشاعر زوج ليلى إذا ما تماوجت خصلات شعر ليلى عليك بالطيب كروائح الأفحوان المضمخ بالندى.

(٣) ورد البيت في: المنصف، لابن جني ٢١:٣. وكأن فاهها ينفث زهر القرنفل ومسحوق المسك، وغوث السحب مع الفجر الضاحك.

(٤) بكاء المحب لدى رؤيته الحبيبة بعد غياب طويل له طعم خاص وتفتح نفس؛ فهو يراها الأجمل في نظره دون سواها.

لَقَدْ ظَفِرَتْ يَدَاهُ وَنَالَ مُلْكاً
لَّئِنْ كَانَتْ تَرَاهُ كَمَا يَرَاهَا^(١)

٢٥٦

عرفناها

[الوافر]

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتُ الْجِيَدَ مِنْهَا
وَعَيْنَيْهَا وَلَمْ نَعْرِفْ سِوَاهَا^(٢)
كَرِهْنَا أَنْ نُفَزَّعَهَا فَقُلْنَا:
أَشَلَّ اللَّهُ كَفِّي مَنْ رَمَاهَا^(٣)

٢٥٧

وداع نجد

[الوافر]

تَمَتَّعَ مِنْ دُرَى هَضَبَاتِ نَجْدٍ
فَإِنَّكَ مُوشِكٌ إِلَّا تَرَاهَا^(٤)
أَوْدَعُهَا الْعَدَاةَ فَكُلُّ نَفْسٍ
مُفَارِقَةٌ إِذَا بَلَغَتْ مَدَاهَا^(٥)

- (١) كأن الشاعر لدى رؤيته إياها، توج ملكاً وملك الأرضين السبع، وهو يتمنى لو أن نظرها وقع عليه لتراه كما يراها بحب ولهفة.
- (٢) إذا ما التفتت ليلي لفظة غزال سرقته نظري وشدة إليها فتعلق بأجمل ما فيها جيدها وعينيها، ولم يستترع انتباهي سواهما شيء.
- (٣) في نفس الشاعر حرص ألا يثير مخاوفها بنظرة، فقال لها: جعل الله تعالى يد من يسعى بنظرة ريبة فيشلها.
- (٤) و (٥) الشاعر على وشك الرحيل من بلد المولد، بلد الذكريات والحب، يوذ لو يشيع نظره من قمم هضبات نجد، لذا يطلب من نفسه أن يتملى بما يرى من مناظر، ويتأمل المصير، وفي نفسه غصة، ففي فجر اليوم التالي، سيلعب القدر =

٢٥٨

إنها منى كبدي

[الطويل]

يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ: لَيْلَى قَصِيرَةٌ
 فَلَيْتَ ذِرَاعاً عَرَضُ لَيْلَى وَطُولُهَا^(١)
 وَإِنْ بَعَيْنَيْهَا - لَعَمْرُكَ - شُهْلَةٌ
 فَقُلْتُ: كِرَامُ الطَّيْرِ شُهْلٌ عُيُونُهَا^(٢)
 وَجَاحِظَةٌ فَوْهَاءٌ، لَا بَأْسَ إِنَّهَا
 مُنَى كَبْدِي بَلْ كُلُّ نَفْسِي وَسُؤْلُهَا^(٣)
 فَدُقْ صِلَابَ الصَّخْرِ رَأْسَكَ سَرْمَداً
 فَأِنِّي إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ خَلِيلُهَا^(٤)

= لعبته المجنونة، فيكون فراق لا رجعة بعده؛ تماماً كالحياة، فكل نفس لا بد لها من الرحلة الأخيرة إذا ما بلغت أجلها المحتوم.

(١) يعمل الوشاة على تنفير الشاعر من ليلى بقولهم: إنها قصيرة، فيردّ عليهم بتصميم لا يدخله أدنى شك، لا يهم الأمر، فلو كان ذراعاً طولها والمهم أنها ملكت قلبه وهام بحبها.

(٢) الشُّهْلَةُ: زُرْقَةٌ تشوب سواد العين. ومن المعلوم أن العرب يحبون العيون السوداء الكبيرة كعيون البقر الوحشي، وما يدلّ على أنّ والدتها ليست من أصل عربي زُرْقَةٌ في عينيها، فيردّ عليهم بأنّ كرام الطير شُهْلُ العيون.

(٣) ويردّف الواشون بأن ليلى فوهاء، متّسع فمها، فيردّ عليهم مقولتهم أن الأمر لا يهم ولا بأس فهي منى نفسي وراحة كبدي بل وجودي كله، وهذا ما أسأل عنه في حياتي وأسعى إليه.

(٤) ويردّف الواشون أيضاً قائلين: أنت وما أردت وعليك أن تتحمّل تبعات اختيارك، فدق رأسك بالصخر الصلب طوال عمرك، فيردّ عليهم بتصميم لا رجعة فيه أنه سيكون إلى آخره عمره حبيبها.

٢٥٩

أُمْنِي النَّفْسَ بِسَاعَةِ مِنْكَ

[البسيط]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةٌ
 بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أُعْنِيهَا^(١)
 مَنِّيْتُكَ النَّفْسَ حَتَّى قَدْ أَضَرَّ بِهَا
 وَاسْتَيْقَنْتُ خُلْفًا مِمَّا أُمْنِيهَا^(٢)
 وَسَاعَةً مِنْكَ أَلْهُوَهَا وَإِنْ قَصُرَتْ
 أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٣)

(١) أعنيها: أخضعها. الله تعالى يعلم أن نفسي هالكة، فقد استولى عليّ اليأس من نوالك، ورغم ذلك فإنّي لا أتوانى على تذليلها فهي تنازعني بين البقاء على حبك أو الرحيل عنه، ولكنني أحملها على حبك رغماً عنها.

(٢) لطالما تمنيت أن تكوني ما تسعى إليه النفس حتى أنهكها السعي في سبيلك وسبيل رضاك حتى استيقنت أن تلك الأمانى كاذبة.

(٣) ويكفيني أن أقضي إلى جانبك ساعة، حتى لو مضت بسرعة لهي عندي أحب إليّ من الوجود وما فيه من مسرات ومُتَع الحياة.

قافية الياء

٢٦٠

لَبَّيْكَ

[الخفيف]

بينما نحنُ بالبلاكَثِ بالقَا
عِ سِرَاعاً وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيَا^(١)
خَطَرْتُ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْ
رَاكِ وَهَنَاءَ فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيَا^(٢)
قُلْتُ: لَبَّيْكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّو
قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطِيَا^(٣)
فَكَّرَرْنَا صُدُورَ عَيْسٍ عِتَاقِ
مُضْمِرَاتِ طَوَيْنَ بِالسَّيْرِ طِيَا^(٤)

(١) و (٢) البلاكث: اسم موضع. العيس: النوق السريعة. يذكر الشاعر ما قام به لدى تجواله حيث كان يحث المسير في البلاكث بالقاع، والنوق التي كان يمتطيها مع صاحبيه تنهب الأرض والليل يكاد يتصف أن حرّك قلبه خاطر قفز من الذاكرة حملة على التوقّف والتفكير.

(٣) و (٤) كان القرار سريعاً، أن قال الشاعر: لبيك استجابة سريعة؛ ذلك أن الحبّ فعل فعله في النفس، ثم طلب من الحاديين اللذين يحدوان في العيس أن يسرعا ويلوبا أعنة المطي إلى حيث ينوي الشاعر التوجه، فكان ما أراد، فكّر القوم على نوق ضامرة بسبب السير الطويل وهي تطوي المسافات طياً دون راحة.

ذَاكَ مَا قَدْ لَقِينَا مِنْ دَلَجِ اللَّيْلِ
وَقَوْلِ الْحُدَاةِ بِاللَّيْلِ: هَيَّا^(١)

٢٦١

مناجاة

[الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِوِ نَاهِيَا^(٢)
وَيَوْمَ كَظِلَّ الرُّمَحُ قَصَّرتُ ظِلَّهُ
بَلَيْلَى فَلَهَّانِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا^(٣)
بِثَمْدِينَ لَاحَتْ نَارُ لَيْلَى وَصُحْبَتِي
بِذَاتِ الْغَضَى تُزْجِي الْمَطِيَّ النَّوَاجِيَا^(٤)
فَقَالَ بَصِيرُ الْقَوْمِ: أَلَمَحْتُ كَوَكْبًا
بَدَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فَرْدًا يَمَانِيَا^(٥)

(١) وكانت العيس تسبح مسرعة بنا والليل مُعتم، وذلك بلا راحة ولا نوم، ولا يتوانى الحداة يستحثون النياق بقولهم: هَيَّا.

(٢) تذكر الشاعر ليلَى وما مضى من العمر: من سنين وأَيَّامَ، حيث كان يلهو في طفولته وليلى بلا خوف ولا رقيب ولا عزول.

(٣) إنه يوم لا ينسى طويل أمضيته فمضى بسرعة، كأنه ظل رمح قصير، إلى جانب ليلَى فلهوت، ولم يكن من عادتي اللهو.

(٤) ثَمْدِينَ: اسم موضع. الغَضَى: ضرب من شجر الأثل. كان ذلك بَثْمْدِينَ حيث لاحق نار ليلَى تشب، وكان صحبتي يحثُّون مطاياهم السريعة في بلاد نجد حيث ذات الغَضَى.

(٥) بصير القوم: كشَّاف الرحلة ذو النظر الثاقب. فقال كشَّاف الرحلة بثاقب نظره: لقد لاح لي نجم فريد يُمزق ظلمة الليل جهة اليمن.

فَقُلْتُ لَهُ: بَلْ نَارُ لَيْلَى تَوْقَدَتْ
 بَعْلِيَا تَسَامَى ضَوْؤُهَا فَبَدَا لِيَا^(١)
 فَلَيْتَ رِكَابَ الْقَوْمِ لَمْ تَقْطَعْ الْغَضَى
 وَلَيْتَ الْغَضَى مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا^(٢)
 فَيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ
 إِذَا جِئْتُكُمْ بِاللَّيْلِ لَمْ أَذْرِ مَا هِيَا^(٣)
 خَلِيلِي، إِنْ لَمْ تُبْكِيَانِي أَلْتَمَسْ
 خَلِيلًا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا^(٤)
 فَمَا أُشْرِفُ الْأَيْفَاعَ إِلَّا صَبَابَةً
 وَلَا أَنْشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا^(٥)
 وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْتَيْنِ بَعْدَمَا
 يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٦)

- (١) فرد الشاعر قائلاً: بل إنها نار ليلى تشبّ عالياً فبدا لي كأنه نجم يتألاً في السماء .
 (٢) تمنى الشاعر لو لم تمر القافلة في نجد حيث الغضى، وتمنى لو أن تلك الأشجار تمتد مسيرة ليلال .
 (٣) يخاطب الشاعر ليلى أنه كثيراً ما كان يجيء وفي نفسه حاجات مهمة يود أن يخبرها بها ولكن ما إن يراها حتى تنهيه عن باله ولا يعرف ما يقوله لها؛ وذلك بسبب اندهاشه لرؤية من يحب ولشدة شوقه لها .
 (٤) التمس: طلب وفتش. أنزفت دمعى: جعلته ينتهي ويتوقف. يخاطب الشاعر صديقيه حائلاً لهما على البكاء، وإن لم يفعلا فإنه سيطلب صديقاً يقوم بذلك في حال نفدت دموعه .
 (٥) الأيفاع: التلال المطلة. فثمة سبب يحملني على أن أتسلق التلال المطلة على حي ليلى، هو حبي لها وحنيني، وكذلك فإنشادي الأشعار لأفرج عن نفسي آلامها فأنداوى بذلك .
 (٦) ورد البيت في: التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ٣٢٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١١٣: ٢. ومن الممكن أن يجمع الله تعالى البعيدين المتفرقين وهما يظنان أن ذلك بعيد الحدوث وأنهما لن يجتمعا .

لَحَى اللّهُ أَقْوَاماً يَقُولُونَ: إِنَّا
 وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحُبِّ شَافِيَا^(١)
 وَعَهْدِي بِلَيْلى، وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدِ
 تَرُدُّ عَلَيْنَا بِالْعَشِيِّ الْمَوَاشِيَا^(٢)
 فَشَبَّ بَنُو لَيْلى وَشَبَّ بَنُو ابْنِهَا
 وَأَعْلَاقُ لَيْلى فِي فُؤَادِي كَمَا هِيََا^(٣)
 إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِساً نَسْتَلِدُّهُ
 تَوَاشَوْا بِنَا، حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِيَا^(٤)
 سَقَى اللّهُ جَارَاتِ لَيْلى تَبَاعَدَتْ
 بِهِنَّ النَّوَى حَيْثُ اخْتَلَلْنَ الْمَطَالِيَا^(٥)
 وَلَمْ يُنْسِنِي لَيْلى افْتِقَارٌ وَلَا غِنَى
 وَلَا تَوْبَةٌ حَتَّى اخْتَضَنْتُ السَّوَارِيَا^(٦)

(١) لِشَدَّةِ تَمَسُّكِ الشَّاعِرِ بِحَبِّهِ لِلْيَلَى يَدْعُو اللّهُ تَعَالَى بِلَعْنٍ مِنْ يَلْعَنُ عَنْ اكْتِشَافِ دَوَاءِ نَاجِعٍ يُوَدِّي بِالمَحَبِّ بِشَفَائِهِ مِنَ الحُبِّ.

(٢) مُؤَصَّدَةٌ: أَي تَرْتَدِي قَمِيصاً صَغِيراً. يُعْلِنُ الشَّاعِرُ مَعْرِفَتَهُ بِلَيْلى يَوْمَ كَانَتْ طِفْلةً صَغِيرَةً أَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَدِي قَمِيصاً صَغِيراً، يَرَاهَا وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَى الحَيِّ بِرَفْقَةِ النِّعَمِ مِنَ الرِّعَاءِ مَعَ الْمَسَاءِ.

(٣) مَرَّ الزَّمَنُ وَكَبُرَتْ لَيْلى وَبَنُوها وَأَحْفَادُها، وَلَا يَزَالُ قَلْبِي مَعْلَقاً بِهَا كَمَا كَانَتْ فِي صَغَرِهَا.

(٤) وَلَوْ سَمَحَ لَنَا الزَّمَانُ أَنْ نَتَّخِذَ مَجْلِسَ وُدٍّ وَلِهَوٍّ لَوَجَدْنَا الْوِشَاةَ يَتَهَامِسُونَ وَيَتَغَامِزُونَ وَيُشِيرُونَ بِأَصَابِعِهِمْ، فَيُنْغَصُّ عَلَيْنَا مَجْلِسُنَا فَتَمَلَّ الْمَكَانَ وَنَفْتَرِّقَ مَغْضَبِينَ.

(٥) الْمَطَالِي، وَاحِدَتُهَا مَطْلَاءٌ: السَّوَاقِي. يَدْعُو الشَّاعِرُ اللّهُ تَعَالَى أَنْ يَبَارِكَ جَارَاتِ لَيْلى اللَّوَاتِي رَحَلْنَ بَعِيداً عَنِ الدِّيَارِ وَاتَّخَذْنَ مَسَاكِنَ لِهِنَّ قَرِيباً مِنَ السَّوَاقِي.

(٦) السَّوَارِي، وَاحِدَتُهَا سَارِيَّةٌ: الْأَمَكْنَةُ الْمَرْتَفَعَةُ. يَقَرُّ الشَّاعِرُ بِاسْتِمْرَارِ حَبِّهِ لِلْيَلَى، لِذَا فَلَا فَقْرَ وَلَا غِنَى وَلَا تَوْبَةَ عَنْ حَبِّهَا حَتَّى أَلَمَّ بِالْأَمَكْنَةِ الْعَالِيَةِ.

وَلَا نِسْوَۃٌ صَبَّغْنَ كَبْدَاءَ جَلْعَدًا
 لِتُشْبِهَ لَيْلَى ثُمَّ عَرَّضْنَهَا لِيَا^(١)
 خَلِيلَيَّ لَا، وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي
 قَضَى اللَّهَ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا^(٢)
 قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا
 فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا^(٣)؟
 وَخَبَّرْتُ مَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنُزِلٌ
 لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاثِيَا^(٤)
 فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ
 فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا^(٥)؟
 فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ
 وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا^(٦)

- (١) كبداء: امرأة ضخمة. الجلعد: المرأة الصلبة المسنة. ولا حتى النسوة المسنات الضخام اللواتي صبغن أنفسهن بشتى أنواع الصباغ، ليشبهن ليلى، وغرضهن أن يجعلنني أميل إلى إحداهن، ما أفلحن أن يبعدنني عنها.
- (٢) و (٣) ويُقسم الشاعر لصاحبيه باللَّه العظيم أنه ليس بمقدوره ردّ القضاء الإلهي المقدر له ولليلى؛ فقد قسم الله لليلى أن تكون من حظّ غيره، وحتمّ عليه أن يتتليه بحبّها، ويتمنى لو أن الله تعالى قد قدرّ عليه غير ذلك.
- (٤) و (٥) ويخاطب الشاعر صاحبيه اللذين نقلا خبراً مفاده أن ليلى سترحل إلى تيماء حيث تُقيم إلى جانب زوجها في مطلع الصيف، ولكن سرعان ما رحل الصيف، ويتساءل الشاعر فما بال النوى يتسع مداها والبعد تتراعى مسافاتهما؟
- (٦) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٥١: ٦، خزانة الأدب، للبيгдаي ٣٩٥: ٤، شرح شواهد الشافية، للبيгдаي: ٧١، ٤٠٥، مغني اللبيب وشرح شواهد، للسيوطي: ٢٨٩ (٢٣٨)، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٥٣: ١، الدرر اللوامع ٢٩: ١، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٠٠، حاشية الدمنهوري على متن الكافي ٩٠: ١. ومن طبيعة من فسدت =

وَمَاذَا لَهُمْ؟ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُمْ
 مِنَ الْحَظِّ فِي تَضْرِيمٍ لَيْلَى حَبَالِيَا^(١)
 وَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبٍّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ
 بِي النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا^(٢)
 فَيَا رَبَّ سَوِّ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 يَكُونُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٣)
 فَمَا طَلَعَ النَّجْمُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ
 وَلَا الصُّبْحُ إِلَّا هَيَّجًا ذَكَرَهَا لِيَا^(٤)
 وَلَا سِرْتُ مِيلاً مِنْ دِمَشْقٍ وَلَا بَدَا
 سُهَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا بَدَا لِيَا^(٥)

= أخلاقه أن يُفَرِّقَ بين الأحباب والأصحاب، فلو أن أحد الوشاة علم بحالي وحال ليلى وهو باليمامة، ودار الشاعر بأعلى حضرموت لنم عليه لدى ليلى فأخبرها بما يُنْقَرُّها من قيس.

(١) يسأل الشاعر ما الذي يربحه الوشاة بقطع صلتى بليلى وماذا يجنون؟ ويدعو الله تعالى عليهم ألا يُحسن أحوالهم.

(٢) النقض: الهجر. الإبرام، جاءت هنا العلاقة الحميمة، يروي الشاعر رحلة حبه، كان في بادئ الأمر يمسك بعواطفه ويتحكم بإرادته، ولكن الأمر كان يتأرجح، فتارة هجر ونقض ووصال ولقاء حتى تمكن مني حب ليلى واستحكم لدي.

(٣) الكفاف: كل ما يكفي المرء من غذاء وغيره. يخاطب الشاعر ربه راجياً منه أن يجعل الحب بينه وبين حبيبته بالتساوي بلا زيادة ولا نقصان.

(٤) و (٥) الأمر سيان وكل حركات الكون تُثير عواطف الشاعر، فلا النجم الذي يُهْتَدَى بنوره ولا الفجر إلا ويذكران بها، فيهيجان مشاعره. وحتى لو سار من دمشق قدر ميل وكذلك لو نجم سهيل أطل على أهل الشام يتلأأ في ظلمة الليل، إلا ظهر له فذكره بها، لذا فذكرها لا تفارقه ليل نهار.

وَلَا سُمِّيَتْ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّةٍ
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رِدَائِيَا^(١)
 وَلَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْجَنُوبُ لِأَرْضِهَا
 مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا بَتُّ لِلرِّيحِ حَانِيَا^(٢)
 فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَتَحُمُوا بِلَادَهَا
 عَلَيَّ فَلَنْ تَحُمُوا عَلَيَّ الْقَوَافِيَا^(٣)
 فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أُحِبُّهَا
 فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا^(٤)؟
 قَضَى اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِعَيْرِنَا
 وَبِالشَّوْقِ مِنِّي وَالْغَرَامِ قَضَى لِيَا^(٥)
 وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 أَشَابَ فُوَيْدِي وَاسْتَهَامَ فُوَادِيَا^(٦)

- (١) واسم ليلى في نفس الشاعر له صدى السحر، فإذا ما سمع أحداً يُنادي باسم ليلى إلا أثار فيه ألماً جعله يبكي فيبّل دمه رداءه.
- (٢) حتى الريح الجنوبية لها تأثيرها العظيم في قلبه، فلو مرّت حيث ليلى ليلاً إلا مال الشاعر يتنشق عبيرها وأحبّها لذلك.
- (٣) يخاطب الشاعر أولياء ليلى وأقاربها أنهم لن يُفلحوا بمنعه التشبيب بها وإن نجحوا بمنعها عنه وحالوا دونه ودون بلادها.
- (٤) يُقسم الشاعر بالله العظيم أنه يُحبّ ليلى، فهذا من حظها، وهو بدوره يودّ معرفة ما تخبّئه ليلى للشاعر، فهل تحبه كما يُحبّها؟
- (٥) قضى الله تعالى فقسّم ليلى وجعلها من حصّة رجل غريب وقضى بأن جعله يُحبّها ويتعذّب من أجلها.
- (٦) الفؤيد، تصغير فود: الصدغ. كان أمل الشاعر كبيراً أن يحصل على ليلى، ولكن الأمل ضاع وتقدّم العمر وبدأ الشيب يغزو فوديّ وهام فؤادي في التيه والضياع.

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
 وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا ^(١)
 وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ خَالِيَا ^(٢)
 أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا
 بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا ^(٣)
 وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبَّهَا
 وَعُظْمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا ^(٤)
 أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
 أَوْ أَشَبَّهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا ^(٥)
 خَلِيلِي لَيْلَى أَكْبَرُ الْحَاجِ وَالْمُنَى
 فَمَنْ لِي بَلِيلَى أَوْ فَمَنْ ذَا لَهَا بِيَا ^{(٦)؟}

(١) و (٢) إحساس الشاعر بالضجر والخوف من المجهول جعله يعدّ الليالي ليلة بعد ليلة، وكان في السابق لا يهتم لمرور الزمن لشعوره بالسعادة آنذاك كان ينتحي جانباً، فيخرج من داره ليخلو بنفسه ويكون حوار ذاتي، يُحدث الشاعر نفسه عن حبيبته.

(٣) وحالة الضياع وشدة تأثير ليلي في الشاعر تجعله يُيمّم وجهه في الصلاة ناحيتها، علماً أنه يعلم أن القبلة وراءه.

(٤) يقرّ الشاعر أنّه غير مشرك، وذلك يحدث منه بسبب شدة حبه لها ونداء القلب المبتلى أتعب الطبيب، فباء سعيه بالفشل، وحتى الدواء فقد فائدته.

(٥) يقرّ الشاعر بحبه لكل من تسمّت باسم ليلي أو حتى ما أشبهه أو أحرف ذلك الاسم قريبة من الأصل.

(٦) يخاطب الشاعر صاحبيه أن ليلي أغلى أمانيه وحاجته إليها أقوى من أي شيء. ثم يسأل هل يستطيع أحد أن يصله بها أو يصلها به؟

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْكَيْتَنِي يَا حَمَامَةَ الْعَقِيبِ
 قِ وَأَبْكَيْتِ الْعُيُونَ الْبَوَاكِيا^(١)
 خَلِيلِي مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَمَا
 أَرَى حَاجَتِي تُشْتَرَى وَلَا تُشْتَرَى لِيَا^(٢)
 وَتُجْرِمُ لَيْلِي ثُمَّ تَزْعَمُ أَنَّني
 سَلَوْتُ وَلَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ مَا بِيَا^(٣)
 فَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا خَلِيلِي صَبَابَةٍ
 أَشَدَّ عَلَى رَغْمِ الْأَعَادِي تَصَافِيَا^(٤)
 خَلِيلَانِ لَا نَرْجُو اللَّقَاءَ وَلَا نَرَى
 خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُونَ تَلَاقِيَا^(٥)
 وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ أَنْ تَعْرِضَ الْمُئْنَى
 بِوَضْلِكَ أَوْ أَنْ تَعْرِضِي فِي الْمُئْنَى لِيَا^(٦)

(١) يخاطب الشاعر حمامة العقيب، إحدى حمائم المدينة المنورة، وهو يُقسم بـ «عمره» على الطريقة الجاهلية أنها بغنائها الشجي جعلته يبكي، وكذلك جعلت عيوناً تبكي لأجله.

(٢) يخاطب الشاعر صاحبيه أن فرصته في سبيل عيش سعيد منعم فات، فقد أمل أن تكون ليلي قد اشتراها ذووه له، ولكن هناك من اشتراها لنفسه دونه. ما قيمة العيش إذا؟

(٣) تخطئ ليلي بحق الشاعر، ومما يزيد الشاعر ألماً تجنيها بأن الشاعر نسيها، وكل الناس على علم بحاله فهم يحسون ما يعانیه في سبيل حبه لها.

(٤) و (٥) يعجب الشاعر أنه وحبيبته لما يلاقياه من عذاب في حبهما، فهما يخلصان الحب رغم وجود الأعداء. وهما محبان لا يرجوان أن يجتمعا بينما يريان غيرهما من المحبين يرجون اللقاء.

(٦) استحياء: تركه حياً. إن الشاعر يستحلف حبيبته أن تبقي عليه حياً، وقد تشاء الظروف ويلتقيان، أو أن تعمل حبيبته على تحقيق تلك الأمنية.

يَقُولُ أَنَسٌ: عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٌ
يَرُومُ سُلُوءًا. قُلْتُ: أُنَى لِمَا بِيَا^(١)؟
بِي الْيَأْسُ أَوْ دَاءُ الْهُيَامِ أَصَابَنِي
فَلِيَّائِكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا^(٢)
إِذَا مَا اسْتَطَالَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فَشَانُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا^(٣)
إِذَا اكْتَحَلْتَ عَيْنِي بِعَيْنِكَ لَمْ تَزَلْ
بِخَيْرٍ وَجَلَّتْ غَمْرَةٌ عَنْ فُؤَادِيَا^(٤)
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشَقَيْتِ عَيْشَتِي
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا^(٥)
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَى
يَرَى نَضُومًا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا^(٦)

- (١) ورد البيت في لسان العرب ١١: ٦٠٧ مادة (لعل) «الجوهري: لعل كلمة شك، وأصلها علّ، واللام في أولها زائدة؛ قال مجنون بني عامر: . . . أتى لما بيا». يتناقل الناس مقالة آملين فيها أن ينسى الشاعر حبه، فيردّ عليهم ليس للسلوان عندي طريق وكيف ذلك وقلبي يملؤه حبّ عظيم؟
- (٢) ويردّ مخاطباً أحد القائلين، لقد استولى عليه اليأس والحبّ جعله يهيم في البراري والقفار، فابتعد عني لئلا يصيبك من مرضي ما يعديك.
- (٣) يُخاطب الشاعر ليلي أم مالك أن الموت سيُدرّكه حتى لو طال به العمر، وذلك لا مفرّ منه، وهذا شأنه في سائر البشر، وشأني أن أقع فريسة الموت ذات يوم.
- (٤) و (٥) إذا ابتسم الزمن لي والتقت عيني بعينك واكتحلت بمراك شعّ نور السعادة فيهما وزال الهمّ عن قلبي. فأنت سرّ شقائي إن بخلت بلقاء ورّضى وأنت سرّ سعادتي إن أنعمت عليّ بما أحبّ وأتممتي.
- (٦) النضو: الثوب البالي، وأنت أضنيتني حتى ساءت أحوالي وأصبحت كثوب بالٍ لشدة ضعفي، لذا ما من مخلوق، سواء أكان صديقاً أم عدوّاً رأياني إلا رثى لي.

أَمْضُروْبَةً لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا
 وَمُتَّخِذُ ذَنْباً لَهَا أَنْ تَرَانِيَا^(١)؟
 إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
 أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا^(٢)
 يَمِيناً إِذَا كَانَتْ يَمِيناً وَإِنْ تَكُنْ
 شِمَالاً يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا^(٣)
 هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِّلْسَحْرِ رُقِيَّةٌ
 وَإِنِّي لَا أَلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا^(٤)
 إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَامَنَا
 كَفَى لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكِ هَادِيَا^(٥)
 ذَكَتْ نَارُ شَوْقِي فِي فُؤَادِي فَأَصْبَحَتْ
 لَهَا وَهَجٌ مُسْتَضْرَمٌ فِي فُؤَادِيَا^(٦)

(١) يستنكر الشاعر على أهلها أنهم يضربونها ويهينونها لا شيء إلا لأنه يزورها زيارة بريئة ليس فيها فحش، وهم يعتبرونها مذنبه إذا رآته، وهل في ذلك ظلم إذا رآته؟

(٢) و (٣) ولو أن الشاعر سار في الأرض الفضاء راح يلاطف ناقته ويتملق لها حتى تميل نحو حبيبته، وهي تُبدي تمتعاً، وكأنها لا ترغب له العذاب، فيميل بها حيث يعلم أن ليلي تنزل في ديار على يمين الطريق، وإن كانت تنزل في ديار على شمال الطريق، نازعه حبّه فدفعه إلى حيث توجد وأطاعه بلا مقاومة أو اعتراض.

(٤) إنها السحر، ولكل سحر رقية تُبطله، ولكن سحرها لا يوجد ما يبطله لا في الزمان على امتداده ولا حتى في أرض الله تعالى الواسعة.

(٥) وإذا رحل الشاعر مع صحبه ليلاً، فيكفي أن يذكرها حتى تنساق المطايا بلا دليل وكأن شيئاً مجهولاً للسير حيث توجد.

(٦) شبت نار شوق الشاعر في فؤاده لذكره حبيبته فبدا لها ضياء وبريق يشتعل في قلبه.

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا
 عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا^(١)
 أَسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا؟
 وَحُبَّ عَلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا^(٢)
 أَلَا يَا حَمَامِي بَطْنُ نَعْمَانَ هَجُتُمَا
 عَلَيَّ الْهَوَى لَمَّا تَعَنَيْتُمَا لِيَا^(٣)
 وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
 أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا^(٤)
 وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا
 بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ اسْجَعَا عَلَّانِيَا^(٥)
 فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا أَوْ أَرْدَدْتُمَا
 لَحَاقًا بِأَطْلَالِ الْغَضَى فَاتَّبَعَانِيَا^(٦)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَيْلَى وَمَا لِيَا
 وَمَا لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبِ عَلَّانِيَا^(٧)

(١) يخاطب الشاعر قافلة تتجه إلى موطنها في بلاد اليمن أن يميلوا نحوهم، فحبّه أصبح يمانياً.

(٢) نَعْمَان: اسم جبل. يؤدّ الشاعر أن يستفسر عن جبل نَعْمَان هل تلاشى عن جغرافية الوجود بعد غيابه عنه؟ فحبّ واديه لا زال يعمر القلب والوجدان.

(٣) و (٤) يخاطب الشاعر حمامتي وادي نَعْمَان أنهما أثارتا مشاعر الشاعر وحركتا لواعج حبه عندما صدحا له غناءً شجيّاً، فجعله يبكي وهو وسط أصحابه، وهو في الحقيقة لا يهتم للبكاء مطلقاً لو كان قلبه يخلو من حبّ ليلى.

(٥) و (٦) ويخاطب القمريتين أيضاً طالباً منهما ترديد الغناء الجميل بلحنيهما وسقياه من سجعهما. ويسألهما إن كان ذلك الغناء جعلهما يطربان أو ذكرهما هذا اللحن الديار بأطلال «الغضى» فليتبعا، فإنه بدوره يقصد ذلك الربع.

(٧) مَرَّ العمر سريعاً، ولا زال الشاعر يعجب لما يُحسّ به نحو ليلى من مشاعر، =

أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بِلَيْلِي، أَلَا تَرَى
 إِلَى مَنْ تَشِيهَا أَوْ بِمَنْ جِئْتَ وَاشِيَا^(١)؟
 لَيْنَ ظَلَعَنَ الْأَحْبَابُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 فَمَا ظَلَعَنَ الْحُبُّ الَّذِي فِي فُرَادِيَا^(٢)
 فَيَا رَبِّ إِذْ صَيَّرْتَ لَيْلِي هِيَ الْمُئِي
 فَزِنِّي بِعَيْنَيْهَا كَمَا زِنْتَهَا لِيَا^(٣)
 وَإِلَّا فَبَعْضُهَا إِلَيَّ وَأَهْلُهَا
 فَإِنِّي بِلَيْلِي قَدْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا^(٤)
 عَلَى مِثْلِ لَيْلِي يَقْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ
 وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلِي عَلَى الْيَأْسِ طَاوِيَا^(٥)
 خَلِيلِي إِنْ ضُنُّوا بِلَيْلِي فَقَرِّبَا
 لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا^(٦)

= ويعجب أيضاً بالذي تُحسّ به ليلي وبإحساس الشباب تختلج به مشاعره وقد علاه الشيب.

(١) يخاطب الشاعر من أتاه يشي بليلي بأنه أخطأ العنوان، فيسأله أتعرف من تشي بها إليه؟ إنه الحبيب، ثم يُردف قائلاً: أَوْ بِمَنْ جِئْتَ وَاشِيَا؟ حتى ليلي فإنك لم تعرف مشاعرها ومقدار حبها لي.

(٢) لئن رحلت بعيداً عني يا أُمَّ مَالِكٍ، فإن الحب لا يزال يملأ القلب والروح والوجدان.

(٣) و (٤) ورد البيت في لسان العرب ١٣: ٢٠٢ مادة (زين) «و زانه وزينه بمعنى؛ وقال المجنون: . . . لي الهوى، . . .» يخاطب الشاعر ربه أنه جعل ليلي مناه وأمله في هذا الوجود ثم يطلب منه أن يجعله جميلاً بعينها كما جعلها جميلة بعينيه، وإلا فاحملني على كرهها وكره من تنتمي إليه؛ وذلك أنني تحملت في سبيلها وسبيل حبها الكوارث المدمرة.

(٥) لكل امرئ في حياته هدف يسعى لتحقيقه، فإلى من تتمتع بصفاتها يبذل المرء نفسه رخيصة ويضحي بها. حتى وإن كان يخفي اليأس من نوالها في قلبه.

(٦) يخاطب الشاعر صاحبيه طالباً منهما أن يحضرا نعشاً لنقل جثمانه في حال وفاته =

وهذه هي القصيدة نقلاً عن الديوان المخطوط، وواضح ما فيها من الاختلاف في الترتيب والزيادة والنقص، ولا يظهر إلا بإثباتها كلها:

تذكّرتُ ليلي والسنين الخواليا
وأيامَ لا نخشى على اللهو ناهيا
بِشَمَدَيْنِ لاحَتْ نارُ ليلي وصُحبتِي
بذاتِ الغُضى تزجي المَطيّ النواجيا
فقال بصيرُ القوم أَلْمَحْتُ كوكباً
بداً في سوادِ الليل فرداً يمانيا
فقلت له بل نارُ ليلي توقّدت
بعلياً تسامى ضوءها فبداليا
فليت رِكابَ القوم لم تقطع الغضى
وليت الغضى ماشى الرّكاب لياليا
فقلت - ولم أملك - لعمر و بن مالك:
أحتفُ بذات الرقمتين بداليا
تبدّلتُ من جدواكِ يا أمّ مالك
وساوسَ همّ يحتضرن وساديا
فإنّ الذي أمّلتُ من أمّ مالك
أشابَ قذالي واستهَامَ فؤاديا
فليتكم لم تعرفوني وليتكم
تخلّيتُ عنكم لا علي ولا ليا

= وأكفاناً وأن يطلبها له المغفرة من ربّه، ذلك أن أهل ليلي بخلوا بها عليه، وهو يبذل كلّ غالٍ في سبيل الحصول عليها.

خليلي إن بانوا بليلي فقربا
 لي النعش والأكفان واستغفرا ليا
 وخطا بأطراف الأسنة مضجعي
 وردوا على عيني فضل ردائيا
 ولا تحسداني بارك الله فيكما
 من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
 فيومان يوم في الأنيس مرنق
 ويوم أباري الرائحات الجواريا
 إذا نحن أذلجنا وأنت أمامنا
 كفى لمطايانا بريحك هاديا
 أعد الليالي ليلة بعد ليلة
 وقد عشت دهرأ لا أعد اللياليا
 إذا ما طواك الدهر يا أم مالك
 فشأن المنايا القاضيات وشانها
 رويدا لئلا يركب الحب والهوى
 عظامك حتى ينطلقن عواريا
 ويأخذك الوسواس من لاعج الهوى
 وتخرس حتى لا تجيب المناديا
 خليلي إن دارت على أم مالك
 صروف الليالي فابغيا لي ناعيا
 ولا تتركاني إلا لخير معجل
 ولا لبقاء تطلبان بقاءيا

خليلي ليلي قُرّة العينِ فاطلبا
 إلى قُرّة العينين تشفي سقاميا
 خليلي لا واللّه لا أملكُ البكا
 إذا عَلِمَ من آل ليلي بدا ليا
 خليلي لا واللّه لا أملكُ الذي
 قضى اللّه في ليلي ولا ما قضى ليا
 قضاها لغيري وابتلاني بحبّها
 فهلاً بشيءٍ غير ليلي ابتلاني
 خليلي لا تستنكرا دائم البكا
 فليس كثيراً أن أُديم بكائيا
 وكيف وما في العين من مُضْمَرِ الحشا
 تُضْمِنُهُ الأحزانُ منها مكاويا
 فيا رَبَّ سَوِّ الحَبَّ بيني وبينها
 يكونُ كفافاً لا علي ولا ليا
 وإلا فبغضّها إليّ وأهلها
 تكنُ نعمةً ذا العرش أهديتها ليا
 أرى الدهرَ والأيامَ تفنى وتنقضي
 وحبُّك لا يزدد إلا تماديا
 فيا رَبَّ إن زادت بقيّة ذنبها
 على أجرها فانقُص لها من كتابيا
 قضى اللّه بالمعروف منها لغيرنا
 وبالشوق والإبعاد منها قضى ليا

فَإِنْ يَكُ فَيْكُمْ بَعْلٌ لَيْلَى فَإِنِّنِي
 وَذِي الْعَرْشِ قَدْ قَبَّلْتُ لَيْلَى ثَمَانِيَا
 إِذَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِعَيْنِكَ لَمْ تَزَلْ
 بِخَيْرٍ وَأَجَلْتُ غَمْرَةً عَنْ فُؤَادِيَا
 وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ نَعَّضْتَ عِشْتِي
 وَإِنْ شِئْتَ بَعْدَ اللَّهْ أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا
 وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ
 لَعَلَّ خِيَالاً مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا^(١)
 وَإِنِّي إِذَا صَلَّيْتُ وَجَّهْتُ نَحْوَهَا
 بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
 وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حَبَّهَا
 كَعُودِ الشَّجَى أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمَدَاوِيَا
 أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمُهَا
 وَشَابَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
 فَيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ
 إِذَا جِئْتُكُمْ يَا لَيْلَ لَمْ أَدْرِ مَا هِيََا
 أَخَافُ إِذَا نَبَّأْتُكُمْ أَنْ تَرُدَّنِي
 فَاتْرَكْهَا ثَقُلًا عَلَيَّ كَمَا هِيََا
 أَصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا
 اثْنَتَيْنِ أَصَلِّي فِي الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا
 وَمَا جِئْتُهَا أَبْغِي شِفَائِي بِنَظَرَةٍ
 فَأُبْصِرُهَا إِلَّا أَنْصَرَفْتُ بِدَائِيَا

(١) ورد البيت في سرِّ صناعة الإعراب: ٣٤٠.

دعوتُ إله الناسِ عشرينَ حِجَّةً
 نهاري وليلي في الأنيسِ وخاليا
 لكي تُبتلى ليلي بمثلِ بليّتي
 فينصّفني منها فتعلمُ حاليا
 فلم يَسْتَجِبْ لي من هواها بدعوةٍ
 وما زاد بغضي اليوم إلا تماديا
 وتذنب ليلي ثم تزعم أنني
 أسأتُ ولا يخفى على الناس ما بيا
 وتعرض ليلي عن كلامي كأنني
 قتلتُ ليلي إخوةً ومواليا
 يقول أناسٌ علّ مجنونٌ عامرٍ
 يرومُ سلّوا قلتُ أنّي به ليا
 بي اليوم داءٌ للهيام أصابني
 وما مثله داءٌ أصاب سَوائيا
 فإن تمنعوا اللوامَ فيها جهالةً
 فليت الهوى باللائمين مكانيا
 لو أنّ الهوى في حبّ ليلي أطاعني
 أطعتُ ولكنّ الهوى قد عصانيا
 ولي مثل ما في شِعْرِ مَنْ كان ذا هوى
 يبيت جريح القلب حَرَّانَ ساهيا
 فإن يك فيكم بَعْلٌ ليلي فقل له
 تصدّق بليلى طيّب النفس راضيا

فأشهد عند الله أني أحبها
 فهذا لها عندي فما عندها ليا
 خليلي إن أغلوا بليلى فأغليا
 علي وإن أبقوا فلا تُبقيا ليا
 وإن سألوا إحدى يدي فأعطيا
 يميني وإن زادوا فزيدوا شماليا
 أمضروبة ليلي على أن أزورها
 ومتخذ جُرماً على أن ترانيا
 ذكّت نار شوقي في فؤادي فأصبحت
 لها وهج مستضرم في فؤاديا
 وخبّر ثماني أن تيماء منزل
 ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
 فهذي شهور الصيف عتاً قد انقضت
 فما للثوى ترمي بليلى المراميا
 إذا الحب أضناني دعوا لي طبيبهم
 فيا عجباً هذا الطبيب المداويا
 وقالوا به داء قد أعيا دواؤه
 وقد علمت نفسي مكان شفائيا
 وقد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل
 بي النقص والإبرام حتى علانيا
 لئن ظعن الأحباب يا أم مالك
 لما ظعن الحب الذي في فؤاديا

ألا ليتنا كنا جميعاً وليت بي
 من الداء ما لا يعلمون دوائيا
 فما هبت الريح الجنوب بأرضها
 من الليل إلا بت للريح حانيا
 ولا سُميت عندي لها من سمية
 من الناس إلا بل دمعي ردائيا
 خليلي أما حب ليلى فقاتل
 فمن لي بليلى قبل موت علانيا
 فلو كان واش باليمامة داره
 وذاري بأعلى حُرموت اهتدى ليا
 وماذا لهم لا أحسن الله حفظهم
 من الحظ في تصريح ليلى حباليا
 ومن أجلها سُميت مجنون عامر
 فداها من المكروه نفسي وماليا
 فلو كنت أعمى أخط الأرض بالعصا
 أصم فنادتني أجبت المناديا
 وأخرج من بين البيوت لعلني
 أحدث عنك النفس يا ليل خاليا
 ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا
 سهيلاً لأهل الشام إلا بدا ليا
 ولا طلع النجم الذي يُهتدى به
 ولا البرق إلا هيجا ذكرها ليا

بنفسي وأهلي مَنْ لَوْ أَنِّي أَتَيْتَهُ
 عَلَى الْبَحْرِ وَاسْتَسْقَيْتُهُ مَا سَقَانِيَا
 وَمَنْ قَدْ عَصَيْتُ النَّاسَ فِيهِ جَمَاعَةً
 وَصَرَّمْتُ خِلَافِي بِهِ وَجَفَانِيَا
 وَمَنْ لَوْ رَأَى الْأَعْدَاءَ يَكْتَنِفُونَنِي
 لَهُمْ غَرَضًا يَرْمُونَنِي لِرِمَانِيَا
 وَلَمْ يُنْسِنِي لَيْلَى افْتِقَارًا وَلَا غَنَى
 وَلَا تَوْبَةً حَتَّى احْتَضَنْتُ السَّوَارِيَا
 وَلَا نَسْوَةً صَبَّغْنَ كِبْدَاءَ جَلْعَدًا
 لَتَشْبَهَ لَيْلَى ثُمَّ عَرَّضْنَهَا لِيَا
 حَلَفْتُ لَنْ لَاقِيَتْ لَيْلَى بِخُلُوعٍ
 أَطُوفُ بِبَيْتِ اللَّهِ رَجُلَانِ حَافِيَا
 شَكَرْتُ لِرَبِّي إِذْ رَأَيْتُكَ نَظْرَةً
 نَظَرْتُ بِهَا لَا شَكَّ تَشْفِي هِيَامِيَا

٢٦٢

دعوني أموت

[الطويل]

دَعُونِي دَعُونِي قَدْ أَطْلُتُمْ عَذَابِيَا
 وَأَنْضَجْتُمْ جِلْدِي بِحَرِّ الْمَكَاوِيَا^(١)

(١) قد طفح الكيل بالشاعر ويودّ الخلاص ممّا هو فيه لذا يطلب منهم أن يتركوه وشأنه ويطلقوا سراحه فقد عذبوه طويلاً وأنضجوا جلده بالمكاوي وكأنه شاة يريدون أكلها.

دَعُونِي أُمْتُ غَمًّا وَهَمًّا وَكُرْبَةً
 أَيَا وَيْحَ قَلْبِي مَنْ بِهِ مِثْلُ مَا بِيَا^(١)
 دَعُونِي بِغَمِّي وَأَنْهَدُوا فِي كَلَاءَةٍ
 مِنْ اللَّهِ قَدْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَسْتُ بَاقِيَا^(٢)
 وَرَاءَكُمْ إِنِّي لَقَيْتُ مِنَ الْهَوَى
 تَبَارِيحَ أَبْلَتْ جِدَّتِي وَشَبَابِيَا^(٣)
 بَرَانِي شَوْقٌ لَوْ بِرَضْوَى لَهْدُهُ
 وَلَوْ بِثَبِيرٍ صَارَ رَمْسًا وَشَافِيَا^(٤)
 سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ بِنَاحِيَةِ الْحَمَى
 وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا^(٥)
 مَنَازِلُ لَوْ مَرَّتْ عَلَيْهَا جَنَازَتِي
 لَقَالَ الصَّدَى: يَا حَامِلِي أَنْزِلَا بِيَا^(٦)

(١) ويطلب منهم أن يتركوه يموت بسلام، فقد ملأوا قلبه حزناً وهمًّا وعذاباً، وهو يتألم لقلبه ممّا عاناه من مأس وظلم وعذاب.

(٢) كلاًّ الله تعالى فلاناً: حفظه ورعاه. ويطلب منهم أن يتركوه بغمه ويهبوا ويبعدوا عنه بحراسة الله ورعايته، فإنه على يقين أنه ليس باقياً على قيد الحياة.

(٣) ورأ: ما يشعر به المرء. ويذكر الشاعر أنه يطلّعهم عما صادفه في رحلة حبّه من الهوى آلاماً وأحزاناً أنهكت قوّة الشباب لديه، وحتى الكهولة قد انسحقت، فبدت الشيخوخة تلوح في أفق العمر.

(٤) لقد أذاب الحبّ والشوق لو نزل بجبل رضوى لهدّ كيانه وحتى لو أصاب جبل ثبير لجعله رمساً شافياً من داء الحبّ.

(٥) يتمنى الشاعر على الله أن يسقي تلك الأطلال بناحية الحمى ماءً غدقاً، وإن كانت تغيرت معالمها لما حلّ بها من دمار وخراب تروي حكايتي وتذكر ما نزل بي من ضعف وأسى.

(٦) إنها منازل ما عادت منازل لما حلّ بها من دمار فتحولت إلى قفر حزين، فلو مرّت عليها جنازتي لاستأنست روحي بذلك المكان وطلبت من حاملي أن يدفناني فيه.

فَأُشْهِدُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
 وَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ فَهُوَ دَعَا لِيَا^(١)
 لَحَى اللَّهَ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: إِنَّا
 وَجَدْنَا الْهَوَى فِي النَّأْيِ لِلصَّبِّ شَافِيَا^(٢)
 فَمَا بَالُ قَلْبِي هَذِهِ الشُّوقُ وَالْهَوَى
 وَأَنْضَجَ حَرُّ الْبَيْنِ مِنِّي فُؤَادِيَا^(٣)؟
 أَلَا لَيْتَ عَيْنِي قَدْ رَأَتْ مَنْ رَأَكُمُ
 لَعَلِّي أَسْلُو سَاعَةً مِنْ هِيَامِيَا^(٤)
 وَهَيْهَاتَ أَنْ أَسْلُو مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَوَى
 وَهَذَا قَمِيصِي مِنْ جَوَى الْبَيْنِ بِإِيَا^(٥)
 فَقُلْتُ: نَسِيمَ الرِّيحِ أَذْ تَحِيَّتِي
 إِلَيْهَا وَمَا قَدْ حَلَّ بِي وَدَهَانِيَا^(٦)

- (١) إن الشاعر يستحلف بالله تعالى من هو مؤمن ومن يرجو رحمة ربه أن يدعو له بالرحمة والمغفرة.
- (٢) يدعو الشاعر الله أن يبعد أقواماً عن رحمته ومغفرته وذلك بسبب مقولتهم أن البعد عن المحبوب خير علاج شافٍ لمن أصابته سهام الحب.
- (٣) يسأل الشاعر مستغرباً عما حصل لقلبه الذي أصابه الشوق لمن يحب والهوى طوّح به في كل مكان فكان للبعد حرّ لاهب في قلبه.
- (٤) يتمنى الشاعر لو أن عينه تقع على من رأى ليلى، فينعكس ذلك في نفسه رضى وسعادة ويتعزى ساعة من شدة حبه وهيامة.
- (٥) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد. كنى عن جسده بقميصه. الجوى: شدة العشق والحزن. يرى الشاعر أنه يبعد عنه أن يسلو من الحب وأحزانه التي لا حصر لها، فجسده أضناه الشوق والبعد حتى أبلاه ذلك.
- (٦) يخاطب الشاعر النسيم الرقيق أن ينقل إلى ليلى تحيته ويصف لها سوء حاله وما نزل به من الأحزان والعذاب من جزاء بعدها وهجرها.

فَأَشْكُرْهُ إِنِّي إِلَى ذَاكَ شَائِقٌ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَكُونُ تَلَاقِيَا^(١)؟
 مُعَذِّبَتِي! لَوْلَاكِ مَا كُنْتُ هَائِمًا
 أَبَيْتُ سَخِينِ الْعَيْنِ حَرَّانَ بَاكِ يَا^(٢)
 مُعَذِّبَتِي! قَدْ طَالَ وَجُدِي وَشَفَّنِي
 هَوَاكِ فَيَا لِلنَّاسِ قَلَّ عَزَائِيَا^(٣)
 مُعَذِّبَتِي! أَوْرَدْتَنِي مِنْ هَلِّ الرَّدَى
 وَأَخْلَفْتَ ظَنِّي وَاخْتَرَمْتَ وَصَالِيَا^(٤)
 خَلِيلِي إِنِّي قَدْ أَرَفْتُ وَنَمْتُمَا
 لِبَرْقِ يَمَانٍ فَاجْلِسَا عَلَّلَانِيَا^(٥)
 خَلِيلِي لَوْ كُنْتُ الصَّحِيحَ وَكُنْتُمَا
 سَقِيمَيْنِ لَمْ أَفْعَلْ كَفْعَلِكُمَا بِيَا^(٦)

(١) ولهذا يشكره على فعله على إبلاغها بحيته، وهو يتمنى لو يكون ذلك سبب لقاء يجمعهما.

(٢) يخاطب الشاعر حبيبته وسرَّ عذابه، فلولاها لكان سعيداً مستريحاً، فهي التي جعلته يهيم على وجهه في البراري والقفار، وبيت دمع العينين حرَّانَ ساخناً.

(٣) يخاطب الشاعر حبيبته وسرَّ عذابه ويستعطفها لعلها ترقى، فقد طال عذابه حتى أذابه هواها وأضناه حبها، وهو يستصرخ الناس طالباً منهم السلوى والعزاء.

(٤) يخاطب الشاعر حبيبته وسرَّ عذابه، فقد كاد يقتله العطش إلى حبها وبدل إروائه بما يُحييه، فقد أوردته منهل الموت، وخبَّبت ظنَّه بما كان يأمل منها، فقطعت علاقتها به.

(٥) يُخاطب الشاعر صاحبيه أنه لم يعرف للنوم طعماً فقد أرقه الشوق، بينما هما راحا يغطَّان في نوم عميق، وهو يتشوق لرؤية البرق اليماني ينتظره بفارغ الصبر، ثم يطلب منهما أن يبشِّراه بالأمان والأحلام الجميلة.

(٦) ويخاطب صاحبيه أنه لو كان صحيحاً معافى، وكانا مريضين لما فعل بهما ما يفعلانه به، من سوء اهتمام وإهمال وعدم الشعور الوجداني بحالته.

خَلِيلِي مُدَّا لِي فِرَاشِي وَارْفَعَا
 وَسَادِي لَعَلَّ النَّوْمَ يُذْهِبُ مَا بِيَا^(١)
 خَلِيلِي قَدْ حَانَتْ وَفَاتِي فَاطْلُبَا
 لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا^(٢)
 وَإِنْ مِتُّ مِنْ دَاءِ الصَّبَابَةِ أَبْلِغَا
 شَبِيهَةَ ضَوْءِ الشَّمْسِ مِنِّي سَلَامِيَا^(٣)

٢٦٣

زُوجَتْ كَلْبًا

[الطويل]

فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ بَعْلٌ لَيْلَى فَإِنِّي
 وَذِي الْعَرْشِ قَدْ قَبِلْتُ فَاهَا ثَمَانِيَا^(٤)
 وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي رَأَيْتُهَا
 وَعَشَرُونَ مِنْهَا أَصْبَعًا مِنْ وَرَائِيَا^(٥)
 أَلَيْسَ مِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا
 بَأَنَّ زُوجَتْ كَلْبًا وَمَا بُذِلَتْ لِيَا^(٦)؟

- (١) ويُخاطب صاحبيه أن يمهدا له فراشاً وثيراً مريحاً متمنياً أن يعرف للنوم طعاماً، فيذهب عنه نكد العيش والوساوس وما به من هموم.
- (٢) و (٣) ويخاطب صاحبيه طالباً أن يهيئاً له نعشاً وأكفاناً فهو على وشك الرحيل، وموته متوقع عما قريب وليس ببعيد، كما يطلب منهما أن يستغفرا له عما قد بدا منه من سيئ الأعمال. وأن يبلغا ليلي شبيهة ضوء الشمس المشرق المنير سلاماً في حال موته أنه مات شوقاً إليها وداء الصبابة برّح في فؤاده.
- (٤) و (٥) يريد الشاعر أن يثير غيرة زوج ليلي أنه قبل فمها ثمانين مرات، وهو يُقسم بالله العظيم على أنه صادق في مدعاه. وهو يشهد الله تعالى أنه التقاها عشرين مرة جهرة بلا خوف أمام جمع من البشر، وهم يشيرون إليه بأصابعهم.
- (٦) الشوى: الأمر الهين. يظهر الشاعر سخطة من لعبة القدر متسائلاً أليس من البلوى أن تزوج ليلي وببساطة من كلب ولم تُزَفْ له؟

٢٦٤

أسير الحب

[الطويل]

أَلَا لَا أُحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصْعِداً
 وَلَا الْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَمَانِيَا^(١)
 عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَفْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ
 وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْيَأْسِ طَاوِيَا^(٢)
 إِذَا مَا تَمَنَّى النَّاسُ رَوْحاً وَرَاحَةً
 تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَاكَ يَا لَيْلَ خَالِيَا^(٣)
 أَرَى سَقَمًا فِي الْجِسْمِ أَضْبَحَ ثَاوِيَا
 وَخُزْنًا طَوِيلاً رَائِحاً ثَمَّ غَادِيَا^(٤)
 وَنَادَى مُنَادِي الْحُبِّ أَيْنَ أَسِيرُنَا؟
 لَعَلَّكَ مَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا^(٥)؟
 حَمَلْتُ فُؤَادِي إِنْ تَعَلَّقَ حُبُّهَا
 جَعَلْتُ لَهُ مِنْ رُفْرَةِ الْمَوْتِ فَادِيَا^(٦)

- (١) يخبر الشاعر الملاً أنه يُحِبُّ التوجه صعوداً وأنه لا يحبُّ البرق إلا أن يشعَّ ضوءاً ساطعاً صوب اليمن .
- (٢) للتدليل على صفات ليلى العالية خُلُقاً وحُلُقاً يعلن الشاعر أن من الجائز أن يقتل المرء نفسه من أجل الحصول على مثيلتها، وإن كان قد استولى عليه يأس يُخفيه في نفسه .
- (٣) يتمنى الناس راحة البال وهناءة العيش والسعادة، وراحة الشاعر وسعادته في لقاءه ليلى منفرداً بها يبتئها ظمأً حبّه وشوقه .
- (٤) إحساس الشاعر بالمرض انعكس على سائر جسده، فلم يُفارقة وتمكّن منه، وما يزيد شعوره بالمرض أن الحزن عميق في جذور نفسه لا يتركه يرتاح ليل نهار .
- (٥) الحبّ أسر واستعباد، وخازن مملكة الحبّ يسأل عن أسيره أما زال يُعاني ذلّ الأسر أم تحرّر، أم لا يزال مصمّماً في تماديه في حبّه لمن يُخلص هذا الحبّ؟
- (٦) يذكر الشاعر أنه ما إن عرف حبّها حتى حمل قلبه بيديه وأهداه إلى من يحبّ، ولقد افتداه بزفرة الموت .

٢٦٥

آخر الزاد

[الطويل]

- أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمُحَلَّقُ عَادِيَا
 تَحَمَّلْ سَلَامِي لَا تَذَرْنِي مُنَادِيَا^(١)
 تَحَمَّلْ هَذَاكَ اللَّهُ مِنِّي رِسَالَةً
 إِلَى بَلَدٍ إِنْ كُنْتَ بِالْأَرْضِ هَادِيَا^(٢)
 إِلَى قَفْرَةٍ مِنْ نَحْوِ لَيْلَى مُضِلَّةٍ
 بِهَا الْقَلْبُ مِنِّي مُوثِقٌ وَفُؤَادِيَا^(٣)
 أَلَا لَيْتَ يَوْمًا حَلَّ بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ
 تَزَوَّدْتُ ذَاكَ الْيَوْمَ آخِرَ زَادِيَا^(٤)

٢٦٦

ندم

[الطويل]

- أَلَا إِنَّمَا أَفْنَى دُمُوعِي وَشَفْنِي
 خُرُوجِي وَتَرْكِي مَنْ أَحَبُّ وَرَائِيَا^(٥)

- (١) و (٢) يخاطب الشاعر الطير الذي عانق السماء محلّقاً مع الفجر الضحاك، أن يحمل معه سلامه إلى من يُحبّ، فقد قصّر نداؤه فليس من سامع ولعلّك تُفلح في أداء الأمانة. وهو يتمنى له هداية الله تعالى على أن يؤدي الرسالة إلى بلد معين إن كان عالماً بالبلدان وبإمكانه أن يهتدي إلى حيث توجد حبيبة الشاعر.
- (٣) إن مقصد الطائر قفر موحش بعيد الديار صوب ليلى حيث قلب الشاعر موثق بقوة وفؤاده معلق لا يستطيع فكاًكاً.
- (٤) ويتمنى الشاعر لو تزوّد في ذلك اليوم حيث كان آخر لقاء له مع حبيبته لو أنه تزوّد بما يكفي على أن يكون آخر أيام حياته ويُدرّكه الموت فيه.
- (٥) يُطلعنّا الشاعر على ما وصلت إليه حاله؛ فقد استنفد سائر دموعه، وأنحل جسده رحيله عن الديار تاركاً خلفه من تعلّق به فؤاده.

وَمَا لِي لَا يَسْتَنْفِدُ الشُّوقُ عَبْرَتِي
 إِذَا كُنْتُ مِنْ دَارِ الْأَحِبَّةِ نَائِيًا^(١)؟
 إِذَا لَمْ أَجِدْ عُذْرًا لِنَفْسِي وَلُمْتُهَا
 حَمَلْتُ عَلَى الْأَقْدَارِ مَا كَانَ جَارِيًا^(٢)

٢٦٧

رحيل

[الطويل]

بِيَ الْيَوْمَ مَا بِيَ مِنْ هَيَامٍ أَصَابَنِي
 فَلِيَّائِكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا^(٣)
 كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ - تَسْقِي جُفُونَهَا
 غَدَاةَ رَأَتْ أَظْعَانَ لَيْلَى غَوَادِيَا^(٤)
 غُرُوبٌ أَثَرَتْهَا نَوَاضِحُ مُعْرَبٍ
 مُعَلَّقَةٌ تُرْوِي نَخِيلًا صَوَادِيَا^(٥)

- (١) يسأل الشاعر نفسه حاثاً إيّاها على بذل دموع الشوق والهيّام . ذلك أنه بعيد عن ديار الأحبة يتألم لذلك؟
- (٢) يذكر الشاعر أنه قدّم كلّ ما كان باستطاعته في سبيل المحافظة على حبّه حتى لم يعد لديه من الأعذار واللوم لنفسه في حال تقصيرها ، فلم يجد سبباً لذلك ، ولهذا وجد للأقدار دواعي وأسباباً تتيح له أن يلومها على ما أصابه منها وما جرى له .
- (٣) يرى الشاعر أنه قد يُعدي غيره ، فمرض الحبّ الذي ألّم به خطير ومعدٍ ، لذا فهو يطلب ممن يقترب منه أن يتعد عنه لئلا يُصيبه ما نزل به من رزايا وويلات .
- (٤) يقصد الشاعر بالأظعان : الرواحل . يعود الشاعر بالزمن إلى الوراء ، فقد كان يقف بإحدى الزوايا يُراقب رحلة ليلى بعيداً عن الربع ذلك الصباح الباكر ، ودموعه تسقي جفونه لفراقها ، وقد لا يكون ثمّة لقاء بعد ذلك .
- (٥) غروب : واحداً غرّب : الدلاء الكبيرة . أثرتّها : شتّتها . النواضح ، واحدها نضح : البعير يُسقى عليه . المُعْرَب : المملوء . يُشَبّه الشاعر دموع عينيه بدلاء مُلئت ماءً صبتّها نياق محمّلة بها وفرّقتها على نخيلات عطشى لسقايتها .

أُمِرْتُ فَفَاضْتُ مِنْ فُرُوعِ حَثِيثَةٍ
 عَلَى جَدُولٍ يَعْلُو فِنَاءً مُتَعَادِيًا^(١)
 وَقَدْ بَعُدُوا وَاسْتَطَرَدُّوا الْآلَ دُونَهُمْ
 بِدَيْمُومَةٍ قَفَرٍ وَأَنْزَلْتُ جَادِيًا^(٢)

٢٦٨

ذهول

[الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا قَلْتُ، لَمَّا قَضَيْتُهَا:
 أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٣)
 يُسَائِلُنِي صَحْبِي فَمَا أَغْقِلُ الَّذِي
 يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ اعْتَرَانِيَا^(٤)

(١) أُمِرْتُ العين، عُصِرْتُ. المتعادي: المتفاوت الارتفاعات. يصف الشاعر دموعه، فقد عُصِرَت العين فطفحت بغزارة من سائر جوانبها على صفحة خذه فبدا كأنه جدول تجري مياهه من أعلى فناء مختلف الارتفاع.

(٢) الآل: السراب. الديمومة: الفلاة الواسعة. استطردوا: أظهروا الهزيمة مكيدة. جاديا، من جادت العين: كثر وغزُر دمعها. وقد جدَّ الركب بالمسير فبعدوا وأوغلوا في البعد حتى تخطوا السراب دونهم في فلاة قفر واسعة. لذا انهمرت دموعه بغزارة، لعلمه أن لا رجوع إلى الديار.

(٣) طُفْتُ سَبْعًا: طاف بالكعبة المشرفة سبع مرات، وذلك في طواف القدوم وقد يكون ذلك طواف الإفاضة، فيكون أحد أركان الحج. من الجائر أن الشاعر قد نُصَحَ بالحج والدعاء لنفسه ليشفي من داء الحب، فطاف حول الكعبة سبع مرات، وشعر عندما انتهى من طوافه أنه لم يشف من حبه وأن دعاءه لم يستجب، لذا تمتلأ ألا يكون هذا لا له ولا عليه.

(٤) يحاول صاحب الشاعر أن يثيروا لديه قوة سيطرة العقل، لذلك يسألونه ولكنه لا يفهم ما يقولون وينصحون فلا يعقل ولا يرعوي بل هو مصمم على المضي بطريقه حتى آخر المشوار. وذلك بسبب ما ألتم به من تذكره ليلي.

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشُّعْبِ شُعْبِ ابْنِ عامر
 فَأَقْرِ غَزَالَ الشُّعْبِ مِنِّي سَلَامِيَا^(١)
 وَقُلْ لِعَزَالِ الشُّعْبِ: هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ
 بِشُعْبِكَ؟ أَمْ هَلْ يُضْبِحُ الْقَلْبُ ثَاوِيَا^(٢)؟
 لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا^(٣)
 وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَجْهِ قَادِمٍ
 مِنَ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دُمْعِي رِدَائِيَا^(٤)

٢٦٩

دعاء

[الطويل]

عَسَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا
 وَيُوصِلَ حَبْلًا مِنْكُمْ بِحِبَالِيَا^(٥)

- (١) الشُّعْبُ: الحيّ العظيم. يقصد بغزال الشعب محبوبته ليلي. يطلب الشاعر من امرئ في حال نزوله في باب ذلك الحيّ العظيم، شعب بني عامر أن يقرئ سلامه إلى غزالة الشعب ليلي.
- (٢) ويطلب من ذلك المرء أن يسأل ليلي هل ستبقى تسكن بذلك الشعب؛ أم ترحل بعيداً؟ أم هل يفتقد القلب إلى الحياة فتجمد مشاعره؟
- (٣) وقد تنامي للشاعر خبر مفاده أنها تقوم بمناسك الحج لهذا يُخبرها أن الحجاج أشعلوا نار الشوق إليها لأنها بينهم ويُخبرها أنه قبل حجها كان مقاطعاً للحج، فالآن يُحب أن يحج.
- (٤) لذا راح يتفرّس وجوه الحجاج عله يرى وجهاً عزيزاً على قلبه، فلم يوفق وأصيب بخيبة أمل، ولذا بكى حتى بلّت دموعه رداءه.
- (٥) يأمل الشاعر من الله تعالى أن يجعل رباط المودة بينه وبين حبيبته، ويحملها على أن تكون هي نفسها سبب المودة بينهما فترتبط بحبال الودّ ويجمعهما الحب.

فَكَمْ مِنْ خَلِيلِي جَفْوَةٍ قَدْ تَقَاطَعَا
 عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا أَنْ أَطَالَا التَّلَاقِيَا ^(١)
 وَإِنِّي لَفِي كَرْبٍ وَأَنْتِ خَلِيَّةٌ
 لَقَدْ فَارَقْتُ فِي الْوَصْفِ حَالُكَ حَالِيَا ^(٢)
 عَتَبْتُ فَمَا أَعْتَبْتَنِي بِمَوَدَّةٍ
 وَرُمْتُ فَمَا أَسَعَفْتَنِي بِسُؤَالِيَا ^(٣)

(١) وكثير من الخلان استحکم الجفاء بهما فافترقا وتقاطعا مدى الدهر وذلك بسبب إطالتهما عدم تلاقيهما .
 (٢) إنهما على طرفي نقيض فالشاعر يُعاني آلاماً وهموماً بينما يرى أن ليلى لا تهتم له ولا يشغل بالها شاغل ، ولذا فثمة فارق عظيم بين حالتهما ، لما هما عليه .
 (٣) عتب الشاعر على حبيبته لموقفها منه ، فلم تُبادلِه المودة ، كما أنه قصدها على أمل أن تستجيب لطلبه وتقضي له حاجته ، ولم تُعنه على الخروج من محنته .

۳۳۴

۳۳۴

ملحق

۳۳۶

۳۳۶

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

نسبه الصحيح:

هو - على ما يقوله مَنْ صَحَّحَ نسبَه وحديثَه - قَيْسٌ، وقيل: مَهْدِيٌّ، والصحيح قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ بْنِ مُزَاجِمِ بْنِ عُدَسَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ كَعْبَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عامرِ بْنِ صعصعة. ومن الدليل على أَنَّ اسمه قَيْسٌ قولُ لَيْلَى صاحِبَتِهِ فيه:

[الطويل]

ألا ليت شِعْري والخطوبُ كثيرة
متى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلُّ فَرَاغُ

اسمه الصحيح:

وأخبرني الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قال: سمعتُ مَنْ لَا أَحْصِي يقول: اسمُ المَجْنُونِ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ.

لم يكن مجنوناً:

وأخبرني هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قال: حَدَّثَنَا الرَّيَّاشِيُّ، وأخبرني الجَوْهَرِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّهٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ يقول - وقد سُئِلَ عنه -: لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لَوْثَةٌ^(١) كَلَوْثَةُ أَبِي حَيَّةِ التَّمِيمِيِّ.

الاختلاف في وجوده:

وأخبرني حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ

(١) اللوثة بفتح اللام: الحمق وبضمها: الاسترخاء والحبسة في اللسان.

عن ابن شَبَّه عن الحِزَامِيِّ قال: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَبَّيَّةَ قال: سألتُ بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه.

وأخبرني عمِّي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عن المَدَائِنِيِّ عن ابن دَأْبٍ قال: قلتُ لرجلٍ من بني عامر: أتعرفُ المجنونَ وتُروِي من شعره شيئاً؟ قال: أَوْقَدَ فرغنا من شعر العقلاء حتى نَرُوِي أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلتُ: ليس هؤلاء أعني إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشقُ، فقال: هيهات! بنو عامر أغلظُ من ذلك، إنما يكونُ هذا في هذه اليمانيَّة الضَّعَافِ قلوبُها، السَّخِيفَةِ عقولُها، الصَّلِعةُ رؤوسُها، فأما نزارُ فلا.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حَدَّثَنَا الرِّياشي قال: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: رجلانِ ما عُرِفَا في الدنيا قَطُّ إلا باسم مجنون: مجنونُ بني عامر، وابنُ القِرِيَّةِ^(١)، وإنما وَضَعَهَا الرُّوَاةُ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عمرُ بْنُ شَبَّهٍ قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن الحِزَامِيِّ قال: ولم أسمعُه من الحِزَامِيِّ فكتبته عن ابن أبي سعد، قال أحمد: وحَدَّثَنَا به ابن أبي سعد عن الحِزَامِيِّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الجَبَّارِ بن سعيد بن سليمان بن نَوْفَلِ بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدِّه قال: سَعِيتُ^(٢) على بني عامر فرأيتُ المجنونَ وأُتِيتُ به وأنشدني.

أخبرني عليُّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن مُجَمِّعٍ عن المَدَائِنِيِّ قال: المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْلَى قَيْسُ بن مُعَاذٍ من بني عامر، ثم من بني عُقَيْلٍ، أحد بني نُمَيْرٍ بن عامر بن عُقَيْلٍ، قال: ومنهم رجل آخر يقال له:

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس والقِرِيَّةُ أمه وكان لسيِّناً خطيباً.

(٢) أي خرجت عاملاً على قبض الزكاة منهم.

مَهْدِيّ بن المُلَوَّح من بني جَعْدَةَ بن كَعْب بن رَبِيعَةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ .

المجنون فتى من بني أمية :

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ قال : حدّثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : حدّثتُ أنّ حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أميّة كان يهوى ابنةَ عمّ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه .

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسديّ قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اسم المجنون قيس بن مُعَاذٍ أحد بني جَعْدَةَ بن كَعْب بن رَبِيعَةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ .

وأخبرني أبو سعد الحسن بن عليّ بن زكريّا العدويّ قال : حدّثنا حمّاد بن طالوت بن عَبَّاد : أنه سأل الأصمعيّ عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لَوْنَةٌ يحدثها العشوّ فيه ، كان يهوى امرأة من قومه يُقال لها لَيْلَى ، واسمه قيس بن مُعَاذٍ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيس بن مُعَاذٍ .

وذكر شُعَيْبُ بن السَّكَن عن يونس النَّحَوِيّ أن اسمه قيس بن المُلَوَّح ، قال أبو عمرو الشَّيبانيّ : وحدّثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنه قيس بن المُلَوَّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنه قيس بن المُلَوَّح ، وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه^(١) ، فعقر على قبره ناقته وقال في ذلك :

[الطويل]

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي
بذي السَّرح لما أن جفاه الأقاربُ

(١) اختلط عقله : تغير وفسد .

وَقُلْتُ لَهَا كُونِي عَقِيرًا فَإِنِّي
 غَدًا رَاجِلٌ أَمْشِي وَبِالْأَمْسِ رَاكِبٌ
 فَلَا يُبْعِدُنْكَ اللَّهُ يَا بَنَ مُزَاحِمٍ
 فَكُلُّ بَكَاسٍ الْمَوْتِ لَا شَكَّ شَارِبٌ
 وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُثَنَّرِ الْحِزَامِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى أَنَّ
 اسْمَهُ الْبُحْتَرِيُّ بْنُ الْجَعْدِ.

ذَكَرَ مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ وَالرِّيَاشِيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّ اسْمَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ
 مُعَاذٍ. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ كُلْثُومٍ: اسْمُهُ مَهْدِيُّ بْنُ الْمَلُوحِ.

وَأَخْبَرَنِي الْأَخْفَشُ عَنِ السُّكَّرِيِّ عَنْ أَبِي زِيَادِ الْكِلَابِيِّ، قَالَ: لَيْلَى
 صَاحِبَةُ الْمَجْنُونِ هِيَ لَيْلَى بِنْتُ سَعْدِ بْنِ مَهْدِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
 الْحَرِيشِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكِيعٌ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قِلَابَةَ الرُّقَاشِيُّ، قَالَ
 حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ وَقَدْ تَذَكَّرْنَا
 مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْنَةٌ وَهُوَ الْقَائِلُ:

[مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]

أَخَذْتُ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا
 ضَيَّيْتُ مُحَاسِنُهُ بِحُسْنِهِ
 كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا
 لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُورُ قَرْنِهِ

المجانين بليلى كثيرون:

وَأَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَمِيلِ الْعَتَكِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ
 شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ:

سَأَلْتُ أَغْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنِ الْمَجْنُونِ الْعَامِرِيِّ فَقَالَ:

عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجنون، فعن أيهم تسأل؟
فقلت: عن الذي كان يُشَبَّبُ بليلى، فقال: كلهم كان يُشَبَّبُ بليلى،
قلت: فأُنشِدني لبعضهم، فأُنشِدني لمُزاحِم بن الحارث المجنون:

[الطويل]

ألا أيها القلبُ الذي لَجَّ هائِماً
بِليلى وليداً لم تُقَطِّعْ تَمائِمه
أفئق قد أفاقَ العاشقون وقد أنى
لك اليوم أن تلقى طبيباً تَلائِمه
أجِدْكَ لا تُنْسِكَ لَيْلى مُلِمةً
تُلمُّ ولا عَهْدٌ يَطُولُ تَقَادُمه
قلت: فأُنشِدني لغيره منهم، فأُنشِدني لمُعَاذ بن كُلَيْبِ المجنون:

[الطويل]

ألا طالما لَاعَبْتُ لَيْلى وقادني
إلى اللّهِوِ قلبٌ لِلحِسانِ تَبُوعُ
وطال امتراءُ الشُّوقِ عيني كلما
نَزَفْتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُمُوعُ
فقد طال إمساكي على الكَبِدِ التي
بها مِنْ هَوَى لَيْلى العَدَاةُ صُدُوعُ
قلت: فأُنشِدني لغير هذين ممَّن ذَكَرْتُ فأُنشِدني لمَهْدِي بن المُلُوح:

[الطويل]

لو أنّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ به
سواها وليلى بائنٌ عنك بَيْنُها
لُكُنْتَ إلى لَيْلى فَقيراً وإنَّما
يقوِّدُ إليها وَدَّ نَفْسِكَ حَيْثُها
قلتُ له: فأُنشِدني لمن بقي من هؤلاء، فقال: حَسْبُكَ!

فوالله إنَّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .
 أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث
 الخَرَّاز قال: قال ابن الأعرابي: كان مُعَاذُ بن كُليب مجنوناً، وكان
 يُحِبُّ ليلى، وشَرِكَه في حُبِّها مُزَاحِمُ بن الحارث العُقَيْلي، فقال
 مُزَاحِمُ يوماً للمجنون:

[الوافر]

كَلانَا يا مُعَاذُ يُحِبُّ لَيْلى
 بِفِيّ وفِيكَ مِنْ لَيْلى التُّرابِ
 شَرِكُكَ في هَوَى مَنْ كان حَظِّي
 وحَظُّكَ مِنْ مَوَدَّتِها العَذابُ
 لَقَدْ خَبَلْتُ فَوَادَكَ ثُمَّ تَنَّتْ

بقلبي فهو مَخْبُولٌ مُصَابٌ
 قال: فيقال: إنه لما سمع هذه الأبيات التُّسَّ وخولِطَ في عقله .
 وذكر أبو عمرو الشَّيباني: أَنَّهُ سَمِعَ في اللَّيْلِ هاتِفاً يَهْتِفُ بهذه
 الأبيات، التي كانت سبب جنونه .

وذكر إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِيُّ عن أَيُّوبَ بن عَبَّايَةَ: أَنَّ فَتًى من
 بني مَرْوانَ كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشُّعْرَ وينسبُه إلى
 المجنون، وأنه عَمِلَ له أَخْبَاراً وأضَافَ إليها ذلك الشُّعْرَ، فحملَه
 الناس وزادوا فيه .

المجنون اسم مستعار:

وأخبرني عَمِّي الكُرَاني عن العُمَريِّ عن العُتُبِيِّ عن عَوافَةَ أَنَّهُ قال:
 المجنون اسم مُسْتَعَارٌ لا حَقِيقَةَ له، وليس له في بني عامر أَصْلٌ ولا
 نَسَبٌ، فَسُئِلَ مَنْ قال هذه الأشعار؟ فقال: فَتًى من بني أُمَيَّةَ .

وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبني إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني الحكم بن صالح قال: قيل لرجل من بني عامر: هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق؟ فقال: هذا باطل، إنما يقتل العشق هذه اليمانية الضعاف القلوب.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال: حدثنا إبراهيم بن المُنذر الحزامي قال: حدثني أيوب بن عباية قال: حدثني من سأل بني عامر بطناً بطناً عن المجنون فما وجد فيهم أحداً يعرفه.

شعره مولد عليه:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر سُئلوا عن المجنون فلم يعرفوه، وذكروا أن هذا الشعر كله مُولد عليه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحكم عن عوانة قال: ثلاثة لم يكونوا قط ولا عُرفوا: ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القرية، ومجنون بني عامر.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: الذي ألقى على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

حدّثني إسحاقُ قال: أنشدتُ أيُّوبَ بنَ عَبَّايَةَ هذين البيتين:

[الطويل]

وخبّرْتُماني أنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ
لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَراسِيَا
فهذي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ

فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا
وسألتُه عن قائلهما، فقال: فقلتُ له: إِنَّ النَّاسَ يَرُوءُونَهُمَا
لِلْمَجْنُونِ، فقال: وَمَنْ هُوَ الْمَجْنُونُ فَأخبرته، فقال: ما لهذا حقيقة
ولا سمعتُ به.

وأخبرني عمِّي عن عبد الله بن شبيب عن هارونَ بن موسى
القرويِّ قال:

سألتُ أبا بكرَ العَدَوِيَّ عن هذين البيتين فقال: هما لِجَمِيلٍ، ولم
يعرف المَجْنُونُ، فهل معهما غيرهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

[الطويل]

وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيََا
وَإِنِّي لِيُنْسِينِي لِقَاؤُكَ كُلَّمَا
لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبْثُلِكَ مَا بِيََا
وقالوا به داءٌ عَيَاءٌ أَصَابَهُ

وقد عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا
وأنا أذكر مما وقع إليَّ من أخباره جُملاً مستحسنَةً، مُتَّبِعَةً من
العهدَةِ فيها، فَإِنَّ أَكْثَرَ أَشْعَارِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَخْبَارِهِ يَنْسِبُهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ
إِلَى غَيْرِهِ وَيَنْسِبُهَا مَنْ حُكِيَتْ عَنْهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا قَدِّمْتُ هَذِهِ الشَّرِيطَةَ بَرِئْتُ
مَنْ عَيْبِ طَاعِنٍ وَمُتَّبِعٍ لِلْعُيُوبِ.

عشق ليلي صغيراً:

أخبرني بخبره في شغفه بليلى جماعة من الرواة، ونسخت ما لم أسمع من الروايات وجمعت ذلك في سياق ما اتسق ولم يختلف، فإذا اختلف نسب كل رواية إلى راويها.

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى، قالوا: حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت أخباره من رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأب وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن الجصاص وغيرهم من الرواة.

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة: كان المجنون يهوى ليلي بنت مَهْدِي بن سَعْد بن مَهْدِي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلها، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فَحَجِبَتْ عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صوت

[الطويل]

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ دُؤَابَةٍ
وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرَيْنِ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَتْنَا
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَهْمُ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلْأَخْضَرِ الْجُدِّي لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوُسْطَى،
ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ونسخت هذا الخبر بعينه من خط هارون بن محمد بن

عبد الملك الزيات قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عمرو بن أَبِي سعد قال: حَدَّثَنَا ابن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَتَّابٍ البصريّ عن إبراهيم بن محمد الشافعيّ قال:

بَيْنَا ابْنُ مُلَيْكَةَ يُؤَدِّنُ إِذْ سَمِعَ الْأَخْضَرَ الْجُدِّيَّ يُعَنِّي مِنْ دَارِ الْعَاصِ بْنِ وائِلٍ:

[الطويل]

وَعُلِّقْتُهَا غُرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبٍ
وَلَمْ يَبْدُلْ لَلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدِيهَا حَجْمُ
صَغِيرِينَ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَتُنَا
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَهْمُ
وَقَالَ: فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: حَيَّ عَلَى الْبَهْمِ،
حَتَّى سَمِعَ أَهْلَ مَكَّةَ فَعَدَا يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ.
وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: حَدَّثَنِي مَعْرُوفُ الْمَكِّيِّ وَالْمُعَلَّى بْنُ هِلَالٍ
وإِسْحَاقُ بْنُ الْجِصَّاصِ قَالُوا:

كَانَ سَبَبُ عَشْقِ الْمَجْنُونِ لَيْلَى، أَنَّهُ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ
كَرِيمَةٍ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مِنْ حُلَلِ الْمُلُوكِ، فَمَرَّ بِأَمْرَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا:
كَرِيمَةٌ، وَعِنْدَهَا جَمَاعَةٌ نِسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ فِيهِنَّ لَيْلَى، فَأَعْجَبَهُنَّ جَمَالُهُ
وَكَمَالُهُ، فَدَعَا إِلَى النُّزُولِ وَالْحَدِيثِ، فَتَزَلَّ وَجَعَلَ يَحْدِثُهُنَّ وَأَمَرَ عَبْدًا
لَهُ كَانَ مَعَهُ فَعَقَرَ لَهَنَ نَاقَتِهِ، وَظَلَّ يَحْدِثُهُنَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ،
إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَتَى عَلَيْهِ بُرْدَةٌ مِنْ بَرُودِ الْأَعْرَابِ يَقَالُ لَهُ: مُنَازِلُ يَسُوقُ
مِعْزَى لَهُ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَقْبَلْنَ عَلَيْهِ وَتَرَكْنَ الْمَجْنُونَ، فَعُضِبَ وَخَرَجَ مِنْ
عِنْدَهُنَّ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[الطويل]

أَعْقِرْ مِنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقَتِي
وَوَضِّلِي مَفْرُوشَ لَوَضِّلِ مُنَازِلِ

إِذَا جَاءَ قَعَقَعْنَ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ
إِذَا جِئْتُ أَرْضِي صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاحِلِ
مَتَى مَا انْتَضَلْنَا بِالسَّهَامِ نَضَلْتُهُ

وَإِنْ نَرُمَ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهِيَ نَاضِلِي
قال: فلما أصبح لبس حُلَّتَهُ وركب ناقة له أخرى ومضى مُتَعَرِّضًا
لِهِنَّ فَأَلْفَى لَيْلَى قَاعِدَةً بِفِنَاءِ بَيْتِهَا وَقَدْ عَلِقَ حَبُّهُ بِقَلْبِهَا وَهَوَيْتُهُ، وعندها
جَوَيرِيَّاتٌ يَتَحَدَّثْنَ مَعَهَا، فوقف بهنَّ وسلَّم، فدَعَوْنَهُ إِلَى النَزولِ وَقُلْنَ
لَهُ: هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةٍ مَنْ لَا يَشْغَلُهُ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ فقال: إِي
لَعَمْرِي، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأَرَادَتْ أَنْ تَعْلَمَ، هل لها
عنده مثل ما له عندها، فجعلت تُعْرِضُ عَنْ حَدِيثِهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ
وَتَحَدَّثُ غَيْرَهُ، وَقَدْ كَانَ عَلِقَ بِقَلْبِهِ مِثْلُ حَبِّهَا إِيَّاهُ وَشَغَفَتْهُ،
وَاسْتَمْلَحَهَا، فَبَيْنَا هِيَ تَحَدِّثُهُ، إِذْ أَقْبَلَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ فِدَعْتَهُ وَسَارَّتَهُ
سِرَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد
تَغَيَّرَ وَامْتُقِعَ لَوْنُهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ فَعَلُهَا، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

[الوافر]

كَانَا مُظْهِرًا لِلنَّاسِ بُغْضًا
وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تَبَلَّغْنَا الْعِيُونَ بِمَا أَرَدْنَا
وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينٌ
فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهَقَةً شَدِيدَةً وَأُعْجِبِي عَلَيْهِ، فمكث على
ذلك ساعة، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكَّنَ حُبُّ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلٌّ مَبْلَغًا.

المجنون يخطب ليلى:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

قال : حدَّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العُقَيْلي قال :

لما شُهر أمرُ المجنون وليلى وتناشد الناسُ شعره فيها، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطبها وردُّ بن محمد العُقَيْلي وبذل لها عَشْرًا من الإبل وراعيها، فقال أهلها: نحن مُخَيَّرُوها بينكما، فَمَن اختارت تزوجته، ودخلوا إليها فقالوا: واللَّهِ لئنَ تختاري وَردًا لَنُمَثِّلَنَّ بكِ، فقال المجنونُ:

[الوافر]

أَلَا يَا لَيْلَ إِنِّ مُلِكْتُ فِينَا
خِيَارَكَ فَاَنْظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ
وَلَا تَسْتَبْدِلِي مَتًى دَنِيًّا
وَلَا بَرَمًا إِذَا حُبَّ الْقُتَارُ
يُهْرَوُلُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَهُ
وَتُعْجِزُهُ مُلِمَّاتُ كِبَارُ
فَمَثَلُ تَأْيِمٍ مِنْهُ نِكَاحُ
وَمَثَلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقَارُ
فَاخْتَارَتْ وَرَدًا فَتَزَوَّجَتْهُ عَلَى كُرِّهِ مِنْهَا.

أبوه يروي قصة جنونه :

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: ذكر الهَيْثَمُ بن عَدِي عن عثمان بن عَمَارَةَ بن حُرَيْمِ المُرِّي قال:

خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنونَ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّتِهِ، فَلَقِيتُ أَبَاهُ شيخاً كبيراً وَحَوْلَهُ إِخْوَةٌ مع أبيهم رجالاً، فسألتهم

عنه فَبَكَوْهُ، وقال الشَّيْخُ: أَمَا وَاللَّهِ لَهُوَ كَانَ أَثَرُ عِنْدِي مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً،
وَإِنَّهُ عَشَقَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ وَاللَّهِ مَا كَانَتْ تَطْمَعُ فِي مِثْلِهِ، فَلَمَّا فَشَا أَمْرُهُ
وَأَمْرُهَا كَرِهَ أَبُوهَا أَنْ يُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا بَعْدَ مَا ظَهَرَ مِنْ أَمْرِهَا، فَزَوَّجَهَا غَيْرَهُ،
وَكَانَ أَوَّلَ مَا كُتِفَ بِهَا يَجْلِسُ إِلَيْهَا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهَا فَيَتَحَدَّثُونَ كَمَا
يَتَحَدَّثُ الْفَتَيَانُ، وَكَانَ أَجْمَلَهُمْ وَأَظْرَفُهُمْ وَأَرْوَاهُمْ لِأَشْعَارِ الْعَرَبِ،
فَيُفِيضُونَ فِي الْحَدِيثِ فَيَكُونُ أَحْسَنُهُمْ فِيهِ إِفَاضَةً، فَتُعْرَضُ عَنْهُ وَتُقْبَلُ عَلَى
غَيْرِهِ، وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي قَلْبِهَا مِثْلُ مَا وَقَعَ لَهَا فِي قَلْبِهِ، فَظَنَّتْ بِهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ
مِنْ حُبِّهَا، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمَاً وَقَدْ خَلَّتْ فَقَالَتْ:

صوت

[الوافر]

كَانَا مُظْهِرًا لِلنَّاسِ بَغْضًا
وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
وَأَسْرَارُ الْمَلَا حِظٍّ لَيْسَ تَخْفَى
إِذَا نَطَقَتْ بِمَا تُخْفِي الْعَيُونُ

هيامه بليلى:

- غَنَّتْ فِي الْأَوَّلِ عَرِيبٌ خَفِيفَ رَمَلٍ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا الْغَنَاءَ
لَشَارِبِيَّةٌ، وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ لَيْسَ مِنْ شَعْرِهِ - قَالَ: فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ثُمَّ
أَفَاقَ فَاقْدَأَ عَقْلَهُ، فَكَانَ لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا إِلَّا خَرَّقَهُ وَلَا يَمْشِي إِلَّا عَارِيًّا
وَيَلْعَبُ بِالتَّرَابِ وَيَجْمَعُ الْعِظَامَ حَوْلَهُ، فَإِذَا ذُكِرَتْ لَهُ لَيْلَى أَنْشَأَ يَحْدُثُ
عَنْهَا عَاقِلًا وَلَا يُخْطِئُ حَرْفًا، وَتَرَكَ الصَّلَاةَ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: مَا لَكَ لَا
تُصَلِّي! لَمْ يَرُدَّ حَرْفًا، وَكُنَّا نَحْبِسُهُ وَنَقِيدُهُ، فَيَعَضُّ لِسَانَهُ وَشَفَتَهُ، حَتَّى
خَشِينَا عَلَيْهِ فَخَلَيْنَا سَبِيلَهُ فَهُوَ يَهِيمُ.

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف:

قال الهيثم: فولَّى مروان بن الحَكَمَ عمرَ بن عبد الرحمن بن

عَوْفُ صَدَقَاتِ بَنِي كَعْبٍ وَقُشَيْرٍ وَجَعْدَةَ وَالْحَرِيشِ وَحَبِيبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ،
فَنَظَرَ إِلَى الْمَجْنُونِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكَمَ جُنُونُهُ فَكَلَّمَهُ وَأَنشَدَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ،
فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَرَادَ الرُّوَّاحَ جَاءَهُ قَوْمُهُ
فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ وَخَبَرَ لَيْلَى، وَأَنَّ أَهْلَهَا اسْتَعْدُّوا السُّلْطَانَ عَلَيْهِ، فَأَهْدَرَ
دَمَهُ إِنْ أَتَاهُمْ، فَأَضْرَبَ عَمَّا وَعَدَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِقَلَائِصَ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ
وَأَتَى بِالْقَلَائِصِ رَدَّهَا عَلَيْهِ وَانصَرَفَ.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة، أنَّ المجنونَ
هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون
معك في هذا الجمع الذي تجمعه غداً، فأرى في أصحابك، وأتجمل
في عشيرتي بك، وأفخرُ بقربك، فجاءه رهطٌ من رهطِ ليلى وأخبروه
بقصته، وأنه لا يريد التجمل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم
يفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدرَ
دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له
بقلائصَ، فردَّها وقال:

[الوافر]

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقَرَشِيِّ لَمَّا
بَدَا لِي النَّقْضُ مِنْهُ لِلْعَهْدِ
وَرَا حَوَا مُقْصِرِينَ وَخَلَفُونِي
إِلَى حُزْنٍ أَعَالَجُهُ شَدِيدِ

قال: ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل حاله، إلَّا
أنه غيرُ مستوحش، إنما يكون في جنباتِ الحيِّ منفرداً عارياً لا يلبسُ
ثوباً إلَّا خرَّقه، ويَهْذِي وَيُخَطِّطُ فِي الْأَرْضِ ويلعب بالتراب
والحجارة، ولا يُجِيبُ أحداً سألَه عن شيء، فإذا أَحْبَبُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا
أو يثوبَ عقله ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأُمِّي، ثم يرجع إليه

عقله فيخاطبونه ويُجيبهم، ويأتيه أحداثُ الحيّ فيحدّثونه عنها ويُشيدونه الشَّعرَ العَرَل، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن توفلُّ بن مُسَاحِق، فنزل مجمعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لَغلام له: يا غلام، هاتِ ثوباً، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سيِّدِ الحيّ، ولا والله ما يلبسُ الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليه شيء خَرَّقَه، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحدّثه عن أمره، فدعا به وكَلَّمَه، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يُجيبَكَ جواباً صحيحاً فاذكر له ليلي، فذكرها له وسأله عن حبه إياها، فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو إليه حبه إياها ويُشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحبّ صيرك إلى ما أرى؟ قال: نعم، وسينتهي بي إلى ما هو أشدّ مما ترى، فعجب منه وقال له: أَتُحِبُّ أن أزوَّجَكُما؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال: انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها، قال: أَتُراكَ فاعلاً؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك عليّ أن أفعلَ بك ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه ويُشده، فبلغ ذلك رهطاً فتلقَّوه في السَّلاح، وقالوا له: يا ابن مُسَاحِق، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت، فقد أهدر لنا السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، فقال له المجنون: والله ما وفيت لي بالعهد، قال له: انصرفك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء، فقال المجنون:

صوت

[الطويل]

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخْلَسَ عَقْلُهُ
فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
خَلِيئاً مِنَ الْخُلَّانِ إِلَّا مُعَذِّراً
يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
الغناء للحُسَيْن بن مُخْرِزٍ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى مِنْ جَامِعِ أَغَانِيهِ:

[الطويل]

إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ
رَوَائِعَ عَقْلِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
وَقَالُوا صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفٌ جَنَّةٍ
وَلَا الْهَمُّ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكْذُوبِ
وَشَاهِدٌ وَجْدِي دَمْعُ عَيْنِي وَحُبُّهَا
بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءٍ عَظَمِي وَمَنْكَبِي

صوت

[الطويل]

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلْجَ بِكَ الْهَوَى
وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
الغناء لإِسْحَاقَ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى
الْبِنَصْرِ، وَفِيهِ لَابْنُ جَامِعِ هَزَجٍ مِنْ رَوَايَةِ الْهَشَامِيِّ وَهِيَ قَصِيدَةٌ
طَوِيلَةٌ .

ومما يغني فيها منها قوله :

صوت

[الطويل]

فلم أرَ ليلَى بعد مَوْقِفِ سَاعَةٍ
بَخِيفٍ مِنِّي تَرْمِي جِمَارَ الْمُخَضَّبِ
وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ
مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْعِدَاةِ كَنَاطِرٍ
مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُعَرَّبٍ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلَقٍ بِاسْتِهْلَالِ، ذَكَرَ ابْنُ الْمَكِيِّ أَنَّهُ لِأَبِيهِ يَحْيَى،
وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِلْوَائِقِ، وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّهُ لِابْنِ مُحَرَّزٍ، وَهُوَ فِي جَامِعِ
أَغَانِي سُلَيْمَانَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ .
أَنشَدَنِي الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ السُّكَّرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ
لِلْمَجْنُونِ :

[الطويل]

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ إِنِّي لَدَائِبُ
أَفْكَرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْهَا وَأَعْجَبُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَالَمَ قَتَلْتَنِي
وَأَيَّ أُمُورِي فِيكَ يَا لَيْلَ أَرْكَبُ
أَقْطَعُ حَبْلَ الْوَصْلِ فَالْمَوْتُ دُونَهُ
أَمْ أَشْرَبُ رَنْقاً مِنْكُمْ لَيْسَ يُشْرَبُ
أَمْ أَهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِراً
أَمْ أَصْنَعُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ

فأَيْهُمَا يالَيْلَ مَا تَرْتَضِينَهُ
فإِنِّي لَمَظْلُومٌ وَإِنِّي لَمُعْتَبٌ

حجوا به ليسلوها فزاد جنونه :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ
الْمِهْلَبِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ: ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ
وَوَافِقُهُ فِي رِوَايَتِهِ أَبُو نَصْرِ أَحْمَدُ بْنُ حَاتِمٍ وَأَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ
هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ:

إِنَّ أَبَا الْمَجْنُونِ وَأُمَّهُ وَرَجَالَ عَشِيرَتِهِ اجْتَمَعُوا إِلَى أَبِي لَيْلَى فَوَعظُوهُ
وَنَاشَدُوهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِهَالِكٌ، وَقَبْلَ ذَلِكَ
فَفِي أَقْبَحِ مِنَ الْهَلَاكِ بَذْهَابِ عَقْلِهِ، وَإِنَّكَ فَاجِعٌ بِهِ أَبَاهُ وَأَهْلَهُ،
فَنَشَدْنَاكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ مَا هِيَ أَشْرَفُ مِنْهُ،
وَلَا لَكَ مِثْلُ مَالِ أَبِيهِ، وَقَدْ حَكَمَكَ فِي الْمَهْرِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ
يَخْلَعَ نَفْسَهُ إِلَيْكَ مِنْ مَالِهِ فَعَلْ، فَأَبَى وَحَلَفَ بِاللَّهِ وَبِطُلُقِ أُمِّهَا
إِنَّهُ لَا يَزُوجُهَا إِلَّاهَا أَبَدًا، وَقَالَ: أَفْضَحُ نَفْسِي وَعَشِيرَتِي وَأَتِي مَا لَمْ
يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَأَسِمُ ابْنَتِي بِمَيْسَمِ فَضِيحَةٍ! فَانصَرَفُوا عَنْهُ،
وَخَالَفَهُمْ لَوْقَتَهُ فَزَوَّجَهَا رَجُلًا مِنْ قَوْمِهَا وَأَدْخَلَهَا إِلَيْهِ، فَمَا أَمْسَى
إِلَّا وَقَدْ بَنَى بِهَا، وَبَلَغَهُ الْخَبْرُ فَأَيَسَ مِنْهَا حِينَئِذٍ وَزَالَ عَقْلُهُ جَمْلَةً،
فَقَالَ الْحَيُّ لِأَبِيهِ: احْجُجْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ وَادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَمُرَّه
أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهُ مِمَّا بِهِ وَيُبْغِضَهَا
إِلَيْهِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ، فَحَجَّ بِهِ أَبُوهُ، فَلَمَّا
صَارُوا بِمَنْىَ سَمِعَ صَائِحًا فِي اللَّيْلِ يَصِيحُ: يَا لَيْلَى، فَصَرَخَ
صَرْخَةً ظَنُّوا أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ تَلِفَتْ وَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ
كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ أَفَاقَ حَائِلَ اللَّوْنِ ذَاهِلًا، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

صوت

[الطويل]

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعِزَاءَ فَقَالَ لِي
 مِنَ الْآنَ فَايَأْسُ لَا أَعِزُّكَ مِنْ صَبْرِ
 إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَصْبَحَ نَائِيًا
 فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حُلُولِكَ فِي الْقَبْرِ
 وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
 فَهَيَّجَ أَطْرَابَ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
 دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
 أَطَارَ بَلِيلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
 دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَعِيَّه

وليلَى بأَرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٌ قَفْرِ
 الْغِنَاءِ لَعَرِيبٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ - ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبَوَاهُ: تَعَلَّقْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ
 وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعْفِيكَ مِنْ حَبِّ لَيْلَى، فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَقَالَ:
 اللَّهُمَّ زِدْنِي لِلَّيْلِ حُبًّا وَبِهَا كَلْفًا وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَهَا أَبَدًا، فَهَامَ حِينَئِذٍ
 وَاخْتَلَطَ فَلَمْ يَضْبِطْ. قَالُوا: فَكَانَ يَهِيمُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْوَحُوشِ وَلَا
 يَأْكُلُ إِلَّا مَا يَنْبَتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ بَقْلِ وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَعَ الظَّبَاءِ إِذَا وَرَدَتْ
 مَنَاهِلُهَا، وَطَالَ شَعْرُ جَسَدِهِ وَرَأْسُهُ وَأَلْفَتَهُ الظَّبَاءُ وَالْوَحُوشُ فَكَانَتْ لَا
 تَنْفِرُ مِنْهُ، وَجَعَلَ يَهِيمُ حَتَّى يَبْلُغَ حُدُودَ الشَّامِ، فَإِذَا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ سَأَلَ
 مَنْ يَمُرُّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَنْ نَجْدٍ، فَيُقَالُ لَهُ: وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ نَجْدٍ! قَدْ
 شَارَفْتَ الشَّامَ! أَنْتَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقُولُ: فَأَرْوِنِي وَجْهَةَ الطَّرِيقِ،
 فَيَرَحْمُونَهُ وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ أَوْ يَكْسُوهُ فَيَأْبَى، فَيَدُلُّونَهُ عَلَى
 طَرِيقٍ فَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ.

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي الْكُرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ

الهيثم بن عدي وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال:

خرج منّا فتى إذا كان بئر ميمون^(١) إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال، إذا معهم فتى أبيض طوال^(٢) جعد^(٣) كأحسن من رأيت من الرجال على هزال منه وصفرة، وإذا هم متعلقون به، فسألت عنه، فقل لي: هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت، وهو على أن يأتي به قبر رسول الله ﷺ ليدعو له هناك لعله يكشف ما به، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوه، يقول: أخرجوني لعلني أنسم صبا نجد، فيخرجونه فيتوجهون به نحو نجد، ونحن مع ذلك نخاف أن يلقي بنفسه من الجبل، فإن شئت الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجد، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المهدي، هذا الفتى أقبل من نجد، فتنفس تنفساً ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضع موضع، وأنا أخبره وهو يبكي أحراً بكاءً وأوجعه للقلب، ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

ألا ليت شعري عن غوارضتي قناً
لطول الليالي هل تغيرت بعدي
وهل جارتانا بالبتيل إلى الحمى
على عهدنا أم لم تدوما على العهد
وعن غلوبات الرياح إذا جرت
بريح الخزامى هل تهب على نجد

(١) بئر ميمون: هي بئر بمكة.

(٢) مفرط الطول.

(٣) غير مسترخ ولا مضطرب.

وعن أَفْحَوَانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
 إِذَا هُوَ أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى جَعِدِ
 وَهَلْ أَنْفُضَنَّ الدَّهْرَ أَفْنَانَ لِمَتِّي
 عَلَى لَاحِقِ الْمَتْنَيْنِ مُنْذَلِقِ الْوَحْدِ
 وَهَلْ يَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ
 تَحْدَرُ مِنْ نَشْزِ خَصِيبٍ إِلَى وَهْدِ

بربك هل ضمنت إليك ليلي :

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن
 الهيثم بن عديّ والعُتبيّ قالا:
 مرّ المجنونُ بزوج ليلي وهو جالسٌ يَضْطَلِي في يوم شاتٍ، وقد
 أتى ابنَ عمٍّ له في حيّ المجنونِ لحاجةٍ، فوقفَ عليه ثم أنشأ يقول:

صوت

[الوافر]

بربك هل ضمنت إليك ليلي
 قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلَتْ فَاهَا
 وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلِي
 رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا
 فقال: اللهم إِنْ حَلَقْتَنِي فَنَعَمْ، قال: فَقَبَضَ الْمَجْنُونُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ
 قَبْضَتَيْنِ مِنَ الْجَمْرِ، فَمَا فَارَقَهُمَا حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَسَقَطَ الْجَمْرُ
 مَعَ لَحْمِ رَاحَتَيْهِ، وَعَضَّ عَلَى شَفْتِهِ فَقَطَعَهَا، فَقَامَ زَوْجُ لَيْلِي مَغْمُومًا
 بَفَعْلِهِ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ فَمَضَى.
 غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن مُخْرِزٍ،
 ولحنه رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ.

صبا نجد:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبیب بن نصر المُهَلَّبِيّ قالا: حدّثنا
عمرُ بن شُبَّة قال: قال محمد بن الحَكَم عن عَوانة: إنه حدّثه ووافقه
ابنُ نصر وابنُ حبيب قالوا:

إنَّ أَهْلَ المَجْنُونِ خرجوا به معهم إلى وادي القُرى ^(١) قبل توحشه
ليمتاروا ^(٢) خوفاً عليه أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي
نعمان ^(٣)، فقال له بعضُ فتیان الحيّ: هذان جبلا نعمان، وقد كانت
ليلى تنزل بهما، قال: فأَيّ الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصَّبا،
قال: فوالله لا أريم ^(٤) هذا الموضع حتى تهبَّ الصَّبا، فأقام ومضوا
فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت
الصَّبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

أيا جَبَلِي نعمان بالله خَلِّيا
سبيلَ الصَّبا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُها
أَجِدُ بَرْدَها أو تَشْفِ مِنِّي حرارَةً
على كبدٍ لم يبقَ إِلَّا صَمِيمُها
فلئن الصَّبا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمتْ
على نفسٍ محزونٍ تجلّت همومُها

(١) وادي القري: واد بين الشام والمدينة.

(٢) من الامتبار وهو جلب الطعام للبيع وغيره.

(٣) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف.

(٤) لا أريم: لا أبرح.

وقوفه على منازل ليلى :

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَرُونَ قَالَ : حَدَّثَنِي الْكَسْرَوِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّوَاةِ قَالَ :

لَمَّا مَنَعَ أَبُو لَيْلَى الْمَجْنُونَ وَعَشِيرَتَهُ مِنْ تَزْوِيجِهِ كَانَ لَا يَزَالُ يَغْشَى بَيْوتَهُمْ وَيَهْجُمُ عَلَيْهِمْ ، فَشَكَّوْهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَهْدَرَ دَمَهُ لَهُمْ ، فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَرُعْهُ وَقَالَ : الْمَوْتُ أَرْوَاحُ لِي فَلَيْتَهُمْ قَتَلُونِي ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِذَلِكَ وَعَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَطْلُبُ غِرَّةً مِنْهُمْ حَتَّى إِذَا تَفَرَّقُوا دَخَلَ دَوْرَهُمْ ، فَارْتَحَلُوا عَنْهَا وَأَبْعَدُوا ، وَجَاءَ الْمَجْنُونُ عَشِيَّةً فَأَشْرَفَ عَلَى دَوْرِهِمْ فَإِذَا هِيَ مِنْهُمْ بِالْقَعِ ، فَقَصَدَ مَنْزِلَ لَيْلَى الَّذِي كَانَ بَيْتُهَا فِيهِ ، فَأَلْصَقَ صَدْرَهُ بِهِ وَجَعَلَ يُمَرِّغُ خَدَّيْهِ عَلَى تَرَابِهِ ، ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ ، - وَذَكَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ابْنُ حَبِيبٍ وَأَبُو نَصْرٍ لَهُ :

[الطويل]

أَيَا حَرَاجَاتِ الْحَيِّ حَيْثُ تَحَمَّلُوا
بِذِي سَلَمٍ لَا جَادُكُنَّ رَبِيعُ
وَخِيَمَاتُكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
بَلَيْنَ بَلَى لَمْ تَبْلِهِنَّ رُبُوعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً
كَمَا يَنْدَمُ الْمَغْبُوبُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ فَإِنِّي
نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ
إِلَيْكَ ثَنَايَا مَا لِهِنَّ طُلُوعُ

الغريم الذي لا ينصف :

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعها
أنَّ ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلة إذا وجدت فرصة
لذلك، فمكث مدة يرأسها في الوفاء وهي تعدّه وتسوّفه، فأتى أهلها
ذات يوم والحيُّ خُلوفاً^(١)، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرَةً^(٢) منها
بحيث تسمع كلامه، فحادثهنَّ ثم قال: ألا أنشدكنَّ أبياتاً أحدثها في
هذه الأيام؟ قلن: بلى، فأنشدهنَّ:

صوت

[البسيط]

يَا لِرَجَالٍ لِهَمٌّ بَاتَ يَعْرُونِي
مُسْتَطْرِفٍ وَقَدِيمٍ كَادَ يُبَالِينِي
مَنْ عَاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ
يَأْبَى فَيَمْطُلْنِي دِينِي وَيَلْوِينِي
لَا يُبْعِدُ النِّقْدَ مِنْ حَقِّي فَيَنْكُرُهُ
وَلَا يُحَدِّثُنِي أَنَّ سَوْفَ يَقْضِينِي
وَمَا كَشُكْرِي شَكَرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي
وَلَا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِينِي
أَطَعْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ
فِي أَمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهُوَ يَعْصِينِي
قال: فقلن له: ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته! وجعلنَّ
يتصاحكنَّ وهو يبكي، فاستحييت ليلى منهنَّ ورقَّت له حتى بكت،
وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

(١) يقال: حيّ خلوف إذا غاب الرجال وأقام النساء.

(٢) حجرة: ناحية.

- في الثلاثة الأبيات الأول من هذه الأبيات هَزَجٌ طُبُورِيٌّ للمُسْدُود -
 قالوا في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عمَّ يأتِيَانِه فيُحَدِّثَانِه وَيُسَلِّيَانِه
 ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهدِي ألا
 تجلس؟ قال: لا، بل أمضي إلى منزل ليلي فأتَرْسَمُه وأرى آثارها فيه،
 فأشفي بعضَ ما في صدري بها، فقالا له: فنحن معك، فقال: إذا فعلتما
 أكرمتما وأحسنتما، فقاما معه حتَّى أتى دار ليلي، فوقف بها طويلاً يتتبع
 آثارها ويبكي ويقف في موضع موضع منها ويبكي، ثم قال:

صوت

[البسيط]

يا صاحِبِي الْمَّابِي بِمَنْزِلَةٍ
 قد مرَّ حينٌ عليها أيُّما حينٍ
 إني أَرَى رَجَعَاتِ الْحُبِّ تَقْتُلُنِي
 وكان في بدئها ما كان يكفيني
 لا خَيْرَ في الْحُبِّ لَيْسَتْ فِيهِ قَارَعَةٌ
 كأنَّ صاحبَهَا في نَزْعِ مَوْتُونٍ
 إنَّ قالَ عُدَّالُهُ مَهْلًا فَلَانَ لَهُم
 قالَ الْهَوَى غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ يَغْنِينِي
 أَلْقَى مِنَ الْيَأْسِ تَارَاتٍ فَتَقْتُلُنِي
 وَلِلرَّجَاءِ بِشَاشَاتٍ فَتُخَيِّنِي
 الغناء لإبراهيمَ خفيفٌ ثَقِيلٌ من جامع غنائه.

وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين: إنَّ جماعة من بني عامر
 حَدَّثُوهُ قالوا: كان رجل من بني عامر بن عُقِيلٍ يقال له: قيسُ بن
 مُعَاذٍ، وكان يُدعى المجنون، وكان صاحبَ عَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء،
 فخرج على ناقة له يسير، فمرَّ بامرأةٍ من بني عُقِيلٍ يقال لها: كريمة،

وكانت جميلة عاقلة، معها نسوة فعرفته ودعونه إلى النزول والحديث،
وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسان وقلنسوة، فنزل فظل يحدثهن
ويشدهن وهن أعجب شيء به فيما يرى، فلما أعجبه ذلك منهن عقر
لهن ناقتة، وقمن فجعلن يشوين ويأكلن إلى أن أمسى، فأقبل غلام
شاب حسن الوجه من حيهن فجلس إليهن، فأقبلن عليه بوجوههن
يقلن له: كيف ظلمت يا منازل اليوم؟ فلما رأى ذلك من فعلهن
غضب، فقام وتركهن وهو يقول:

[الطويل]

أَعْقِرْ مَنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَأَقْتِي
وَوَضَلِي مَفْرُوشٍ لَوَضَلِ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعَقَعْنَ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ
إِذَا جِئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاخِلِ
قال: فقال له الفتى: هَلَمْ نَتَصَارَعْ أَوْ نَتَنَاضَلْ، فقال له: إِنْ شِئْتَ
ذَلِكَ فَقُمْ إِلَى حَيْثُ لَا تَرَاهُنَّ وَلَا يَرَيْنَكَ، ثم ما شِئْتَ فَافْعَلْ، وقال:

[الطويل]

إِذَا مَا انْتَضَلْنَا فِي الْخَلَاءِ نَضَلْتُهُ
وَإِنْ يَرُمُ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي
وقال ابنُ الكلبي في هذا الخبر: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقتة
ومضى متعرضاً لهن، فألفى ليلى جالسةً بفناء بيتها، وكانت معهن
يومئذ جالسة، وقد علق بقلبها وهويته، وعندها جويريات، فوقف
بهن وسلم، فدعونه إلى النزول وقلن له: هل لك في مُحَادَثَةٍ مَنْ لَا
يَسْغُلُهُ عَنْكَ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ قال: إِي لَعْمَرِي، فنزل وفعل فعلته
بالأمس، فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت
تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحديث غيره، وقد كان علق حبها
بقلبه وشغفه واستملحها، فبينما هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته

فسارَّته سِرَّاراً طويلاً ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون
قد تغير وامتقع وشقَّ عليه ما فعلت، فأنشأت تقول:

[الوافر]

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً
وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تَبَلَّغْنَا الْعِيُونَ مَقَالَتَيْنَا
وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفِينٌ
فلما سمع هذين البيتين شهق شهقة عظيمة وأغمي عليه فمكث
ساعة، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق، وتمكن حبُّ كلِّ واحدٍ
منهما في قلب صاحبه وبلغ منه كلُّ مبلغ.

تحرَّقت راحته وما شعر:

حدَّثني عمي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن
إسماعيل القرشي قال: حدَّثنا أبو العالية عن أبي ثُمَامَةَ الجعدي قال:
لا يُعرفُ فينا مجنونٌ إلَّا قيسُ بنُ الملوِّح.

قال: وحدَّثني بعضُ العشيرة قال: قلتُ لقيس بن الملوِّح قبل أن
يُخَالَطَ: ما أعجبُ شيءٍ أصابَكَ في وَجَدِكَ بليلى؟ قال: طَرَقْنَا ذاتَ
ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أدم^(١)، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلي
وقال لي: اطلب منه أدمًا، فأتيتُه فوقفتُ على خبائه فصَحْتُ به،
فقال: ما تشاء؟ فقلت: طَرَقْنَا ضَيْفَانٌ ولا أدمَ عندنا لهم فأرسلني أبي
نَظْلُبُ منك أدمًا، فقال: يا ليلي، أخرجني إليه ذلك النَّحْيَ^(٢)، فاملاي
له إناءً من السَّمْنِ، فأخرجته ومعِي قَعْبٌ^(٣)، فجعلتُ تَصُبُّ السَّمْنَ

(١) أدم الخبز: خلطه بالإدام وهو ما يؤتدم به.

(٢) النحي: الزق الذي يوضع فيه السمن خاصة.

(٣) القعب: القدح الضخم الغليظ، وقيل: قدح من خشب مقعر.

فيه وَتَحَدَّثْتُ ، فَأَلْهَانَا الْحَدِيثُ ، وَهِيَ تَصُبُّ السَّمْنَ وَقَدْ امْتَلَأَ الْقَعْبُ وَلَا نَعْلَمُ جَمِيعاً ، وَهُوَ يَسِيلُ حَتَّى اسْتَنْقَعَتْ أَرْجُلُنَا فِي السَّمَنِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُمْ لَيْلَةً ثَانِيَةً أَطْلُبُ نَاراً ، وَأَنَا مُتَلَفِّعٌ بِبُرْدٍ لِي ، فَأَخْرَجْتُ لِي نَاراً فِي عُطْبَةٍ^(١) فَأَعْطَتْنِيهَا وَوَقَفْنَا نَتَحَدَّثُ ، فَلَمَّا احْتَرَقَتِ الْعُطْبَةُ خَرَقْتُ مِنْ بُرْدِي خِرْقَةً وَجَعَلْتُ النَّارَ فِيهَا ، فَكَلِمَا احْتَرَقْتُ خَرَقْتُ أُخْرَى وَأَذْكَيْتُ بِهَا النَّارَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي مِنَ الْبُرْدِ إِلَّا مَا وَارَى عَوْرَتِي ، وَمَا أَعْقِلُ مَا أَصْنَعُ ، وَأَنْشِدُنِي :
[الطويل]

أُمُسْتَقْبِلِي نَفْحُ الصَّبَا شَائِقِي
بِبُرْدٍ ثَنَائِيَا أَمْ حَسَّانَ شَائِقُ
كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَجَّهَا
بِمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ عَاتِقُ
وَمَا شِمْتُهُ إِلَّا بَعَيْنِي تَفْرُسُ
كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرُوي هَذِهِ الْأَيَّاتِ لُنُصَيْبٍ ، وَلَكِنْ هَكَذَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ .

بنو عامر أرق الناس قلوباً :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدَلِ قَالَ :
سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ - وَقَدْ تَذَاكَرْنَا مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ - قَالَ : هُوَ قَيْسُ بْنُ مَعَاذِ الْعُقَيْلِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَكُنْ مَجْنُوناً إِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْنَةٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

[مجزوء الكامل]

أَخَذْتُ مَحَاسِينَ كُلِّ مَا
ضَنْنْتُ مَحَاسِنَهُ بِحُسْنِهِ

(١) العطبة : خرقه تؤخذ بها النار .

كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا
لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُوزُ قَرْنِهِ
قال: وهو القائل:

صوت

[الطويل]

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ
بِخَيْفٍ مِئَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ
وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ
مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمَخْضَبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرِ
مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مَغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكِ

صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول، ابتداءً من نشيدٍ من صنعة
الواثق وهو المشهور. وذكره ابنُ المكيِّ لأبيه يحيى. وهو في جامع
غناء سُلَيْمِ بْنِ سَلَامٍ لَهُ وَذَكَرَهُ حَبَشٌ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ فَنَسَبَهُ فِي
طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ فِي أَحَدِهِمَا إِلَى ابْنِ مُحَرَّرٍ، وَالْآخَرِ إِلَى يَحْيَى
الْمَكِّيِّ. وَزَعَمَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ فِيهِ لِسُلَيْمِ بْنِ سَلَامٍ لَحْنًا آخَرَ مِنَ الثَّقِيلِ
الْأَوَّلِ.

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ
قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَتَانِي رَجُلٌ مِنْ عُذْرَةٍ
لِحَاجَةٍ، فَجَرَى ذِكْرَ الْعَشْقِ وَالْعُشَّاقِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ أَرْقُ قُلُوبًا أَمْ بَنُو
عَامِرٍ؟ قَالَ: إِنَّا لَأَرْقُ النَّاسَ قُلُوبًا، وَلَكِنْ غَلَبَتْنَا بَنُو عَامِرٍ بِمَجْنُونِهَا.

بعض أوصافه :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ مُوسَى بْنِ زَكْوِيَةَ الْقَطَانِ إِجَازَةً قَالَ :
 حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْخَرَامِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ
 سَلِيمَانَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : أَنَا رَأَيْتُ مَجْنُونًا
 بَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ أَبْيَضَ اللَّوْنِ قَدْ عَلَاهُ شُحُوبٌ
 وَاسْتَنْشَدْتُهُ فَأَنْشَدَنِي قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

[الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا
 وَأَيَّامَ لَا أُغْدِي عَلَى اللَّهِوَ عَادِيَا
 أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ خَطِيبَ مَسْجِدِ الْقَادِسِيَّةِ قَالَ : حَدَّثَنَا
 الرَّيَاشِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ الْمَازَنِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ مَعَاذًا وَبِشَرَ بْنَ
 الْمَفْضَلِ جَمِيعًا يَنْشِدَانِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَيَنْسُبَانَهُمَا لِمَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ :

[الطويل]

طَمَعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا
 تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ
 وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ
 شَهِودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ
 وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ
 الْحُبَابِ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ قَالَ : قَضَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ
 أَبِي الْحَزْزِ الْعَنْبَرِيُّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَضِيَّةً أَوْجَبَهَا الْحُكْمَ عَلَيْهِ ، وَظَنَّ
 الْعَنْبَرِيُّ أَنَّهُ تَحَامَلَ عَلَيْهِ وَانْصَرَفَ مُغْضَبًا ، ثُمَّ لَقِيَهُ فِي طَرِيقٍ ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ
 بَغْلَتِهِ وَكَانَ شَدِيدًا أَتَدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِيْهِ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ !

[الطويل]

طَمَعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا
 تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فَقَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ:

[الطويل]

وبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خِلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ
شُهُودٌ عَدُولٌ عِنْدَ لَيْلَى مَقَانِعُ
خَلَّ عَنْ الْبَغْلَةِ. قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي خَبْرِهِ هَذَا: وَالْبَيْتَانِ لِلْبَعِيثِ
هَكَذَا، قَالَ: فَلَا أَدْرِي أَمِنْ قَوْلِهِ أَمْ حِكَايَةِ عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ!

آخر عهده بليلي:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الدَّلَالِ
قَالَ: حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ مُوسَى بْنِ شُعَيْبٍ بْنُ السَّكَنِ عَنْ يُونُسَ
النَّحَوِيِّ قَالَ:

لَمَّا اخْتَلَطَ عَقْلُ قَيْسِ بْنِ الْمُلَوَّحِ وَتَرَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، مَضَتْ
أُمُّهُ إِلَى لَيْلَى فَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ قَيْسًا قَدْ ذَهَبَ حُبُّكَ بِعَقْلِهِ، وَتَرَكَ
الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، فَلَوْ جِئْتَهُ وَقَتًا لَرَجَوْتُ أَنْ يَثُوبَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ،
فَقَالَتْ لَيْلَى: أَمَّا نَهَارًا لَا لِأَنْنِي لَا أَمْنُ قَوْمِي عَلَى نَفْسِي وَلَكِنْ
لَيْلًا، فَأَتَتْهُ لَيْلًا فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ أُمَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ جُنِنْتَ مِنْ أَجْلِي
وَتَرَكْتَ الْمَطْعَمَ وَالْمَشْرَبَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَبَكَى
وَأَنشَأَ يَقُولُ:

[البسيط]

قَالَتْ جُنِنْتَ عَلَى أَيِّشٍ فَقُلْتُ لَهَا
الْحُبُّ أَعْظَمُ مَمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
قَالَ: فَبَكَتْ مَعَهُ، وَتَحَدَّثَا حَتَّى كَادَ الصَّبْحُ أَنْ يُسْفِرَ ثُمَّ وَدَّعْتَهُ
وَانصَرَفَتْ فَكَانَ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا.

سبب جنونه :

أخبرنا ابن المَرزبان قال : قال القَحْذَمِيُّ : لما قال المجنون :

[الطويل]

قضاءه لغيري وابتلاني بحبها
فهللاً بشيءٍ غير ليلى ابتلاني
سُلبَ عقله . الغناء لحكم ثقیلٍ أَوَّل ، وقيل : إنه لابن الهرَبْذ . وفيه
لمتيم خفيف ثقیلٍ أَوَّل من جامع أغانيها . وحدَّثني جَحْظَةُ بهذا الخبر
عن ميمون بن هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برَّص .

تسميته :

أخبرني الحسن بن عليّ القرشي عن ابن عائشة قال : إنما سمّي
المجنون بقوله :

[البسيط]

ما بال قلبك يا مجنون قد خُلِعَا
في حبٍّ مَنْ لا تَرى في نيلِهِ طَمَعَا
الحُبُّ والودُّ نيطا بالفؤاد لها
فأصبحا في فؤادي ثابتين معا
حدَّثنا وكيع عن ابن يونس قال : قال الأصمعيّ : لم يكن المجنونُ
مجنوناً ، إنما جنَّه العشقُ ، وأنشد له :

[الطويل]

يُسْمُونِي المجنونَ حينَ يَرُونَنِي
نَعَمَ بِي مِنْ لَيْلَى العَدَاةَ جنونُ
لِيَالِي يُزْهِى بِي شَبَابٌ وَشَرَّةٌ
وَإِذِ بِي مِنْ خَفْضِ المَعِيشَةِ لِينُ
أخبرني محمد بن المَرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال :

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ: أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ مَجْنُونٌ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَجْنُونُ بِقَوْلِهِ:

[الطويل]

وَإِنِّي لَمَجْنُونٌ بَلِيلِي مُوَكَّلٌ
وَلَسْتُ عَزُوفًا عَنْ هَوَاهَا وَلَا جَلْدًا
إِذَا ذَكَرْتُ لَيْلِي بِكَيْتِ صَبَابَةٍ
لِتَذْكَارِهَا حَتَّى يَبُلَّ الْبُكَاءُ الْخَدَّاءُ
أَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ جَبِيلٍ الْعَتَكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ:
حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ أَنَّهُ قَالَ: مَا كَانَ وَاللَّهِ الْمَجْنُونُ الَّذِي
تَعَزَّوْنَهُ إِلَيْنَا مَجْنُونًا، إِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْثَةٌ وَسَهْوٌ أَحَدْتُهُمَا بِهِ حُبٌّ لَيْلِي،
وَأُنْشِدْ لَهُ:

[الطويل]

وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلِي الَّذِي لَوْ أَبْثُثُهُ
جَمَاعَةً أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِي
فَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بَلِيلِي جُنُونُهَا
أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: قَالَ الْعُتْبِيُّ: إِنَّمَا سَمِّيَ الْمَجْنُونُ بِقَوْلِهِ:

[الطويل]

يَقُولُ أَنْاسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٍ
يَرُومُ سُلُوقًا قَلْتُ: أَتَى لِمَا بَيَا
وَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلِي أَقَارِبِي
أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَابْنُ خَالِي وَخَالِيَا
يَقُولُونَ لَيْلِي أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ
بِنَفْسِي لَيْلِي مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا

ولو كان في ليلى شذاً من خصومة
 لَلَوَيْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ الْمَلَاوِيَا
 أَخْبَرَنِي هَاشِمُ الْخَزَاعِيُّ عَنْ عَيْسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قَالَ ابْنُ
 سَلَامٍ: لَوْ حَلَفْتُ أَنَّ مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ لَمْ يَكُنْ مَجْنُوناً لَصَدَقْتُ،
 وَلَكِنْ تَوَلَّاهُ لَمَّا زُوِّجَتْ لَيْلَى وَأَيَّقَنَ الْيَأْسَ مِنْهَا، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى
 قَوْلِهِ:

[الطويل]

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخْلَسَ عَقْلُهُ
 فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ
 خَلِيعاً مِنَ الْخُلَّانِ إِلَّا مُجَامِلاً
 يُسَاعِدُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
 إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ
 عَوَازِبُ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
 قَالَ: وَأَنْشَدَنَا لَهُ أَيْضاً:

صوت

[الكامل]

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى
 مَا كَانَ فِيكَ فَإِنَّهُ شُغْلِي
 وَأَدِيمُ لَحْظٍ مُحَدَّثِي لِيَرَى
 أَنَّ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

ليلى أم مالك:

أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمَرْزُبَانِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ دِينَارِ الْأَحْوَلِ عَنْ
 عَلِيِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْأَثَرَمِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ صَاحِبَةَ مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ
 الَّتِي كَلَّفَ بِهَا لَيْلَى بِنْتُ مَهْدِيٍّ بْنِ سَعْدٍ بْنِ مَهْدِيٍّ بْنِ الْحَرِيشِ،

وكنيتها أم مالك، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال:

[الطويل]

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
بِمَا رَحُبْتُ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ

وقال أيضاً:

[الطويل]

فَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أُمَّ مَالِكٍ
أَشَابَ قَدْ أَلَيْ وَاسْتَهَامَ فُؤَادِيَا
خَلِيلِيَّ إِنَّ دَارَتْ عَلَيَّ أُمَّ مَالِكٍ
صُرُوفُ اللَّيَالِي فَا بَغِيَا لِي نَاعِيَا

وقال أبو عمرو الشيباني: علق المجنون ليلي بنت مهدي بن سعد من بني الحريش، وكنيتها أم مالك، فشهر وعرف خبره فحجبت عنه، فشق ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوجه إياها، فاشتد به الأمر حتى جنّ وقيل له: «مجنون بني عامر»، فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يحدث به ولا يعقله إلا إذا ذكرت ليلي. وأنشد له أبو عمرو:

صوت

مناجاة:

[الطويل]

أَلَا مَا لَلَيْلَى لَا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِي
بَلِيلٍ وَلَا يَجْرِي بِذَلِكَ طَائِرُ
بَلَى إِنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ
بَلِيلَى وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَا جِرُ
أَزَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِذِي الْأَثَلِ أَمْ قَدْ غَيَّرَتْهَا الْمَقَادِرُ

فوالله ما في القرب لي منك راحة
 ولا البعد يُسليني ولا أنا صابر
 ووالله ما أدري بأيّة حيلة
 وأي مَرام أو خِطارٍ أخطِرُ
 وتالله إنّ الدهر في ذاته بيّننا
 عليّ لها في كلّ حالٍ لجائرُ
 فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني
 جميع القوى والعقل متي وإفر
 ولكن أيامي بحقل غنيزة
 وبالرّضم أيام جناها التجاورُ
 وقد أصبح الودّ الذي كان بيننا
 أمانيّ نفس والمؤمل حائرُ
 لعمري لقد رنّقت يا أمّ مالك
 حياتي وساقطتني إليك المقدارُ
 قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشاميين قال: دخلت أرض بني
 عامر، فسألت عن المجنون الذي قتله الحب، فخبروني عنه أنه كان
 عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلي، ربّا معها ثمّ حُببت عنه، فاشتدّ
 عليه وذهب عقله، فأتاه إخوان من إخوانه يلومونه على ما يصنع
 بنفسه، فقال:

صوت

[البسيط]

يا صاحبي المّابي بمنزلة
 قد مرّ حين أئما حين

في كل منزلة ديوان معرفة
 لم يُبقِ باقية ذكر الدواوين
 إني أرى رجعات الحب تقتلني
 وكان في بدئها ما كان يكفيني
 الغناء لابن جامع خفيف ثقيل .

قيس الهائم على وجهه :

أخبرني هاشم الخزاعي عن الرياشي قال :
 ذكر العُتبي عن أبيه قال : كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألفها
 ويأنس بها ثم غيبت عن ناظره ، فكان أهله يعزونه عنها ويقولون :
 نزوجك أنفَسَ جارية في عشيرتك ، فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها
 وكان ربما هاج عليه الحزن والهم فلا يملك ممّا هو فيه أن يهيم على
 وجهه ، وذلك قبل أن يتوحّش مع البهائم في القفار ، فكان قومه يلومونه
 ويعذّلونه ، فأكثروا عليه في الملامة والعذل يوماً فقال :

صوت

[البسيط]

يا للرجال لهم بات يعرفوني
 مُستطرفٍ وقديمٍ كان يعنيني
 على غريمٍ مليءٍ غير ذي عُدْمٍ
 يابى فيمطلني ديني ويلويني
 لا يذكر البعض من ديني فينكره
 ولا يُحدّثني أن سوف يقضيني
 وما كُشْكُري شُكْرٌ لو يوافقني
 ولا مُنّى كُمناهُ إذ يُمنّيني

أَطَعْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ
 فِي أَمْرِهِ ثُمَّ يَا بَى فَهُوَ يَعَصِينِي
 خَيْرِي لِمَنْ يَبْتَغِي خَيْرِي وَيَأْمُلُهُ
 وَلَا أَقُولُ أَخِي مَنْ لَا يُوَاتِينِي
 فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ هَزَجٌ طُنْبُورِي لِلْمَسْدُودِ مِنْ جَامِعِهِ .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: حَدَّثَنِي رَبَّاحُ الْعَامِرِيُّ قَالَ: كَانَ
 الْمَجْنُونُ أَوَّلَ مَا عَلِقَ لَيْلَى كَثِيرَ الذِّكْرِ لَهَا وَالْإِتْيَانِ بِاللَّيْلِ إِلَيْهَا،
 وَالْعَرَبُ تَرَى ذَلِكَ غَيْرَ مَنْكَرٍ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْفَتَيَاتِ . فَلَمَّا
 عَلِمَ أَهْلُهَا بَعَشَقَهُ لَهَا مَنَعُوهُ مِنْ إِتْيَانِهَا وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ، فَذَهَبَ لَذَلِكَ
 عَقْلُهُ وَيَسَّسَ مِنْهُ قَوْمُهُ وَاعْتَنَوْا بِأَمْرِهِ، وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَلَا مَوَهُ وَعَذَّلُوهُ
 عَلَى مَا يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا هِيَ لَكَ بِهَذِهِ الْحَالِ، فَلَوْ
 تَنَاسَيْتَهَا رَجَوْنَا أَنْ تَسْلُوَ قَلِيلًا، فَقَالَ لَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ وَقَدْ غَلَبَ
 عَلَيْهِ الْبُكَاءُ:

صوت

[الطويل]

فَوَاكِبِدَا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُحِبُّنِي
 وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهْنٌ فَنَاءُ
 أَرَيْتُكَ إِنْ لَمْ أُعْطِكَ الْحُبَّ عَنْ يَدٍ
 وَلَمْ يَكُ عِنْدِي إِذْ أَبَيْتَ إِبَاءُ
 أَتَارَكْتِي لِلْمَوْتِ أَنْتِ فَمَيِّتُ
 وَمَا لِلنُّفُوسِ الْخَائِفَاتِ بَقَاءُ
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي بِي لَيْسَ بِهِيْنِ، فَأَقْلُوا مِنْ
 مَلَامِكُمْ فَلَسْتُ بِسَامِعٍ فِيهَا وَلَا مُطِيعَ لِقَوْلِ قَائِلٍ .

نهارى نهار الناس :

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَمُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ دَأْبٍ عَنْ رَبَاحِ بْنِ حَبِيبٍ الْعَامِرِيِّ :

أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ حَالِ الْمَجْنُونِ وَلَيْلَى ، فَقَالَ : كَانَتْ لَيْلَى مِنْ بَنِي الْحَرِيشِ وَهِيَ بِنْتُ مَهْدِيٍّ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ مَهْدِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَرِيشِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَظْرَفِهِنَّ وَأَحْسَنِهِنَّ جِسْمًا وَعَقْلًا وَأَفْضَلِهِنَّ أَدَبًا وَأَمْلَجِهِنَّ شِكْلًا ، وَكَانَ الْمَجْنُونُ كَلِفًا بِمَحَادِثَةِ النِّسَاءِ صَبًّا بِهِنَّ ، فَبَلَغَهُ خَبَرُهَا وَنُعْتُتْ لَهُ ، فَصَبَا إِلَيْهَا وَعَزَمَ عَلَى زِيَارَتِهَا ، فَتَأَهَّبَ لَذَلِكَ وَلَبَسَ أَفْضَلَ ثِيَابِهِ وَرَجَلَ جُمَّتَهُ وَمَسَّ طَبِيبًا كَانَ عِنْدَهُ ، وَارْتَحَلَ نَاقَةً لَهُ كَرِيمَةً بِرَجُلٍ حَسَنٍ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَأَتَاهَا ، فَسَلَّمَ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَتَحَقَّقَتْ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَجَلَسَ إِلَيْهَا فَحَادِثَتْهُ وَحَادِثَهَا فَأَكْثَرَا ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ مُعْجَبٌ بِهِ ، فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى أَمْسَيَا ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ فَبَاتَ بِأَطْوَلِ لَيْلَةٍ شَوْقًا إِلَيْهَا ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ عَادَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا حَتَّى أَمْسَى ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ فَبَاتَ بِأَطْوَلِ مِنْ لَيْلَتِهِ الْأُولَى وَاجْتَهَدَ أَنْ يُعْمِضَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

[الطويل]

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا
لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
لَقَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ
كَمَا ثَبَّتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
- عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالْغَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى

عن عمرو - قال: وأدام زيارتها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدث إليه غيرها، وكان يأتيها في كلِّ يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف، فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما قَرَّب من منزلها لَقِيَتْهُ جَارِيَةٌ عَسْرَاءٌ فَتَطَيَّرَ مِنْهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[الطويل]

وكيف يُزَجِّى وَضِلُّ لَيْلَى وقد جرى
بِحِدِّ الْقَوَى وَالْوَصْلِ أَعْسَرُ حَاسِرُ

صَدِيعُ الْعَصَا صَعْبُ الْمَرَامِ إِذَا انْتَحَى
لِوَصْلِ أَمْرِي جُدْتُ عَلَيْهِ الْأَوَاصِرُ
ثم سار إليها في غَدٍ فحَدَّثَهَا بِقِصَّتِهِ وَطَيَّرَته مِمَّنْ لَقِيَهُ، وَأَنَّهُ يَخَافُ تَغْيِيرَ
عَهْدِهَا وَانْتِكَاثِهِ وَبَكَى، فَقَالَتْ: لَا تُرْعَ حَاشَ لِلَّهِ مِنْ تَغْيِيرِ عَهْدِي، لَا
يَكُونُ وَاللَّهِ ذَلِكَ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا يَحَادِثُهَا بِقِيَّةِ يَوْمِهِ،
وَوَقَعَ لَهُ فِي قَلْبِهَا مِثْلُ مَا وَقَعَ لَهَا فِي قَلْبِهِ، فَجَاءَهَا يَوْمًا كَمَا كَانَ يَجِيءُ،
وَأَقْبَلَ يَحْدِثُهَا فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى غَيْرِهِ بِحَدِيثِهَا، تَرِيدُ بِذَلِكَ
مِخْنَتَهُ وَأَنْ تَعْلَمَ مَا فِي قَلْبِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ جَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا حَتَّى بَانَ
فِي وَجْهِهِ وَغُرِفَ فِيهِ، فَلَمَّا خَافَتْ عَلَيْهِ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ كَالْمُسْرَةِ إِلَيْهِ فَقَالَتْ:

[الوافر]

كَأَنَّا مُظْهِرُ النَّاسِ بُغْضًا
وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ
فَسُرِّيَ عَنْهُ وَعَلِمَ مَا فِي قَلْبِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَمْتِحَنَكَ
وَالَّذِي لَكَ عِنْدِي أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي لِي عِنْدَكَ، وَأُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ جَالَسْتُ
بَعْدَ يَوْمِي هَذَا رَجُلًا سِوَاكَ حَتَّى أَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَّا أَكْرَهَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ:
فَانصَرَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ سُرُورًا وَأَقْرَبَهُمْ عَيْنًا. وقال:

[الطويل]

أَظُنُّ هَوَاهَا تَارِكِي بِمَضَلَّةٍ
مِنْ الْأَرْضِ لَا مَالٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ

وَلَا أَحَدٌ أَفْضَى إِلَيْهِ وَصِيَّتِي
وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلُ
مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا
وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ
بعد أن تزوجت :

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :
لَمَّا حُجِبَتْ لَيْلَى عَنِ الْمَجْنُونِ خَطَبَهَا جَمَاعَةٌ فَلَمْ يَرْضَهُمْ أَهْلُهَا ،
وَخَطَبَهَا رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ مُوسِرٌّ وَأَخْفَوْا ذَلِكَ عَنِ الْمَجْنُونِ ثُمَّ نُمِيَ إِلَيْهِ
طَرَفٌ مِنْهُ لَمْ يَتَحَقَّقْهُ ، فَقَالَ :

[الطويل]

دَعَوْتُ إِلَهِي دَعْوَةَ مَا جَهِلْتُهَا
وَرَبِّي بِمَا تُخْفِي الصَّدُورُ بَصِيرُ
لَئِنْ كُنْتَ تُهْدِي بَرْدَ أَنْيَابِهَا الْعَلَا
لَأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ
فَقَدْ شَاعَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ قَدْ تَزَوَّجْتَ
فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ
وقال أيضاً :

[الطويل]

أَلَا تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ أَصْبَحَتْ
تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبَالُهَا
هَمْ حَبَسُوهَا مَخْبَسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى
بِهَا الْمَالَ أَقْوَامٌ أَلَا قَلَّ مَالُهَا
إِذَا التَفَتَتْ وَالْعَيْسُ صُعُرٌ مِنَ الْبُرَى
بِنَخْلَةٍ جَلَّتْ عَبْرَةَ الْعَيْنِ حَالُهَا

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفت إليه ، ويقول إذا
جاوزه :

صوت

[الطويل]

ألا أيُّها البيتُ الَّذي لا أَزُورُهُ
وإنَّ حَلَّه شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إِشْفَاقاً وَزَرْتُكَ خَائِفاً
وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعِيبُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا
بِیَوْمِ سُرُورٍ فِي الزَّمَانِ تَوُوبُ
الغناء لعريب ثاني ثقیل بالوسطی . وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى
الثَّقَفِيِّ فقال :

صوت

[الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى
بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرُّكَ فَبَاتَتْ
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
- عَرُوضُهُ مِنَ الْوَافِرِ . الغناء لابن المكيّ خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطی في
مجرها عن إسحاق ، وفيه خفيفٌ ثقیلٌ آخر لسُلَيْمَانَ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى
الْبُنْصَرِ ، وفيه لإِبْرَاهِيمَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنِ الْهَشَامِيِّ - قال :
فَلَمَّا نَقَلْتُ لَيْلَى إِلَى الثَّقَفِيِّ قَالَ :

طربت وشاقتك الحمول الدوافع :

[الطويل]

طَرِبْتَ وَشَاقَتَكَ الْحُمُولُ الدَّوَافِعُ
غَدَاةٌ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ نَازِعُ

شَحَا فَاهُ نَعْباً بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهُ
 حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدَّارِ جَانِعُ
 فَقُلْتُ أَلَا قَدْ بَيَّنَّ الْأَمْرُ فَاَنْصَرِفْ
 فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ
 سُقِيتُ سُؤْمُومًا مِنْ غَرَابٍ فَأَيُّنِي
 تَبَيَّنْتُ مَا خَبَّرْتَ مَذْأَنْتَ وَاقِعُ
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَا مُجِبُّ الْوَمُوهُ
 وَلَا بِبَدِيلٍ بَعْدَهُمْ أَنَا قَانِعُ
 وَقَدْ يَتَنَاءَى الْإِلْفُ مِنْ بَعْدِ الْفَقَّةِ
 وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ
 وَكَمْ مِنْ هَوًى أَوْ جِرَّةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ
 زَمَانًا فَلَمْ يَمْنَعُهُمُ الْبَيْنَ مَانِعُ
 كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ مَيِّتُ جُوبَةِ
 أَخُو ظَمًا سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ
 تَخَلَّسَ مِنْ أَوْشَالِ مَاءٍ صُبَابَةٍ
 فَلَا الشُّرْبُ مَبْذُولٌ وَلَا هُوَ نَاقِعُ
 وَبَيْضٌ تَطَلَّى بِالْعَبِيرِ كَأَنَّهَا
 نِعَاجُ الْمَلَا جِيبَتْ عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ
 تَحْمَلْنَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَوْمَضَتْ
 لَهُنَّ بِأَطْرَافِ الْعَيُونِ الْمَدَامِعُ
 فَمَا رُمْنُ رُبْعِ الدَّارِ حَتَّى تَشَابَهَتْ
 هَجَائِنُهَا وَالْجُورُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ

وحتى حملن الحُورَ من كلِّ جانبٍ
 وخاضتْ سُدُولَ الرِّقَمِ منها الأكارعُ
 فلما استوتت تحت الخدورِ وقد جرى
 عَبيْرٌ ومِسْكٌ بالعِرائينِ رادِعُ
 أَشْرَنَ بأنَّ حُثُّوا الجِمالَ فقد بدا
 من الصَّيفِ يَوْمٌ لافِحُ الحرِّ مائعُ
 فلما لَحِقْنَا بالحُمُولِ تَباشَرَتْ
 بنا مُقْصِرَاتُ غَابَ عنها المطامِعُ
 يُعَرِّضُنَ بالدَّلِّ المَلِيحِ وإنَّ يُرْدُ
 جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فِهْنٌ مَوَانِعُ
 فقلتُ لأصحابي ودُمُعي مُسْبَلُ
 وقد صَدَعَ الشَّمْلُ المُشْتَّتَ صَادِعُ
 أليلى بأبوابِ الخُدورِ تعرَّضَتْ
 لِعَيْنِي أَمْ قَرُنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

المجنون وهديل الحمام :

أخبرني عيسى الحُسَيْنُ الوَرَّاقُ قال : حَدَّثَنَا الهَيْثَمُ بْنُ فِرَاسٍ قال :
 حَدَّثَنِي العُمَرِيُّ عَنْ الهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ :
 أَنَّ أَبَا المَجْنُونِ حَجَّ بِهِ لِيَدْعُوَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي المَوْقِفِ أَنْ يُعَافِيَهُ ،
 فَسَارَ وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ زِيَادُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مُزَاحِمٍ ، فَمَرَّ بِحَمَامَةٍ تَدْعُو عَلَى
 أَيْكَةٍ فَوَقَفَ يَبْكِي ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ مَا يُبْكِيكَ أَيْضاً ؟ سر
 بنا نَلْحَقِ الرُّفْقَةَ ، فَقَالَ :

[الطويل]

أَنَّ هَتَفَتْ يَوْماً بِوَادٍ حَمَامَةٍ
 بَكَيْتَ وَلَمْ يَعْدِرْكَ بِالْجَهْلِ عَازِرُ

دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ بَعْدَمَا عَلَتْ الضُّحَى
 فَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانُ أَنْ نَاحَ طَائِرُ
 تُغْنِي الضُّحَى وَالصُّبْحَ فِي مُرْجَحِنَّةٍ
 كَثَافِ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَائِرُ
 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَيْلِ أَوْ بَطْنِ أَيْكَةٍ
 أَوْ الْجَزْعِ مِنْ تَوَلَّى الْأَشَاءَ حَاضِرُ
 يَقُولُ زِيَادٌ إِذْ رَأَى الْحَيَّ هَجَرُوا
 أَرَى الْحَيَّ قَدْ سَارُوا فَهَلْ أَنْتَ سَائِرُ
 وَإِنِّي وَإِنْ غَالَ التَّقَادُمُ حَاجَتِي
 مُلِمٌّ عَلَى أَوْطَانٍ لَيْلَى فَنَظِرُ

جبل التوباد:

أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيِّ
 عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ شَيْبٍ عَنْ
 الْفُرَوِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ الْمَرْزُبَانِ عَنْ
 ابْنِ الْهَيْثَمِ عَنِ الْعُمَرِيِّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالُوا جَمِيعاً:

كَانَ الْمَجْنُونُ وَلَيْلَى وَهُمَا صَبِيَّانِ يَرْعِيَانِ غَنماً لِأَهْلِهِمَا عِنْدَ جَبَلٍ
 فِي بِلَادِهِمَا يُقَالُ لَهُ التَّوْبَادُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ وَتَوَحَّشَ، كَانَ يَجِيءُ إِلَى
 ذَلِكَ الْجَبَلِ فَيَقِيمُ بِهِ، فَإِذَا تَذَكَّرَ أَيَّامَ كَانَ يُطِيفُ هُوَ وَلَيْلَى بِهِ جَزَعٌ
 جَزَعاً شَدِيداً وَاسْتَوْحَشَ فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَأْتِيَ نَوَاحِيَ السَّامِ، فَإِذَا
 ثَابَ عَقْلُهُ رَأَى بِلْدًا لَا يَعْرِفُهُ فَيَقُولُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَلْقَاهُمْ: بِأَبِي أَنْتُمْ،
 أَيْنَ التَّوْبَادُ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ؟ فَيَقَالُ لَهُ: وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي
 عَامِرٍ! أَنْتَ بِالسَّامِ عَلَيْكَ بَنَجْمٌ كَذَا فَأُمَّهُ، فَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ
 ذَلِكَ النَّجْمِ حَتَّى يَقَعَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ، فَيَرَى بِلَاداً يُنْكِرُهَا وَقَوْمًا لَا

يَعْرِفُهُمْ فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّوْبَادِ وَأَرْضِ بَنِي عَامِرٍ، فَيَقُولُونَ: وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ
أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ! عَلَيْكَ بَنَجْمٌ كَذَا وَكَذَا، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقَعَ
عَلَى التَّوْبَادِ، فَإِذَا رَأَاهُ قَالَ فِي ذَلِكَ:

[الطويل]

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتَنِي
وَأَذْرَفْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ
وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ
وَعَهْدِي بِذَاكَ الصَّرْمِ مِنْذُ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لَأُبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا
فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبْلًا وَدِيمَةً
وَسَحًّا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمَلَانِ

ذهاب عقله:

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ شَيْبٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسَى الْقُرَوِيِّ عَنْ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: لَمَّا قَالَ الْمَجْنُونُ:

[الطويل]

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي
قَضَى اللَّهَ فِي لَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا الْغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحَبِّهَا
فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلِي ابْتِلَانِيَا

سُلِبَ عَقْلُهُ .

وحدَّثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه
لما قالهما برّص .

يهتف بليلي :

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنون يسير مع
أصحابه فسمع صائحاً يصيح: يا ليلي في ليلة ظمأ أو توهّم ذلك،
فقال لبعض من معه: أما تسمع هذا الصوت؟ فقال: ما سمعت شيئاً،
قال: بلى، والله هاتف يهتف بليلي، ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

أَقُولُ لِأَدْنَى صَاحِبِي كَلِيمَةً
أُسِرْتُ مِنَ الْأَقْصَى أَجِبْ ذَا الْمَنَادِيَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفُضَاءِ رَأَيْتُنِي
أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِيناً إِذَا كَانَتْ يَمِيناً وَإِنْ تَكُنْ
شِمَالاً يُنَازِعُنِي الْهُوَى عَنْ شِمَالِيَا
وَقَالَ ابْنُ شَيْبٍ: وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى قَالَ: قُلْتُ لِعُرَيْرِ بْنِ
طَلْحَةَ الْمَخْزُومِيِّ: مَنْ أَشَعَرُ النَّاسِ مِمَّنْ قَالَ شِعْراً فِي مَنَى وَمَكَّةَ
وَعَرَفَاتٍ؟ فَقَالَ: أَصْحَابُنَا الْقُرَشِيُّونَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَجْنُونُ حَيْثُ
يَقُولُ:

[الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
أَطَارَ بَلِيلَى طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي

فقلت له: هل تروي للمجنون غير هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له:

[الطويل]

أما والذي أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
عَلَيْهِ السَّحَابُ فَوْقَهُ يَتَنَصَّبُ
وَمَا سَلَكَ المَوْمَاءَ مِنْ كُلِّ جَسْرَةٍ
طَلِيحٍ كَجَفْنِ السَّيْفِ تَهْوِي فَتُرَكَّبُ
لَقَدْ عَشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أَحْبُّهَا
أَخَا المَوْتَ إِذْ بَعْضُ المَحْبِبِّينَ يَكْذِبُ
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَتْ كُنْيَةُ لَيْلَى أُمَّ
عَمْرُو، وَأَنْشَدَ لِلْمَجْنُونِ:

صوت

[الطويل]

أَبَى القَلْبُ إِلَّا حُبَّهُ عَامِرِيَّةً
لَهَا كُنْيَةُ عَمْرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمْرُو
تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ
الْغَنَاءُ لَعَرِيبٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ، وَقَالَ حَبَشُ: فِيهِ لِإِسْحَاقَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.

داء قديم:

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ الْخَزَاعِيُّ عَنْ دِمَازٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: خُطِبَ لَيْلَى
صَاحِبَةُ المَجْنُونِ جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهَا فَكَرِهَتْهُمْ، فَخُطِبَهَا رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ
مُوسِرٌ فَرَضِيَّتُهُ، وَكَانَ جَمِيلًا فَتَزَوَّجَهَا وَخَرَجَ بِهَا، فَقَالَ المَجْنُونُ فِي
ذَلِكَ:

[الطويل]

أَلَا إِنَّ لَيْلَى كَالْمَنْيْحَةِ أَصْبَحَتْ
تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبَالُهَا

فقد حبسوها مَحْبَسَ البُذْنِ وابتَغَى
 بها الرِّبْحَ أَقْوَامٌ تَسَاحَتَ مَالُهَا
 خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانِهَا
 يُدْنِي لَنَا تَكْلِيمَ لَيْلَى احْتِيَالُهَا
 فَإِنْ أَنْتَمَا لَمْ تَعْلَمَاهَا فَلَسْتُمَا
 بِأَوَّلِ بَاغٍ حَاجَةٌ لَا يَنْأَلُهَا
 كَأَنَّ مَعَ الرِّكْبِ الَّذِينَ اغْتَدَّوْا بِهَا
 عِمَامَةٌ صَيِّفٍ رَعَزَعَتْهَا شِمَالُهَا
 نَظَرْتُ بِمُقْضَى سَيْلِ جَوْشَنٍ إِذْ غَدَّوْا
 تَحُبُّ بِأَطْرَافِ الْمَخَارِمِ أَلْهَا
 بِشَافِيَةِ الْأَحْزَانِ هَيَّجَ شَوْقُهَا
 مُجَامَعَةُ الْأُلُفِ ثُمَّ زِيَالُهَا
 إِذَا التَفَتَتْ مِنْ خَلْفِهَا وَهِيَ تَعْتَلِي
 بِهَا الْعَيْسُ جَلَّى عَبْرَةَ الْعَيْنِ حَالُهَا
 أَخْبَرَنِي عَلِيٌّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى
 ثَعْلَبُ عَنْ أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: وَأَنْشَدَنَاهُ الْمُبَرِّدُ لِلْمَجْنُونِ
 فَقَالَ:

صوت

[الطويل]

وَأَحْبِسُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
 بِذِكْرَاكِ وَالْمَمْشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
 مَخَافَةٌ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ
 وَأَحْرُسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ

فقد جعلت نفسي - وأنتِ اجترمتِ
 وكنيتِ أعزَّ النَّاسِ - عنكِ تطيبُ
 فلو شئتِ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكِ ولم يَزَلْ
 لكِ الدَّهْرَ مِنِّي ما حَيْثُ نَصِيبُ
 أما والذي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا
 وَيَعْلَمُ ما تُبْدي به وتَغِيبُ
 لقد كنتِ ممن تَضْطَفِي النفسُ حُلَّةً
 لها دُونَ خُلَّانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ
 ذكر يحيى المكيّ أنه لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ، وقال الهشاميّ: إنه
 من منحول يحيى إليه .

ظل النسوة في القمر:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الحسن بن
 محمد بن طالب الدّيناريّ قال: حدّثني إسحاق الموصليّ،
 وأخبرني به محمد بن مَزِيدٍ والحُسَيْن بن يحيى عن حمّاد بن
 إسحاق عن أبيه قال: حدّثني سعيد بن سُلَيْمان عن أبي الحسن
 البَغَاء قال:

بينّا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً، إذا بظلّ نسوة في
 القمر، فسمعتُ إحداهنّ تقول: أهو هو؟ فقالت لها أخرى معها: إي
 والله إنه لهو هو!

فدنت مِنِّي ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك .

[البسيط]

ليست لياليك في خاخ بعائدة
 كما عهدت ولا أيام ذي سَلَمٍ

فقلت: أَجِبْ فقد سمعت، فقال: قد والله قُطِعَ بي وأرتج عليّ فأَجِبْ فقلت:

[الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ كلِّ مصيبةٍ
إذا وُطِنْتُ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ
ثم مضينا حتى إذا كنَّا بمُفْرَقِ طَرِيقَيْنِ مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ
إلى منزلي، فإذا أنا بجويرية تَجِدُّ رَدَائِي فالتفتُ، فقالت لي: المرأةُ
التي كَلَمْتَهَا تدعوكَ، فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً واسعة ثم صرْتُ إلى
بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثَنَّتْ لي وسادة فجلستُ عليها، ثم جاءت جاريةُ
بوسادة مَثْنِيَةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأةُ فجلستُ عليها، فقالت لي: أنتِ
المجيبُ؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أَفْظَ جوابَكَ وأغلظَه! فقلتُ لها: ما
حضرني غيرُه، فسكتتُ، ثم قالت: لا، والله ما خلق الله خلقاً أَحَبَّ إليّ
من إنسان كان معكَ! فقلتُ لها: أنا الضامن لكِ عنه ما تُحِبِّينَ، فقالت:
هيهات أن يقع بذلك وفاءً، فقلتُ: أنا الضامن وعليّ أن آتِيكَ به في الليلة
القابلة، فانصرفتُ فإذا الفتى ببابي، فقلتُ: ما جاء بك؟ قال: ظننتُ أنها
سُتْرِسل إليك وسألتُ عنكَ فلم أعرفْ لك خبراً، فظننتُ أنك عندها،
فجلستُ أنتظرُكَ، فقلتُ له: وقد كان الذي ظننتُ، وقد وعدتُها أن آتِيكَ
فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيئاًنا وانتظرنا المساء،
فلما جاء اللَّيْلُ رَحَلْنَا إليها، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا، فمضت أماننا حين
رَأَتْنا حتى دخلت الدَّارَ ودخلنا معها، فإذا رائحة طيبة ومجلسٌ قد أُعِدَّ
وَنُصِّدَ، فجلسنا على وسائدٍ قد ثُبِنَتْ وجلستُ ملياً ثم أَقْبَلْتُ عليه فعاتبته
ملياً ثم قالت:

صوت

[الطويل]

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

وأبرزتني للناس ثم تركتني
 لهم غرضاً أزمى وأنت سليم
 فلو كان قول يكلّم الجلد قد بدا
 بجِلدي من قول الوشاة كلوم
 هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدُمينة، وفيها غناء لإبراهيم
 الموصلي ذكره إسحاق ولم يُجنّسه. وقال الهشامي: هو خفيف رمل،
 وفيه لعريب خفيف ثقيل أول يُنسب إلى حَكَم الوادي وإلى يعقوب.
 قال: ثم سكّنت وسكت الفتى هنيهة ثم قال:

[الطويل]

غَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ
 وفي بعض هذا للمُحِبِّ عَزَاءُ
 جزيئتك ضَعْفَ الودِّ ثم صَرَمَتَنِي
 فحُبُّكَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ
 فالتفتت إليّ فقالت: ألا تسمع ما يقول! قد خبرتك، فغمزته أن
 كُفَّ فَكُفَّ، ثم أقبلت عليه وقالت:

صوت

[الطويل]

تجاهلت وُضلي حينَ جَدْتُ عَمَائِي
 فهَلَّا صَرَمْتَ الحبلَ إذا أنا أَبْصَرُ
 ولي من قُوى الحبل الذي قد قطعته
 نَصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ مُوقَّرُ
 ولكنّما آذَنْتَ بِالصَّرْمِ بَعْتَةً
 ولستُ على مثل الذي جئت أَقْدِرُ

الغناء لإبراهيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو - فقال :
 [الطويل]
 لقد جعلتُ نفسي - وأنتِ اجترمتِ
 وكنْتَ أعزَّ الناس - عنكِ تطيبُ
 قال : فبكت ، ثم قالت : أَوَقَدَ طابَتْ نفسك ! لا ، واللَّه ما فيك
 بعدها خير ، ثم التفتت إليَّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفي بضمائك
 ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ، وإنما ذَكَرَ هذا الخبرُ
 هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .
 رجع الخبر إلى سِياقَةِ أخبارِ المجنون .

مر ولم يللم بليلي :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قال : حَدَّثَنَا الْكُرْنِيُّ عن الْعُمَرِيِّ عن الهيثم بن عديٍّ
 أَنَّ رَهْطَ الْمَجْنُونِ اجْتَازُوا فِي نُجْعَةٍ لَهُمْ بِحَيِّ لَيْلَى ، وَقَدْ جَمَعْتُهُمْ
 نُجْعَةً فَرَأَى آيَاتُ أَهْلِ لَيْلَى وَلَمْ يُقَدِّمُوا عَلَى الْإِلِمَامِ بِهِمْ وَعَدَلَ أَهْلُهُ إِلَى
 جِهَةِ أُخْرَى ، فَقَالَ الْمَجْنُونُ :
 [الطويل]
 لَعَمْرُكَ إِنَّ الْبَيْتَ بِالْقَبْلِ الَّذِي
 مَرَرْتُ وَلَمْ أَلِمْ عَلَيْهِ لَشَائِقُ
 وَبِالْجَزْعِ مِنْ أَعْلَى الْجَنِيْبَةِ مَنْزَلُ
 شَجَا حَزَنٍ صَدْرِي بِهِ مُتَضَايِقُ
 كَأَنِّي إِذَا لَمْ أَلْقَ لَيْلَى مُعَلَّقُ
 بِسَبَبَيْنِ أَهْفُو بَيْنَ سَهْلٍ وَحَالِقُ
 عَلَى أَنَّنِي لَوْ شِئْتُ هَاجَتْ صَبَابَتِي
 عَلَيَّ رِسُومٌ عَيَّ فِيهَا التَّنَاطُقُ
 لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحَبَّ يَا أُمَّ مَالِكِ
 بِقَلْبِي بَرَانِي اللَّهُ مِنْهُ لَلَا صِقُ

يَضُمُّ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ
كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

صوت

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا
سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
إليّ وإن لم تصف منك الخلائق
الغناء لمتيم ثقيل أول من جامعها . وفيه لدعامة رمل عن حبش .

حديث ليلى مع جارتها :

أخبرني أحمد بن جعفر جحظه قال : حدّثني أحمد بن الطيّب قال :
قال ابن الكلبي : دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواك
تستاك به ، فتنفست ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المسواك ،
فقال لها جارتها : من هو ؟ قالت : قيس بن الملوّح ، وبكت ثم نزع
ثيابها تغتسل ؛ فقالت : ويحه ! لقد علّق منّي ما أهلكه من غير أن أستحق
ذلك ، فنشدتك الله ، أصدق في صفتي أم كذب ؟ فقالت : لا والله ، بل
صدق ؛ قال : وبلغ المجنون قولها فبكى ثم أنشأ يقول :

[البسيط]

نُبِّئْتُ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبْخُلُهَا
قَالَتْ سَقَى الْمَرْزُ غَيْثًا مَنْزِلًا خَرِبًا
وَحَبَّذَا رَاكِبٌ كُنَّا نَهَشُ بِهِ
يُهْدِي لَنَا مِنْ أَرَاكِ الْمَوْسِمِ الْقُضْبَا
قَالَتْ لَجَارَتِهَا يَوْمًا تُسَائِلُهَا
لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وَأَلْقَتْ عِنْدَهَا السَّلْبَا

يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَلَا قُلْتَ صَادِقَةً
أَصَدَقْتُ صِفَةَ الْمَجْنُونِ أَمْ كَذِبًا
ويروى: «نشدتُك الله» ويروى: «أصدقاً وصفَ المجنونُ أَمْ
كذباً».

ليلي تخرج مع زوجها:

وقال أبو نصر في أخباره: لما زُوجَتْ ليلي بالرجل الثقفي سمع
المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر: أَنْتَ مِمَّنْ يُشَيِّعُ لَيْلَى؟ قال:
ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضُحوةً أو الليلة، فبكى ثم قال:

صوت

[الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى
بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةً عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
الغناء ليحيى المكيّ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ
ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكيّ؛ وقال حبش: فيه
خفيف ثقيل لسكّيم.

غريب الدار في أرض عامر:

وقال الهيثم بن عديّ في خبره: حدّثني عبد الله بن عيّاش
الهمدانيّ قال: حدّثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرْنَا مَطَرًا شَدِيدًا فِي
رَبِيعٍ ارْتَبَعْنَاهُ، وَدَامَ الْمَطَرُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَصْبَحْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَلَى صَحْوٍ
وَخَرَجَ النَّاسُ يَمْشُونَ عَلَى الْوَادِي، فَرَأَيْتُ رَجُلًا جَالِسًا حَجْرَةً وَحْدَهُ
فَقَصَدْتُهُ، فَإِذَا هُوَ الْمَجْنُونُ جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي فَوْعَظْتُهُ وَكَلَّمْتُهُ طَوِيلًا

وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً
وحُرَفَتَه :

صوت

[الطويل]

جَرَى السَّيْلُ فاستبكاني السَّيْلُ إذ جرى
وفاضتْ له من مُقلَّتَي غُرُوبٍ
وما ذاك إلا حينَ أيقنْتُ أنه
يكونُ بوادٍ أنتَ فيه قَريبُ
يكونُ أجاجاً دونكم فإذا انتهى
إليكم تَلَقَّى طيَبَكم فيَطِيبُ
أَظْلَ غَريبَ الدَّارِ في أرضِ عامرٍ
ألا كلُّ مَهجورٍ هناكَ غَريبُ
وإنَّ الكَثيبَ الفردَ من أيمن الحمى
إليَّ وإن لم آتِه لَحَبِيبُ
فَلا خَيْرَ في الدُّنيا إذا أنتَ لم تَزُرْ
حَبِيباً ولم يَطْرَبْ إليكَ حَبِيبُ
وأوَّلُ هذه القصيدة - وفيه أيضاً غناء - :

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزوره
وهَجْرانُهُ مَتَّى إليهِ دُئُوبُ
هَجْرُكَ مشتاقاً وزرُّكَ خائفاً
وفيكَ عليَّ الدَّهرَ منك رَقِيبُ
سَأستَغْطِفُ الأَيَّامَ فيكَ لعلَّها
بِيومٍ سرورٍ في هَوالِكَ تُثِيبُ

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية مروية، ورؤيت ها هنا
 للمجنون. وفيها لعريب ثقیلٌ أوّل، ولعبد الله بن العباس ثاني ثقیل،
 ولأحمد بن المكي خفيفٌ ثقیل:
 وأُفِرْدْتُ إِفْرَادَ الطَّرِيدِ وَبَاعَدْتُ
 إِلَى النَفْسِ حَاجَاتٍ وَهَنَ قَرِيبُ
 لَيْسَ حَالُ يَأْسٍ دُونَ لَيْلَى لَرَبِّمَا
 أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الْأَمْرِ فَهُوَ عَصِيبُ
 مَنِّيَتَنِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي
 عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاظِرِينَ يُرِيبُ
 صَدَدَتْ وَأَشْمَتَ الْعَدُوَّ بِصَرْمِنَا
 أَثَابَكَ يَا لَيْلَى الْجَزَاءُ مُثِيبُ

عندما خرّ مغشياً على وجهه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا محمد بن زكريّا
 الغلابي قال: حدّثنا مهدي بن سابق قال: حدّثنا بعضُ مشايخ بني
 عامر أنّ المجنون مرّ في توحّشه فصادف حيّ ليلى راحلاً ولقيها
 فجأةً فعرفها وعرفته فصعق وخرّ مغشياً على وجهه، وأقبل فتیانٌ
 من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه، وأسندوه إلى
 صدورهم وسألوا ليلى أن تقفَ له وَفَقَةً فَرَقَّتْ لِمَا رَأَتْهُ بِهِ، وقالت:
 أَمَا هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ أَفْتَضِّحَ بِهِ، وَلَكِنْ يَا فُلَانَةُ - لَأَمَةٍ لَهَا - اذْهَبِي
 إِلَى قَيْسٍ فَقُولِي لَهُ: لَيْلَى تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ لَكَ: أَعَزُّ
 عَلَيَّ بِمَا أَنْتَ فِيهِ، وَلَوْ وَجَدْتُ سَبِيلًا إِلَى شِفَاءِ دَائِكَ لَوْقَيْتُكَ
 بِنَفْسِي مِنْهُ، فَمَضَتْ الْوَلِيدَةُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِهَا، فَأَفَاقَ وَجَلَسَ
 وَقَالَ: أَبْلِغِيهَا السَّلَامَ وَقُولِي لَهَا: هِيَاهُ! إِنَّ دَائِي وَدَوَائِي أَنْتِ،

وإنَّ حياتي ووفاتي لفي يديك ، ولقد وُكِّلَتْ بي شقاءٌ لازماً وبلاءٌ
طويلاً ثم بكى وأنشأ يقول :

[الطويل]

أقول لأصحابي هي الشمسُ ضوؤها
قريبٌ ولكن في تناؤلها بُعدٌ
لقد عارضتنا الرِّيحُ منها بنفحةٍ
على كيدي من طيبِ أرواحها برْدٌ
فما زلتُ مغشياً عليّ وقد مَضَتْ
أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا ردُّ
أقلُّبُ بالأيدي وأهلي بعَوْلَةٍ
يُفدُونَنِي لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً
ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جلدُ
أذنيَّ مالي في انقطاعي وغرْبتي
إليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نقدُ
عديني - بنفسِي أنتِ - وعداً فربَّما
جألاً كُرْبَةً المكروبِ عن قبله الوعدُ
وقد يُبْتَلَى قَوْمٌ ولا كَبَلِيَّتِي
ولا مثلَ جَدِّي في الشَّقَاءِ بكم جدُّ
عزَّتني جُنودُ الحبِّ من كلِّ جانبٍ
إذا حانَ من جُنْدٍ قُفُولٌ أتى جندُ
وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدني يقول :
قال نُوْفَل بن مُسَاحِق : أَخْبِرْتُ عن المجنون أنَّ سببَ تَوَحُّشِهِ أَنَّهُ

كان يوماً بضريّة جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل :

[الوافر]

كَلَانَا يَا أَخِي يُحِبُّ لَيْلَى
بِفِيّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى التُّرَابِ
لَقَدْ خَبَلْتُ فُؤَادَكَ ثُمَّ تَنَّتْ
بِقَلْبِي فَهُوَ مَهْمُومٌ مُصَابُ
شَرَكُوكَ فِي هَوَى مَنْ لَيْسَ تُبْدِي
لَنَا الْيَامُ مِنْهُ سِوَى اجْتِنَابِ

خبر نوفل بن مساحق مع المجنون :

قال : فتنّس الصُّعْدَاءُ وَغُشِّيَ عَلَيْهِ ، وكان هذا سَبَبُ تَوْحُّشِهِ فلم يُرْ له أثرٌ . حتى وجده نوفلُ بنُ مَسَاحِقٍ . قال نُوْفَلٌ : قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ : فَقِيلَ لِي : تَوْحَّشَ وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ وَلَا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ صَارَ ، فَخَرَجْتُ يَوْمًا أَتَصِيدُ الْأَرْوَى ، ومَعِيَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِنَاحِيَةِ الْحِمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكَةِ عَظِيمَةٍ قَدْ بَدَا مِنْهَا قَطِيعٌ مِنَ الطُّبَّاءِ ، فِيهَا شَخْصٌ إِنْسَانٍ يُرَى مِنْ خَلَلِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ، فَعَجِبَ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ ، فَعَرَفْتُهُ وَأَتَيْتُهُ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْمَجْنُونُ الَّذِي أُخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي وَتَخَفَّفْتُ مِنْ ثِيَابِي ، وَخَرَجْتُ أَمْشِي رُوَيْدًا حَتَّى أَتَيْتُ الْأَرَاكَةَ فَارْتَقَيْتُ حَتَّى صَرْتُ عَلَى أَعْلَاهَا وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الطُّبَّاءِ ؛ فَإِذَا بِهِ وَقَدْ تَدَلَّى الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَكْذُ أَعْرِفْهُ إِلَّا بِتَأْمُلٍ شَدِيدٍ ، وَهُوَ يَرْتَعِي فِي ثَمَرِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَمَثَّلْتُ بَيْتَ مِنْ شَعْرِهِ :

[الطويل]

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشُعْبَاكُمَا مَعَا

قال: فَتَفَرَّتِ الطُّبَاءُ، واندفع في باقي القصيدة يُنْشِدُهَا، فما أنسى
 حُسْنَ نَعْمَتِهِ وحسنَ صوته وهو يقول:
 فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعاً
 وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعاً
 بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرَى فلما زجرْتُهَا
 عن الْجَهْلِ بعد الْحَلَمِ أَشْبَلْتَا مَعاً
 وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجِمَى ثم أَنَّثَنِي
 على كبدي من خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
 فليستْ عَشِيَّاتُ الْجِمَى بِرَوَاجِعِ
 عَلَيْكَ وَلَكِنْ خُلَّ عَيْنِيكَ تَدْمَعَا
 مَعِيَ كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ
 بِوَضَلِ الْغَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعَا
 إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِينَ أَسْرَعَتْ
 إِلَيْهِ الْعَيُونُ النَّاظِرَاتُ التَّطَلُّعَا
 قال: ثم سقط مغشياً عليه، فتمثلتُ بقوله:

[البسيط]

يَا دَارَ لَيْلَى بِسِقْطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ
 إِلَّا التُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
 مَا تَفْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كَذَا
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفْتُهُ أَوْ عَلَى دَارِ
 أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذَكَرُكَهَا
 كَمَا يُنَحُّ قِدْحُ الشُّوْحِطِ الْبَارِي
 فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ؟ فقلت: أَنَا نَوْفَلُ بْنُ

مُسَاحِقٍ، فحَيَّانِي فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَحْدَثَتْ بَعْدِي فِي يَأْسِكَ مِنْهَا؟
فَأَنْشَدَنِي يَقُولُ:

[الطويل]

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا
عَلَيَّ يَمِيناً جَاهِداً لَا أَزُورُهَا
وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رِجَالُ أَبُوهُمْ
أَبِي وَأَبُوهَا خُشَّنتْ لِي صُدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا
وَأَنَّ فُؤَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا
قَالَ: ثُمَّ سَنَحْتُ لَهُ ظَبَاءَ فَقَامَ يَعْدُو فِي أَثَرِهَا حَتَّى لَحِقَهَا فَمَضَى
مَعَهَا.

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ:
حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: لَمَّا قَالَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ:

[الطويل]

قَضَاهَا لَغِيرِي وَابْتَلَانِي بِحَبِّهَا
فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا
نُودِيَ فِي اللَّيْلِ: أَنْتَ الْمَتَسَخِّطُ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْتَرِضُ فِي أَحْكَامِهِ!
وَاخْتُلِسَ عَقْلُهُ فَتَوَحَّشَ مِنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَهَبَ مَعَ الْوَحْشِ عَلَى وَجْهِهِ.
وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا هَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَشْهَرِ أَشْعَارِهِ، وَالصَّوْتُ
الْمَذْكُورُ بِذِكْرِهِ أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ هَا هُنَا مِنْهَا. فِيهَا أَيْضاً عِدَّةُ آيَاتٍ تُغْنَى
فِيهَا، فَمِنْ ذَلِكَ:

صوت

أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ:

[الطويل]

أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعْدُ اللَّيَالِيَا

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نَحْوَهَا
 بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
 وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حَبَّهَا
 كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
 أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
 وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
 فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ هَزَجٌ لِمَعَانٍ مِعْزَفِي:

صوت

[الطويل]

وخبَّرْتُمَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنُزِلٍ
 لَّيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاثِيَا
 فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ انْقَضَتْ
 فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلِي الْمَرَامِيَا
 فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنَ الرَّمْلِ صَنَعْتَهُ عَجُوزٌ عُمَيْرُ الْبَادَغَيْسِي عَلَى
 لَحْنِ إِسْحَاقَ:

أَمَاوِيٍّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِي
 وَلَهُ حَدِيثٌ قَدْ ذُكِرَ فِي أَخْبَارِ إِسْحَاقَ . وَهَذَا اللَّحْنُ إِلَى الْآنَ يُغْنَى ،
 لِأَنَّهُ أَشْهَرُ فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَإِنَّمَا هُوَ لَحْنُ إِسْحَاقَ أَخَذَ فُجِعِلَ عَلَى
 هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَكَيْدَ ذَلِكَ :

صوت

[الطويل]

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِالْإِمَامَةِ بَيْتُهُ
 وَدَارِي بِأَعْلَى خَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا
 وَمَاذَا لَهُمْ - لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُمْ -
 مِنَ الْحِطِّ فِي تَضْرِيمِ لَيْلِي جِبَالِيَا

فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشَقَيْتِ عِشَّتِي
 وَإِنْ شِئْتَ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتَ بَالِيَا
 وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عَدَى
 يَرَى نِضْوًا أَبَقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا
 أَمْضُورَةً لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا
 وَمُتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا
 إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
 أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
 يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ
 شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهُوَى عَنْ شِمَالِيَا
 أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
 وَأَشَبَّهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
 هِيَ السَّخَرُ إِلَّا أَنَّ لِّلْسَّخَرِ رُقِيَّةً
 وَإِنِّي لَا أُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا
 وَأُنْشِدُ أَبُو نَصْرٍ لِلْمَجْنُونِ وَفِيهِ غَنَاءُ:

صوت

[الطويل]

تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
 وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ
 أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حَبَّهَا عَامِرِيَّةً
 لَهَا كُنْيَةٌ عَمْرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمْرُو
 الْغَنَاءُ لَعَرِيبٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنْ فِيهِ لِإِسْحَاقَ خَفِيفٌ
 ثَقِيلٌ.

المجنون يرثي أباه :

أخبرني محمد بن مَزِيدَ بن أَبِي الأزهر قال: حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَمِ بنِ عَدِيٍّ قال: أَنشَدَنِي جماعةٌ من بني عُقَيْلٍ للمجنون يرثي أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

[الطويل]

عَقَرْتُ على قبر الملوِّحِ ناقتي
بِذِي السَّرْحِ لَمَّا أَن جَفَّتْهُ أَقَارِبُهُ
وَقُلْتُ لَهَا كوني عَقِيرًا فَإِنِّي
غَدَاةٌ غَدٍ مَاشٍ وبِالْأَمْسِ رَاكِبُهُ
فَلَا يُبْعِدُنْكَ اللَّهُ يَا بَنَ مَزَاحِمِ
وَكُلُّ أَمْرٍ لِّلْمَوْتِ لَا بَدَّ شَارِبُهُ
فَقَدْ كُنْتَ طَالَعَ النَّجَادِ وَمُعْطِيِ الْـ
حِيَادِ وَسَيْفًا لَا تُفْلُ مَضَارِبُهُ

شعره على أثر موعظة :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن شبيب عن الحِزَامِيِّ عن محمد بن مَعْنٍ قال: بلغني أَنَّ رجلاً من بني جعدة بن كعب كان أَخًا وَخَلًّا للمجنون مرَّ به يوماً وهو جالسٌ يخطُّ في الأرض ويبعثُ بالحصى، فسَلَّمَ عليه وجلس عنده، فأقبل يخاطبه ويعظُّه ويُسلِّيهِ، وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مُفَكِّرٌ قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال: يا أَخِي، أما لكلامي جواب؟ فقال له: واللَّهِ يا أَخِي ما علمتُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي فاعذرني، فَإِنِّي كما ترى مذهبُ العقلِ مُشْتَرِكُ اللَّبِّ وبكى، ثم أَنشأ يقول:

صوت

[الكامل]

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى
مَا كَانَ مِنْكَ فَإِنَّهُ شُغِلِي
وَأَدِيمُ لَحْظَ مُحَدَّثِي لِيرَى
أَنْ قَدْ فَهَمْتُ، وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

تجاوب الحمام:

الغناء لِعَلُّوَيْهِ . وقال الهيثم: مرَّ المجنون بوادٍ في أيام الربيع
وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكَ مَا لَكَ بَاكِياً
أَفَارَقْتَ إِنْفَاءً أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ
دَعَاكَ الْهَوَى وَالشُّوقُ لِمَا تَرَنَّمْتَ
هَتَوْفُ الضُّحَى بَيْنَ الْغُصُونِ طَرُوبُ
تُجَاوِبُ وَزَقَا قَدْ أَذِنَ لَصَوْتِهَا
فَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٌ وَمُجِيبُ
الغناء لرذاذ ثقيلٍ أوَّلُ مطلق في مجرى الوسطى .

يزورها في غياب زوجها:

وقال خالد بن حمله: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّ زَوْجَ لَيْلَى
وَأَبَاهَا خَرَجَا فِي أَمْرِ طَرَقَ الْحَيِّ إِلَى مَكَّةَ، فَأَرْسَلَتْ لَيْلَى بِأَمَةٍ لَهَا
إِلَى الْمَجْنُونِ فَدَعَتْهُ فَأَقَامَ عِنْدَهَا لَيْلَةً فَأَخْرَجَتْهُ فِي السَّحَرِ، وَقَالَتْ
لَهُ: سِرْ إِلَيَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا دَامَ الْقَوْمُ سَفَرًا، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا

حتى قَدِمُوا . وقال فيها في آخر ليلة لَقِيَهَا ووَدَّعَتْهُ :

[الطويل]

تَمَتَّعَ بِلَيْلى إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ
من الهام يَدْنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمَامُهَا
تَمَتَّعَ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ الرِّكْبُ إِنَّهُمْ
مَتَى يَرْجِعُوا يَحْرُمُ عَلَيْكَ كَلَامُهَا

عندما مرض قيس :

وقال الهيثم : مَرِضَ المَجْنُونُ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِطَ فِعَادَهُ قَوْمُهُ وَنَسَاؤُهُمْ
وَلَمْ تَعُدْهُ لَيْلى فِيمَنْ عَادَهُ ، فَقَالَ :

صوت

[الطويل]

أَلَا مَا لَيْلى لَا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِي
بَلِيلٍ وَلَا يَجْرِي بِهَا لِي طَائِرُ
بَلَى إِنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ
بَلِيلَى وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَاجِرُ
أَحَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بَذِي الرُّمُثِ أَمْ قَدْ غَيَّبَتْهَا الْمُقَابِرُ
الْغَنَاءُ لِسُلَيْمٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنِ الْهَشَامِيِّ :
فَوَاللَّهِ مَا فِي الْقُرْبِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ
وَلَا الْبُعْدُ يُسَلِّينِي وَلَا أَنَا صَابِرُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيَّةِ حَيْلَةٍ
وَأَيِّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ أَخْطِطُ
وَوَاللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا
عَلَيَّ لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ لَجَائِرُ

فلو كُنتِ إِذْ أَرْمَعْتَ هَجْرِي تَرَكَتِنِي
 جَمِيعَ الثُّمُوى وَالْعَقْلُ مِنِّي وَافِرُ
 وَلَكِنْ أَيَّامِي بِحَقْلٍ عُنَيْزَةٍ
 وَذِي الرُّمَثِ أَيَّامٌ جَنَاهَا التَّجَاوُزُ
 فَقَدْ أَصْبَحَ الْوُدُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
 أَمَانِي نَفْسٍ إِنْ تَخَبَّرَ خَابِرُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَرْهَقْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 حَيَاتِي وَسَاقَتُنِي إِلَيْكَ الْمَقَادِرُ

رَأَى غَزَالاً فَتَذَكَّرَ لَيْلَى :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْحَزَنْبَلِ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي عُقَيْلٍ قَالَ: قِيلَ لِلْمَجْنُونِ: أَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَيْلَى، قِيلَ: دَعُ لَيْلَى فَقَدْ عَرَفْنَا مَا لَهَا عِنْدَكَ وَلَكِنْ سِوَاهَا، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْجَبَنِي شَيْءٌ قَطُّ فَذُكِرَتْ لَيْلَى إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي وَأَذْهَبَ ذِكْرُهَا بِشَاشَتِهِ عِنْدِي، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ ظَبِيًّا مَرَّةً فَتَأَمَّلْتُهُ وَذَكَرْتُ لَيْلَى فَجَعَلَ يَزْدَادُ فِي عَيْنِي حُسْنًا، ثُمَّ إِنَّهُ عَارِضُهُ ذُبُّ وَهَرَبَ مِنْهُ فَتَبَعْتُهُ حَتَّى خَفِيََا عَنِّي فَوَجَدْتُ الذَّبَّ قَدْ صَرَعَهُ وَأَكَلَ بَعْضَهُ، فَرَمَيْتُهُ بِسَهْمٍ فَمَا أَخْطَأْتُ مَقْتَلَهُ، وَبَقَرْتُ بَطْنَهُ فَأَخْرَجْتُ مَا أَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهُ إِلَى بَقِيَّةِ شِلْوِهِ^(١) وَدَفَنْتُهُ وَأَحْرَقْتُ الذَّبَّ، وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

[الطويل]

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَيِّ بِشَاشَةٍ
 فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

(١) الشلو: الجسد من كل شيء، ويطلق على العضو من أعضاء اللحم.

رَأَيْتُ غَزَالاً يَرْتَعِي وَسْطَ رَوْضَةٍ
 فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَا ظُهُراً
 فَيَا ظَبِي كُلْ رَغداً هَنِيئاً وَلَا تَخَفْ
 فَإِنَّكَ لِي جَارٌّ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرَ
 وَعِنْدِي لَكُمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَصَارُمٌ
 حُسَامٌ إِذَا أَعْمَلْتُهُ أَحْسَنَ الْهَبَرِ
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَذئِبٌ قَدْ انْتَحَى
 فَعَلَّقَ فِي أَحْشَاءِهِ النَّابَ وَالظُّفْرَ
 فَفَوَّقْتُ سَهْمِي فِي كَتُومٍ غَمَزْتُهَا
 فَخَالَطَ سَهْمِي مُهْجَةً الذَّئِبِ وَالنَّحْرَ
 فَأَذْهَبَ غِيظِي قَتْلَهُ وَشَفَى جَوَى
 بِقَلْبِي إِنَّ الْحَرَ قَدْ يُدْرِكُ الْوَتَرَ

زوج ليلى يسب قيساً:

قال أبو نصر: بلغ المجنون قبل توخّشه أن زوج ليلى ذكره وعضه
 وسبه وقال: أوبلغ من قدر قيس بن الملوّح أن يدعي محبة ليلى
 ويؤنّه! فقال ليغيظه بذلك:

[الطويل]

فإن كان فيكم بعل ليلى فإنني
 وذي العرش قد قبلت فاهاً ثمانياً
 وأشهد عند الله أنني رأيتها
 وعشرون منها إصبعاً من ورائي
 أليس من البلوى التي لا شوى لها
 بأن زوجت كلباً وما بذلت لياً

عفا الله عن ليلي :

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج المجنون في عدة من قومه يريدون سفراً لهم، فمروا في طريق يتشعب وجهتين: بإحدهما ينزلها رهط ليلي وفيها زيادة مرحلة، فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا، فمضى وحده وقال:

صوت

[الطويل]

أترك ليلي ليس بيني وبينها
سوى ليلة إني إذا لصبور
هبوني امراً منكم أضل بعيره
له ذمة إن الذمام كبير
ولصاحب المتروك أعظم حرمة
على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلي الغداة فإنها
إذا وليت حكماً علي تجور
الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن حبش، وفيه لابن
المارقي خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لعلويه رمل بالبصر.

حمامة السرح :

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: أن المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه وهو وله يتلظى ويتململ وهم يعطونه ويحدثونه حتى هتفت حمامة من سرحة^(١) كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

(١) السرحة: شجرة عظيمة.

صوت

[الطويل]

لقد عَرَدْتُ في جنح ليلِ حمامةٍ
على إلفِها تبكي وإنِّي لنائمٌ
كذبتُ وبيتَ الله لو كنتُ عاشقاً
لَمَّا سَبَقْتُني بالبكاءِ الحمائمُ
ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشياً عليه، فما أفاق حتى حَمِيتِ
الشمسُ عليه من غَدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمَانَ
ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلق في مجرى الوسطى.

في رمل يبرين:

وذكر أبو نصر عن أصحابه أَنَّ رجلاً مرَّ بالمجنون وهو برمل
يَبْرِينَ^(١) يُخَطِّطُ فيه، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه، فقال له:
ما بك يا أخي؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول:

[الطويل]

بِيَ اليأسُ والداءُ الهيامُ أَصابَنِي
فإِيَّاكَ عَنِّي لا يَكُنْ بك ما بِيَا
كَأَنَّ جفونَ العينِ تَهْمِي دموعُها
غَدَاةَ رَأْتُ أَظْعَانِ لَيْلَى غَوَادِيَا
غُرُوبُ أَمَرَتْهَا نَوَاضِحُ بُزْلٍ
على عَجَلٍ عُجْمٍ يُرَوِّينَ صَادِيَا

اليমানيون الذين أهاجوا أشواقه:

وقال خالد بن جمل: ذكر حمادُ الراويةُ أَنَّ نفرًا من أهل اليمن

(١) قرية كثيرة النخل والعيون العذبة.

مرؤوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا
علينا فقد أمسى هوانا يَمَانِيَا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا
وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
يقول في هذه القصيدة:

صوت

أَلَا يَا حَمَامِي قَضِرَ وَدَّانَ هِجْتُمَا
عليَّ الهوى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
فَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
أُبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَلُوِيهِ غَنَاءَ لَمْ يُنْسَبْ.
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَحُبُّ، لَغَيْرِ أَنْ
تَحُلَّ بِهَا لَيْلِي، الْبِرَاقُ الْأَعَالِيَا
أَلَا يَا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلِي مُجَشِّمِي
حِيَاضِ الْمَنَايَا أَوْ مُقَيِّدِي الْأَعَادِيَا
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا
بِلَحْنَيْكُمَا ثَمَّ اسْجَعَا عَلَّلَانِيَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا وَأَرَدْتُمَا
لِحَاقًا بِأَطْرَافِ الْغَضَى فَاتَّبَعَانِيَا

ليلى التي رحلت فزال لبُّ قيس:

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أن زوج ليلى لما أراد

الرَّحِيلَ بِهَا إِلَى بَلَدِهِ بَلَغَ الْمَجْنُونُ أَنَّهُ غَادِرٌ بِهَا فَقَالَ :

صوت

[الطويل]

أَمْزَمَعَةً لِلْبَيْنِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ
كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلَلَكَ غَافِلُ
سَتَعْلَمُ إِنِّ شَطَطْتُ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
وَزَالُوا بَلِيلَى أَنَّ لَبَّكَ زَائِلُ
الغناء للزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى .

قال أبو نصر: قال خالد: وحدثني جماعة من بني قُشَيْرٍ أَنَّ
المجنونَ سَقِمَ سَقَاماً شَدِيداً قَبْلَ اخْتِلَاطِهِ حَتَّى أَشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ،
فَدَخَلَ إِلَيْهِ أَبُوهُ يُعَلِّلُهُ فَوَجَدَهُ يُنْشِدُهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَيَبْكِي أَحَرَ بُكَاءٍ
وَيَنْشُجُ أَحَرَ نَشِيجٍ :

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِماً
بَلِيلَى وَلَيْدَا لَمْ تُقَطِّعْ تَمَائِمُهُ
أَفَقْتُ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ أَتَى
لِحَالِكَ أَنْ تَلْقَى طَبِيباً ثَلَاثِمُهُ
فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ الْعِزَاءِ كَأَنَّمَا
تَرَى نَأْيَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهُ
أَجِدْكَ لَا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةً
تُلِمُّ وَلَا يُنْسِيكَ عَهْداً تَقَادُمُهُ

الجمان السائل على الجيوب:

قال: ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها
وقومها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجزع، فقال له أبوه: ويح! إنما

جئنا بك مُتَخَفِيًّا لِيَتَرَوَّحَ بَعْضُ مَا بِكَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا فَعَلْتَ مَا أَرَى
عُرِفْتَ، وَقَدْ أَهْدَرَ السُّلْطَانُ دَمَكَ إِنْ مَرَرْتَ بِهِمْ، فَأَمْسِكْ أَوْ
فَانصَرِفْ؛ فَقَالَ: مَا لِي سَبِيلٌ إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهِمْ يَرْتَحِلُونَ وَأَنَا سَاكِنٌ غَيْرُ
جَازِعٍ وَلَا بَالٍ فَانصَرِفْ بِنَا، فَانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ:

صوت

[الطويل]

ذِدِ الدَّمْعَ حَتَّى يَظْعَنَ الْحَيُّ إِنَّمَا
دُمُوعُكَ إِنْ فَاضَتْ عَلَيْكَ دَلِيلُ
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
جُمانًا عَلَى جِيبِ الْقَمِيصِ يَسِيلُ
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: أَنْشَدَنِي إِسْحَاقُ بْنُ
مُحَمَّدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ لِلْمَجْنُونِ:

صوت

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ لَيْلَى أَطْفَأَتْ حَرَّ زَفْرَةٍ
أَعَالِجُهَا لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا
إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْحَمَى نَسَمَتْ لَنَا
وَجَدْتُ لِمَسْرَاهَا وَمَنْسَمِهَا بَرْدًا
عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا الْهَوَى
تُدُوبًا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسَبُنِي جَلْدًا
هَذَا الْبَيْتُ الثَّلَاثُ خَاصَّةٌ يُرْوَى لِابْنِ هَرْمَةَ فِي بَعْضِ قِصَائِهِ، وَهُوَ
مِنَ الْمَائَةِ الْمُخْتَارَةِ الَّتِي رَوَاهَا إِسْحَاقُ، أَوَّلُهُ:
أَفَاطِمَ إِنَّ النَّأْيَ يُسْلِي مِنَ الْهَوَى
وَقَدْ أَخْرَجَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ. غَنَّى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَبْدُ آلِ الْهَذَلِيِّ،

ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة :

[الطويل]

وإني يَمَانِي الهوى مُنْجِدُ النَّوى
سَبِيلَانِ أَلْقَى مِنْ خِلَافِهِمَا جَهْدًا
سَقَى اللَّهَ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيِّفٍ
وماذا يُرْجَى مِنْ رَبِيعٍ سَقَى نَجْدًا
بلى إنه قد كَانَ لِلْعَيْشِ قُرَّةً
وَلِلصَّحْبِ وَالرُّكْبَانِ مَنَزَلَةً حَمْدًا
أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَنْفَكَّ مِنْ ذِكْرِ نِسْوَةٍ
رِقَاقٍ وَلَمْ يُخْلَقْنَ شُؤْمًا وَلَا نُكْدًا
إِذَا رُحْنٌ يَسْحَبُنَ الذُّيُولَ عَشِيَّةً
وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ أَنْفُسَنَا عَمْدًا
مَشَى عَيْطَلَاتٍ رُجَّحَ بِخُصُورِهَا
رَوَادِفُ وَغَثَاتُ تَرْدُ الْخُطَا رَدًّا
وَتَهْتَزُّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ فَوْقَهَا
وَلَا تَتَّبِعُ سَبَبَ الْقَزِّ ذَا غُدْرٍ جَعْدًا
إِذَا حَرَّكَ الْمِدْرَى ضَفَائِرَهَا الْعُلَا
مَجَجْنَ نَدَى الرِّيحَانِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدَا
وَأَخْبَارُ الْهُدَلِيِّينَ تُذَكِّرُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لثَلَاثًا تَنْقَطِعُ
أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ ، وَلَهُمَا فِي الْمَائَةِ الصَّوْتِ الْمُخْتَارَةِ أَغَانٍ تُذَكِّرُ أَخْبَارُهَا
مَعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

مشابه من ليلي :

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدّثني ميمون بن هارون

قال: ذكر الهيثم بن عدي، وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال: مرَّ المجنونُ برجلين قد صادا ظبيةً فربطاهما بحبله وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركض في جبالها دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وقال لهما: حُلَاها وخُذَا مكانها شاءَ من غنمي - وقال ميمونُ في خبره: وخُذَا مكانها قُلُوصاً من إبلي - فأعطاهما وحَلَاها فولَّتْ تعدو هاربةً. وقال المجنونُ للرجلين حين رآهما في جبالهما:

[البسيط]

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذَا
في الحبلِ شُبُهًا ليلي ثم عَلَاها
إنني أرى اليوم في أعطافِ شاتِكُما
مَشَابِهًا أَشَبَهَتْ ليلي فَحَلَاها
قال: وقال فيها وقد نظر إليها تعدو أشدَّ عدو هاربةً مذعورةً:

صوت

[الطويل]

أيا شِبهَ ليلي لا تُراعي فإِنني
لَكَ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
ويا شِبهَ ليلي لو تَلَبَّثْتَ ساعةً
لَعَلَّ فُؤادي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ
تَفِرُّ وقد أَطْلَقْتُها من وثاقِها
فَأَنْتِ ليلي لو عَلِمْتَ طَلِيقُ

المجنون يصف ليلي ويقهر الغزال:

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أن ابن الأعرابي أخبرهما أن نسوةً جلسن إلى

المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك ما ترى في هوى ليلي، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا فئساعفك ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عذب من عقلك وجسمك؟ فقال لهن: لو قدرْتُ على صرف الهوى عنها لئلا يكون لصرفته عنها وعن كل أحد بعدها وعشت في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيته وسمعته منها أعجبنى، واللّه ما رأيْتُ شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً وبقلي علقاً، ولقد جهدتُ أن يقبَحَ منها عندي شيءٌ أو يسمَجَ أو يعابَ لأسألَ عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصِفْها لنا، فأنشأ يقول:

[الكامل]

بَيْضَاءُ خَالِصَةُ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا
قَمَرٌ تَوْسَطُ جُنْحٍ لَيْلٍ مُبَرَّدِ
مَوْسُومَةٌ بِالْحَسَنِ ذَاتُ حَوَاسِدِ
إِنَّ الْجَمَالَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَدِ
وَتَرَى مَدَامِعَهَا تَرْقُرُقُ مُقْلَةً
سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِدِ
خَوْذُ إِذَا كَثُرَ الْكَلَامُ تَعَوَّذْتُ
بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَقْصِدِ
قال: ثم قال ابن الأعرابي: هذا واللّه من حسن الكلام ومُنَقِّحِ
الشُّعْرِ.

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً: وفيه غناء، قال:

[الطويل]

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
إِذَا دُكِرَتْ لَيْلِي يَشْدُ بِهَا قَبْضَا

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلَقَةً خَاتَمَ
عَلَيَّ، فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

أشهى من الدنيا وما فيها:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه
قال: حدثنا أبو مسلم عن القَحْذَمِيِّ قال: قال رجل من عشيرة
المجنون له: إني أريد الإلمامَ بحَيِّ ليلي فهل تُودِعُنِي إليها شيئاً؟
فقال: نعم! قِفْ بحيثُ تسمعُك ثم قُلْ:

صوت

[البسيط]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً
بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أُعْنِيهَا
مَنِّيْتُكَ النَّفْسَ حَتَّى قَدْ أَضَرَّ بِهَا
وَاسْتَيْقَنْتُ خُلْفًا مِمَّا أُمْنِيهَا
وَسَاعَةً مِنْكَ أَلْهَوْهَا وَإِنْ قَصُرَتْ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقُبُ خلوةً حتى وجدها، فوقف
عليها ثم قال لها: يا ليلي لقد أحسنَ الذي يقول:
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً
بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أُعْنِيهَا
وَأَنْشَدَ الْآيَاتِ؛ فَبَكَتْ بَكَاءً طَوِيلًا ثُمَّ قَالَتْ: أَبْلِغْهُ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ:

[البسيط]

نَفْسِي فِدَاؤُكَ، لَوْ نَفْسِي مَلَكَتْ إِذَا
مَا كَانَ غَيْرُكَ يَجْزِيهَا وَيُرْضِيهَا

صبراً على ما قضاه الله فيك على
مرارة في اصطباري عنك أخفيها
قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على
وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

[الوافر]

عَجِبْتُ لَعُرْوَةِ الْعُذْرِيِّ أَضْحَى
أَحَادِيثاً لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ
وعروة مات موتاً مُسْتَرِيحاً
وها أنا مَيِّتٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ: أَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ
عَنْ أَبِي نَصْرٍ لِلْمَجْنُونِ:

صوت

[الطويل]

أَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَنَالُهَا
مُنَايَ وَلَا يَبْدُو لِقَلْبِي صَرِيمُهَا
بَعَيْنِي قَذَاةً مِنْ هَوَاكِ لَوَانُهَا
تُداوِي بِمَنْ تَهْوَى لَصَحَّ سَقِيمُهَا
وَمَا صَبَرْتُ عَنْ ذِكْرِكَ النَّفْسُ سَاعَةً
وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَاناً كَثِيراً أَلْوَمُهَا

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ:
حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْمَلُوحُ أَبُو الْمَجْنُونِ
رَجُلًا قَدِيمًا مِنَ الطَّائِفِ أَنْ يَمُرَّ بِالْمَجْنُونِ فَيَجْلِسَ إِلَيْهِ فَيُخْبِرَهُ أَنَّهُ لَقِيَ لَيْلَى
وَجَلَسَ إِلَيْهَا، وَوَصَفَ لَهُ صِفَاتٍ مِنْهَا وَمِنْ كَلَامِهَا يَعْرِفُهَا الْمَجْنُونُ،

وقال له : حَدَّثْهُ بِهَا ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ اشْرَأَبَ لِحَدِيثِكَ واشتهاه فَعَرَّفَهُ أَنْكَ ذَكَرْتَهُ لَهَا ووصفتَ ما به فشتَمْتُهُ وَسَبَّتُهُ ، وقالت : إنه يكذب عليها وَيُشَهِّرُهَا بِفَعْلِهِ ، وَإِنِهَا مَا اجْتَمَعَتْ مَعَهُ قَطُّ كَمَا يَصِفُ ؛ ففعل الرجلُ ذلك ، وجاء إليه فأخبره بِلِقَائِهِ إِيَّاهَا ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وجعل يسأله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوِّح ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبِّها إِيَّاهُ وشتَمِها له ؛ فقال وهو غيرُ مُكْتَرِثٍ لما حكاها عنها :

صوت

[الطويل]

تَمَرُ الصَّبَا صَفْحاً بِسَاكِنِ ذِي الْعَضَى
وَيَضْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا
جَوَايَ بِمَا تُهْدِي إِلَيَّ جَنُوبُهَا
قَرِيبَةً عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا
هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَكَ مَطْرَحاً
بِدَارِ قَلَى تُمْسِي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لِّلَّيْلِ شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا
هَنِيئاً وَمَغْفُورٌ لِّلَّيْلِ ذُنُوبُهَا
ذَكَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدَنِيُّ أَنَّ الْغَنَاءَ فِي هَذَا الشَّعْرِ لَابْنِ سَرِيحٍ وَلَمْ
يَذَكَرْ طَرِيقَتَهُ . وَفِيهِ لِمَتَيْمٍ غَنَاءٌ يُنْسَبُ . وَذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّ
الْمَجْنُونَ قَالَ - وَفِيهِ غَنَاءٌ - :

صوت

[الطويل]

كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ لَيْلَى تُزَارُ بِذِي الْأَثَلِ
وَبِالْجَزْعِ مِنْ أَجْزَاعٍ وَدَّانَ فَالْتَّخَلِّ

صَدِيقُ لَنَا فِيمَا نَرَى غَيْرَ أَنَّهَا
تَرَى أَنَّ حَبِي قَدْ أَحَلَّ لَهَا قَتْلِي

ليلى فلقة القمر:

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ
الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَمَارَةَ بْنِ حَرِيمٍ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ
قَالُوا: خَرَجَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَمَا يَلِي تَيْمَاءَ وَالسَّرَّاءَ
وَأَرْضَ نَجْدٍ، فِي طَلَبِ بُعْيَةٍ لَهُ، فَإِذَا هُوَ بِخِيْمَةٍ قَدْ رُفِعَتْ لَهُ وَقَدْ
أَصَابَهُ الْمَطَرُ فَعَدَلَ إِلَيْهَا وَتَنَحَّجَ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ كَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ: انْزِلْ،
فَنَزَلَ. وَرَاحَتْ إِبِلُهُمْ وَغَنَمُهُمْ فَإِذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَقَالَتْ: سَلُوا هَذَا
الرَّجُلَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ نَاحِيَةِ تِهَامَةَ وَنَجْدٍ؛ فَقَالَتْ: ادْخُلْ
أَيْهَا الرَّجُلُ، فَدَخَلْتُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْخِيْمَةِ، فَأَرَخْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِتْرًا
ثُمَّ قَالَتْ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ بِلَادٍ وَطِئْتَ؟ فَقُلْتُ: كُلُّهَا؛ قَالَتْ: فَبِمَنْ
نَزَلْتَ هُنَاكَ؟ قُلْتُ: بِبَنِي عَامِرٍ؛ فَتَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ: فَهَلْ
سَمِعْتَ بِذِكْرِ فَتَى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ وَيُلَقَّبُ بِالْمَجْنُونِ؟
قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ! وَعَلَى أَبِيهِ نَزَلْتُ، وَأَتَيْتُهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ يَهِيْمُ فِي تِلْكَ
الْفِيَا فِي، وَيَكُونُ مَعَ الْوَحْشِ لَا يَعْقِلُ إِلَّا أَنْ تُذَكَّرَ لَهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا
لَيْلَى، فَيَبْكِي وَيُنْشِدُ أَشْعَارًا قَالَهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَفَعَتِ السِّتْرَ بَيْنِي
وَبَيْنَهَا: فَإِذَا فَلَقَةُ قَمَرٍ لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهَا، فَبَكَتْ حَتَّى ظَنَنْتُ - وَاللَّهِ -
أَنَّ قَلْبَهَا قَدْ انْصَدَعَ، فَقُلْتُ: أَيُّتُهَا الْمَرْأَةُ، أَتَقِي اللَّهَ فَمَا قُلْتُ بِأَسَاءَ،
فَمَكَّثْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ ثُمَّ قَالَتْ:

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ
مَتَى رَحُلُ قَيْسٍ مُسْتَقِيلٌ فَرَاغُ
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِرَحْلِهِ
وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ

ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها، فقلتُ لها: مَنْ أَنْتِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ؟ وما قِصَّتُكِ؟ قالت: أنا ليلي المشؤومة عليه غير المؤنسة له؛ فما رأيتُ مثلَ حزنها ووَجْدِها عليه.

موت المجنون عشقاً:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمار، وأخبرني عثمان عن الكرانيّ عن العُمريّ عن لقيط، وحدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمار، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعيّ وأبو مسلم المُستَملي عن ابن الأعرابيّ - يزيد بعضهم على بعض -:

أن عثمان بن عمار المريّ أخبرهم أن شيخاً منهم من بني مرة حدّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقي المجنون، قال: فدُلّلتُ على محلّته فأتيتها، فإذا أبوه شيخٌ كبيرٌ وإخوة له رجال - إذا نَعِمَ وخيرٌ ظاهرٌ - فسألتهُم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: واللّه لو كان أثر في نفسي من هؤلاء وأحبّهم إليّ! وإنه هويّ امرأة من قومه، واللّه ما كانت تطمّع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمّرها كره أبوها أن يزوّجها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره، فذهب عقلُ ابني ولحِقَه خَبَلٌ وهام في الفيافي وجدأ عليها، فحبسناه وقيدناه فجعل يعَضُّ لسانه وشفَتَيْه حتى خِفْنَا أن يقطّعها فخلّينا سبيلَه، فهو يهيم في الفيافي مع الوحوش، يُذهِبُ إليه كلّ يوم بطعامه فيوضّع له حيث يراه، فإذا تنَحَّوا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتهُم أن يدلّوني عليه، فدُلّوني على فتى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيتُه أن يدلّني عليه؛ فقال: إن كُنْتُ تريدُ شِعْرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمسٍ عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان

قال شيئاً أتيتك به؛ فقلت: بل تدلني عليه لآتيه فقال لي: اطلبه في
 هذه الصحارى فاذن مستأنساً ولا تره أنك تهابه، فإنه يتهددك ويتوعدك
 أن يرميك بشيء، فلا يرؤعنك واجلس صارفاً بصرك عنه والحظه
 أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت
 تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه مُعْجَبٌ به؛
 فخرجت فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه
 بأصبعه خطوطاً، فدنوتُ منه غير مُنْقِضٍ، فنفرَ مِنِّي نفورَ الوحش من
 الإنسان، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه، فمكث ساعة
 كأنه نافرٌ يريد القيام، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه،
 فأقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

[الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ ويحك نَبْنِي
 بعلمك في لُبْنِي وأنتَ خَبِيرُ
 فإنَّ أنتَ لم تُخْبِرْ بشيءٍ علمته
 فلا طِرْتَ إلَّا والجنَّاحُ كَسِيرُ
 ودُرْتُ بأعداءٍ حبيبك فيهم
 كما قد تراني بالحبيب أدورُ
 فأقبل عليَّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً
 حيث أقول:

[الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى
 بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
 قِطَاةٌ غَرَّهَا شَرُّكَ فَبَاتَتْ
 تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

فَأَمْسَكَتُ عَنْهُ هُنَيْهَةً، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: وَأَحْسَنَ وَاللَّهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ حِينَ يَقُولُ:

[الطويل]

وَإِنِّي لَمُمْفِنٍ دَمْعَ عَيْنَيَّ بِالْبُكَاءِ
حِذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَدَاً أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلَةً
فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي
بِكُفِّي إِلَّا أَنْ حَانَ حَائِنُ
قال: فبكى - واللّه - حتى ظننتُ أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ فَاضَتْ، وَقَدْ رَأَيْتُ
دَمُوعَهُ قَدْ بَلَّتِ الرَّمْلَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَأَنَا
وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ:

صوت

[الطويل]

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي
بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُضْمَ سَهْلُ الْأَبَاطِحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ
وَحَلَفْتُ مَا خَلَفْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
- وَيُرْوَى: «وَعَادَرْتُ مَا عَادَرْتُ . . .» - ثُمَّ سَنَحْتُ لَهُ ظَبِيَّةً فَوَثَبَ
يَعْدُو خَلْفَهَا حَتَّى غَابَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ، وَعُدْتُ مِنْ غَدٍ فَطَلَبْتُهُ فَلَمْ
أَجِدْهُ، وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَصْنَعُ لَهُ طَعَامَهُ إِلَى الطَّعَامِ فَوَجَدْتُهُ بِحَالِهِ،
فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ غَدَوْتُ وَجَاءَ أَهْلُهُ مَعِيَ فَطَلَبْنَاهُ يَوْمَنَا فَلَمْ
نَجِدْهُ، وَعَدَوْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَسْتَقْرِئُ أَثَرَهُ حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي وَادٍ كَثِيرِ
الْحِجَارَةِ خَشِنٍ، وَهُوَ مَيِّتٌ بَيْنَ تِلْكَ الْحِجَارَةِ، فَاحْتَمَلَهُ أَهْلُهُ فَغَسَلُوهُ
وَكَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ.

أبو ليلي يندم على ما فعل :

قال الهيثم: فحدّثني جماعة من بني عامر: أنه لم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه؛ واجتمع فتیان الحّي يبيكون عليه أحرّ بكاء، ويُنشجون عليه أشدّ نَشيج، وحضرهم حيّ ليلي مُعزّين وأبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاء، وجعل يقول: ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كلّ هذا، ولكّني كنتُ امرأ عربياً يخاف من العار وتُفجّ الأُخْذوثة ما يخافه مثلي، فزوّجتها وخرجت عن يدي، ولو علمتُ أنّ أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك. فما رُئي يوم كان أكثر باكيةً وباكيةً على ميّت من يومئذٍ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

الصوت الذي أوّلُه:

[الطويل]

ألا يا غرابَ البَيْنِ وَيَحْكُ نَبْنِي
بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ
الغناء لابن محرز ثقیلاً أوّل بالوسطى عن الهشامي، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لحكم. وفي رواية ابن الأعرابي أنه أنشده مكان:
ألا يا غرابَ البَيْنِ وَيَحْكُ نَبْنِي
بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ

صوت

[الطويل]

ألا يا غرابَ البَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي
بَخِيرٍ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ
وخبَّرت أن قد جدّ بينن وقربوا
جمالاً لبين مُثَقَلاتٍ من العُدْرِ

وهِجَّتْ قَذَى عَيْنٍ بَلْبُنَى مَرِيضَةٍ
 إِذَا ذُكِرَتْ فَاضَتْ مَدَامُهَا تَجْرِي
 وَقُلْتَ كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعاً
 صَدَقْتَ وَهَلْ شَيْءٌ بَبَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ
 الشعر لقيس بن ذريح، والغناء لابن جامع، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّابَةِ فِي
 مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَبَحْرٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .
 وَفِيهِ لِدَحْمَانَ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُوسَى .
 وَمِنْهَا الصَّوْتُ الَّذِي أَوَّلُهُ :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي
 بِقَوْلٍ يُجِلُّ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
 الْغَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ .

بكاء أبي ليلى :

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّبْعِيُّ عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ :

لَمَّا مَاتَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ وَجَدَ فِي أَرْضِ خَشِيشَةٍ بَيْنَ حِجَارَةٍ سَوْدٍ ،
 فَحَضَرَ أَهْلُهُ وَحَضَرَ أَبُو لَيْلَى - الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَ يَهْوَاهَا - وَهُوَ مُتَذَمِّمٌ
 مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَيِّتاً بَكَى وَاسْتَرْجَعَ وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ شَرِكَ فِي هَلَاكِهِ ،
 فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْلُبُونَهُ إِذْ وَجَدُوا خِرْقَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بَنَّا يَرْضَى
 شَقِيتَ وَهُنَّيْتَ مِنْ عَيْشِكَ الْعَمَضَا
 شَقِيتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي
 أَهِيْمُ مَعَ الْهَالِكِ وَلَا أَطْعَمُ الْعَمَضَا

صوت

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
 إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى يَشْدُ بِهَا قَبْضًا
 كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلَقَهُ خَاتَمٌ
 عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا
 فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ رَمَلٌ يَنْسَبُ إِلَى سُلَيْمٍ وَإِلَى ابْنِ مُحَرَّزٍ، وَذَكَرَ
 حَبِشٌ وَالْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ.

يتداوى بالأشعار:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ الْقُسَيْرِيِّينَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:
 مَرَرْتُ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى وَادٍ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ، وَذَاكَ قَبْلَ
 أَنْ يَخْتَلِطَ، وَهُوَ يَتَغَنَّى بِشَعْرِ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَصَحْتُ بِهِ: يَا قَيْسُ، أَمَّا
 تَشْغَلُكَ لَيْلَى عَنِ الْغَنَاءِ وَالطَّرَبِ! فَتَنْفَسُ تَنْفَسًا ظَنَنْتُ أَنَّ حِيَازِيْمَهُ قَدْ
 انْقَدَّتْ، ثُمَّ قَالَ:

صوت

[الطويل]

وَمَا أَشْرَفُ الْأَيْفَاعِ إِلَّا صَبَابَةً
 وَلَا أَنْشَدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا
 وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا
 يَظُنُّانِ جَهْدَ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
 لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنِّي
 وَجَدْتُ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحَبِّ شَافِيَا

التقاؤه بقيس بن ذريح:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا

إسماعيل بن أبي أُويس قال: اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه، وكان كل واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر، وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس إلا مُنفرداً ولا يحدث أحداً ولا يرد على متكلم جواباً ولا على مُسلم سلاماً، فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ السلام؛ فقال له: يا أخي، أنا قيس بن ذريح؛ فوثب إليه فعانقه وقال: مرحباً بك يا أخي، أنا والله مذهبٌ مشتركُ اللَّبِّ فلا تُلْمِني، فتحدثا ساعةً وتشاكيا وبكيا، ثم قال له المجنون: يا أخي، إنَّ حيَّ ليلى منّا قريبٌ، فهل لك أن تمضي إليها فتبَلِّغها عني السلام؟ فقال له: أفعل. فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وانتسب! فقالت له: حيّاك الله، ألك حاجة؟ قال: نعم، ابن عمك أرسلني إليك بالسلام؛ فأطرقَت ثم قالت: ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله، قل له عني: أَرَأَيْتَ قولك:

[الطويل]

أَبْتُ لَيْلَةَ بِالْغَيْلِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
لَكُمْ غَيْرُ حَبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ
أَلَا إِنَّمَا أَبَقَيْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
أخبرني عن ليلة الغيل، أي ليلة هي؟ وهل خلوتُ معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس: يا ابنة عم، إنَّ النَّاسَ تَأَوَّلُوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهبت بقلبه، لا إنه عناك بسوء؛ قال: فأطرقْتُ طويلاً ودموعها تجري وهي تُكْفِكُفُها، ثم انتحبت حتى قلتُ تقطعت حيازيمها، ثم قالت: اقرأ على ابن عمي السلام، وقل له: بنفسي أنت! والله إنَّ وَجْدي بك لَفَوْقَ ما تَجِدُ، ولكن لا حيلة لي فيك؛ فانصرف قيس إليه ليخبره فلم يجده.

بكى فرحاً بليلى إذ رآها:

عن ابن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: مرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق وأنشأ يقول:

[الوافر]

بكى فرحاً بليلى إذ رآها
مُجِبُّ لا يرى حَسَناً سِوَاهَا
لَقَدْ ظَفِرَتْ يَدَاهُ وَنَالَ مَلَكاً
لئن كانتُ تراه كما يراها
الغناء لابن المكي رملٌ بالبنصر. وفيه لعريبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن
الهشامي. وفيه خفيفٌ رملٌ ليزيد حوراء. وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن
المكي ولحنُ ابن المكي إليه.

فهرس المحتويات

٥	مقدمة
٧	ترجمة الشاعر

ديوانه

١١	قافية الهمزة
١١	١ - مَيِّت الهوى
١٢	٢ - الشمس مسكنها السماء
١٣	٣ - خلوة
١٥	قافية الباء
١٥	٤ - الحبُّ الصادق
١٨	٥ - أهل الهوى
٢٠	٦ - زفرة حرّى
٢٦	٧ - أحْبُك
٢٨	٨ - التوحد في الحب
٣٠	٩ - دومي على العهد
٣٣	١٠ - وكل غريب للغريب نسيب
٣٤	١١ - هل للعاشقين قلوب
٣٥	١٢ - نسيب ربح الجنوب
٣٦	١٣ - شغفتني أم بكر
٣٧	١٤ - القلب المبتلى
٣٧	١٥ - توبة

- ١٦ - رثاء والده ٣٨
- ١٧ - دعوة مخلصه ٣٩
- ١٨ - يا نفس صبراً ٤٠
- ١٩ - مغفور ليلي ذنوبها ٤٢
- ٢٠ - هذا حببها ٤٣
- ٢١ - إلى آل ليلي تحية ٤٤
- ٢٢ - مناجاة ٤٥
- ٢٣ - البكاء على الزمن الضائع ٤٧
- ٢٤ - أحبك ٤٩
- ٢٥ - جيرة ٥٠
- ٢٦ - الحبّ القاتل ٥٠
- ٢٧ - غريب ٥١
- ٢٨ - افتراء ٥٢
- ٢٩ - تكلمت العيون ٥٦
- ٣٠ - أمل ضائع ٥٦
- ٣١ - أبوس تراب رجلك ٥٧
- ٣٢ - البحر العذب ٥٨
- ٣٣ - النبأ السعيد ٥٨
- قافية التاء ٦٠
- ٣٤ - الميئُ الحيّ ٦٠
- ٣٥ - زفرة محبّ ٦١
- ٣٦ - الدمع الهتون ٦٦
- قافية الجيم ٦٧
- ٣٧ - غنج ٦٧
- قافية الحاء ٦٨

- ٣٨ - الحبّ المتاح ٦٨
- ٣٩ - شؤم ٦٩
- ٤٠ - رثاء عمه يزيد ٧٠
- ٤١ - لقاء ٧١
- ٤٢ - فتنتني ٧١
- ٤٣ - الكبد المقروحة ٧٢
- قافية الخاء ٧٤
- ٤٤ - الغراب الناعب ٧٤
- قافية الدال ٧٦
- ٤٥ - الجراد الجائع ٧٦
- ٤٦ - بنفسي أنت ٧٦
- ٤٧ - قاتل الله الهوى ٧٨
- ٤٨ - عودة الروح ٧٩
- ٤٩ - حليف الأسى ٨٠
- ٥٠ - حتى الممات ٨١
- ٥١ - حسد ٨٢
- ٥٢ - همّ جديد ٨٣
- ٥٣ - أهل الهوى ٨٤
- ٥٤ - حتى متى هذا الصدود؟ ٨٥
- ٥٥ - حيرة محبّ ٨٧
- ٥٦ - حظي الصدود ٨٨
- ٥٧ - الحديث الممتع ٨٨
- ٥٨ - رؤيا ٨٩
- ٥٩ - شكوى ٨٩
- ٦٠ - نسيت يوم معادي ٩١

- ٦١ - البيعة الخاسرة ٩١
- ٦٢ - حنين ٩٣
- ٦٣ - نَجْد ٩٥
- ٦٤ - حَبّ حتى بعد الممات ٩٦
- ٦٥ - اعتراف ٩٨
- ٦٦ - لذة الحب ٩٨
- ٦٧ - الطاعة في الحب ٩٩
- ٦٨ - قمر ٩٩
- ٦٩ - قلائص القرشي ١٠٠
- ٧٠ - زفرة لا ترد ١٠١
- ٧١ - رجاء ١٠٣
- قافية الراء ١٠٤
- ٧٢ - الحب قدر ١٠٤
- ٧٣ - هجاء ١٠٤
- ٧٤ - شجاني دمعها ١٠٥
- ٧٥ - تَطْيُر ١٠٥
- ٧٦ - بكاء ١٠٦
- ٧٧ - المؤمل الحائر ١٠٧
- ٧٨ - العاشق المسحور ١٠٩
- ٧٩ - هي الشمس والبدر ١١٠
- ٨٠ - يا سلوة الأيام ١١٣
- ٨١ - لقاء النظر ١١٦
- ٨٢ - نفس تذوب وتقطر ١١٦
- ٨٣ - طالب رضاك ١١٧
- ٨٤ - ماء الصبابة ١١٨

- ٨٥ - الوشاة ١١٩
- ٨٦ - وقلن تزوج ١١٩
- ٨٧ - إن المحب شكور ١٢١
- ٨٨ - القاضي الجائر ١٢٤
- ٨٩ - بشير طلاق ١٢٥
- ٩٠ - من نصيري ١٢٥
- ٩١ - جناح الهوى ١٢٦
- ٩٢ - داووني بالتي كانت هي الداء ١٢٧
- ٩٣ - فيك المنى ١٢٧
- ٩٤ - الحب العفيف ١٢٩
- ٩٥ - نفس شعارها الحب ١٢٩
- ٩٦ - وعيد ١٣١
- ٩٧ - مصير الحب ١٣٢
- ٩٨ - السفور المريب ١٣٣
- ٩٩ - الذكرى المحرقة ١٣٤
- ١٠٠ - نار القلب ١٣٥
- ١٠١ - أيام نجد ١٣٦
- ١٠٢ - سنا البرق ١٣٧
- ١٠٣ - عزاء ١٣٨
- ١٠٤ - أقسم لا أنساك ١٣٨
- ١٠٥ - اسمعوا عذري ١٤١
- ١٠٦ - هي البدر حسناً والنساء كواكب ١٤٦
- ١٠٧ - تداويت من ليلى بليلى ١٤٩
- ١٠٨ - فؤادي جناح عقاب ١٥١
- ١٠٩ - وداع ١٥٣

- ١١٠ - الصبر على الفراق ١٥٣
- ١١١ - ليتنا ١٥٤
- ١١٢ - قلت احفرا قبري ١٥٥
- ١١٣ - لا قبر أفقر من قبري ١٥٦
- ١١٤ - موت الجريح ١٥٧
- ١١٥ - هي الخمر ١٥٧
- ١١٦ - المشاركة في الموت ١٥٨
- ١١٧ - ترويض النفس ١٥٨
- ١١٨ - عين المحب ١٥٩
- ١١٩ - يا سرحة الروح ١٥٩
- ١٢٠ - إلى الله أشكو ١٦٠
- ١٢١ - ديار ليلي ١٦١
- ١٢٢ - الثأر ١٦١
- ١٢٣ - ظباء من الناس ١٦٣
- قافية السين ١٦٤
- ١٢٤ - أطلال ١٦٤
- ١٢٥ - لو أنصف الدهر ١٦٤
- قافية الشين ١٦٥
- ١٢٦ - حبّ بلا غش ١٦٥
- قافية الصاد ١٦٦
- ١٢٧ - شبيه الغزال حياتي ١٦٦
- قافية الضاد ١٦٧
- ١٢٨ - رسالة ١٦٧
- ١٢٩ - أنفاس العاشقين ١٦٨
- ١٣٠ - انتفاضة محبّ يائس ١٦٨

- ١٧١ قافية الطاء
- ١٧١ ١٣١ - البين قدر
- ١٧٢ قافية العين
- ١٧٢ ١٣٢ - الديار البلاقع
- ١٧٨ ١٣٣ - نعم إنني صَبَّ
- ١٨٠ ١٣٤ - تُضْرَبُ أعناقُ الرِّجالِ المطامعُ
- ١٨١ ١٣٥ - التابع المطيع
- ١٨٢ ١٣٦ - وحشُ البرِّ أَلْفِي
- ١٨٣ ١٣٧ - ضياع
- ١٨٤ ١٣٨ - تحية وداع
- ١٨٤ ١٣٩ - لا رادَّ لقضاء الله
- ١٨٥ ١٤٠ - الأحق
- ١٨٩ ١٤١ - قلب للحسان تبوع
- ١٩٠ ١٤٢ - في القلب صدوع
- ١٩٠ ١٤٣ - بلادي
- ١٩١ ١٤٤ - إليك سلامي
- ١٩٢ ١٤٥ - كوني شفيعي
- ١٩٢ ١٤٦ - ظبية كليلي
- ١٩٣ ١٤٧ - البين نافع
- ١٩٣ ١٤٨ - غدر
- ١٩٤ ١٤٩ - يأس
- ١٩٤ ١٥٠ - أمنية
- ١٩٤ ١٥١ - لوم النفس
- ١٩٧ ١٥٢ - أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا
- ١٩٨ ١٥٣ - زيارة قمر

- قافية القاف ٢٠٠
- ١٥٤ - نعم أنتِ حبيبتِي ٢٠٠
- ١٥٥ - التوق إلى الحبيب ٢٠٢
- ١٥٦ - ضعيف في قفر ٢٠٣
- ١٥٧ - يوم سعد ٢٠٣
- ١٥٨ - التوق المتبادل ٢٠٣
- ١٥٩ - صديق خلوق ٢٠٤
- ١٦٠ - ليلي المريضة ٢٠٦
- ١٦١ - إنجاز حق ٢٠٩
- ١٦٢ - دم مهدر ٢١٠
- ١٦٣ - القتل الحلال ٢١٣
- قافية الكاف ٢١٥
- ١٦٤ - لُغِنْتَ يا غراب ٢١٥
- قافية اللام ٢١٧
- ١٦٥ - أخو ليلى ٢١٧
- ١٦٦ - حبّ لا مثيل له ٢١٧
- ١٦٧ - توبة ٢١٨
- ١٦٨ - كيف احتيالي ٢٢٠
- ١٦٩ - نجوى ٢٢١
- ١٧٠ - روعة الفراق ٢٢٢
- ١٧١ - الدمع الجمان ٢٢٣
- ١٧٢ - ظمأ ٢٢٤
- ١٧٣ - الخيال الزائر ٢٢٤
- ١٧٤ - ليلي هي البدر ٢٢٥
- ١٧٥ - قناعة ٢٢٦

- ١٧٦ - الحبّ لا يموت ٢٢٦
- ١٧٧ - داء عضال ٢٢٧
- ١٧٨ - عفا الله عنها ٢٢٧
- ١٧٩ - باعوها ٢٢٨
- ١٨٠ - تصبّر ٢٣٠
- ١٨١ - إغراض وصدّ ٢٣٠
- ١٨٢ - سهام العيون القاتلة ٢٣٢
- ١٨٣ - لا سلوى تنسي ٢٣٤
- ١٨٤ - بئس الأهل ٢٣٤
- ١٨٥ - أعدل بيننا يا الله ٢٣٥
- ١٨٦ - حبي قاتلي ٢٣٥
- ١٨٧ - عندكم عقلي ٢٣٦
- ١٨٨ - عزاء ٢٣٦
- ١٨٩ - المودّة المتجدّدة ٢٣٧
- ١٩٠ - سلمت يا غزال ٢٣٧
- ١٩١ - زعمت ٢٣٨
- قافية الميم ٢٤٠
- ١٩٢ - ندم ٢٤٠
- ١٩٣ - اعتذار ٢٤١
- ١٩٤ - حبّ في الصغر ٢٤٢
- ١٩٥ - حديث العيون ٢٤٢
- ١٩٦ - صريع الحب ٢٤٣
- ١٩٧ - ارحمني ٢٤٤
- ١٩٨ - انتقام ظالم ٢٤٥
- ١٩٩ - غنى النفس ٢٤٥

- ٢٠٠ - حُبُّ مَكِين ٢٤٦
- ٢٠١ - الزَّمانُ الذَّمِيم ٢٤٨
- ٢٠٢ - كلُّ المِشارِبِ ذَمِيم ٢٤٩
- ٢٠٣ - أَنْتِ السَّبَب ٢٥٠
- ٢٠٤ - قد أَفَاقَ العاشِقون ٢٥١
- ٢٠٥ - إِيْماءَةٌ ٢٥٢
- ٢٠٦ - إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ ٢٥٣
- ٢٠٧ - وَأَقْتُلُ داءَ العاشِقين قَدِيمُها ٢٥٤
- ٢٠٨ - زِينَةُ الدُّنيا ٢٥٦
- ٢٠٩ - في البعد جُفاء ٢٥٨
- ٢١٠ - هي الموت والحياة ٢٥٩
- ٢١١ - عناد ٢٦٠
- ٢١٢ - صحوة ٢٦٠
- ٢١٣ - مناجاة القبر ٢٦٠
- ٢١٤ - حديث العين ٢٦١
- ٢١٥ - بين عروة وقيس ٢٦١
- ٢١٦ - دلال غانية ٢٦٢
- ٢١٧ - حرام عليَّ صيد الطُّبَّاء ٢٦٣
- ٢١٨ - زيارة ليلي من مناسك الحج ٢٦٣
- ٢١٩ - اللوم الظالم ٢٦٤
- ٢٢٠ - رسولي غراب ٢٦٤
- ٢٢١ - الحَبُّ الطاهر ٢٦٥
- ٢٢٢ - ناعِيا ليلي ٢٦٨
- ٢٢٣ - دعني وَمَنْ أَهوى ٢٦٩
- ٢٧٠ - قافية النون ٢٧٠

- ٢٢٤ - الخوف مما سيكون ٢٧٠
- ٢٢٥ - ليتني إليها أطيّر ٢٧٠
- ٢٢٦ - المجنون ٢٧٢
- ٢٢٧ - أحلام المنام ٢٧٣
- ٢٢٨ - محل وجفاف ٢٧٤
- ٢٢٩ - أُحِبُّكَ ٢٧٤
- ٢٣٠ - كل نفس ودينها ٢٧٥
- ٢٣١ - عرضي جُنةً لعرضها ٢٧٧
- ٢٣٢ - النفس المجنونة ٢٧٨
- ٢٣٣ - العين الحزينة ٢٧٩
- ٢٣٤ - لك الدنيا ٢٧٩
- ٢٣٥ - يمانية والرمس غير يمانى ٢٨٠
- ٢٣٦ - أحبّ الناس إليّ أشقائي ٢٨٢
- ٢٣٧ - جرائر يدي ولساني ٢٨٤
- ٢٣٨ - شاهد حب ٢٨٦
- ٢٣٩ - وشاية كاذبة ٢٨٧
- ٢٤٠ - غُبن البائع ٢٨٨
- ٢٤١ - حبّك أنساني ٢٨٨
- ٢٤٢ - الليل والنهار سواء ٢٨٩
- ٢٤٣ - الظبية الطليقة ٢٨٩
- ٢٤٤ - مَنْ منصفى ٢٩٠
- ٢٤٥ - بين اليأس القاتل والرجاء أعيش ٢٩١
- ٢٤٦ - لو تعلمين ٢٩٢
- ٢٤٧ - بين ليلى والغزال ٢٩٣
- ٢٤٨ - حمامة جميلة ٢٩٣

- ٢٤٩ - القلب البكر ٢٩٤
- ٢٥٠ - صلاة ٢٩٤
- ٢٥١ - الحمامات الحزينة ٢٩٥
- ٢٥٢ - على نجد تحية ٢٩٦
- ٢٩٨ قافية الهاء
- ٢٥٣ - إكرام شبيهها ٢٩٨
- ٢٥٤ - غيرة ٢٩٩
- ٢٥٥ - ليتها تراه كما يراها ٢٩٩
- ٢٥٦ - عرفناها ٣٠٠
- ٢٥٧ - وداع نجد ٣٠٠
- ٢٥٨ - إنها منى كبدي ٣٠١
- ٢٥٩ - أمني النفس بساعة منك ٣٠٢
- ٣٠٣ قافية الياء
- ٢٦٠ - ليبيك ٣٠٣
- ٢٦١ - مناجاة ٣٠٤
- ٢٦٢ - دعوني أموت ٣٢٣
- ٢٦٣ - زوّجت كلباً ٣٢٧
- ٢٦٤ - أسير الحب ٣٢٨
- ٢٦٥ - آخر الزاد ٣٢٩
- ٢٦٦ - ندم ٣٢٩
- ٢٦٧ - رحيل ٣٣٠
- ٢٦٨ - ذهول ٣٣١
- ٢٦٩ - دعاء ٣٣٢
- ملحق ٣٣٥
- أخبار مجنون بني عامر ونسبه ٣٣٧

٣٣٧		نسبه الصحيح
٣٣٧		اسمه الصحيح
٣٣٧		لم يكن مجنوناً
٣٣٧		الاختلاف في وجوده
٣٣٩		المجنون فتى من بني أمية
٣٤٠		المجانين بليلي كثيرون
٣٤٢		المجنون اسم مستعار
٣٤٣		شعره مولد عليه
٣٤٥		عشق ليلي صغيراً
٣٤٧		المجنون يخطب ليلي
٣٤٨		أبوه يروي قصة جنونه
٣٤٩		هيامه بليلي
٣٤٩		قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف
٣٥٤		حجوا به ليسلوها فزاد جنونه
٣٥٧		بريك هل ضممت إليك ليلي
٣٥٨		صبا نجد
٣٥٩		وقوفه على منازل ليلي
٣٦٠		الغريم الذي لا ينصف
٣٦٣		تحرقت راحتاه وما شعر
٣٦٤		بنو عامر أرق الناس قلوباً
٣٦٦		بعض أوصافه
٣٦٧		آخر عهده بليلي
٣٦٨		سبب جنونه
٣٦٨		تسميته
٣٧٠		ليلى أم مالك

- ٣٧١ مناجاة
- ٣٧٣ قيس الهائم على وجهه
- ٣٧٥ نهاري نهار الناس
- ٣٧٨ طربت وشاقتك الحمول الدوافع
- ٣٨٠ المجنون وهديل الحمام
- ٣٨١ جبل التوباد
- ٣٨٢ ذهاب عقله
- ٣٨٣ يهتف بليلى
- ٣٨٤ داء قديم
- ٣٨٦ ظل النسوة في القمر
- ٣٨٩ مر ولم يلهم بليلى
- ٣٩٠ حديث ليلي مع جارتها
- ٣٩١ ليلي تخرج مع زوجها
- ٣٩١ غريب الدار في أرض عامر
- ٣٩٣ عندما خرّ مغشياً على وجهه
- ٣٩٥ خبر نوفل بن مساحق مع المجنون
- ٣٩٧ أعدّ الليالي ليلة بعد ليلة
- ٤٠٠ المجنون يرثي أباه
- ٤٠٠ شعره على أثر موعظة
- ٤٠١ تجاوب الحمام
- ٤٠١ يزورها في غياب زوجها
- ٤٠٢ عندما مرض قيس
- ٤٠٣ رأى غزلاً فتذكر ليلي
- ٤٠٤ زوج ليلي يسبّ قيساً
- ٤٠٥ عفا الله عن ليلي

- ٤٠٥ حمامة السرح
- ٤٠٦ في رمل يبرين
- ٤٠٦ اليمانيون الذين أهاجوا أشواقه
- ٤٠٧ ليلي التي رحلت فزال لبُّ قيس
- ٤٠٨ العجمان السائل على الجيوب
- ٤١٠ مشابه من ليلي
- ٤١١ المجنون يصف ليلي ويقهر الغزال
- ٤١٣ أشهى من الدنيا وما فيها
- ٤١٤ حلال لليلي شتمنا وانتقاصنا
- ٤١٦ ليلي فلقة القمر
- ٤١٧ موت المجنون عشقاً
- ٤٢٠ أبو ليلي يندم على ما فعل
- ٤٢٠ نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
- ٤٢١ بكاء أبي ليلي
- ٤٢٢ يتداوى بالأشعار
- ٤٢٢ التقاؤه بقيس بن ذريح
- ٤٢٤ بكى فرحاً بليلى إذ رآها